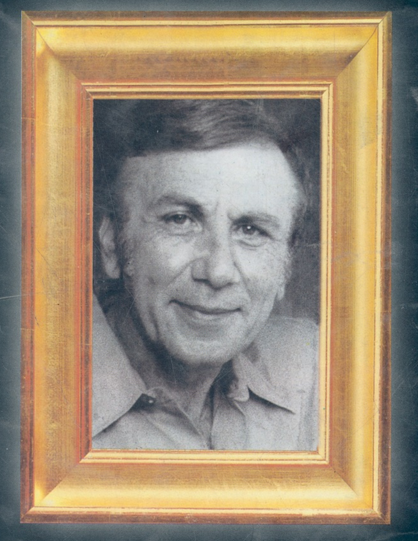






أنشودة حب مصرية







أنشودة حب مصرية

هذا هو الكتاب

الصفحة

كتاب
نصف الدنيا

■ رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم نافع

■ رئيس التحرير
سناء البيسى

■ أعده للنشر
أحمد الشهاوى

■ الإخراج الفنى
عادل صبرى

■ خطوط الغلاف
حامد العويضى

مطابع الأهرام التجارية ـــ قليوب



إبراهيم نافع

شعر نزار قبانى
مؤسسة عربية قومية

انشا نزار قبانى لنفسه مملكةجماهيرية تمتد إلى حيث يوجد ناطق بالعربية او قارىء لأدبها فى كل مكان ، ونجح نزار فى أن يجعل من إنتاجه الشعرى مؤسسة عربية قومية تتجاوز الحدود ، وتخترق حواجز الاختلاف الضرورية بين المجتمعات العربية ولا عجب فى ذلك فلقد جعل نزار من القصيدة الشعرية نداء يستجيب له الوجدان المصرى من المحيط إلى الخليج.

وفى أوقات الاحباط العربى ، كان نزار حاضرا يؤكد ان صناعة الأمل يمكن ان تكون ايضا صناعة عربية وفى لحظات الانكسار العربى ، كان نزار دائما حاضرا ، يؤكد لكل عربى اننا قادرون على ان نكون فرسانا ننهض من كبوتنا لننتصر!

وفى لحظات الانتصار ، كان نزار حاضرا يزهو ، بانتصاراتنا ويعلمنا كيف نزهو بها.

قال لى احد البسطاء الأذكياء وما اكثرهم فى الشارع المصرى ! إن نزار قبانى حين كتب قصيدة « المهرولون » لم يكن الا متحدثا باسم الخارجية المصرية

فسالت صاحبها كيف ؟ واجاب : الا تتذكر ان وزير الخارجية عمرو موسى قد شن حملة على اولئك الذين اسرعوا الخطى وتزاحموا بالمناكب صوب إسرائيل قبل ان ترجع بقية الحقوق العربية لاصحابها.

لقد كان المهرولون العرب ـ ربما بحسن نية يدوسون اثناء الهرولة على العديد من الحقائق والمصالح العربية ، وما قاله نزار شعرا كان اقرب ما كان يقوله عمرو موسى كتصريحات دبلوماسية ومواقف سياسية . ففى هذه اللحظة عبر نزار عن الضمير العربى مثلما عبرت السياسة المصرية عن الراى العام العربى.

وهكذا عبرت كلمات هذا المواطن المصرى بهذه الملاحظة الذكية عن احد اسباب القيمة الأدبية والوطنية لهذا الشاعر الكبير فالشاعر الصادق ، هو ضمير امته والمعبر الأمن عن وجدانها.

ولقد كان نزار قبانى ضميرا لأمته العربية ولسانا صادقا لهمومها ، واحلامها ، وآمالها □



ســناء البيسى

قلب على الورق

خفت الصهيل .. انطفات الجذوة .. خمد البركان .. استسلم طائر العشق لإشارات الوداع .. رحل الصوت الذى ظل لأكثر من نصف قرن يغرد فى الفضاء إلى ارض النهايات البعيدة .. استسلم القلب الذى ظل عصيًا على الهزيمة فى الحب والحرب ليصبح طئَ سطور الكتاب الأخير فى مكتبة الوجود .. لملم وحى الشعر مقوماته ومفرداته وترك المكان شاغرا ليحتله بغيض اسمه الموت .. غادرنا المنعش الذى فتح نوافذ النسيم ليرطب من صهد حياتنا ويخرج بنا من داخل الجدران الصدئة لنزهات الخلاء يؤرجحنا على حبال الياسمين ، ويعدو بنا فوق بساط السندس ، ويحلق بنا فى سماوات النشوة ، ويقطف لنا زهرة ، ويطوف بنا مدن العشاق ومزارات المحبين وحلقات المفكرين ، ويتحفنا بما انزله عليه الوحى من حلو الكلام .. غضب الكلام .. شهد الكلام .. غرور الكلام .. اول الكرم واخر الكلام واحزان الكلام .. شعره قلبه .. ويظلمه من لا يرى قلبه على الورق ..

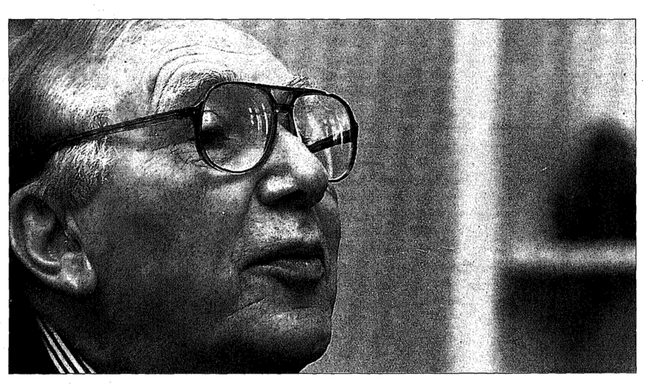
حمل نزار قبانى اقبيق قلمه وغادر وترك من خلفه اجمل واطول قصة حب عربية اشترك فى صياغتها الملايين ، فالحب على يد نزار صار حديثا شائعا .. وصارت كلمات العشاق اجمل .. وصار الغزل العثمانى مدعاة للخجل .. وصارت قوانين القبيلة فى الحب مدعاة للشفقة . شيد نزار قبانى ومعه الملايين التى قفزت إلى قاربه مملكة جديدة للحب .. كانت مرتبطة بظهور تلك الطبقة الجديدة من المتعلمين الصغار الذين كبروا على احلام تصنعها الاناشيد الوطنية .. وآمال ترفعها الأيدى الصاعدة .. وفى ظل مظلة للإعلام اتسعت فامتدت فغطت فزرعت لغة جديدة وسلوكيات حديثة وحركت فى القلوب شجنا ورغبة وارقا واسئلة بالجملة .. وفوق ذلك نشرت لغة شعبية .. لغة مشتركة لا تسقط فى بحر السوقية ولا تمتطى منصة الفوقية .. لغة جديدة فرضت لسانا عربيا له طعم مختلف حتى ولو اعترض امرؤ القيس !! هذه اللغة كانت الحصان الجامح الذى امتطاه ذلك الشاعر بنجاح غير مسبوق .. فجاءت الفاظه فى متناول القلب ولكنها عصية على اليد .. والوان حروفه فى بساطة الوان قوس قزح وفى استحالتها ، وطعم معانيه يدق ابواب النفس بسرعة الخاطر ولكنه لا يزول مع انحسار آخر الموج .. وبتلك اللغة خرج باحاديث المخادع إلى ضوء الشمس واضاع شهوة النميمة تحت سطوة المفاجاة ، وازال الستائر عن نوافذ الحريم فبدت النساء بشرا يحب ويعشق ويرغب ويتمنى ويفشل ويتالم .. وبات المستور مكشوفا ولم يعد الخفى يلهب الخيال .. بل بات العلنى يدفع بالرؤى للعيون التى طال سهادها تحت غبار امراض الوهم ، وكسر « التابو » الذى حرص على استمراره الكهنة فى مدن النفاق التى تاسست على لغتين .. وحياتين .. ورايتين .. وخرج بالحياة الباطنية للعشاق على مائدة العلن ، وفى ذلك كانت الصدمة الكبرى لنفس المجتمع الذى يرتدى قناعًا يواجه به شمس الصباح ويذوب مع اشعة الليل !!

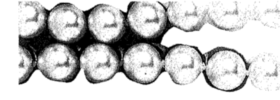
لقد اقامت مجتمعاتنا معابد سرية للعشق زمنا طويلا .. وظل الكثيرون يخجلون من العلانية اكثر من الخجل من الخطيئة !! وظلت ممارسة العيب مقبولة مدرجة في القائمة الخضراء طالما انها لم تدخل في جدول الفضيحة !! وظلت الاحاسيس منقسمة بين العلني والسري .. حتى فض هذا الشاعر الأسرار وشجع الكثيرين على الحب بدون خجل ، وعلى الخجل بدون الشعور بالعار .. وما بين الخطا والخجل ظل هذا الطفل المشاكس يلعب فاخطا كثيرا في عناوين النساء .. واضاع الكثير من تاريخهن .. ونسى كثيرا الخطوط الفاصلة بين رؤى القبيلة التي يتمرد عليها ورؤى المدينة التي نشا في احضانها .. ولكنه للحق لم يسقط في عار الفضيحة لان ما اعتقده كتبه على مناديل الزهرات وغرسه في دفاتر الصبايا والشبان ونشره على واجهات الطرقات واشاعه عطرًا في الهواء واجراه تيارا على وجه الماء .. إن ما اعتقده الفتى الأشقر لم يتردد في ان يمارسه في العلن وظل ذكيا مرهفا كمشرط الجراح . مستيقظا لقفزته الكبرى على صدر المجتمع الجديد :

« تحقيق حلمي الجميل كان يحتاج إلى لغة ديمقراطية لا اثر فيها للغرور والتعالي والتثقف الكاذب .. لغة تفوح منها رائحة الأسواق القديمة والمقاهي الشعبية والحارات المعجونة بعرق الناس وانفاسهم واصواتهم واغانيهم المغسولة بماء العشق .. لغة تدق ابواب الجيران .. وتسهر معهم .. لغة تاكل معهم البقلاوة وحلاوة السمسم .. لغة تخلع نعليها وتجلس على الارض .. لغة تكتحل بها النساء وتتجمل بها العرائس ويشربها الأطفال مع الحليب قبل الذهاب إلى المدرسة .. لغة تلعب الكونكان ، وتركب اتوبيسات الحكومة ، وتنزل في فنادق الدرجة الثالثة ، وتشاهد مباريات كرة القدم ، ومسرحيات عادل إمام ، ودريد لحام ، وتقرا سيرة ابي زيد الهلالي ...» .. إذن هذا هو سر هذا الشاعر الذي وزع اوراق اعتماده على الناس فتمرد البعض .. وسخط البعض وصفق البعض وطرد البعض ، ولكن اتفق الجميع على ان هذا الفتى القادم من بلاد الشام قد احال قفر حياتنا « الابيض والأسود » إلى توهج عالم الالوان ، ورسم للصبايا الغيد دبابيس الشعر الملونة ليشبكنها في ضفائرهن .. ووزع ملايين الوريقات الملونة ليكتب فيها الأولاد والبنات تحيات اللقاء الاول وكلمات الوداع الاخير .. والغريب والمثير في الامر إن هذا الطفل الدمشقي قد اشرك الجميع معه في صياغة حكاية الحب تلك .. الجميع بلا استثناء .. وتلك قصة طويلة تحتاج دراسة متانية .. ونقدا لاذعا .. ورايا مخالفا او مؤيدا ، ولكن لا مفر من ان نتذكر كلمته الجديرة بقدر من التامل :

« في مجتمعات السحر والتنجيم والتخلف وحدها تتضخم فكرة الجنس حتى تصبح زائدة دودية ! » .. آه .. هكذا .. إنه يفعل نفس ما اقترفه « د. هـ .لورانس » و« البرتو موارفيا » .. و« اوسكار وايلد » وغيرهم .. لقد كانوا جميعا الإعلان المزعج عن تطور حاد وقاس قادم يهز المجتمع القديم .. الحكاية ليست (الجنس) ولكن انهيار مُدَوٍّ لزمن ، وقدوم مفجع ومؤلم وقوى وحقيقي لعصر .. هكذا كانوا جميعا .. وهكذا كان نزار .. ولكن للامانة هذا الشاعر لم يتحرر ايضا من قبيلته فحاول المراوغة والمفاجاة بقوةاعترافه بتاريخه الشرقي :

« ومن عادتي
ان اقدم للعاشقات
مراوح من ريش ..
وامشاط عاج ..
واكياس غزل للبنات
ومن عادتي أن اقدم للقارئات
- بحكم احتراق -
حقائب ملأى باحلى الصور
ونهرا طويلا من الأغنيات
وعينة من تراب القمر
فلا تسقطي تحت سيف التشابيه والتوريات
فلست سوى نحلة تفرز المفردات »





ورغم هذا الاعتراف فإنه كان ـ وكما قال الاديب خيرى شلبى ـ « ربما كان نزار اكبر شاعر عربى معاصر يصبح نجما جماهيريا في الشارع العربى .. يعرفه حتى الاميين وينطقون اسمه بحميمية » وبهذه الحقيقة كان نزار قبانى سعيدا .. ولاسيما بعد ان بات مرجعية عاطفية لاجيال .. وهذا ما اكتشفه شاعر في قامة محمود درويش « .. فليس الحب إلا تعرف الذات على ذاتها في حوارها مع آخر يخرجها من المصادفة إلى الوجود .. هكذا يصبح الشاعر مرجعية عاطفية لأجيال لا ترى في شعره تقلبات عواطفها امام سفر العيون إلى الأزرق والاخضر والمجهول .. بل تعثر فيه ايضا على جدل الحب مع سؤال التحرر » وهذا هو نفس المعنى وبلغة اخرى لشاعرنا الجميل

« الحب عندى مملكة لا تتجزأ .. تمتد حدودها من تخوم الوطن إلى تخوم المراة .. حب الوطن هو وطنية .. وحب المراة هو ارقى انواع الوطنية .. والذين لايحبون المراة لا يحبون الوطن ولا يحبون شعوبهم ولا يحبون الإنسان ولا يحبون الله » ..

قال يوسف إدريس يوما عن نزار « إنه دخل مملكته من باب الحريم .. داعب مشاعر المراة فالهب لسانها ثناء عليه .. تداولته كل من تعشق الغزل فيها و « الغوانى يغرهن الثناء » .. فهل بعض مما قاله إدريس عن نزار حقيقة ؟ وهل ـ بالله ـ هناك امراة تستطيع الصمود امام من يقول لها

« اريد التقاط رسوم لشكل يديك .. لصوت يديك .. لصمت يديك .. فهل تجلسين امامى قليلا لكى أرسم المستحيل ؟! »

وهل كانت تستطيع الا تردد كلماته عندما يهمس لها

« احبك .. حتى تظل السماء بخير .. وتبقى عيون الصغار بخير .. وتبقى الشعوب .. وتبقى اللغات »

ومن هى التى لا تدخل تحت المظلة النزارية وصاحبها يؤرجحها بقوله

« دعينى احبك ..
كى اتخلص من فائض الحزن في داخلى
وكى اتحرر من زمن القبح والظلمات ..
دعينى انام بجوف يديك قليلا
ايا اعذب الكائنات
فبالحب يمكننى ان اغير هندسة الكون
يمكننى أن اقاوم هذا الشتات »

ولان الحب عنده مملكة لا تتجزأ امتدت قصيدة نزار من وجع الحب إلى وجع الأرض .. وهذا الوجع حديثه يطول :

« يا وطنى الحزين
حوّلتنى للحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين »

فإذا ماكان لابد ان تكتب بعض كلمات على قبر نزار قبانى فليس اقل من ان تذكر انه الخارج مبكرا يحمل سيف التمرد والدعوة لهز عروش القبيلة والخروج على حكمائها وقذف شيوخها بالهزيمة .. لقد كتب الرجل في حياته قصيدة هجاء دامية سوف تظل تقطر دما ، وكان صوتا نابضا بالخجل من العار الذى يقود إلى العار إلى العار .. لقد كان نبضا عفويا ساخطا ضد زمن انجب الهزائم بلا استئذان واختفى منه الأبطال بلا رجعة :

« ابحث عن رجال آخر الزمان
فلا ارى في الليل إلا قططا مذعورة
تخشى على ارواحها
من سلطة الفئران »

وبقدر امتداد الوطن العربى من الماء إلى الماء كان امتداد الأسى من فوهة القصيدة إلى شرايين الناس :

« مسافرون خارج الزمان والمكان
مسافرون ضيعوا نقودهم ..
وضيعوا متاعهم ، وضيعوا ابناءهم وضيعوا اسماءهم وضيعوا انتماءهم وضيعوا الإحساس بالأمان
فلابنو هاشم يعرفوننا .. ولا بنو قحطان
ولا بنو ربيعة ولا بنو شيبان ولا بنو « لينين » يعرفوننا .. ولا بنو (ريجان) »

على جدران وداع نزار نذكره (موقفا) :

« لم اتناول العشاء ابدا ..
على مائدة اى سلطان ..
او جنرال ..
او امير ..
او وزير ..
إن حاستى السادسة كانت تنبئنى دائما ..
ان العشاء مع هؤلاء ..
سوف يكون العشاء الأخير .. »

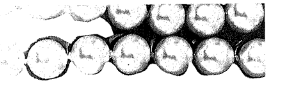
مع افتقادنا للنبع نذكر نزار « كلمة » :

« احب قصائدى
التى تعصف .. وتفتك ..
وترج طمانينة الدراويش ..
وتوصلنى ..
مرة إلى غرفة الإنعاش ..
ومرة إلى النيابة العامة ..
ومرة .. إلى حبل المشنقة »

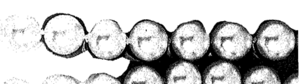
مع وداع صهيل الكلمات نذكر الرسام بالكلمات « نهجا » :

« لا اعتذر عن اية قصيدة نشرتها
فالشاعر يتجمل باخطائه ..
ويكررها ..
كما يكرر البحر زرقته ..
والقمر بياضه ..





والوردة اريجها ..
والمراة ماكياجها اليومى »
مع حد سكين الرحيل نذكر نزار (مخترعا) :
« إننى لم ارث حبيباتى
عن عمر بن ابى ربيعة
ولا عن سواه من الشعراء الغزليين
فانا اعجن نسائى بيدى ..
كفطائر العسل ..
واسبكهن فى مختبرى ..
كدنانير الفضة ..
إننى فى شئون الحب
لا اؤمن باستعارة النساء من الآخرين ..
ولا اقبل ان اعشق امراة ..
تاتينى عن طريق الهبة .. او الوصية ..
او الخلعة الأميرية ..
إننى فى كل خياراتى الشعرية ..
والعاطفية ..
ارفض استعمال المستعمل ..»
مع انقطاع حديث الشعر نذكر نزار « حزينا » :
«لا تقلقى يوما علىّ .. إذا حزنت
فإننى رجل الشتاء ..
إن كنت مكسورا .. ومكتئبا
ومطويا على نفسى
فإن الحزن يخترع النساء ..»
مع حقيقة نعيه فى سطور وقبره فى سطور وجنازته فى سطور نذكره « زوجا » لابنة عمه زهراء اقبيق فى عام ٤٨ التى انجبت له هدباء وتوفيق الذى فقده نزار لإصابته بوهن فى القلب ، ولانها كانت صغيرة محبة عاشقة غيورا لم تحتمل زهراء الا تثيرها المعجبات فعاش الشاعر فى جحيم الغيرة ليلخص تجربة زواجه الأولى بقوله :
« انا فى الجحيم وانت لا تدرين ماذا يعترينى
حمقاء انت الم ترى قلبى قد تجمع فى عيونى
إن كان حبك أن اعيش على هرائك .. اكرهينى »
وجلس نزار هناك بعيدا عن اسر الزواج حتى التقى ببلقيس الراوى الزوجة الثانية التى ارتبط بها عام ٧٣ والتى انجبت عمرًا وزينب :
« اشهد ان لا امراة إلا انت »
فى حوادييه مع النساء صائلا جائلا نذكره (موحيا) و (مؤثرا) عندما نقرا سطور الأديبة « كوليت خورى » فى رائعتها « ايام معه .. ايام كانت مع نزار » :
مع عشرات القصائد والدواوين التى ضمتها المجلدات الثمينة السمينة السميكة والتى ترددت لغوا خلف ميكروفونات مهرجانات الشعر على السنة من جاءوا بعده يتسلقون اغصانه ويقتبسون معانيه ويستنسخون مفرداته ويزيفون اصوله ، يخرج العملاق من بين سطورهم ـ اصلا ونخاعا ـ يوصم جرائم اعتداءات على الأصل والنبع والجوهر ، يسخر ممن قالوا إنهم لم يخرجوا جميعا ـ عن بكرة ابيهم ـ من تحت عباءة السلطان نزار اقبيق .
ومع امتدادات روافده نستعيد نبرات صوته على اسطوانة يقول فيها نثرا « نزاريا » ، ونرجع الذكرى إلى نزار حماسيا عندما غنت له أم كلثوم :
« اصبح عندى الآن بندقية
إلى فلسطين خذونى معكم
إلى ربى حزينة كوجه المجدلية
عشرون عاما وانا ابحث عن ارض وعن هوية »
لم تعد عشرون عاما فقط يا نزار ، ولكن إسرائيل تحتفل هذه الأيام بمرور خمسين عاما على قيام دولتها :
« ما دخل اليهود حدودنا
وإنما ..
تسربوا كالنمل من عيوبنا »
ومع محنة القصيدة من بعده نذكر نثره ـ سياسيا ـ عندما لخص (نتنياهو) فى سطور :
« اية فرصة نعطيها من بعد لهذا الرجل ؟
وهو مكشوف على الجهات الاربع
وافكاره الفاشستية منشورة ، ومعلنة ، ومعروضة على عربات الخضار ..
فهو لا يريد ان ينزل من هضبة الجولان .. لانها ملك ابيه ..
ولا يريد ان يرفع يده عن الضفة الغربية ..
ولا ان ينسحب من جنوب لبنان ..
ولا يعترف بقيام دولة فلسطينية ..
ولا بمبدا الأرض مقابل السلام ..
ولا بالاتفاقيات التعيسة الموقعة فى اوسلو .. وواشنطن ..
ولا يريد التوقف عن بناء المستوطنات ..
ولا يسمح بعودة النازحين الفلسطينيين إلى فلسطين ..
ولا بإرجاع سنتيمتر واحد من مدينة القدس ، باعتبارها عاصمة إسرائيل إلى الأبد ..
نتنياهو يريد ان يبيعنا الهواء ..
وياخذ الأرض ، والتاريخ ، والإنسان »
ومع إطلالة القرن الواحد والعشرين نذكره عرافا قارئا للفنجان العربى متنبئا بان الغضب العربى آت لا ريب فيه :
« هل .. فكرت إسرائيل بمفاجآت الزمن القادم ؟
هل فكرت ان الشعب العربى يتكاثر ؟
والغضب العربى يتجمع ؟
والعقل العربى يضىء قناديله ؟
والأطفال العرب يكبرون ؟
والأميين العرب يتعلمون ؟
والأشجار العربية تقف على اقدامها ؟
والجاهلية العربية تتحضرُ ؟
والانحطاط العربى يتقدم
والجامعات العربية تطلع خريجيها كالسنابل
والنساء العربيات يكتبن مع الرجال نصف تاريخ الوطن ؟
والمفكرين .. والباحثين .. والمخترعين العرب .. يملأون الدنيا ؟
هل فكرت إسرائيل ان القرن الواحد والعشرين يمكن ان يكون قرن ولادتنا الثانية ؟
ولابد ان نذكر صيحة (الثائر) فينا :
« لن تكون امريكا ابدا نهاية التاريخ ..
ولن يكون نتانياهو نهاية العرب ..
فالعرب ليسوا مصنوعين من زجاج ، او من فخار .. او من بسكويت ..
كما يتخيل بعض الانهزاميين .. والتطبيعيين .. والمهرولين .. إن مئتى مليون عربى قادرون على ان يصنعوا العاصفة ..
إننى ارى بعينى اشجار نخل تتحرك من بعيد ..



وافواج سنونو تحمل الربيع .
وعيونا عربية تلتمع وراء الافق ..
وشموسا عربية تنبثق من العتمة ..
واجيالا عربية جديدة تزرع الارض قمحا .. ووردا .. وجلنارا ..»
نزار ..
لقد اغتصبت العالم بالكلمات
اغتصبت اللغة الأمّ .. النحو .. الصرف .. الافعال .. الاسماء
اجتحت بكارات الاشياء
شكّلت لغةً اخرى ..
فيها سر النار ، وسرُّ الماء
واضاءت الزمن الآتي ..
ومحوت الخطَّ الفاصل بين اللحظة والسُّنوات ..

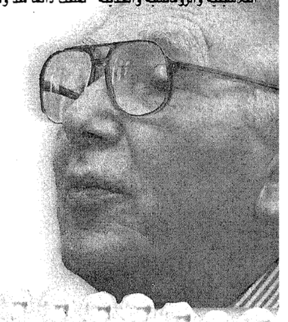
نزار .. لم يذهب رسمك بالكلمات سُدى في الحب والحرب .. في المراة والوطن .. في الجنون والعشق .. في السويس وبيت لحم وغرناطة وبيروت ودمشق .. نزار .. بساتين النزارية تفتقدك على خريطة الوطن العربي بعدما قلت ورحلت

« تعبتُ من السفر الطويل حقائبي
وتعبتُ من خيلي ومن غزواتي »

إنها قصة طويلة .. ليست للرثاء .. وليست للفجيعة .. لكنها شذرات من قصة حب كانت قاربا ابحر بالكثيرين طوال نصف قرن .. وكانت هجائية انطلقت بالرثاء والهجاء طوال نصف قرن .. وكانت سطورا في قصيدة عصفور دمشقي مات وحيدا هناك :

« يا وطني .. كل العصافير لها منازل
إلا العصافير التي تحترف الحرية
فهي تموت خارج الأوطان ..»
نزار ..
جاء الحزن .. جاء
يحمل في يده
حقائب الدموع والبكاء

هدباء نزار قباني هي الابنة الكبرى للشاعر نزار قباني من زوجته الأولى ابنة عمه الدمشقية ، وكان لها ، توفيق ، شقيق اصغر توفاه الله منذ اعوام ، تعلمت هدباء في صباها بالقسم الداخلي بمدرسة الأهلية للبنات بوادي ابو جميل ببيروت ، وتمتعت دائما بموهبة الكتابة واغترفت ثقافتها من كل المنابع العربية والشرقية والغربية بمدارسها الكلاسيكية والرومانسية والحديثة تملكت دائما منذ وقت مبكر ناصية



اللغة العربية وعرفت اختيار الكلمات الجذابة والدقيقة بذات الوقت لعلها من مواليد ١٩٤٩ ، المهم ان كتابتها هذه عن ابيها التي تمزج بين الحزن والحنين واللمسات الباسمة ليست وليدة نضج في لحظة . انها كاتبة اديبة بالفطرة والوراثة والدراسة والموهبة . بهذه الخلفية السريعة تقدم « نصف الدنيا » كلمة « هدباء » التي تناست الدمع لتودع والدها بتالق ضاحك حنون .

« نصف الدنيا »

لو لم يكن نزار قباني ابي .. لكنت اخترعته .. فهو انموذج إغريقي من النماذج التي لا يمكن نحتها مرة اخرى .. هو الصدر الرحيم الذي شربت منه الحب والحنان . حتى لم اعد اعرف هل انا طفلته .. او هو طفلي ..

إن طفولة هذا الرجل ليس لها نهاية معلومة .. فهو طفل عندما يكتب ، وطفل عندما يلعب ، وطفل عندما يعشق .. وطفل عندما يغضب .. وطفل عندما يفرح .. وطفل عندما يغني .. وطفل عندما يلقي شعره ..

هذه الطفولة هي التي جعلت من لغته الشعرية خبزا يوميا يتناوله الكبار والصغار ، والرجال والنساء وادخلته إلى كل بيت عربي من الدار البيضاء إلى « حضرموت » .

يصعب عليّ ان اكتب عن ابي كما يصعب على العين ان تكتب عن الجفن . وعلى الشراع ان يكتب عن البحر .. وعن شجرة الياسمين ان تكتب عن قميصها الابيض .

يصعب عليّ ان اتورط في الكتابة عن ابي .. بعد ان تورطت في حبه طوال سنوات طفولتي وشبابي .

يصعب عليّ ان ادخل في هذه الورطة الجميلة .

اولا : لان نزار قباني هو ابي (وكل فتاة بابيها معجبة)

ثانيا : لانني بحكم كوني انثى ، انتمي تلقائيا إلى الجيش النسائي العظيم الذي اسسه ابي منذ خمسين عاما ، وجهزه بكل ما يحتاج إليه من عدة وعتاد ، وخرائط ، حتى استطاع هذا الجيش الأنثوي ان يسترد القسطنطينية من يد الروم ، ويقتلع اضراس الإسكندر ذي القرنين .. ويحسم المعركة بين الرجولة والانوثة .

نزار .. او (نزوري) .. كما كانت تناديه جدتي على سبيل الدلع ، كان (إشكالية) بيت جدي في دمشق القديمة ، فهو ضائع دائما بين احواض الورد والخبيزة وبين عريشة الياسمين واشجار الليمون والسفرجل ، ومبلل بمياه النافورة الزرقاء ..

وله صداقات لا تنقطع من اسراب الحمام والسنونو .. وقطط البيت المقيمة معنا .

وبين سن العاشرة والعشرين لم يترك مهنة لم يمتهنها من الرسم ، إلى كتابة الخط العربي إلى الموسيقى .. حتى رسا مركبه وهو في سن السادسة عشرة .. على شاطيء الشعر .. ولايزال راسيا حتى اليوم .

لقد كتب الكثيرون عن شعر ابي وانا هنا اود ان اضيف نقطة من اكثر النقاط خطورة في حياة ابي ، الا وهي التشابه المذهل بينه وبين شعره ..
فهو لا يلعب دورا على ورقة الكتابة .. ودورا ثانيا على مسرح الحياة .. ولا يلبس ملابس العشاق في قصائده .. ويخلعها عندما يعود إلى البيت .

ابي لا يعاني عقدة الشيزوفرانيا او انفصام الشخصية ، ولا يستعمل الاقنعة والمساحيق في الحياة العامة كما يفعل سواه من الشعراء .

نزار قباني هو صديقي وحبيبي وابي ولا اتخيل الدنيا بدونه قد قال لي احد المعجبين به مرة : « يكفيني فخرا انني عشت في عصر نزار قباني » وانا اقول اغنية كانت حياتي معه .

شكرا لك يارب انني عرفته وانني اوقع اسمي :

هدباء نزار قباني

ساقفل باب القصيدة .. حتى تنامي .. واشطب كُل السطور ، وكل النقاط ، وكل الدوائر .. ساقفل باب جميع اللغات .. فليس لديَّ كلام يعطي المسافة بين صهيل يدي وبين هديل الحمام .. وإنني تعبت من الحفر فوق الرخام .

نزار


نزار قباني
أنشودة حب مصرية

أَدْهَشْتَني .. وَحَمَلْتَ لي وَرْدَ النساء إلٰى فِرَاشي

أحمد الشهاوى

1

ظَلَّتِ الأوراقُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْر سَوَادِ كتابةِ الرَّحيل أو الوَدَاعِ أيامًا طويلةً امتَّدتْ إلٰى أسابيعَ .

لم أستطع كتابةَ شيءٍ . هل لأنَّني مُمْتَلِئٌ بِكَ ، أَمْ لأنَّني لم أتعَود تَوْديعَ أصدقائي ، والذين أحببْتُهم من الشُعَراء .

فَقَدْتُ كثيرينَ في السنواتِ الأخيرةِ . وأرىٰ أنَّ الموتَ قَابَ قوسين أَوْ أَدْنَىٰ مِنِّي . وهذا ما أوردتُهُ في كُلِّ كتبي الشعرية ، بل صَارَ الموتُ مُفْرَدَةً أليفةً وحميمةً فى شعري . شَكَّلَتْ مع مفردة العِشْقِ أُخوَّةً ، أو صُورةً واحدةً لوجهين يتحدان ويندمجان .

2

الجَسَدُ يَموتُ

لكنَّ رُوحَ القصيدةِ تظلُّ تُحَوِّمُ في السماواتِ حَتَّى يوم القيامةِ . تصعدُ القصيدةُ إلى مافوقَ السماءِ السابعةِ ، تبني لنفسها سماواتٍ أُخرَ ؛ لأنَّها تحملُ صَوْتَ واسمَ صاحبها القارىءِ المستشرفِ العارفِ النَّبِيِّ المتَنَبِّىءِ الجوَّالِ الصاعدِ السَّمَاوِيِّ و ...

القصيدةُ أَكْبَرُ من صاحبها .

مثلما الشِّعرُ أَكْبَرُ من الشَّاعر .

والذي يَبْقَىٰ من غربال الزَّمَن قليلٌ . هذا القليلُ هو الذي يؤسِّسُ ويصيرُ أساسًا في البناء ، سائلاً في شجرةِ الأبديَّةِ ، جِذْراً في أَرضِ العالمينَ ، ناراً في صحراءِ الشعراءِ الآتينَ . ضوءاً يكشفُ العتمةَ .

الجسدُ يتلاشىٰ ويتوحَّدُ بماضيه : التراب .
والقصيدةُ تتوحَّدُ باسم مُنْشِئِها . خَالِقُهَا – وَحْدَهُ – يعرفُ عمرها ، كَمْ ستعيش . هو يعرف .. ساعةً و .. يوماً وسنةَ الميلاد ، ولكنَّهُ يجهل تَاريخَ الممات .
لأنَّ القصائدَ – القصائدَ لا تموت .

3

الشَّاعر لايَخْشَىٰ الناقدَ أو القارىءَ أو الديكتاتورَ أو حَتَّى زَوْجَته . فقط يَخْشَىٰ الزَّمنَ لأنَّهُ يكشفُ ويعرِّي . ويُبيِّنُ الزَّيْفَ من الحقيقة .

وَإِذْ أتاكَ صوتُ شاعرٍ فَقُلْ إنَّها الشَّمْسُ ظَهَرَتْ .

ولأنَّ الشِّعْرَ نَشَاطٌ فرديٌّ ، وَتِلْكَ سِمَةٌ إنسانيةٌ . فالزَّمنُ لا يحفظُ إلاَّ أفرادًا . ولا يلتفتُ لجماعاتِ الشعراء .

مئات الآلاف من الشعراء مَرُّوا من هنا ولم تبصرهم أعيننا ، ولم تَحْوِهِم الذاكرةُ .

آهِ مَاأَقْسَى الزَّمن .

4

مات نزار قباني غريبا في لندن .

مثلما عاش جوَّالاً غريباً ، لا يدري عن صُبْحِهِ الآتي شيئا . أَدْرَكَتْهُ الوحدةُ مثلما أدركته « شيخوخةُ الشِّعْرِ » في سنواته الأخيرة ، وصار وجهه مُعَادًا لدرجة أنَّه كتب ذاتَ يوم « أحسُّ بأني أموتُ كشاعر » ، وكان يكرِّر في أواخر عمره قصيدةَ الاستقالةِ من الشِّعر ، وضرورة ترك المسرح لشاعرٍ آخر يختاره الشعب الشعري العربي .

5

مَاتَ

لكنَّ مَوْتَهُ أحياه من جديد . فَقَد خَرَجَتْ آلافُ المقالاتِ ومئات الدراسات ، وقصائدُ الرثاءِ ، وأُعيدت كتبٌ صَدرتْ عنه ، وزُوِّرتْ دواوينُه في العواصم العربية ، وازدادت مبيعات كتب شعر نزار قباني . وصار – مثلما كان – خُبْزاً يومّيا لأفواه الشعب العربي . الذي آمَنَ بنزار وَمَنَحهُ المحبَّةَ وتوَّجَهُ في القلوب ..

6

وإذا النَّجْمُ هَوَى
ظَل نُورُه وَنَارُهُ ملايين السنين مُشْتَعِلَيْن .

7

كُنْتُ في تونسَ وَقْتَ رحيلك .

كُنْتُ مقرِّرا عاماً لملتقى المبدعات العربيات الذى

انعقدت دورتُه الثالثةُ – آنئذٍ – في مدينة سوسة ، القريبة من القيروان التي خرج أهلَوها ذات مساء يستقبلونك فاتحاً ، كعقبةَ بن نافعٍ .

رأيتُ المحَبَّةَ الحقيقيةَ ، والتأثُّرَ البادِيَ على مختلفِ الفئاتِ والطبقاتِ والشرائحِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ في تونس . كانت وسائل الإعلامِ – جميعُها – تَنْعَى ، وتنشرُ وتذيعُ وتبثُّ وتسأَلُ وتسرد وتناقش .

وَرَثَتكَ مبدعاتُ الملتقى

اطمَئِنْ .

فالعاشقُ يحيا بمريديه ويموتُ بهم أيضًا . وصوتُ مآذنك أعْلَى ، فـ « طفولةُ نهدٍ » أكثرُ دَفْقاً وَدِفْئًا .

8

كُنْتُ أُتابعُ ماتكتبُ باهتمامٍ .

وكنتُ أرى أنَّكَ تُعيدُ وتكرِّرُ وتنتجُ ذاتَكَ مَرَّاتٍ جديدةً . ومنذ سنواتِ الصِبَا والشباب لم أقرأ الأعمال التي حفظناها في سنواتنا الباكرة .

بعد الموت .

اقتنيتُ مجلداتك الثمانية . ودفعتُ ثمانمائة جنيه مصرى . وهو مبلغ – كما تعرفُ – كبير . لكنِّي أعدتُ كَشْفَكَ من جديد . وَتَبَيَّنَ لي أن كُتُبًا شعريةً ونثريَّةً لَكَ لم أكن قد قَرَأْتُها ، وطالعتها للمرة الأولى في يونيو ويوليو 1998 وأعرفُ أن هناك عشرات الحوارات الهامة التي أُجْرِيت معك ، وكنتَ تود، أن تصدرها في كتب ، لكنَّ الموْتَ غيَّبكَ و لم تنجزْ هذا المشروع . كما أنَّ هناك عشرات المئات من الرسائل الشخصية التى أرسلتها لأصدقائك موزّعةً الآن بين أياديهم ، كُلٌّ يتباهَى بها .

مَازِلْتَ مجهولاً لنا .

وقارئُكَ سَتُكْتَشَفُ يوماً ما . على الرغم من الاختلافات والتحفظات .

9

كُنْتَ نبيلاً معي

وهأنذا – هنا – أرثِي شاعراً ، وأَنْعَى صديقًا .

وَأُحَاولُ أَنْ أجمعَ بَعْضَ ماقُلْتَهُ لي ، أو جمعتُهُ عنكَ ، أو رأيتُه في شعرك .

فلي وَجْهَان كما تعرف .

الشِّعر والصحافة . الأوَّل أَحَبُّ وَأَبْقَى وأكثرُ إنسانيةً واحترامًا وتقديرًا . أمَّا الثاني فأنت تَعْرِفُهُ أكثر منِّي وقد كان لك الوَجْه ذاته يومًا ما .

ولكنِّي « استغلَلْتُ » هذا الوَجْه لأقدِّم بَعْضَ روحكَ ، قَبَسًا منك ، عَسَاني أُذَكِّرُ .

وَأُمَيِّزُ ماقُمْتُ به – عَبْر هذا الوجه – طوال خمسة عشر عامًا ، هو دور التعريف والتقديم والاحتضان والتنوير وَكَشْفُ المخبوء جماليا سواء كان تراثيا أَمْ راهنيًّا .

10

أَنْتَ لا تحفظ أشعارك .

وكذا لا تحفظ أشعار الآخرين . لديك ذاكرةٌ مثقوبةٌ ، أنقذتكَ من آفة الحفظ التي أضاعت كثيرين ، قلَّدوا الذين حفظوهم .

وأنا أيضًا لا أحفظُ أشعاري . دائماً أقرأُ من ورقةٍ . لا أحفظُ قصيدةً كتبتُها أمسِ . ولذا بعد كل قصيدةٍ جديدةٍ أكتبُها أصوِّر منها العشرات وأودعها لدي حبيباتي وصديقاتي . في المنزل ، في المكتب ، عند بعض الذين أحبُّهم من الشعراء .

ولكنِّي – أعترفُ هنا – أنَّك كُنْتَ مع أمل دنقل ومحمود درويش ، واحدًا من ثلاثة أحببْتهم وحفظتُ الكثير من أشعارهم . استمرت محبَّتي لدرويش لأنه يُطَوِّر ويجرِّب ويغيِّر ويُضيفُ لتجربته – وهو المستفيد منك شعريا – أمَّا دنقل فكان أيضًا في ذروة عطائه ، لكنَّه مات في أوائل الأربعينيات من عمره . وأنت ظلَلْتَ كما أَنْتَ .

حَفَظْتُكَ لأنَّكَ شاركتَ في تكويني وأنا صَبِّي ، عَلَّمْتَني التمَرُّدَ ، استعرنَاكَ ونحن نبدأُ الكتابةَ من كثرة إلحاحكَ علينا عبر الذاكرة التي تحفظُكَ .

عندما أصدرتَ ديوانك الأَوَّل « قالت لي السمراء » عام ١٩٤٤ كان عمر أبي وقتذاك ثمانية

عشر عاماً . وكانت ست عشرة سنة متبقية حَتّي آتي إلى الوجود .

فَكَان ظهورُكَ فَتْحًا وإضافةً جديدةً للشِّعر العربِّي .

لعبتَ بإتقانٍ . وَكُنْتَ صَرِيحًا وَمُعَلِّمًا في العِشْقِ الذي يبني أيَّ شَاعِرٍ .

لم أجد صعوبةً ، وأنا أستعيدُكَ ، عندما عدتُ لقراءتكَ .

11

كُنْتَ غزيرَ الكتابةِ . لدرجةِ أنَّكَ في بعضِ السنواتِ كُنْتَ تُصْدِرُ ثلاثةً أو أربعةَ كتبٍ .

وهذه الغَزَارةُ ظاهرةٌ عربيةٌ بامتياز ، ولكنَّها تظلُّ نادرةً . ففى تراثنا العربي والإسلامي هُنَاكَ أسماءٌ حاضرةٌ مثل مولانا جلال الدين الرومي والشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي .

وفي قرننا هناك : أدونيس (على أحمد سعيد) ، نجيب محفوظ ، سعدي يوسف ، جمال الغيطاني ، محمود درويش ، ..

وفي الغزارة حتى لو كان يانيس ريتسوس (مئة وثلاثة وثلاثون كتابا ومات تقريبا في عمرك ذاته عام ١٩٩٠) لابدَّ أن تسقط أعمالٌ ولا تحملها يدُ الزّمن .

وَثَمَّةُ أعمالٌ كثيرةٌ لديك أَنْتَ كَتَبْتَها من ذي قبل ، وماهي إلاَّ إعادةُ إنتاجٍ .

وإنْ كَانَ سعدي يوسف يحبُّ منك ديوان « قصائد » ١٩٥٦ . فرجاء النقَّاش اعتبره أيضًا مرحلةً مهمةً جديدةً في حياتك .

ولكنّي أرى قصائد أخرى ودواوين أخرى شكَّلت التجربةَ ، وأسَّست الريادةَ .

ويوم ظَهَرْتَ في عام ١٩٤٤ بديوانك الأوَّل « قالت لي السمراء » كُنْتَ تُنْبئُ عن لغةٍ جديدةٍ ، وكتابةٍ مختلفةٍ ، ونظرةٍ مغايرةٍ للشعر والحياة والعالم .

12

شاعران نحن معًا

عِشْقُنا المرأَةَ ، وطريقُنا الغُرْبَةُ .

أَنْتَ من بُرج الحَمَل .

وأنا من بُرج العَقْرب .

وفيهما نحن مجنونان . والانقلابيون – عادةً – يلتقون .

وهأنذا ألتقي بِكَ . وأعيدُكَ لي وللذين أَحْبَبْتَ ، وللذين أَحَبُّوكَ .

في قَلْبي امرأةٌ وحيدةٌ واحدةٌ ، تتعَّدد وتتشكَّلُ وتتغيَّر ، لها ألفُ لُغَةٍ ، وألفُ لسانٍ ، وألفُ قَلْبٍ ، أحملُها وأكتبُها . ولا أُقَلِّبُ قَلْبي ، لأنِّي من فصيلةِ المُوَحِّدَين .

وَأَنْتَ طوال ثلاثين عاماً أحببتَ خَمْسَ نساءٍ وتقول لي إنّه رقمٌ قليلٌ ومتواضعٌ ، لكنَّه حقيقيٌّ وصادقٌ .

إنِّى أراه رقمًا مُبَالغًا فيه ، ولكنِّي سَأُصَدِّقُكَ . وإن كان غيري سيقول إن لديكَ قبيلةً كونيةً من النساء ، رُبَّما لأنَّ قَصَائِدَكَ الكثيرةَ تُنْبِئُ عن مئاتِ النساء . ولكنْ لأنَّك لاعبٌ كَبيرٌ وَمَاهِرٌ وذكيٌّ – والشِّعْرُ كَمَا تَعْرِفُ لَعِبٌ – فَقَد أَوْهَمْتَنا بالتعدُّدِ والكَثْرَةِ .

وَبَقِيَ النَهْدُ مولاكَ . والشِّعْرُ سيدك .

وَبَقَيْتَ أَنْتَ جَامِعُ الأَضدادِ ، وَمُوَحِّدُ الشَتَات .

14

منذ ظهورِكَ . خَطَّطْتَ لأن تكونَ الشَّاعر الأَكْثَر ظهوراً على المسرح . كُنْتَ تعرف مالديك ، وماتحملُ وماتِعِدُ به . وقد أَطَلَّ خفيفًا شفيفًا خَجْلاَن في ديوانك الأَوَّل (قالت لي السمراء) وسرعان ماتتابع الجديد والمختلف ، الذى كان يمثِّل – آنذاك – مُروقًا وشذوذا عن القاعدة ، وخروجًا على نظرية القطيع ، وابتعادًا عن الموسيقى السيمفونية ، لتعزفَ وحيدًا عن السِّربِ ، وتُظْهِرَ مَهَارتَكَ ، وتقدِّم مقطوعاتك الموسيقية الخاصة ، رفضتَ أن تعيدَ التراثَ القديمَ ، وَتُحْيي « مَجْدَ » الأجداد .

ومنذ ١٩٤٤ . حسبتَ – بالورقةِ والقلمِ – كُلَّ شيءٍ .

مَتَىٰ تنشر ، ومتى وأين تقيمُ أمسيةً ، ومتى ولمن تجري حوارًا مع صحفيٍّ . ومتى تظهر في الإذاعة أو التليفزيون . كان كُلُّ شيء مخطَّطًا ومحسوبًا .

كُنْتَ سيدًا لفن العلاقات العامة التي يتطلَّبها كل شاعر . وكان من الضرورى أن تستقيلَ من عملك الدبلوماسي ، وأنْ تؤسِّسَ دارًا خاصةً بك تنشر من خلالها أعمالك ، بعيدًا عن مشاكل النشر الخاصة والعامة .

لأنَّكَ أدركتَ أن مثل شعرك ، لابد أن يَمُرَّ منْ تحت يد رقيبٍ ، ومن ثمَّ سيتعرَّض للحذف والطمس والشطب والمنع . ولا مجال لإفساحِ الطريقِ أمامه . لذلك كان قراراً ثوريًّا . بل من أجرأ ما اتخذ شاعرٌ في هذا الوطن من قرارات .

عرفتَ متى وكيف تنشر ، وبالطريقة التي تريد . بل أنَّكَ كُنْتَ تكتب بنفسك خطوط الغلاف وَتُصَمِّمُهُ وتختار الَّلوحة . كُلُّ شيءٍ كان بيدك .

وهذا أَمْرٌ لَيْسَ سهلاً في عالمٍ ليس فيه « وكيلٌ أدبيٌّ « Literature Agent » كما هو موجودٌ في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية .

وَصَارَ نزار يُسوِّق شعره ، ويسوسُ أموره – كشاعر – بطريقةٍ باهرةٍ . وأحاط نفسه منذ البدء بالكبار في عالم الأدب والصحافة والإذاعة .

وكان لابد من القاهرة .

15

« كانت القاهرة أول بعثة دبلوماسيّة أذهبُ إليها ، وصلتُ إليها شاباً في الثانية والعشرين من العمر وقضيت فيها ثلاث سنوات « ١٩٤٥ – ١٩٤٨ » . للقاهرة عليَّ فَضْلُ الربيع على الشجر وبصمات يديها ترى واضحة على مجموعتي الثانية « طفولة نهد » المطبوعة في القاهرة سنة ١٩٤٨ . « طفولة نهد » كان نقلة حضارية مهمة ، فلقد صقلت القاهرة أحاسيسى وعيني ولغتي الشعريّة ، وحَرّرتني من الغبار الصحراوي المتراكم فوق جلدي ، كانت القاهرة في الأربعينيات زهرة المدائن ، وعاصمة العواصم العربية ، وكانت بستاناً للفكر عَزَّ نظيره ، وقد أسعدني أن أدخل الوسط الأدبي والفَنِّى والصحفي من أعرض أبوابه ، وأعرف صفوة أعلامه ، كالأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ، والموسيقار محمد عبد الوهاب ، والشَّاعر كامل الشناوي والشَّاعر إبراهيم ناجي ، والشاعر رامي ، والأستاذ محمد حسنين هيكل ، والناقد المرحوم الأستاذ أنور المعَّداوي » .

16

« كان لأنور المعداوي الفضل في إلقاء الأضواء على شعري ، فقد كان رحمه الله شديد الحماسة لمجموعتي الشعرية « طفولة نهد » لدى صدورها في القاهرة عام ١٩٤٨ ، وبلغ من حماسته لها أن أقنع الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة المصرية – وكان يقدر موهبة المعداوي ويحترمه – أن ينشر على صفحات « الرسالة » التى كانت أعظم منبر أدبي في العالم العربي نقده لكتابي « طفولة نهد » . ومن أطرف ماحدث ، ولعله أطرف حادث مَرَّ بي في حياتي الأدبية أنَّ مقال المعداوي صدر في الرسالة كما كان مقرراً . ولكن الأستاذ الزَّيَّات رأى حرصًا على سمعة مجلة « الرسالة » الرصينة المحافظة أن يُغَيِّر عنوان مجموعتى الشعرية من « طفولة نهد » إلى « طفولة نَهْر » .. وبذلك أَرْضَىٰ . صديقه الناقد أنور المعداوي ، وأرضى قراء « الرسالة » المحافظين الذين تخيفهم كلمة « النهد » وتزلزل وَقارهم .. ولكنه ذبح اسم كتابي الجميل من الوريد إلى الوريد » .

17

كانت القاهرةُ حِضْنًا وبوتقة وأرضًا للتجريب والجدل .

صارت القاهرة في زماننا غير ذى شكل .

كانت القاهرة حَارَّةً ودافئةً ومتوهجَةً ومعطاء وحنوناً .

وصارت غير ذي شكل .

كثيرون غَذَّتهم القاهرةُ وقدَّمتهم ، وَسَاهمتْ في توصيل صوت إبداعهم إلى كل العرب .

الآنَ كُلٌّ يَلْعَبُ وَحْدَهُ ، باسمِهِ هو ، فضاعت أشياءٌ كثيرةٌ .

القاهرةُ التى أعرفُ – وأنا الفلاَّحُ الذي مازلتُ ضيفاً عليها – غير التي قرأتُ وسمعتُ عن دورها الثقافي والأدبي .

الأَرْضُ ثابتةٌ .

لكنَّ أبناءها يتغيَّرون .

18

القاهرة أعطت نزار قبَّاني الثقةَ والصقَّلَ – فقد أتاها شابًا يحمل ديوانه الأول – والشهرةَ والعلاقاتِ التي كان يطمح لإقامتها . قدَّمته إلى الوطن العربي كُلِّه .

وفيما بعد .

قَدَّمته القاهرة عن طريق موسيقى محمد عبد الوهاب ومحمد الموجي وجمال سلامة ومحمد سلطان وحلمى بكر وأصواتِ نجاة وعبد الحليم حافظ وفايزة أحمد .

فَوَصَلَتْ قصيدتُه إلى أنْأَى نقطةٍ فَوْقَ الخريطةِ العربيةِ .

لقد شاركه عبد الحليم حافظ كتابةَ شعره منذ غَنَّى قصيدتيه « رسالة من تحت الماء » و« قارئـة الفنجان » .

واشتباكه السياسي مع مصر ، ورسالته إلى عبد الناصر ، وموقفُ بعض « السلفيين » منه ، ومقالاته عن مصر ، جعله أكثر حضوراً وَأَطْغَى شعبيّةً .

ففكَّر أن يصدر طبعةً شعبيَّةً من دواوينه في القاهرة .

وظلَّ المصريون المفتونون يتابعونه من خلال هذه الطبعة الشعبية .

19

الكثيرون من شُعَراء هذه الأيام لم يقرءوا شعركَ .

وإن قرءوا ، فهو القليلُ العابرُ . ولكنَّهم – ويالجرأتهم – يفتون فيما لم يعرفوا .

ربَّما من فرط سهولة كتابتك . يظنُّ البعضُ أنه يمكن أن يكتبَ شِعْرًا ، أو يصيرَ شاعراً له شَأْن . لغتُكَ ، ورشاقةُ جملتِكَ – التى تصل أحيانًا إلى حدٍّ لايرضي الشَّاعر ولا الناقِدَ – تُطَمِّعُ الآخرين فيك .

ولذا كُنْتَ من أكثر الشعراء العرب تعرُّضًا للهجوم والتجريح والسباب والشتائم أحيانًا .

ولكنِّي كُنْتُ أقدِّرُ مَوْقفَكَ ، فلم أَرْكَ يومًا تردُّ على أَحَدٍ . هكذا فعل نجيب محفوظ وأدونيس .

هكذا يفعل الكبار .

فالهجوم أراه هامًّا للشَّاعر مثل المديح تماما .

كلاهما يثير جدلاً وحواراً حول نتاج الشاعر وشخْصِه ، بَدَلَ أن يكون نَسْيًا مَنْسِيًا .

قُلْ هلَ رأَيْتَ عموداً خرسانِيًا يَتَخاصَمُ أَوْيَتَقَاتَلُ أَحَدٌ عليه .

وأنا أومن أنَّ لا شَئْ سيبقى إلاَّ الشعرُ ، وماعداه سيكونُ زَبَدًا حَوْل أو فَوْقَ الماءِ طافيا يضيع .

فالأمواجُ تموتُ في التوِّ ويبقى الماء تَاجَ وردتْنا الأليفة .

20

أَذْكُرُ قَهْوَتَكَ .

أَذْكُرُ مكتبكَ ، ومقتنياتكَ ، أذكر 35 سلون ستريت .

المِصْعَدَ القديمَ ، حواراتنا ، نقاشَنا .

أسرارُكَ سأودعها رُوحي . فَكلُّ التفاصيل حَاضِرةٌ .

وهأنذا أُقَدِّم بَعْضًا مِنْكَ . بَعْضَ ما اجتهدتَ .

صَدِّقني ، رغم محبَّتك ، تردَّدتُ كثيرًا في الكتابةِ ، فأنا لا أحبُّ رثاء الشعراء . ولكنِّي – هذه المرَّة – أردتُ أن أحفظ لَكَ شيئا بَعْدَما أُتيحَ لِي الكثيرَ

عنك ، وأعطيتنى الكثيرَ أيضًا ، وَوَثَقْتَ بي . وأنا مَدينٌ لُكِلِّ الذين وثقوا فيَّ ، وَأَوْدَعُوني بعض أَسْرَارِهُم .

كُلٌ مَدينٌ لَكَ ويخشى الإعلان .

كُلٌّ يُحبُّكَ ويخشىٰ الإعلان .

أذكُرُ أنَّ امرأةً أحبّتني يومًا ما وظَلَّت سنواتٍ تحدِّثُ نفسها بهذا الحبّ ولم تَقُلْ لي شيئا إلىٰ أنْ ذَهَبَ الحبُّ بعقلها ، فأضاعت نَفْسَهَا وأضاعتني .

وأذكر أنّني أحببتُ أيضًا – وَمِنْ فَرْطِ خجلي – لم أُصَرِّحْ أو أُبحْ فَمَّرت سنواتٌ إلى أن أدركَتْ هي بشفافيتها وعشقي .

هَكَذا نحن نحبُّ ونَخْشَىٰ الآخرَ والذاتَ والمجتمعَ والناسَ .

أَنا أحبُّكَ فِعْلاً . وَثَمَّةَ فروقٌ كبيرةٌ بَيْنَنا .

فلا أَنْتَ – الآن ومنذ سنوات – الشَّاعر الذي أقف أمامه بدهشةٍ مثلما كان يحدث ونحن نبدأ حياتنا ، ولا أَنْتَ الذي أستعيدُهُ . فَقَط أستعيدُ نَثْرَكَ المدهشَ ، ذا اللُّغة الجامحة ، والتصوير الفريد .

ولكنى أحبُّ أن أتذكَّرَ مقولةَ محمود درويش : إذا كان أَحَدٌ مِنَّا لم يتأثر بنزار قباني ، فليرفع أصبعه .

أَنْتَ واحدٌ من الذين مَسُّوا بِشِعْرِهم أرواحنا .

وَمَدَّ أصابعه كي نعيش في الحلم ، ونكتب .

لم أدهش كثيرًا عندما اعترفتَ أن قصائِدَكَ السياسيةَ كانت – جميعها – ليست ذات قيمة .

فَنُبْلك وصدقك كانا يؤديان إلىٰ الاعتراف .

وأتصوَّرُ أنَّه لو طال بك العُمْرُ كنت « ستصفّي » أعمالك الشعرية ، وربما تعلن على الناس ، ومحبيك ، أنَّك تستبعدُ من تجربتك الطويلة ومسيرتك الخاصة هذه الأعمال ، وتسمِّيها .

هذه هي شجاعتك .

أَعْرِفُ أنَّ الشَّاعرَ يكتبُ قصيدةً واحدةً طوالَ حياته ، لكنه ينوِّع ويطوِّر ويغيِّر ويحذفُ ويضيفُ وَيُصْقِل . وأنْتَ فَعَلْتَ ذلك ، ولكنَّ القصيدةَ خَرَجَتْ منكَ مكرورةً ومُعَادةً .

21

أَدْهشْتَني

أَدْهشني اجتراحُكَ للمقدَّسِ . وَأَدْهَشْتَني جُرأتُكَ في رؤيتك للمرأةِ . وكَتَبْتَ أشياء كُنْتُ أُحبُّ أَنْ تَنْتَمي لي .

أَدْهَشْتَني طريقتُكَ للوصولِ إلىٰ لُغَةٍ خاصةٍ . أدَّتْ إلىٰ مذاقٍ خَاصّ ، وتعاملٍ خاصٍ مع القاموس .

أَدْهَشْتَني
وَحَمَلْتَ لي وَرْدَ النِسَاءِ إلى فِرَاشي
فَرِحْتُ في وَجَعٍ وفي حُلُمٍ
وَمَسَسْتُ مِئْذَنةً
فَعلَّتني النِسَاءُ
وَبَدَأْتُ أَكْتُبني
وَأَنساني في وَرْدِ مَمْلَكَةٍ
وَشَوْكِ أحراشي .

أنا نزار قبانى أقدم نفسى لكم

عادة ما يقدم الشعراء او المبدعون ـ بشكل عام ـ انفسهم عندما يطلب منهم كتابة سيرة ذاتية (C.V) ، بانهم من مواليد كذا ، وحصلوا على دراسات كذا ، واصدروا كذا ، ونالوا جوائز او شهادات كذا إلى آخر ماهو متعارف عليه من كتابة الـ (C.V) فى العالم .

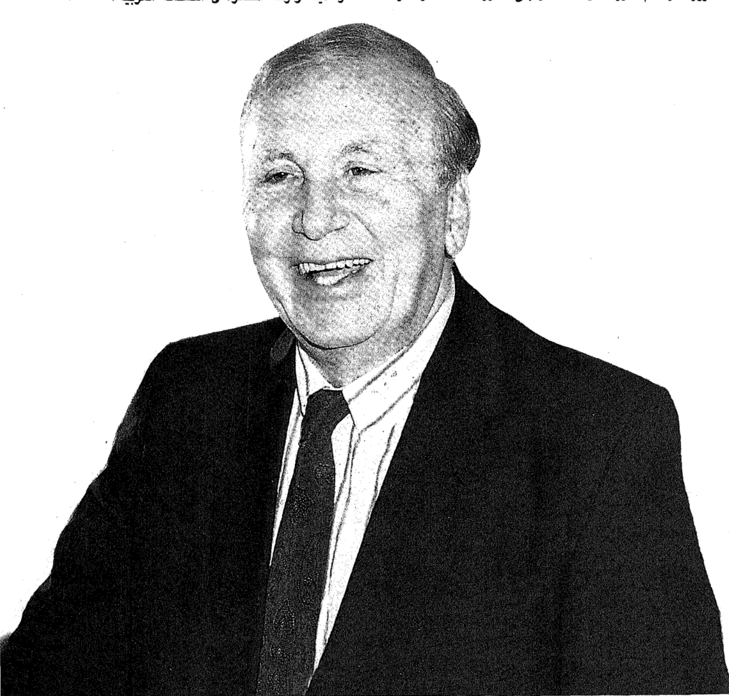
ولكن نزار قبانى ـ فى وثيقة نادرة ـ كتبها عام ١٩٨٨ اى قبل عشر سنوات من حياته ، طلب منه بعد صدور مجموعته الشعرية ـ التى كانت الاخيرة وقتذاك ـ « تزوجتك ايتها الحرية » ان يكتب سيرته الذاتية فى سطور ، فامسك القلم وكتب ثمانى عشرة نقطة قدم او لخص فيها تجربته الشعرية ومشواره الادبى .

هذه الوثيقة التى تنشر للمرة الأولى تكرس نرجسية الشاعر ، وتؤكد غروره ، وتدعم صورته عن نفسه ، وتبنى تصورا خاصا ـ هو ـ اراده لذاته ،

نزار قبانى فى هذه السيرة القصيرة لذاته ـ فهو قدم من قبل سيرته الشعرية فى كتب نثرية وقصائد ـ يمهد للصورة التى يحب ان يكون عليها لدى المتلقى ، او هو بالفعل هكذا حسبما يرى موقعه الشعرى فى الكتابة العربية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، او هو اراد ان يحفظ « مكانته » بين « شخصيات القرن » او اراد أن يسهل للباحثين والدارسين عندما يبحثون فى سيرته وشعره ودوره الرائد .

فى كل الأحوال ، نحن امام طريقة جديدة ومغايرة لتقديم الذات الشعرية ، امام صورتها ، وامام الآخر ـ القارىء .

وهكذا كان ـ وسيظل ـ نزار قبانى إشكاليا فى شعره ونثره ، وحواره وحديثه وآرائه المتناثرة فى الصحافة العربية :



نــزار قبــاني

- ولد في دمشق في ٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣ .
- درس في دمشق . وتخرج من كلية الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٥
- التحق بعد تخرجه من الجامعة بوزارة الخارجية السورية ، وشغل عدداً من المناصب الدبلوماسية في القاهرة وأنقره ، ولندن ، ومدريد وبكين وبيروت .
- استقال من العمل الدبلوماسي في ربيع عام ١٩٦٦ ، وأسس داراً للنشر في بيروت باسمه ، متفرغاً بذلك لقدره الوحيد : الشعر .
- ركز في بداياته على شعر الحب . وحاول أن يخرج علاقات الحب في المجتمع العربي من مغائر القهر ، والكبت ، والباطنية ، الى ضوء الشمس ، ومنحها العلنية والشرعية .
- كسر صورة المرأة الجارية ، وحوّل جسد المرأة العربية من وليمة بدائية تستعمل فيها الأنياب والأظافر ، الى وردة .. ونجمة .. وقصيدة ..
- اخترع لنفسه لغة خاصة به ، تقترب من لغة الحوار اليومي ، واتجه بشعره الى جميع طبقات الشعب العربي ، كاسراً بذلك طبقية الثقافة ، والاحتكارات الاقطاعية والبورجوازية للشعر ، بحيث أصبح الشعر على يده ، خبزاً يومياً ، وقماشاً شعبياً يرتديه ١٥٠ مليون عربي.
- أكثر الشعراء العرب شعبيةً ، وشهرةً ، وانتشاراً . وأكثر الشعراء العرب تأثيراً في وجدان مواطنيه ، وأول من (أمّم) الشعر ، وجعله حديقة عامة يدخلها جميع المواطنين ، ومطراً يسقط على جميع النوافذ .
- كتب الشعر وهو في السادسة عشرة (١٩٣٩) . ومنذ ذلك التاريخ وهو يقاتل حتى يصبح البحرُ أكثر زرقة ، وعصافيرُ الحرية أكثر تناسلاً ، وقامةُ الإنسان أكثر ارتفاعاً ..
- أمسياته الشعرية التي يقدّمها في كل المدائن العربية ، تُعتبر من الظواهر الثقافية النادرة ، كما تعتبر تأكيداً لموقع الشعر الخطير في حياة العرب ، وفي تشكيل وجدان الانسان العربي .
- انتقل شعره بعد حرب ١٩٦٧ نقلة نوعية ، من شعر الحب .. الى شعر السياسة ، واستطاع منذ ذلك التاريخ أن يمسك الوردة والمسدس بيد واحدة ، ويرسم بصدق كل الحرائق ، والزلازل ، والأعاصير ، التي تعصف بالوطن العربي .

نزار قبانى

- ولد فى دمشق فى ٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣ .
- درس فى دمشق . وتخرج من كلية الحقوق بالجامعة السورية عام ١٩٤٥
- التحق بعد تخرجه من الجامعة بوزارة الخارجية السورية ، وشغل عددا فى المناصب الدبلوماسية فى القاهرة وانقره ، ولندن ، ومدريد وبكين وبيروت .
- اشتغل فى العمل الدبلوماسى فى ربيع عام ١٩٦٦ ، واسس دارا للنشر فى بيروت باسمه ، متفرغا بذلك لقدره الوحيد : الشعر .
- ركز فى بداياته على شعر الحب . وحاول ان يخرج علاقات الحب فى المجتمع العربى فى مغائر القهر ، والكبت والباطنية ، الى ضوء الشمس ، ومنحها العلنية والشرعية .
- كسر صورة المراة الجارية ، وحول جسد المراة العربية من وليمة بدائية تستعمل فيها الانياب والأظافر ، إلى وردة .. ونجمة .. وقصيدة ..
- اخترع لنفسه لغة خاصة به ، تقترب فى لغة الحوار اليومى ، واتجه بشعره إلى جميع طبقات الشعب العربى ، كاسرا بذلك طبقية الثقافة ، والاحتكارات الإقطاعية والبورجوازية للشعر ، بحيث اصبح الشعر على يده ، خبزا يوميا ، وقماشا شعبيا يرتدية ١٥٠ مليون عربى .
- اكثر الشعراء العرب شعبية ، وشهرة ، وانتشارا ، واكثر الشعراء العرب تاثيرا فى وجدان مواطنيه ، واول من (امم) الشعر ، وجعله حديقة عامة يدخلها جميع المواطنين ، ومطرا يسقط على جميع النوافذ .
- كتب الشعر وهو فى السادسة عشرة (١٩٣٩) ومنذ ذلك التاريخ وهو يقاتل حتى يصبح البحر اكثر زرقة ، وعصافير الحرية اكثر تناسلا ، وقامة الإنسان اكثر ارتفاعا .
- امسياته الشعرية التى يقدمها فى كل المدائن العربية ، تعتبر من الظواهر الثقافية النادرة ، كما تعتبر تاكيدا لموقع الشعر الخطير فى حياة العرب ، وفى تشكيل وجدان الإنسان العربى .
- انتقل شعره بعد حرب ١٩٦٧ نقلة نوعية ، فى شعر الحب .. إلى شعر السياسة ، واستطاع منذ ذلك التاريخ ان يمسك الوردة والمسدس بيد

• أصدر ٣٥ مجموعة شعرية بدءاً من مجموعته الأولى (قالت لي السمراء) ١٩٤٤ حتى مجموعته الأخيرة (تزوجتك أيتها الحرية) عام ١٩٨٨.

• أهمّ قصائده التي أحدثت خضّة في المجتمع العربي، وأثارت غضب المحافظين هي (خبز، وحشيش، وقمر) التي كتبها في لندن عام ١٩٥٤، وناقشها النواب السلفيّون في البرلمان السوري، وطالبوا بمحاكمة الشاعر وطرده من السلك الدبلوماسي.

والقصيدة الثانية هي (هوامش على دفتر النكسة) ١٩٦٧، التي كتبها في أعقاب حرب عام ١٩٦٧، ومارس فيها نقداً سياسياً جارحاً للأخطاء السياسية والاستراتيجية والنفسيّة العربية، ممّا أثار عليه غضب اليمين واليسار معاً.

• خطابه الشعري - سواء العاطفي منه أو السياسي - يتميّز بالصدق، والعنف، والتوتّر العالي. وأهمّ ما فيه كشاعر أنه لا يقسم الكلمة الى نصفين.. ولا الحقيقة الى نصفين.

• كنّس ألوف الخرافات والأكاذيب التي تستوطن رأس الإنسان العربي، وقاتل كلّ ملوك الغبار، وكلّ رموز القمع، ولم يتزوّج من كل نساء العالم سوى امرأة واحدة هي الحرية.

• ترجم المستشرق الإسباني بدرو مارتينث مونتافيث شعره الى الاسبانية، وأصدره المعهد الأسباني العربي في مدريد عام ١٩٦٤ تحت عنوان (أشعار حب عربية POEMAS AMOROSOS ARABES)

كما ترجمت مؤسسة برونا في الولايات المتحدة، ودار PENGUIN البريطانية للنشر مختارات من شعره، في انتولوجيا الشعر العربي الحديث.

• علّمته أسفاره الكثيرة أن يكون صديق البحر، والأشرعة، والمسافات المفتوحة. وعلّمه الشعر أن يكون قلبه كرغيف الخبز ليأكل منه كلّ أطفال العالم.

• هذا هو الشاعر العربي نزار قباني، نقدّمه بدون ملابس تنكريّة، وبدون أقنعة.. لأنه هاربٌ من جميع المسارح.. وجميع الأقنعة..

واحدة، ويرسم بصدق كل الحرائق، والزلازل، والاعاصير، التى تعصف بالوطن العربى.

● اصدر ٣٥ مجموعة شعرية بدءا من مجموعته الاولى (قالت لى السمراء) ١٩٤٤ حتى مجموعته الاخيرة (تزوجتك ايتها الحرية) عام ١٩٨٨.

● اهم قصائده التى احدثت خضة فى المجتمع العربى، واثارت غضب المحافظين هى (خبز، وحشيش، وقمر) التى كتبها فى لندن عام ١٩٥٤، وناقشها النواب السلفيون فى البرلمان السورى، وطالبوا بمحاكمة الشاعر وطرده من السلك الدبلوماسى.

والقصيدة الثانية هى (هوامش على دفتر النكسة) ١٩٦٧، التى كتبها فى اعقاب حرب عام ١٩٦٧، ومارس فيها نقدا سياسيا جارحا للاخطاء السياسية والاستراتيجية والنفسية العربية، مما اثار عليه غضب اليمين واليسار معا.

● خطابه الشعرى ـ سواء العاطفى منه او السياسى ـ يتميز بالصدق، والعنف، والتوتر العالى، واهم مافيه كشاعر انه لايقسم الكلمة إلى نصفين.. ولا الحقيقة إلى نصفين.

● كنس الوف الخرافات والاكاذيب التى تستوطن راس الإنسان العربى، وقاتل كل ملوك الغبار، وكل رموز القمع، ولم يتزوج من كل نساء العالم سوى امراة واحدة هى الحرية.

● ترجم المستشرق الإسبانى بدور مارتينث مونتافيث شعره إلى الإسبانية، واصدره المعهد الإسبانى العربى فى مدريد عام ١٩٦٤ تحت عنوان (اشعار حب عربية POEMAS AMOROSOS ARABES

كما ترجمت مؤسسة برونا فى الولايات المتحدة، ودار PENGUIN البريطانية للنشر مختارات من شعره، فى انتولوجيا الشعر العربى الحديث.

● علمته اسفاره الكثيرة ان يكون صديق البحر، والاشرعة، والمسافات المفتوحة. وعلمه الشعر ان يكون قلبه كرغيف الخبز لياكل منه كل اطفال العالم.

● هذا هو الشاعر العربى نزار قبانى، نقدمه بدون ملابس تنكرية، وبدون اقنعة.. لانه هارب من جميع المسارح.. وجميع الاقنعة..

١



نزار قباني يكتب سيرته :

وُلِدْتُ تحت شجرة ياسمين ..

وشهاداتي : ليسانس في العشق

1

نزار قباني . من أنت ؟

مكان ولادتي :

تحت شجرة ياسمين تُهَرْهِرُ أقمارها على بلاط بيتٍ دمشقيّ قديم ، واقع بين حيّ (الشاغور) وحيّ (مأذنة الشحم) .

شهود الولادة :

مجموعةٌ من الحمائم .. والسُنونُو .. والقطط الشاميَّة .. كانت مقيمة على سطح منزلنا في ٢١ آذار (مارس) ١٩٢٣ ، وكانت تأكل .. وتشرب .. وتنام .. وتخطب .. وتتزوّج .. وتتناسل .. في كَنَف العائلة القبّانية ..

أولادُ القِطَط في بيتنا الدمشقيّ كانوا أولادنا .. وكانت أمّي ترضعهم من حليبها .. وتغسلهم في الحمّام معنا .. وترسلهم إلى المدرسة معنا ..

لون العينين :

لون سماء دمشق أيّام الصيف .

المهنة :

عاشق .

الحالة الاجتماعية :

عاشق .

الشهادات :

ليسانس في العشق .

العلامات الفارقة :

ذَبْحَة قلبية بسبب الشعر ..

الإقامة الدائمة :

على غمامة مسافرة بين الخليج والمحيط ، تخاف أن تقترب من الأرض ، حتى لا يُلْقى القبض عليها ، بتهمة الطفولة ، أو بتهمة الصدق ..

السجلّ العدلي :

محكوم عليه غيابيًّا من كلّ المحاكم العربية بتهمة إصدار ثلاثين كتابًا في الحبّ .. اعتبرتها النيابة العامة ضدّ أمن الدولة ، لأن الدول العربية تخاف أن يداهمها الحبّ .. فتتعرقل حركة السير .. وتزدحم الحدائق العامة ومقاهي الرصيف بالعشّاق .. وتمتلئ أكياس البريد برسائل الحبّ .. وتنشغل التلفونات بأصوات المغرمين والمتيمين .. وتزدهر تجارة الورد .. وتجارة الخواتم .. وتمتلئ الحقول بالسنابل .. ومستشفيات الولادة بالحوامل .. وتتكاثر دواوين الشعر في المكتبات ..

وهذا كلّه لا يُبْهج الدولة ولا يُسْعدها .. ولا يحرّك عواطفها .. لأن الدولة بالأساس عانس .. ولا تُحِبُّ إلا نفسها ..

2

من أنا ؟

سأوفر عليكم الوقت ، وعذاب طرح الأسئلة . وأقول لكم إنني شاعر ، قرّر بينه وبين نفسه في الأربعينات ، أن يُشْعِلَ اللغة من أول نقطة حبر حتى آخر نقطة حبر .. ويُشْعِلَ الوطن الممتدّ من البحر إلى البحر .. ومن القهر إلى القهر ..

خريطة الأشياء لم تكن تعجبني .. فلَخْبَطْتها ..

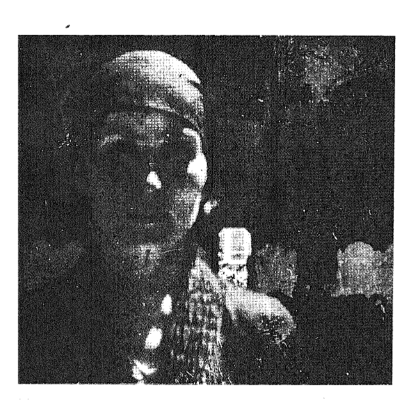
ووجه أبي جهل لم يكن يعجبني .. فلَخْبطْته ..

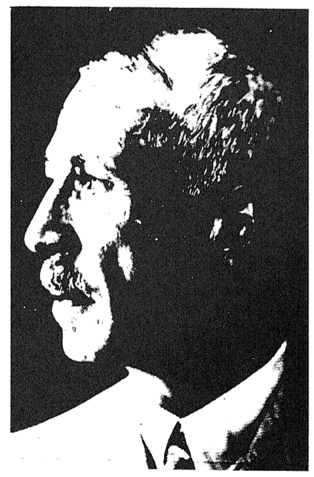
وإسْكَافيُّو الشعر العربي لم يكونوا يعجبونني .. فتعاركتُ معهم .. وأرحتُ قدمي من أحذيتهم الثقيلة ..

أردتُ أن أكتب شعراً يحمل توقيعي وحدي .. لا توقيع عشرة آلاف شاعر آخر يكتبون بالعربية والفرنسية والانكليزية والتركية والإسبانية والصينية .

وحلمتُ أن أكتب قصيدة لحسابي الخاص .. دون أن أسحب أيّ قرش .. من ميراث العائلة .. وأموالها الطائلة الموجودة في (كتاب الأغاني) و (العقد الفريد) .. وبنك (الخليل بن أحمد الفراهيدى) ..









3

من أنا ؟

أنا شاعر لا يزال يفتّشُ عن الحرف التاسع والعشرين في الأبجديّة العربيّة ..

أحاولُ التنقيبَ عن الماء .. في النصوص التي نشفت فيها الماء من كثرة الشاربين ..

أحاول أن أخترع شجراً .. وقمراً .. وبساتين فاكهة ونخيل .. وكلاماً عن الحبّ إذا سمعه الرجال لم يسحبوا مسدّساتهم .. وإذا قرأته النساء دَرَّ الحليب في أثدائهن نهراً من الذهب .

الحرف التاسع والعشرون ، هو الكَنْزُ المسحور الذي مات ألوف الشعراء قبل أن يكتشفوه .. وسيموتُ ألوفٌ من الشعراء على أمل اكتشافه .

قد يكون الحرف التاسع والعشرون موجوداً أو غير موجود .. وقد يكون حقيقةً أو قد يكون كِذْبَة .. وقد يكون كحجر الفلاسفة تشكيلاً ذهنيًّا بحتاً .. ولكن رغم كلّ شيء ، لا يستطيع الشاعر الحقيقي إلا أن يفترض وجوده .. ويستمر في رحلة البحث عنه .

حروف الأبجدية الثمانية والعشرون هي آثار مكتشفة . ومعروضة في كل المكتبات ، والمتاحف ، ودور المخطوطات ، لذلك فهي ممتلكاتٌ ثابتة وعصافيرُ في متناول اليد ..

أما الشاعر ، فإن عينَه مُصَوَّبة دائماً إلى العصافير التي لم يلتقطها بعد .. لا إلى العصافير التي التقطها ..

فإذا كان الناس العاديّون يفضّلون عصفوراً واحداً في اليد على خمسين عصفوراً على الشجرة .. فإن الشعراء لا يعترفون بهذا المنطق ، ويفضّلون عصافير المجهول على كلّ ما يباع في سوق الطيور ..

4

من أنا ؟

إنّني شاعرٌ تصادمي ..

شاعر ، إذا لم يجد من يتخانق معه ، يتخانق مع ورق الكتابة .. ومع الفعل والفاعل والمفعول به ، ومع أخوات كان .. وتاء التأنيث .. ونُونِ النسوة .

حتى حبيبتي ، إذا حاولَتْ أن تكتم أنفاسي بشَعْرِها الطويل .. خرجتُ بمظاهرة احتجاج ضدَّ اللون الأسود ..

إنني لا أستطيع أن أكون مريحاً لا مع المرأة .. ولا مع الوطن .

لكي أستطيع أن أكتب ، لابد أن أكون مستنفراً إلى أقصى حالات الإستنفار .. وأن أكون متحفّزاً .. ومتوتّر الأعصاب كفهدٍ إفريقي .

لا يمكنني أن أصير حمامةً زاجلة .. أو نباتاً داخلياً للزينة .. أو سمكةً في (أكواريوم) .

أُفضِّلُ ألفَ مرة أن أكون سَمَكَةَ قِرْش في البحر الأحمر .. على أن أكون سمكَةَ سردين تُؤكل بالزيت والليمون .

هل يعني هذا أنّ العدوانية من طبيعة الشعر ؟

بالأساس : لا .

ولكن الشاعر العربي يجد نفسه منذ ولادته حتى موته .. نافشَ الريش ، عصبيَّ الصوت ، كديكٍ موضوع في الإقامة الجبرية يتّخذ ليلاً ونهاراً وضع الدفاع عن نفسه .. وعن دجاجاته .

إذن كيف يمكن للشاعر العربي أن يتصالح مع واقعه ؟

كيف يمكنه أن يختم فمه بالشمع الأحمر ؟..

كيف يمكنه أن يشعر بالطمأنينة .. وتُجّارُ الطيور من حوله يزايدون على ريشه .. وجناحَيْه .. وعُذُوبة صوته ، وقوة حنجرته ؟.

كيف يمكنه أن يكون شاهداً على هذا الانتحار الجماعي العربي ، دون أن يبكي ، أو يصرخ ، أو يحتجّ .. أو يرمي نفسه من الطابق التاسع والتسعين ؟

كيف يمكنه أن يبقى في صفوف المتفرّجين ، يأكل (البوشار) .. وبزر الياقطين .. ويشرب المرطّبات .. وألسنة النيران تلتهم المسرح والمسرحية ؟

كيف يمكن أن يبقى الشاعر مهذّباً .. ولطيفاً .. ومعقولاً .. وكلّ ما حوله مشاهد متعاقبة من مسرح اللامعقول .

لذلك تبدو الخيارات أمام الشاعر العربي محدودة جداً ، فإمّا أن تتحوَّل اللغة بين يديه إلى قنبلة موقوتة .. وإمّا أن تتحوّل إلى حذاء عتيق ...

من أنـا ؟

أنا شاعرٌ مزروعٌ كالرمح في الزمن العربي .
أنا أُدميه .. وهو يُدميني .
أنا أحاول تغييرَ إيقاعه ، وهو يحاول تغيير صوتي ..
أنا أحاول أن أفضحه ، وهو يحاول استئصال حنجرتي .
أنا أحاول تَحدّيه .. وهو يحاول رشوتي ..

أنا رجلٌ يصحو ، وينام ، ويكتب ، على ضفاف الجرح العربي ، المتقيّح منذ سقوط الدولة العباسية حتى اليوم .

الفرق بيني وبين سواي ، أنّني لا أؤمن بالطبّ العربي ، ولا بالسحر العربي .. ولا أسمح لنفسي بالبقاء خارج غرفة العمليات أشرب القهوة .. وأدخّن السجائر .. وأدعو للمريض بطول البقاء ..

إن غريزة الصراخ هي أقوى غرائزي ..

لذلك أرى نفسي في حالة صدام تلقائيّة ، مع كلّ (كاباريهات) السياسة العربية ، ومع كلّ المطربين ، والطبّالين ، والزمّارين ، والحشّاشين ، والقوّالين ، والقوّادين ، الذين يشربون في النهار نخب الأمة العربية .. ويشربون في الليل دمها ...

أرى نفسي في حالة صدام يوميّة ، مع الذين يحترفون الزنى السياسي العلني على أرصفة الوطن العربي ، ومع هذا السيرك الكبير الذي ما زالت حيواناته المدرّبة تقرقش عظام الشعب العربي كما يقرقش السنجاب حبّة البندق ...



وإلى أن تُغْلَق أبواب كباريهات السياسة العربية ، ويستقيل مدربّو الأفيال ، ومُرَقِّصُو القِرَدَة .. يتوجّب على الشعر أن يفضح تفاهة التمثيلية .. ورداءة الإخراج .. وكذب الممثلين .. وأن يستمرّ في مطاردة هؤلاء .. حتى يغادروا المسرح نهائياً ..

فى هذا الإطار غير المريح ، وهذا الطقس غير المعتدل ، وهذه البحار التي لا سواحلَ لها ، أمارس السفر والكتابة ..

هناك بعض المسافرين من الكتّاب والشعراء العرب ، قطعوا رحلتهم وعادوا ..

أما أنا فيبدو أن دُوَارَ البحر هو قدري .. والتصادم مع الديناصُورات هو جزء من تاريخي ..

إن شعري ، هو محاولة لكسر جاذبية الأرض العربية .. ومغناطيسية الجاهلية العربية ..

إن السباحة ضدَّ جاذبية الأرض عملية منهكة .. والخروج من منطقة نفوذ القبيلة ، وأفكارها ، وعاداتها ، وقناعاتها ، مهمة صعبة . ولكن من قراءة تاريخ الفكر العربي والعالمي ، يتبين أن الأدب الكبير كان دائماً مقترناً بالشهادة .

لذلك تأخذ قصائدى مرّة شكل الوردة .. ومرّة شكل الجرح المفتوح .. فأرجو أن تحتملوا مناخاتي وتحوّلاتي .. لأنني أقدّم لكم مجموعة من الإنفجارات على شكل قصيدة .. ولا أقدّم لكم بنود الموازنة العامة ...

هذا هو موجز لهويّتي الشخصية .

ومن أراد الحصول على معلومات أكثر سرِّية عنّي .. فسيخيب ظنّه .. لأنني مكشوفٌ كالكفّ .. وليس عندي بضاعة للعَرْض .. وبضاعة للتهريب ..

إنّني لم أتعاط أبداً القصيدة السِريَّة .. وليس عندي مطابع تحت الأرض لتزوير العملة .. أو لتزوير الفكر .

كسماء البحر الأبيض المتوسط أنا .. أمارس الشعر ، كما أمارس الحبّ فى الهواء الطلق ..

ولأن الأساس في الحُبّ في بلادنا أن يكون سرّياً .. ولأنّ شيخ القبيلة يُخْفي تحت فكّه الأيمن نِصْفَ دزّينة نساء .. وتحت فكّه الأيسر نِصْفَ دزّينة أخرى .. فقد حاكمني شيخ القبيلة بتهمة العدوان على (ممتلكاته الخاصة) .. واتّهمني بنشر وثيقة سرّية بأسماء النساء الموضوعات في الثلاجة .. بانتظار نقلهنّ إلى غرفة الطعام الرسميّة .. أو إلى فراش الحكومة ...

6

نزار قباني . ماذا فعلت ؟

أنا كاتبٌ يحاول أن يفتح الدنيا بقاموس لا يتجاوز ألفَ كلمة ..

ليس عندى عساكر .. أو خيول .. أو أشعة لايزر .. أو صواريخ عابرة للقارات .. أو حاملات طائرات .. أو رادارات ..

إنَّ قلبي هو الرادار الأكثر دقَّة وحساسيّة في التقاط الاسشارات الصادرة عن الإنسان ..

لَنْ أتفلسفَ عليكم كثيراً .. ولن أعقّد الأمور عليكم ، لأن عندنا مخزوناً من العُقَد التاريخية المزمنة تكفينا إلى يوم القيامة ، فلا ضرورة لإضافة عُقْدَةَ الشعر عليها ..

لن أفتحَ أمامكم حقائبَ غُروري ..

ولن أضعَ الغَلْيُونَ في حلقي ، وأستعمل مصطلحات النقد الحديث ، لأثبت لكم أنني مثّقف كبير ..

فالثقافة لا تتناقض مع بساطة التعبير .

البساطةُ لا تعني أن تكون ساذجاً ، أو بهلولاً .. أو سَطْحِيّاً .. أو أُمِّياً ..

فبإمكانكَ أن تكونَ بسيطاً وجميلاً .. في نفس الوقت ..

والذين يكتبون أشعاراً وأقاصيص وأفلاماً ومسرحيّات للأطفال ، يعرفون ما أصعب أن يكون الإنسانُ بسيطاً عندما يواجهُ اللغةَ .. ويواجهُ الطفولة ..

أنا شاعرٌ بسيط .

أقولها بكُلِّ قوّة ، لأنّني اعتبرُ البساطةَ مصدرَ قوَّتي .

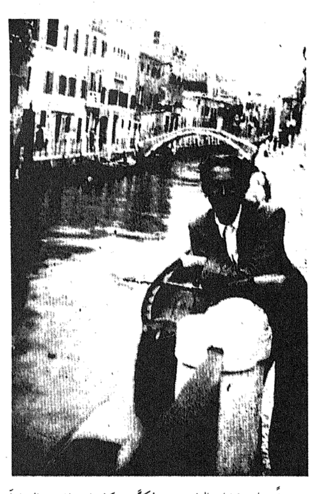
منذ عام ١٩٤٤ ، وأنا أشتغل على معادلةٍ لتحويل الشعر العربيّ إلى قماشٍ شعبيٍّ يلبسه الجميع .. وشاطيءٍ شعبي يرتاده الجميع . وقد نجحت .

منذ عام ١٩٤٤ ، حلفتُ أن لا يبقى مواطنٌ واحدٌ في الوطن العربي يكرهُ الشعر ، أو يستثقلُ دَمَه .. أو يهربُ من سماعه أو من قراءته .. وانتصرتُ ..

منذ عام ١٩٤٤ ، حلمت باحتلال العالم العربي شعريًّا .. وها أنذا قد احتللتُه ..

منذ عام ١٩٤٤ ، وأنا أشتغلُ كالنَمْلَة .. وأجرُّ الحروفَ والكلماتِ على ظهري .. لأصنع للشعر لغةً ديمقراطية تجلس مع الناس في المقهى .. وتشرب معهم الشاي .. وتدخن السجائر الشعبيّة معهم ..

طبعاً .. لن يصل بي الغرور إلى الحدّ الذي أزعُمُ به أنني اخترعتُ لغة . فاللغة ليست أرنباً يخرج من قبّعة الحاوي ، ولكنّني أسمح لنفسي بالقول أنّني طرحتُ في التداول لغةً



موجودةً على شفاه الناس ، ولكنَّهم كانوا يخافون التعاملَ بها .

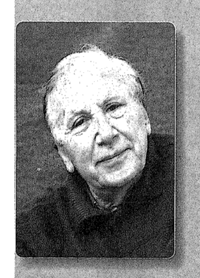
كانت لغةُ الشعر متعاليةً ، متعجرفةً ، بروقراطيةً ، بروتوكوليةً ، لا تصافح الناس إلا بالقفّازات البيضاء ، ولا تستقبلهم إلا بالقَبَّة المُنَشَّاة ، ورَبْطَة العُنُق الداكنة ..

وبكلمة واحدة ، رفعتُ الكِلْفَةَ بيني وبين لغة (لسان العرب) و (محيط المحيط) .. وأقنعتُها أن تترك قصرَ أبيها المهجور ، والملئ بأرواح الموتى ، وتختلط بتلاميذ المدارس ، والموظفين ، والعمّال ، والبائعات ، والممرّضات ، وسائقي سيارات الأجرة ..

ليس هذا انتقاصاً من قيمة اللغة العربية ، فهي لغة جميلة ، ومدهشة ، وغنيّة غنًى لا حدود له .

ولكنها بحاجة إلى عملية تَهْوِيَة .. وفَتْحِ أبوابِ .. ونَفْض سُجَّاد .. ومسح زُجَاج .. لأنّ اللغة كالنباتِ والإنسان .. بحاجة يومية إلى الأوكسجين .. وإلّا اختنقتْ بثاني أوكسيد الكاربون .



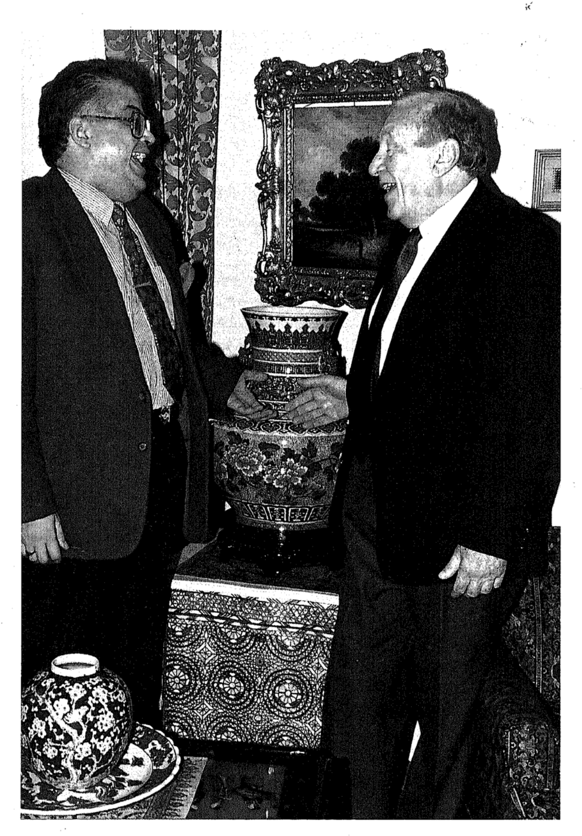


عن نزار والشعر ومصر ومحمد حسنين هيكل شكول وليل العاشقين طويل

د. عمرو عبد السميع

علاقتي مع مصر سَمْن وعسل .. وحكايتي مع (بهية) و (عيون بهية) معروفة ومشهورة ، ومبثوثة على جميع الأقنية ، والأقمار الصناعية ، علّمتني الزهو القومي ، ومصر الستينيات أطلقتني كوكبا في تاريخ القصيدة المغنّاة ، ومصر الثمانينيات لاتزال تسأل عنّي ، وتتابع أخباري الشعرية كأنني واحدٌ من أبنائها .

نزار قباني



نزار قبانى ود. عمرو عبد السميع فى حوار لندنى، بدأ بالضحكات، وانتهى بالنقاش الحاد، والردود الساخنة.
الحوار دار فى بيت نزار حيث التحف النادرة التى تعود إلى أزمان متغايرة.

عن نزار والشعر ومصر ومحمد حسنين هيكل
شكول وليل العاشقين طويل

هل أقحم نفسى، بهذه السطور، على مجرى الحديث عن نزار، صائغ مشاعر جيلى، وأحاسيسه، والشريك الكامل، فى كل حالات العشق من الخليج إلى المحيط، ورئيس جمهورية الحب، الجدير بنيل ثقة وتأييد الأحباء، بنسبة ٩٩,٩٪ من دون أن يجرؤ أحد على إطلاق اتهام بالتزوير أو التبديل ؟؟!!

لا أظن أن تهمة التزوير ممكنة.

كما لا أعتقد أن شبهة هذه الاقتحام قائمة

فمنذ أن أطلق نزار قبانى بيانه الشعرى رقم واحد، وإلى اليوم، والجماهير العربية، تعطيه إجماعها، من دون صناديق، أو لجان استفتاء تمنحه هذا الإجماع، على جدران المدن العربية، وعلى جذوع أشجارها، وعلى أوراق ورود جفت فى مناديل الأحباء، تستجيب لتحريضه، وتحتضن تمرده، وتهدهد رأسه على صدرها، وتصيخ السمع إلى كلماته، لتستشعر نبضها بين حروف القصيدة، ولترى فيها التعبير الأكثر وضوحا، عن ارتباطاتها الوطنية، والعاطفية، ضاربة عرض الحائط، بمقولات غليظة تتهكم على أمة تصوغ مواقفها أبياتا من شعر، وأطيافا من خيال، فى مواجهة حقائق على الأرض، أو حسابات الورقة والقلم !!

كانت المقابلة، وكان التضاغط، بين المنطقين، وما زال، أشبه بلوحة شهيرة لرافاييل، يصور فيها أفلاطون يشير إلى السماء، وأرسطو يشير إلى الأرض، فى إبراز واضح لرومانسية الأول، وواقعية الثانى.

ومن وقتها، وإلى زمن نزار، والجميع منخرطون فى معزوفة صاخبة، هائلة، حول أيهما هو الخيار الإنسانى الأصوب ؟!

ولعل نزار قبانى هو حالة كبيرة جدا، من حالات الفكر والإبداع الإنسانى، فى كل المجالات تستطيع ـ عبر القراءة الصحية لمفرداتها وعناصرها ـ أن تبلور إجابة عن السؤال الخالد.

إذ صاغ نزار من الخيارين جملة شعورية، وفكرية واحدة، تقول - بإيجاز ـ إن أحدهما، باستمرار، كان سببا للآخر، وإن أحدهما على الدوام، كان نتيجة للآخر.

فالواقع، إذا كنا نريده مشرقا، ومتدفقا، وجميلا، ومعبرا عن قدرة الروح الإنسانية على العطاء، ينبغى أن يكون واقعا تغييريا، وإذا أردناه كذلك، فينبغى أن نبدأ طريقنا إليه، من نقطة افتراضية، خيالية، حالمة، تشف وترف، متطلعة لبناء اليوطوبيات، وللانتصار على العجز.

وعلى الضفة الأخرى للنهر، فإن الأخيلة والأحلام، لا يمكن أن تصبح مجرد فراشات، تحرك أجنحتها الذهبية، فتتعلق بها مهجنا وأرواحنا، أو أن تصبح بعض نبات الوهم معلق من شواشيه أو جذوره فى الهواء.

الحالمون إذا أرادوا لخيالهم، أن يستحيل واقعا ينشب جذوره، فى طين الأرض، لابد وأن يتوخوا أن تكون أحلامهم ـ هذه ـ ذات صلة بالحياة، وبحقائها اليومية، بأكثر من أن تكون سابحة فى الفراغ الكونى، عاكسة لانعدام الوزن، أو لفقدان السيطرة على الحركة، وذلك ـ كله ـ قبل أن يبتلعها الفضاء، ويلفها فى ملاءته السوداء، مزيلا أثرها من الوجود.

نعم.. كان نزار إجابة نادرة عن سؤال يتعلق بمدى أرجحية وصحة، كل من خيار (الحلم) وخيار (الحقيقة) فى النفس الإنسانية ومن هنا كان ارتباط الجماهير به، اجتماعيا، إذ كانت كتيبته تضم جنود الحلم، كما كانت تضم جنود الحقيقة، وأخيرا فقد كانت تضم جنود حقيقة الحلم، وجنود الحلم بالحقيقة !!!

إذن فمظنة التزوير غير ممكنة.

ماذا ـ إذن ـ عن اعتقاد الاقتحام ؟!

أستبعد أن تكون هناك شبهة لهذا الاقتحام، فيما أخط الآن على هذه الأوراق.

فقد أخذت خطوة إلى الخلف، عند رحيل الشاعر العملاق، احتراما لقدسية الموت، والتى أصبح ابتذالها فى الصحف والمجلات المصرية والعربية، علما له مؤسسوه، ومنظروه.. على الرغم من أن لدىَّ الكثير، الكثير الذى يمكن أن أحكيه عن نفس نزار، روحه، عقله، قدرته الجبارة على الحلم، وعلى الحب.

لقد أردت أن نحترم الرجل، الذى تعود أن يقاسمنا مشاعرنا، وعشقنا، وألا نصرَّ على أن نقاسمه حدوث وفاته، بالظهور فى إطار هذا الحدث، وافتعال الصلات، والعلاقات مع اسم الشاعر وذكراه، فى محاولة عجيبة لاختطاف الضوء، حتى على مسرح هذه الوفاة أو ساحتها !!

ولقد دخلت ساحة حوار طويل مع الصديق الشاعر الأستاذ أحمد الشهاوى، على مدى أسابيع، وهو يقنعنى بضرورة أن أكتب بعض مالم أنشره عن حواراتى معه.

كان أحمد بمنطقه الهادئ، وقدرته على بذل الجهد المنظم فى اتجاه هدف، يعمد إلى الإشارة (للدوافع) التى ينبغى أن أتشجع بها، وكنت ـ أنا ـ بفوارق راسخة، أؤمن بوجودها، بين عملى الصحفى، وعلاقتى الفكرية بكل من تقاسم معى ساحة حوار، أعمد إلى وصف وتحديد (الموانع) التى ينبغى أن تكون جزءا من حسبتى ومن حسبته !

والتقينا فى منتصف طريق، يبدو وكأنه نقطة ما بين (الحلم) و (الواقع) مرة أخرى.

اتفقنا على أن ننشر حواراتى معه كاملة، كما اتفقنا على أن أقدم لها بهذه السطور !!

ليالىَّ بعد الظاعنين طوال

شكول وليل العاشقين طويل

يُبِنَّ لىَ البدر الذى لا أريده

ويخفين بدرا ما إليه سبيل !

كانت ـ هذه ـ هى إجابة عن سؤال نزار: « ماذا تحب من شعر أبى الطيب المتنبى» ؟

لقد بدا السؤال مباغتا، وسط نقاش طويل جمعنى به، عن هذا الشاعر العملاق، ونحن نتشارك تمشية طويلة فى شارع «سلون»، ثم نجلس لاحتساء فنجانين من القهوة، على مقهى فى ميدان سلون، فى ربيع ١٩٩٦، ولم يستغرب إعجابى بالبيت، وانصرافى إلى شعر المتنبى فى الحب، بعد مساجلتنا الطويلة فقد كنت أحدثه عن علاقة الشاعر بالأمير، ومعادلها الموضوعى المعاصر علاقة المثقف بالسلطة، واستحال نزار بحرا متلاطم الأمواج، وبدا وكأنه على وشك دخول ساحة، معركة، من تلك المعارك التى يزخر بها تاريخه.. تاريخه الذى هزم بصوت البلابل، ورائحة الياسمين، ووسوسة القبلات، ولمسات العاطفة، ولون الفيروز، كل سوداويات من لم يرتاحوا، إلى طرقاته، على أبواب قلوبهم، وعقولهم.. الطرقات التى أعلنت، أن المرأة حرة، وأن العقل حر، وأن الوطن حر !!

وكان طبيعيا جدا أن يكون الأنموذج الذى طرحناه لعلاقة المثقف بالسلطة، أو لعلاقة الشاعر بالأمير، هو أبو الطيب المتنبى.

وعلى حين تتبيت موقفاً انتقادياً من علاقة أبى الطيب بالسلطة، كان إعصار هجوم نزار مزدوجاً على سلوك الشاعر، وعلى سياسات السلطة ؟!

ومن هنا أيضاً لم يستغرب ارتباطى بشعر المتنبى العاطفى، بل وشاركنى إعجابى. كانت لقاءاتنا تعددت، من جناحه فى فندق النيل هيلتون، إلى منزل د. سعاد الصباح فى شارع العروبة بالقاهرة، إلى عشرات، عشرات اللقاءات فى لندن. وفى كل مرة، يترافق لقاؤنا مع حملة هجوم عاتية، يتعرض لها الشاعر، من بعض أنصاف الموهوبين، والشاعرين بالإحن، والراغبين فى سحب غطاء وطنى، على مواقف ليست ـ بالضرورة ـ وطنية، والمستميتين فى الخلط بين حالات تمثيلهم لأنفسهم فى علاقتهم بنزار، وحالات تمثيلهم لمصر فى علاقتها به !!

كنت أراه غاضباً، وغيوراً على علاقته بمصر، يرفض أن يكون كل هؤلاء مدخله إليها.. فهو لا يحتاج فى هذه العلاقة، إلى بطاقات تعارف أو دعوة، أو أوراق اعتماد، أو هوية!

وواحدة من تلك المعارك، كانت التى أعقبت قصيدتيه (متى يعلنون وفاة العرب؟.. والمهرولون).

وكان أن تحدثت مع الكاتب الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل، وقت وجوده فى لندن عام ١٩٩٦، عن غضب نزار، وهو ـ فى نظرى ـ غضبٌ شرعىٌ ومشروعٌ، فأشار إلى رغبته فى أن يحدثه فى الأمر.

ورتبت لقاء جمع العملاقين فى فندق «لانسبره» فى هايدبارك كورنر، وهو اللقاء الذى لم يغب عن ذهنى، بعد ذلك أبداً، لأنه كان مناسبة فريدة جداً، فى مضمونه، وفى طريقة التعبير عن هذا المضمون، إذ كان عمود هذا الحوار فكرياً، هو ملامح الزمان السياسى الذى نعيشه، وملامح المستقبل لتيار الفكر القومى، أما طريقة التعبير عنه فقد كانت هى الأخرى فريدة، إذ لم يتوقف الأستاذ هيكل عن إلقاء ورواية الشعر المحمل بمشاعر قلبية قوية، طوال اللقاء، ولم يتوقف الأستاذ نزار عن الحديث المنثور المطعم بمعان سياسية عميقة طوال الحوار !!!

عندما وصلت إلى الفندق، وجدت الأستاذ هيكل على وشك أن يفرغ من حديث هامس، وفنجان شاى (إيرل جراى كما يحب دائماً) مع الدكتور أشرف مروان.

وما أن مرت دقائق، حتى انصرف الدكتور مروان، ووصل نزار فاتحاً ذراعيه، ليتعانق وهيكل، ولنجلس جميعاً إلى مائدة صغيرة مستديرة، وأبدأ فى مراقبة هذا الحوار الفريد.

ضغط الأستاذ هيكل على وجيعة نزار منذ اللحظة الأولى، حتى يستطيع أن يفاتحه فى الموضوع، ويربت كتفه، ويشجعه، فبعد سؤاله التقليدى : «ما الأخبار»، كانت دفعة كاملة من

الأسئلة، حول طبيعة معركة نزار الأخيرة، وضرورة ألا يتراجع - أبداً - تحت ضغط، ثم شرح تضاريس المرحلة السياسية الراهنة في العالم العربي، في صيغ موجزة ومحكمة.

وعندما تكلم نزار، كان كلامه متوجعاً، يستغرب الزمن، كما يستغرب ملامحه، ويؤكد في كل لحظة، ويضغط على كل حرف، بأنه لم يك يتصور أن يعيش زمناً تغتال فيه أحلامه وأفكاره على النحو الذي جرى.. وسأل عن مصر، بعاطفة مشبوبة، وبنبرة (حالمة)، فأجابه هيكل، بصوت (الحقيقة) !!

وبادرني نزار قائلاً: **«هل تعرف أن الأستاذ هيكل هو أول من قدمني إلى القارئ المصري، وقت أن كان يعمل في أخبار اليوم، وزرته وأطلعته على ديواني الجديد - وقتها - (طفولة نهد)، فساعدني على نشره، ومن ثم اتصلت وتواصلت مع الجمهور في مصر».**

ولدهشتي راح الأستاذ هيكل ينشد: «كل النهود.. أبيضها وأسودها.. وأحمرها.. إلخ».

إنني لا أستطيع الإمعان في نشر تفاصيل هذه الجلسة، لأنني لم أستأذن صاحبيها، فضلاً عن أن أحدهما رحل من دون أن أطلب منه مثل هذا السماح.. ولو كان أحدهما، أو كان كلاهما يعرفان أن هذا الحوار مآله إلى النشر، ما كان قد انساب رفيعاً وتلقائياً على النحو الذي جرى به.

فاروق جويده.. صديق عمري، الرائق كقطعة كريستال، والمحب الشاعر، الذي شاركني هواية مصادقة الكبار ومصاحبتهم، كان هو الذي قدمني لنزار عام ١٩٨٧، وقبلها لم أكن قد عرفته إلا من خلال بضع مكالمات تليفونية، أولاها بعد أن نشرت مجلة (المجلة) التي كنت أعمل مديراً لمكتبها في القاهرة عام ١٩٨٤ حديثاً جميلاً له، شجعت دينا ريّان على إجرائه.

ويوم قدمني فاروق إليه، ذهبت للقائه في فندق النيل هيلتون، صبيحة أمسيته الصاخبة في معرض القاهرة الدولي للكتاب، حين كان جلوس الصف الأول وعلى رأسهم يوسف إدريس، يتبادلون مع نزار المواقع، فلا تعرف من فيهم الشاعر، ومن الجمهور.

لقد أشعل الرجل - كما وصف - حريقاً في القاعة، بكل هذا التجاوب الذي حدث بينه وبين الناس.

وفي منزل سعاد الصباح كان لقاؤنا الثاني، نتحدث عن المرأة، ويسجل لي بصوته أبيات (أغنية العودة).. أيظن !! أيظن ؟!

كتبت عنها في أواخر ١٩٩٧، يوم أن شاهدت مطربة مصرية شابة، تغنيها (غادة رجب) مذكراً بذلك الرأي الذي كررته - دوماً - حتى كاد يصبح عقيدة فنية أعتنقها، بأكثر منه انطباع عابر أردده، وهو: «أن الأغاني هي وثائق للتأريخ الاجتماعي، وهي وسيلة التعبير الأكثر وضوحاً في بلورة الحالة الثقافية لشعب من الشعوب، وإطلاق الطاقات الكامنة في وجدانه لتحفر مجرى حقيقياً، يشي بطبيعة حالته الشعورية، والسلوكية كذلك في زمن من الأزمان».

وقلت - أيضاً - عن «أيظن» : «هذه الأغنية علامة كبيرة في تاريخ الطرب الشرقي، إذ أنها النموذج الذي يصعب تكراره، لما يمكن تسميته (الأغنية الدرامية)، التي تتابع مشاهدها، بين (العرض) و (الذروة) و (إعادة العرض) و(الحل)، مثلها مثل أي عمل مسرحي أو أدبي، وقد استقطر فيها الأستاذ نزار قباني الكثير من موهبته الشعرية، وحساسيته المرهفة، بحيث تأرجح بمشاعرنا ووجداننا، بين موقف الإحجام والكبرياء (أيظن أني لعبة في يديه.. أنا لا أفكر في الرجوع إليه).. وبين موقف الدنو (حمل الزهور إليَّ.. كيف أرده.. وصباي مرسوم على شفتيه).. وبين موقف العودة (كم قلت إني غير عائدة له.. ورجعت.. ما أحلى الرجوع إليه).

ثم صاغها الأستاذ محمد عبد الوهاب بسلاسة عبقرية، بحيث بدت وكأنها سيمفونية (للهمس) تشي كل جملة لحنية فيها، بحزمة كاملة من المشاعر.. وكانت عبقرية محمد عبد الوهاب تكمن في أنه لم (يلحنها) جداً !! بمعنى آخر، كان لحنه عاملاً مساعداً على تجلي معاني القصيدة، وتأكيد للخلفية الدرامية لمقاطعها، من دون استعراض عضلات موسيقية، وبحيث بدا هذا اللحن سنداً تلقائياً لمشاعر طبيعية، تبلورت في النهاية في شكل موقف واقعي جداً تشابكت فيه المشاعر وتعقدت».

وكان أن هاتفتني الفنانة التشكيلية السورية الكبيرة ابتسام الأنصاري، قبيل إطلاق معرضها، في «دار الأهرام» بالعاصمة البريطانية، لتهمس لي : «الأستاذ نزار منتظرك في جناحه بمستشفى سان توماس غداً».

أطمأننت من هذه المهاتفة على صحة نزار، حيث كنت قد اصطحبت الأستاذ محمد حسنين هيكل لزيارته قبلها بشهور، ولم تكن حالة نزار في غرفة الإنعاش تسمح باللقاء، إلا أن الأستاذ هيكل أصر على القيام «بزيارة احترام» لنزار، وصافح ابنته هدباء، وحمّلها تحياته الحارة إليه.

ذهبت إلى نزار، قبلّت رأسه، وجلست إلى جواره، بينما

جلست ابتسام وهدباء على الناحية الأخرى من الفراش.

«لقد أعدت اكتشاف أغنية (أيظن) - يادكتور عمرو - بعد ٣٧ عاماً من ظهورها، بما كتبته عن غادة رجب فى عمودك من أسبوعين».

هكذا استفتحنى الشاعر العملاق، بمقولة من عيار ثقيل، يتيه أى كاتب بأن يحملها على صدره كوسام ليس لوزنه الفنى، أو الإبداعى نظير.

وكأننى أردت استيضاح نزار قبانى فسألته: «كيف ياأستاذ نزار؟».

فأجابنى: «لقد وضعت يدك على الجانب (الدرامى) فى هذه الأغنية وهو مالم يفطن إليه كل من كتبوا عنها منذ أذيعت للمرة الأولى عام ١٩٦٠».

ثم تطرق إلى معرض ابتسام الأنصارى، وقال لى: «إن ابتسام الأنصارى هى دمشق التى أحببتها، وحكيت عنها، وغنيت لها، ببيوتها، وبحواريها، وأشجار اللبلاب، والياسمين فيها».

وكان حديث نزار عن دمشق مناسبة اندمجنا فيها، حديثاً متواصلاً، عن العلاقة الوجدانية، والعاطفية، الخاصة جداً، التى تربط القاهرة بدمشق، وتربط المصريين بالسوريين، والتى أفصحت عن نفسها، آية وراء آية، فى مناسبات متعددة وكثيرة.

وعدنا إلى الحديث عن الغناء، فسألنى الأستاذ نزار عن رأيى فى أداء كاظم الساهر لقصائده (إنى خيَّرتك فاختارى) و (زيدينى عشقاً) فقلت له: «أرى كاظماً شخصية جادة.. مهتمة ومهمومة، وهذا - فى رأيى - مفتاح وصوله إلى الناس فى زمن عزت فيه الجدية كما عز الاهتمام».

وقال الأستاذ نزار: «إن كاظماً نجح فى تقديم الأغنية الشبابية بمعناها الملتزم والمحترم.. إذ أنه كان واحداً من المطربين المحترمين الذين عبرت على جسر أصواتهم الأغنية العربية إلى المعاصرة، من دون خسائر تذكر، بل وربما زادت رونقاً، واكتست جمالاً ضافياً وإضافياً».

ثم مرة أخرى حدثنى عن (الوجوه)، عن لغة (الوجوه) وهى تلك اللغة التى أمعن فى وصف صوتها لى عدة مرات، والتى تجعل من نزار نفسه أعظم قارئ لهذه الوجوه فى العالم العربى، منها يستقرئ الحلم، ومنها يستطلع الحقيقة، وهى التى يخاطبها لتكلمه، ويكلمها لتخاطبه.

التقديم إلى حواراتى مع نزار بهذه السطور، إنما يتجنب كثيراً الإيغال فى تفاصيل ذكرياتى معه، لأن صوته فى هذه الحوارات، هو نقطة التركيز الغالبة عندى، وبالقطع عندكم.

ومن هذا الصوت سنعرف حدود الحلم والحقيقة، فى إجابته التى تبلور حالة فريدة جداً فى تناول الاختيار الإنسانى بين الخيارين.

لقد افتقدت هذا الصوت، وأوحشنى، وقتما ملأت أصوات من لا أحبهم كل الفراغ الزمنى والمساحى من حولى !

وكأن لسان حالى - مرة أخرى - يردد:

ليالىَ بعد الظاعنين طوال
شكول وليل العاشقين طويلُ
يُبِنَّ لىَ البدر الذى لا أريده
ويخفين بدراً ما إليه سبيلُ



١

كان شرطنا المتبادل قبل بدء هذا الحوار هو أن يكون صريحا بلا حدود، وتصادميا إلى آخر مدى، وحقيقيا لا يأتيه الزور من بين يديه ولا من خلفه!

(اتفقنا) على أن يكون (اختلافنا) بلا سقوف تفرضها علنية الحوار الصحفى، وعموميته.

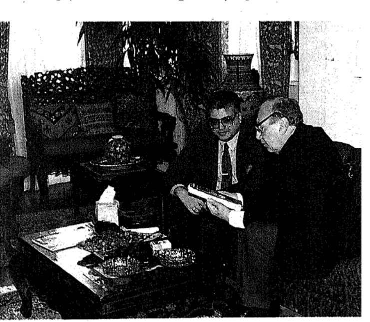
(اتفقنا) على أن (اختلاف) وجهات نظرنا: وآرائنا، لا ينبغى أن يتقيد بأية شكليات شخصية أو بروتوكولية، سواء فى شكل الأسئلة المرسلة، أو فى حرفية الإجابات الموجهة.

وهكذا ـ كان حوارى مع الشاعر الكبير نزار قبانى الذى يخوض واحدة من أسخن معاركه، ويشتبك على ساحات متعددة فى آن، فمن قصيدة (المهرولون) لقصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟)، لبعض نبش وفتح فى الملفات القديمة من (هوامش على دفتر النكسة) إلى (علاقة الكلمة والسلطان)... ثم إلى مناقشات شعرية وأدبية صرف تمتد من الموقف من قضية الحداثة حتى الموقف من النقاد وحركتهم النقدية.

وأخيراً يصل الحوار إلى نقطة أعطى فيها الشاعر ما أسماه إفادته عن عشقه المصرى وعليها توقيعه.

وهنا نص الحوار:

□□ «المهرولون» (قصيدتك ـ المعركة)، فتحت بابا جديدا للصدام والاصطدام معك. هل تظنك كنت فيها مع حتمية التاريخ تقف إلى جوار المستقبل، وإلى جوار عواطف وأفكار الجيل الطالع، أم كنت مع تاريخك أنت، تقف إلى جوار الماضى الذى كان.. وإلى جوار تجربتك الشخصية سياسية كانت أم شعورية؟



عيون ونظارتان ترقب ردود فعل قصيدة «المهرولون» لنزار قبانى فى الصحافة المصرية. وكان الدكتور عمرو عبد السميع مدير مكتب الأهرام فى لندن قد حمل معه مجلة روزاليوسف لنزار كى يتابع الموقف من قرب

□ أنا شاعر لا يبرمج قصائده ومشاعره، ولا يسعى لاسترضاء أحد سوى الشعر.

الشعر وحده هو مولاى وسيدى، وهو الذى يأمرنى فأمتثل، ويستكتبنى فأكتب.. ويقول للقصيدة كونى فتكون..

أنا لا أنبش فى رماد الماضى أبداً.. ولا أقف على الأطلال، ولا ألتفت، أبداً.. إلى قصيدة كتبتها قبل يومين.

إن عينى دائماً على الأفق، وعلى شواطىء لا أعرفها، ومدائن لا أعرفها.. وعلاقات لغوية وإبداعية لا أعرفها.

إننى أبحث دائماً عما يدهشنى، قبل أن يدهش الآخرين.

لذلك تنفجر الأعاصير من حولى بين فترة وأخرى، دون أى تخطيط سابق، كما قلت دائما.. لست أنا الذى أكتب القصيدة، بل هى التى تكتبنى.

القصيدة تنفجر بين يدىّ، وتبتر أصابعى ولكننى لا أستدعى سيارة الإسعاف، وإنما أتلذذ برؤية دمى السائل.

□□ يمعن البعض ـ بمناسبة الهرولة ـ فى الحديث عن تحديات وأهوال صراع ثقافى وحضارى قادم بين العرب وإسرائيل، هل ترى لإسرائيل ذلك الوزن والثقل الثقافيين. من خلال آراء مثقفيها أوإبداعات فنانيها، والذى يجعل العرب ترتعد فرائصهم أمامها خوفاً من أن تبتلعهم ثقافياً أو تكتسحهم فنياً؟

□ إسرائيل ليست بُعبُعاً ثقافياً يخيف أحداً، سوى ضعفاء النفس وضعفاء الإرادة. قد تتفوق إسرائل علينا عسكرياً وتكنولوجياً وتنظيمياً، ولكنها من حيث الإبداع تأتى فى الدرجة العاشرة. فشعراؤنا أهم من شعرائها، وروائيونا أعظم من روائييها، وفنانونا التشكيليون، ومسرحيونا، وممثلونا، ومغنونا، متفوقون على الإسرائيليين بشكل حاسم. ولقد تعايش اليهود معنا فى المنطقة منذ عصر النهضة، حتى اليوم، فلم يخرج من بينهم شعراء بمستوى شوقى ومطران والبارودى، أو كتَّاب كالعقاد، وتوفيق الحكيم، وطه حسين، ونجيب محفوظ، أو مفكرون كمحمد عبده، ورفاعة الطهطاوى، وعلى عبدالرازق، أوموسيقيون ومغنون كسلامة حجازى ومنيرة المهدية، وسيد درويش، وأم كلثوم، ومحمد عبدالوهاب، أوممثلون ومسرحيون على مستوى فاطمة رشدى، ونجيب الريحانى، ويوسف وهبى، وأمينة رزق.

إذن لا خوف علينا من أية هجمة إسرائيلية، تلغينا وتمحو ثقافتنا، فنحن متجذرون فى هذه الأرض شعراً ونثراً، ورسماً، ونحتاً، وعمارة، وإبداعاً.. منذ خمسة عشر قرناً. وإذا تحدثنا عن الحضارة الفرعونية، والآشورية، والفينيقية، إننا أولاد حضارة عمرها خمسة آلاف سنة.

شعرياً لا أشعر بأية عقدة من أى شاعر إسرائيلى. فالشعر من مواليد الجزيرة العربية، وسوف يبقى كذلك..

قد يكون لدى إسرائيل قنابل نووية تهددنا بها.. ولكن ليس لديها قصيدة جيدة واحدة تهدد بها الشعر العربى!!

النفخ فى قربة مثقوبة!

□ □ كان رد الأستاذ نجيب محفوظ حول (المهرولون) يحمل معانى ودلالات مهمة، وكان ردك على الرد يحمل أيضاً منطقاً خاصاً ومتماسكاً. هل يمكن اختزال الموقف فى هذه القضية التى تطرح نفسها بقوة على الساحة العربية السياسية والثقافية، فى الرسائل (اللطيفة) بينك وبين الأستاذ نجيب محفوظ، أم أن هناك تيارات واسعة تتبنى مواقف مختلفة حول هذه القضية.

□ ارسم ــ من فضلك ـ ملامح خارطة عربية ثقافية تحدد فيها مواقع القوى، وحركة التيارات حول هذه القضية؟

□ لايمكن رسم أية خارطة سياسية أو ثقافية للعالم العربى الحالى.. فلقد تمزقت جميع الخرائط، وتداخلت كل الخطوط والألوان.

العالم العربى اليوم (شوربة) يختلط فيها اليمينى باليسارى، بالماركسى بالرأسمالى، بالعلمانى بالأصولى، بالقطرى بالوحدوى بالانفصالى، بالقبلى بالطائفى.. وأمام هذه اللوحة الموزاييكية المرعبة.. لا يمكن للكاتب أن يعرف مكان رأسه من مكان قدمه.

فى الخمسينيات كنا نكتب لشارع عربى ملتحم وموحد النسيج.. أما فى التسعينيات فنحن نكتب على الماء.. والهواء!

وأمام هذه (الشوربة) التى ليس لها لون ولا طعم ولا رائحة، وأمام هذا الشارع العربى الممنوع من النطق، والتحول، والغضب، والاحتجاج، وممارسة حقوقه فى الفرح أو البكاء.. أو الانتحار.. يصبح الأدب نوعاً من النفخ فى قربة مثقوبة، وتصبح الكتابة مشياً على زجاج مكسور.

إننى أكتب قصيدتى هذه الأيام ولا أعرف أين ستقضى ليلتها.. فى السجن.. أو فى غرفة الإنعاش.. أوفى ملجأ الأيتام!!

□ □ إذا كنت تدين (المهرولون) فى اتجاه السلام أو التطبيع. ما البديل؟

□ هذا ليس شغلى. فالشاعر لا يشتغل فى الوعظ، والإرشاد، ولا يخطب فى الناس يوم الجمعة، إنه شغل من يجلسون على رقابنا منذ خمسين عاماً، ويلعبون بنا على كيفهم، ويرسمون مصائرنا على كيفهم، ويقطعون ألسنتنا على كيفهم، ويسلخون جلدنا على كيفهم.

الشاعر (فرخة) يذبحونها.. ويقدمونها فى الحفلات الرسمية.. فهل تستطيع فرخة مذبوحة أن تقدم البديل؟

أنت بسؤالك عن البديل.. تناقض ما جاء فى تعليقك الذى نشرته فى (الأهرام الدولى) بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥ وفيه تقول.

«نحن نحاكم الشاعر أو المثقف بمعايير محاكمة رجل الدولة، ونحتكم إلى مرجعيات سياسية سلطوية.. أو حزبية معارضة. في حين ينبغى الاحتكام إلى مرجعيات شعبية ووجدانية.

المثقف المبدع، هو ضمير حى، يخترق المألوف والتقليدى والممكن فى كل لحظة. وهو غير ملزم أو ملتزم بالحسابات السياسية والموقفية».

هذا هوكلامك، يادكتور، فكيف تطلب منى أن ألتزم الموقف، والحسابات السياسية، وأقدم البديل؟؟

المنفلوطى والتفاحة!

□ □ سهل على الشاعر أن يتبنى أكثر الآراء لمعاناً وحماسية.. ويقعد فى حديقة غنّاء، أو فى منزل وثير فى هذه العاصمة الأوروبية أو تلك.. يقضم قضمة من تفاحة حمراء، ويطلق قصائده اللذيذة عن الكفاح المستعر. ألا تعتقد أنه قد آن الأوان لك أن تترجل عن جواد الأحلام الذهبى وتنزل إلى الشارع، وآلام الناس وواقعهم؟

□ عن أى تفاح ـ وأية حديقة غناء ـ وأى منزل وثير تتحدث أيها الرجل؟.. خيالاتك تذكرنى بخيالات مصطفى لطفى المنفلوطى.. وأسلوبك فى التهويل مثل أسلوبه.

وأنا أتحداك أن تجد فى كل شعرى تفاحة واحدة حمراء، أو صفراء.. أو تجدنى أقشر اللوز والفستق للسابحات الفاتنات على شواطىء نيس وكان ومونت كارلو..



حوار المواجهة بين قطبين: فى الشعر : نزار قبانى، وفى الصحافة: د. عمرو عبد السميع الذى تعود أن يجرى حوارات من حين لآخر مع نزار قبانى

أما مطالبتك لى بأن أترجل عن صهوة جواد الأحلام، وأنزل إلى الشارع، وإلى آلام الناس وواقعهم.. فهى دليل على أنك لم تقرأ شعرى جيدا.. ولا تعرفنى.

هل ممكن لمثقف مثلك أن يطلب منى بعد خمسين عاماً الالتحام بأجساد وأحلام وأحزان ودموع وقضايا مئتى مليون عربى، أن أكون واقعياً.. وأنزل إلى الشارع؟؟

إننى أرفض أن أدخل فى حوار معك عن واقعية نزار قبانى. لأن ألوف الخناجر التى زرعها النقاد، والرجعيون، والمتزمتون فى جسدى خلال خمسين عاماً، كانت بسبب هذه الواقعية، أو فوق الواقعية التى اعتمدتها فى شعر الحب.. أو فى شعر السياسة.

لست أنا من يطلب منه أن ينزل إلى الشارع.. لأننى أسكن الشارع العربى منذ خمسين عاماً.. فإذا كنت لا تعرف عنوانى.. فأنا آسف!!

أما منازلنا فى المدن الأوروبية فهى شقق متواضعة جداً، ولا تستحق هذا الحسد غير المبرر. إن منازل الكتاب والمبدعين والمنفيين العرب فى العواصم الأوروبية، ليست سوى ملاجىء اضطرارية يجدون فيها الحد الأدنى من السلام والحرية.

ويؤسفنى أن أقول تعليقاً على هذا السؤال:

(حتى على النفى لا أنجو من الحسد).

□ □ (المهرولون) أو (المحجمون) طائفتان تستند كل منهما إلى أسباب تبدو وطنية، بل وتبدو قومية ألا ترى، كمثقف عربى كبير - أننا بحاجة إلى صياغة عقد ثقافى عربى جديد، يحدد مثل هذه المعانى الأولية بدقة، فى زمن أصبحت فيه النسبية - هى الأساس الذى يحكم كل المعانى والمواقف؟

□ أنا لا أعارض قيام مثل هذا العقد الثقافى العربى الجديد. شريطة أن يبقى فى حدود المحافظة على حقوقنا التاريخية، وسيادتنا، وشرفنا القومى، هذه بدهيات لا يمكن أن تدخل فى باب المساومة.

أما فكرة (النسبية) ومقولة (ليس بالإمكان أبدع مما كان) أو (عصفور فى اليد خير من عشرة على الشجرة) فهى فلسفة طوباوية لا يعتنقها سوى المحبطين، والضعفاء، واليائسين.

□ □ تستوقفنى كثيراً هذه الروح السائدة فى قصائدك السياسية والتى تركز على تعذيب الذات الوطنية والقومية وتحقيرها، وكسر أى عامل من عوامل الزهو الوطنى أيضاً.. هل أجد عندك تفسيراً لهذا؟

□ منذ قصيدتى (هوامش على دفتر النكسة) التى كتبتها عام ١٩٦٧، تخليت فى شعرى عن عقلية (الفتوات)، والفشورة.. والمرجلة.. والعنتريات الفارغة.. والانتفاخ القومى والشوفينى.

أين هو الزهو الوطنى الذى تتحدث عنه؟ وكيف أكتب عن الشمس، إذا كنت لا أراها.. وعن الوردة إذا كنت لا أشم رائحتها.. وعن الرقى إذا كنت أعيش عصور الانحطاط.

لا يمكننى تجميل وطن ما عاد جميلاً.. فأنا لست طبيباً من أطباء التجميل أو منشداً فى الكورس الجماعى.

أنا شاهد على عصرى، ورسام انطباعى يرى الأشياء بحجمها الطبيعى، وألوانها الطبيعية، ولايضع اللون الوردى مكان اللون الأسود.

فى عصر الهزائم والسقوط والتشرذم والتفكك و(الهرولة) لا مكان لعنترة بن شداد.. وأبى زيد الهلالى.. وعقبة بن نافع.

هؤلاء الأبطال كانوا أبطالاً فى وقتهم.

أما فى زمن تنكيس الرايات واستقالة السيوف.. وموت الصهيل.. فإن كل قصائد الفخر التى نقولها لا تساوى مليماً واحداً.

البيت الملغوم

□ □ فإذا ما عقد العرب صلحهم مع إسرائيل، وإذا انخرط

العرب - جميعاً - فى مشاريع لتنمية المنطقة بالمشاركة مع إسرائيل، وإذا ما تغيرت لغة العرب فى الحديث عن أزلية الصراع وتاريخيته، فماذا أنت فاعل؟

□ قبل أن تسألنى ماذا سأفعل؟.. اسأل الإسرائيليين ماذا يريدون - بالضبط - من بلادى ومنى ومن مستقبل أولادى؟

إذا كان الإسرائيليون يريدون أن يعيشوا مع العرب وبينهم، كما كانوا يعيشون فى ظل الدولة الإسلامية فى يثرب، وغرناطة، وقرطبة، وطليطلة، والمغرب العربى، والقاهرة، وبغداد، ودمشق، أى مواطنين فى مجتمع ديمقراطى تتساوى فيه كل الديانات والعقائد.. ويتساوى فيه المواطنون فى حقوقهم المدنية وواجباتهم.. فأهلاً وسهلاً بهم.

أما إذا كانوا يريدون أن يحتفظوا بترسانتهم النووية كما هى.. وبمستعمراتهم كما هى.. وبفكرهم البوليسى كما هو.. فهذا يعنى أنهم لم يتخلوا عن أحلامهم التوسعية وفكرهم التوراتى.

أما مؤتمرات التنمية، والترويج لفكرة السوق الشرق أوسطية، والاهتمام بالتجارة والاقتصاد والاستثمارات.. قبل الاهتمام بالمسألة القومية، وبمصير الأرض التى لاتزال مرتهنة لدى الإسرائيليين.. فيشبه وضع العربة قبل الحصان.

إننى أعتقد أن فكرة السلام العادل والشامل والدائم لم تنضج - بعد - فى الفكر الإسرائيلى. ومالم يقتنع الإسرائيليون بأننا جيرانهم، وأبناء عمومتهم، وأننا من سلالات إبراهيم عليه السلام، فإن الحياة معهم فى بيت ملغوم فى كل أركانه بالمتفجرات.. لن تكون حياة سعيدة أو ممكنة.

□ □ **(متى يعلنون وفاة العرب)، توقف البعض عندها بوصفها هزمت الشعور القومى وحاولت إصابته فى مقتل.**

هل حددت - قصداً - ملامح دورك فى أن تطلع على الناس كل عقد أو عقدين، لتضرب شموخهم، وتحطم كبرياءهم الوطنى أو القومى ؟

□ مرة أخرى، أنت تعود لتتكلم بلغة عنترة بن شداد.

ومرة أخرى أقول لك، إننى لا أفتعل التعبير ولا أتقصده.. فأنا أرى، وأسمع، وأحس بكل ما يجرى حولى.

إن سرادق الموت العربى منصوب فى كل مكان.. والقرآن يتلى.. والمعزون يجلسون بصمت.

فكيف يمكننى أن أكتم خبر الموت. وكل الجرائد والإذاعات، ومحطات التليفزيون نقلته على الأقمار الصناعية.

إن موت الأنظمة - ولا أقول موت الشعوب - حادثة لا يمكن التستر عليها.. كما لا يمكنك إخفاء جثة فى خزانة ملابسك؟!

□ □ **أعرف - مسبقاً - أنك ستحدثنى عن روح القبلية السياسية العربية، وعن تخلف الواقع عن طموحاتك وأحلامك، وعن العجز السياسى والاجتماعى فى عالمنا العربى..**

ولكن هل تكفى هذه العناصر لتكون مسوغات نعترف فيها - جميعاً وطواعية عبر قصيدتك - بوفاتنا؟

□ وفاتكم تحزننى.. ولكننى لا أستطيع أن أترككم فى الثلاجة، دون أن أكتب فيكم قصيدة رثاء.. تليق بسيرتكم غير العطرة، وأنانيتكم، ونرجسيتكم، وديكتاتوريتكم التى لا تغرب عنها الشمس.

على كل أنا لا أجد نفسى مضطراً للاعتذار لأحد عن قصيدتى التراجيدية.. ولكن العناصر التى ذكرتها فى سؤالك تكفى فى نظرى لقتل ديناصور.

إن الموت هو الحادثة الوحيدة التى لا يشعر فيها الميت بالعيب.

□ □ **أستاذ نزار.. أمتك - هذه - التي طالما غنيت لها، وغنيت عنها والتى رددت أشعارك. وحفظتها عن ظهر قلب.. أتراها تستحق أن تقبع فى مكانها فى انتظار إعلان الوفاة ؟**

□ صيغة سؤالك، تذكرنى بما كان يقوله الرئيس أنور السادات عن معارضيه من السياسيين والصحفيين.

كان يقول عنهم: (دول بيشتموا مصر).. (دول بيخونوا مصر).. (دول بيتآمروا على مصر).. فى الخارج..

وحقيقة الأمر أن السادات كان لايفرق بينه كحاكم، وبين مصر المحكومة، فهو أبو المصريين جميعاً.. وغير مسموح للأولاد أن يخرجوا على طاعة أبيهم.

وفى تاريخى الشعرى، خلط ناقدون كثيرون - وأنت واحد منهم - بين العرب، وبين من يحكمون العرب.

ولأن الشعب العربى مغلوب على أمره.. ولا يحل ولا يربط، ويذهب إلى صناديق الاقتراع لينتخب بنسبة ٩٩,٩٩٪ إلهاً واحداً لمدى الحياة.. فإننى لا أسمح لنفسى أن أشتم شعباً خرجت من حاراته الشعبية، ومن مواويله البلدية، ومن أعراسه ودموعه وأحزانه.

□ □ **مازال الموقف النقدى من قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب؟) فى إطار الاشتباك السياسى، من دون التوقف النقدى الفنى أمامها، وبالطبع لا أتوقع أن تكون منتظراً نقداً**

فنيا لقصيدة مقاتلة. ماهى فى رأيك حصيلة كل النقد الذى جوبهت به هذه القصيدة؟

□ حصيلة النقد لقصيدتى (متى يعلنون وفاة العرب؟) أنها سقطت بين أيدى القبائل فاغتصبوها كل واحد على طريقته، واحد أخذ خواتمها.. وواحد سرق أساورها.. وواحد استولى على محفظتها.. وآخرون جردوها من ثيابها، وباعوها بالمزاد العلنى لقاء الحصول على بعض الدولارات وقليل من الشهرة.

وهكذا تقع كل قصائدى المثيرة للجدل بين تجار البيع بالجملة.. وبين أيدى المرتزقة.. وتجار الشنطة.

أما البحث عن بناء القصيدة، وصياغتها، وقيمها الجمالية، فأشياء غير معروفة فى سوق البورصة للثقافة العربية.

ردح نقدى!

□ □ يظنك البعض قد أسقطت من قضيتك الفنية والشخصية على قضية الوطن وقضية الأمة، فحين كان الموضوع ينبغى أن يكون (متى يعلنون وفاة الشعر؟) باعتبارنا فى زمن داست فيه الرواية كل الأبيات، وجدناك تطرح (متى يعلنون وفاة العرب) فى إطار تصورت فيه أن الآخرين داسوا كل مقدرات الأمة أو قدرتها على النهوض.. فانظر ماذا ترى؟

□ لا أشغل نفسى كثيراً فى قراءة هذا (الردح النقدى) الذى ينشر عنى، فى الصحف والمجلات الأسبوعية العربية، بل أفضل أن أشتغل على كتابة قصيدة جديدة.

صحافتنا بحاجة - دائماً - إلى فريسة تملأ بها معدتها - وياطالماملأت معدة الصحافة العربية، وأسكتُّ جوعها.. بأخبارى التى لا تنتهى، حتى مللت من سماع أخبارى ورؤية تصاويرى.

وأنا متفق معك، فى أن أقلام تجار النقد، ومرتزقته حولت تاريخى الشعرى إلى (سوبر ماركت) وجسدى إلى وليمة.

□ □ تسود الساحة الثقافية والفكرية العربية اليوم روح تكفيرية لافتة.. وإذا كنت - وكنا معك ندين التكفير العربى أو القومى لكاتب من حجمك، أولا ترى أنك أيضاً فى (متى يعلنون وفاة العرب؟) كنت تطرح فكراً تكفيرياً ضد العروبة.. يكفرهم فى إيمانهم بالعصر أو ارتباطهم به، ويكفر أحلامهم فى أن يكونوا رقماً صحيحاً فى عالم اليوم؟

□ يؤسفنى أن أقول لك إن رؤيتك لقصيدتى مشوشة، وتحليلك غير دقيق!!

فأولاً: أنا لم أكفر العرب، وإنما هم الذين كفروا بأنفسهم.. وخانوا تاريخهم. واستعذبوا الهوان والهزيمة والغيبوية.

وثانياً: أنا لم أقطع علاقة العرب بالعصر.. إذ لا علاقة لهم بعصرهم الذين يعيشون فيه مطلقاً، إنهم فئة جديدة من أهل الكهف. لا تشعر بحركة التاريخ.. ولا بإيقاع الحياة.

وثالثاً: أنا لم أمنع العرب من أن يحلموا.. بل على العكس أنا أصرخ فى وجوههم حتى يفكروا.. ويحلموا.. ويغامروا.. ويبحروا إلى شواطىء المستحيل.. قبل أن يتحولوا إلى كوم من الحجارة.

□ □ أيضاً عن (متى يعلنون وفاة العرب؟) هل ترى أن السخط الذى قوبلت به كان سخطاً نقدياً أم جماهيرياً؟

□ لاهذا ولا ذاك.. فالقصيدة شقت طريقها إلى الجماهير العربية، واستقبلت بحفاوة فى كل مكان.

وهذا دليل على أن الموتى يعشقون الشعر، ويرقصون على إيقاعاته الجميلة!

□ □ ولماذا آثرت أن تكتب بنفسك شهادة وفاة العرب، ولم تدع غيرك يكتبها؟

□ بما أننى الناطق الرسمى بلسان مئتى مليون عربى عاطفياً وسياسياً.. فقد كلفونى أن أكتب هذه الشهادة!!

ضريبة التوتر!

□ □ يتأمل البعض وجودك الدائم خارج الوطن.. ويرونه نفياً اختيارياً، أو نفياً بإرادتك.. هل هذا النفى رفض للوطن؟

□ فى مثل سنى أعتقد أنه من حقى أن أختار مكان إقامتى، وطريقة حياتى. إننى حين أفعل هذا لا أرفض الوطن، ولكننى أعطيه الوقت الكافى، حتى يشتاق لى.. وأشتاق إليه.

الالتصاق الدائم بالوطن، أو بالمرأة، ليس ضرورياً، وليس صحيحاً فالمسافة بيننا وبين من نحبهم، هامة جداً، حتى تبقى المشاعر طازجة، والشوق مشتعلاً.. والشعر ممكناً.

إن ألوف المبدعين فى العالم، من شعراء، وقصاصين، ورسامين، وموسيقيين.. اكتشفوا عبقرية المسافة بينهم وبين أوطانهم، فتحول المنفى عندهم إلى جنة تجرى من تحتها أنهار الإبداع.

الوطن قمر يزداد استنارة، وجمالاً وبريقاً، كلما نظرنا إليه من بعيد.

□ □ يسقط شعراء وأدباء ومفكرون مضرجين بدمائهم، تحت وطأة الجماعات الدينية المتطرفة، كما تختنق الكلمات فى صدور مبدعين، وأفكار فى رؤوس مثقفين، تحت وطأة إرهاب

سلطات سياسية متطرفة أيضا.. أى إنتاج إبداعى يمكن أن ينشأ بين شقى هذه الرحى؟

□ ليس هناك جديد تحت شمس القهر، والتطرف بكل أشكالها السياسية والدينية والثقافية. حتى الأنبياء والقدّيسين لم ينجوا من أذى التعصب والعذاب والصلب. ابتداء بالسيد المسيح، ونبينا محمد بن عبد الله، وصولاً إلى سقراط.. والحلاج.

إنها ضريبة قديمة، يدفعها كل من يفكرون بالتغيير.. أو بالتنوير، أو بخض عقول حجرية، ومجتمعات ترفض أن تتغير.

يعنى أن التصادم أزلى بين النار وبين الماء.. بين الوردة وبين الحجر.. بين سنبلة القمح وبين المنجل.

وبرغم هذا السيف المسلط فوق رقابهم، سيظل الكتاب يكتبون.. والشعراء يغنون، والمفكرون يفكرون.. والعشاق يعشقون.. إذ ليس من خيار ثالث أمامهم.

□ □ آلية العلاقة بين السلطة والكلمة.. كيف تصفها فى هذا الزمان؟

□ إنها علاقة لا وصف لها، لأنها أقرب إلى علاقة السيف بالجسد، وحبل المشنقة بالرقبة.. والبلدوزر بالحصى.

ومادام السلطان لا يتخلى عن سلطته.. والكلمات لا تتخلى عن سلطتها. فلابد لصراع السلطات أن يستمر إلى الأبد..

□ □ فى دوائر السياسة، وفى مقاهى المثقفين.. هل تبصر اليوم قوى حية وفعالة، قادرة على صياغة واقع ديمقراطى جديد فى عالمنا.

□ يؤسفنى أن أقول إن الرؤية مضطربة، والأفق رمادى. فدوائر السياسة تكرر خطابها النرجسى.. والبوليسى.. والأتوقراطى.

ومقاهى المثقفين.. تعيد إنتاج ثرثرتها، وجدلها البيزنطى.

لم يبق سوى المدارس والجامعات، فهى التربة الواعدة التى يمكن أن تخرج منها وردة الديمقراطية.

□ □ (حقوق الإنسان) و (المجتمع المدنى) و (الليبرالية) كلمات ثلاث تلوكها الأفواه فى كل مكان فى العالم العربى.

هل تعتقد أنها كلمات نافذة إلى الجمهور فكراً ووجداناً.. وهى تعبر عن احتياج داخلى حقيقى، لدى كل الناس؟

□ أعجبنى فى سؤالك كلمة (تلوكها الأفواه).

فنحن نلوك الكلمات الكبيرة.. كاللبان.. ولكننا لا نبلعها، ولا نبصقها.

إننا نمضغ اللغة، والبلاغة، والشعارات، والحكم، والكلمات المأثورة. كما يفعل الجمل الصحراوى.

وتسألنى ـ بعد ذلك ـ هل كلمات مثل الليبرالية، وحقوق



د. عمرو عبد السميع لنزار قبانى : هذا حوار مزيكا يأستاذ نزار، جاء من كل الطبقات وجاء عزفُك فيه بإتقان ولعب كبيرين



نزار قبانى وخلفه صورة ابنه عمر، فى حوار ساخن حيث يتحدث بطفولة وحنكة وعفوية وعن تجربة شعرية واسعة ومختلفة ولها أساسٌ كبير فى الشعرية العربية الحديثة.

الإنسان، والحرية، هى احتياج حقيقى لكل الناس؟

طبعا هى حاجة حقيقية، ولكن من كثرة ما مضغوا أمامنا الكلمات الجميلة والرنانة والموزونة، والمقفاة.. أصبحنا لا نفرق بين الحرية.. وبين (التشيكلتس)!!

□□ كيف يمكن أن تتغنى بديمقراطية الكلمة، بينما تمارس عبر قصيدتك من أشكال الديكتاتورية الفنية والإبداعية مالا تعترف بغير سواه ؟

□ هذا تحقيق بوليسى معى.. وليس حواراً.. فأنا لا أعرف كيف يمكن لقصيدة أن تمارس الديكتاتورية؟

إننى ألقى شعرى على ألوف المستمعين، فى كل العواصم العربية، فهل أرغمتهم بقوة السلاح على سماع شعرى، وهل حملتهم فى اللوريات حتى ينتخبونى الشاعر الأوحد؟

ثم من قال لك إننى لا أعترف بشاعر سواى؟ هل شكا لك أحد الشعراء همه من طغيانى وديكتاتوريتى؟!

إننى أتساءل: من عند أى منجم مغربى تشترى هذه الوصفات الصحفية التى انتهى مفعولها؟!!!..

عن الشعر نفسه!!

□□ هل ترى لقصيدة النثر شرعية أدبية فى عالمنا العربى؟

□ لست أنا الذى يمنح الشرعية لأية صرعة أدبية جديدة. بل قراء الشعر ومتذوقوه هم الذين يصدرون القرار.

□□ لماذا تبدو مهاجماً بقسوة لشعر الحداثة. وهل تفعل ذلك مخافة أن يهز مكانة قصيدتك أو سلطتها الصوتية؟

□ لقد أسست جمهورية للشعر تمتد من الماء إلى الماء.. ولم يعد هناك شىء أخاف منه، ولمعلوماتك أقول إن الشعب العربى بذوقه الأصيل، وحساسيته المدهشة، هو الذى يختار شعراءه.. وليس هناك شعراء يخرجون بالمصادفة من الصندوق كأوراق اليانصيب.

□□ هل تستطيع أن تقول إن قصيدة التفعيلة التى تتبناها قادرة على الصمود، وعلى أن تكون معبرة عن زمن جديد؟

□ أنا لا أتبنى أى شكل من أشكال الشعر، وأعتبره سرمدياً، وإننى أكتب بحرية مطلقة، وأتحرك على الورقة كما تتحرك الريح.

أما صمود القصيدة، فلا علاقة له بزمن كتابتها، وشكل كتابتها.. بل له علاقة بشعريتها. فقصائد المتنبى رغم مرور أكثر من ألف عام عليها لا تزال طازجة، وباخرة، ومتداولة على ألسنة الناس.

أما قصائد الحداثة، فلا تجد من يتداولها فى أية سوق من أسواق البورصة فى العالم العربى.

□□ إذا لم تكن عبر قصائدك قد ربيت أجيالاً لخمسين عاماً مضت قادرة على التصدى وعلى نسج الحلم الجميل، فإن ذلك لابد أن يدفعك إلى التساؤل عن الخطأ فى شعرك، والخطأ فى أفكارك.. هل فكرت بهذه الطريقة؟

□ أنا عصفور يغنى لهذه الأمة.. ولست مجلس السوفييت الأعلى أو مجلس الكونجرس، أو مجلس قيادة الثورة.

ولكن الذين يخطئون هم الذين ينتفون ريش العصافير، ويقتلعون حناجرها.

طائر السنونو لا يصنع وحده ربيعاً.. كما يقولون.

والشعر لا يستطيع أن يقف وحده فى وجه البشاعة، والقمع، والتلوث، ومصادرة الأفكار، ومصادرة الأعمار.

والقصيدة وحدها، لا يمكنها أن تنقض على الجاهلية فتحولها خلال لحظات، إلى فردوس ثقافى، وتدخلها إلى عصر النهضة.

□□ أين أنت من خارطة المسرح الشعرى فى عالمنا العربى؟

□ المسرح الشعرى تجربة لم أفكر يوماً من الأيام فى دخولها، وهذا المسرح إلى انحسار حتى فى أوروبا، لأنه يعتمد لغة عالية فى تأليفها وجمالياتها، لا تستطيع - فى أكثر الأحيان -

ملامسة الوجدان الشعبي، فالشعب في كل مكان يريد مسرحاً يتكلم لغته، ويعكس همومه اليومية البسيطة.. يريد مسرحاً يشبهه.

وأنا شخصياً - مع المسرح المكتوب باللغة العامية، لأنه مسرح طبيعي، وعفوي، ولا افتعال فيه.

□□ المرأة كائن افتراضي يسيطر على كتاباتك الشعرية.. لماذا؟

وأيضاً هل يمكن أن تقنعنا بحداثة التجربة العاطفية لديك والتي تجعلك تفرد بحب امرأة.. وعشق امرأة.. والتغزل في امرأة ؟

□ أود أن أصحح قولك إن المرأة كائن افتراضي.. لأن المرأة في حياتنا، جزء من أنفاسنا، وأعصابنا، وتفكيرنا، ودورتنا الدموية.. أنا لا أفترض النساء، ياعزيزي الدكتور، ولكنني أعشقهن.. وأعجنهن بجلدي، ولحمي، ولغتي، وحروفي.

ثم لا أفهم معنى سؤالك عن حداثة التجربة العاطفية.. فهل تعتقد أن الحب هو موضة تتغير كل عام.

ليس هنالك - ياعزيزي - حب قديم، وحب حديث، وإنما هناك حب واحد يشترك فيه قيس بن الملوح، وجميل بثينة، وفالنتينو، ونزار قباني!!

□□ ما حكايتك مع مصر.. ما حكايتك مع القاهرة:

قررت ثم عدلت أن تستقر بها في الثمانينيات.

حضرت في معرضها للكتاب واحتضنك الناس بحرارة بالغة، ثم اعتذرت في العام الماضي رغم إلحاح المسئولين والمثقفين.

كيف تنظر للقاهرة؟ هل بوصفها رقماً في حرب العواصم الثقافية في عالمنا العربي؟

هل بوصفها مقراً ومستقراً لبعض العناصر التي احترفت الهجوم على كلماتك.

هل بوصفها العاصمة التي لا تقدر على إغداق الذهب على الشعراء؟ كما أنها العاصمة التي لا يتسلطن أويستوزر فيها شاعر؟

.. بصراحة أكثر هل احتجبت عن القاهرة، أم احتجبت عنك ؟ وهل كان موقفك وليد فكرة، أو مبدأ، أو مصلحة؟

□ أنت في سؤالك هذا، تشبه العزول، الذي يحاول ليلاً ونهاراً، الإيقاع بين عاشقين.. فكل ما تقوله - ياعزيزي - أوهام في أوهام.

فعلاقتي مع مصر سمن وعسل.. وحكايتي مع (بهية) و (عيون بهية) معروفة ومشهورة، ومبثوثة على جميع الأقنية، والأقمار الصناعية علمتني الزهو القومي، ومصر الستينيات أطلقتني كوكباً في تاريخ القصيدة المغناة. ومصر الثمانينيات لاتزال تسأل عني، وتتابع أخباري الشعرية كأنني واحد من أبنائها.

أما قضايا الإقامة والرحيل، فهي جزء من قدر الشاعر، فلا هو يعرف متى يبحر، ولا أين ترسو سفينته.

أما قراءة الشعر في معرض الكتاب، فليست خدمة عسكرية أنفذها كل عام.. إنني لا أحب أن أحول قصائدي إلى عادات.. حتى تبقى علاقتي مع الجمهور دائماً طازجة ومسكونة بالدهشة.. وهذا قرار اتخذته من زمان.

أما عن الذهب، فهو.. كما تعلم .. لا يشكل هماً من همومي.. إن ثروتي الوحيدة هي قصائدي وجماهيريتي.. ولو كنت ممن يقفون على أبواب الخلفاء والسلاطين.. لكنت.. الآن أغنى من أوناسيس، وأغاخان، وملكة بريطانيا.

إن مصر - عندي - سبيكة من الذهب.. لا أبادلها بكل ما في خزائن الدنيا من سبائك.

ذهب مصر موجود في ترابها العنبري، في نيلها العظيم، في ترعها وكباريها، في أشجار قطنها، في أصوات مؤذنيها، وعرق فلاحيها، والكحل الذي يمطر من عيون نسائها..

هذه هي إفادتي عن عشقي المصري - وعليها توقيعي.



نزار قباني للدكتور عمرو عبد السميع : أرجو ألاَّ تحذف شيئاً، فكل ما قلته معبر عني، حتى ما جاء في لحظات غضبي أثناء الحوار، وانفعالي من بعض أسئلتك



«بالأمس كنت كبيرا بالشعب المصرى»

هكذا بدأ نزار قبانى حديثه صبيحة ليلته التى أقيمت فى إطار معرض القاهرة الدولى للكتاب.

(ويضيف نزار معقبا على أول أمسية شعرية له فى القاهرة منذ خمسة عشر عاما):

ما جرى أمس كان امتحانا للشعر وللشاعر، فهناك مقولة تردد أن الشعر قد انتهى أمره فى هذا العصر، وأن الشاعر لا يمكن أن يحيا فى عصر التكنولوجيا والكمبيوتر وحرب النجوم، ولكن الأمسية كذّبت هذه المقولات جميعا، وأثبتت أن الكلمة الصادقة التى لا تلعب على الحبال، ولا تنافق أية سلطة من السلطات وأى سلطان من السلاطين تربح الجولة.

الشعب المصرى أثبت - مرة أخرى - أنه مرهف الحساسية بشكل هائل، وأنه متحضر بشكل كبير، وأن مشاعره القومية محتشدة بشكل لافت للنظر. وسواء بشعر الحب أو بشعر السياسة، كان الناس يتجاوبون معى - تماما على كل الموجات.



لم يكونوا فى حالة (غيبوبة) فأنا ضد الغيبوبات، ولكنهم كانوا فى حالة (يقظة) شعرية.

تحولت القاعة - بعد الدقائق الخمس الأولى - إلى رماد مشتعل وقد احترقت واحترق الجمهور معى، وكان أجمل حريق أشعلته منذ عشرات السنين ياشباب مصر... أنتم مدهشون، كنتم كشفا حقيقيا لى، لم أكن أتصور أن مثل هؤلاء الشباب يحمل هذا العشق للشعر وللشاعر.

يملؤهم الإحساس القومى النظيف وبدا لى أن ما ألقيته من شعر سياسى قابل إجماعا عليه وهذا دليل عافية لمصر، يثبت أن كل ما قيل عن انتماءاتها يتكسر على أقدام هذا الجيل القومى الطالع الذى يؤمن بمصريته، ويؤمن بقوميته العربية.

فى شئون السياسة !

○ فى قصيدتك (يوميات كلب مثقف) لمست حدود العلاقة بين المثقف والسلطة وهو موضوع تروح وتجئ عليه فى أزمنة مختلفة، ما العناصر التى جدّت على إشكالية هذه العلاقة فى وطننا العربى ؟

●● العلاقة مريضة بين السلطة والكتّاب، وهى علاقة سيئة منذ الأزل، فطالما هناك حاكم يريد أن ينفرد بالسلطة، وطالما هناك أديب أو كاتب يريد أن ينازعه أو يناقشه فى شرعية هذه السلطة فالصراع قائم.

هذا الصراع يجب أن يستمر لمصلحة الشعب، ولمصلحة الفكر، ولكن - مع الأسف - ليس هناك الآن مثقف شاهر سيفه، ومستعد للوصول بكتابته إلى درجة الاستشهاد.

أنا شخصيا أؤمن أن الكتابة استشهاد على الورق، وأن الكاتب الذى يريد وثيقة ضمان على روحه من بطش السلطان خير له أن يستقيل.

المشكلة أنه ليس هناك من يستقيل من الكتابة، كل منهم يظن أنه المقروء برغم أن الشعب العربى أذكى مما يتصورون فهذا الشعب يراقب سجل الأديب وتاريخ حياته ويراقب مواقفه وتذبذبات هذه المواقف، **ثم يدخله الجنة أو يدخله النار وأغلب كتاب العالم العربى يجب أن يدخلوا النار !!**

كتاب وشعراء لم يتصرفوا بوجدان أمة، وهل يمكن أن يكون الشاعر أو الكاتب إلا وجدانا لأمته. الآن الكاتب أو الشاعر يتبع مبدأ التقية فيخاف على نفسه وعلى وجوده، ومصدر عيشه وزوجته وأولاده.

○ أنت متهم بأنك أدخلت لغة الشارع إلى لغة الشعر.. هل يحسب لك هذا أم عليك ؟

●● هذا يحسب لى بالطبع، فما هو الشعر ؟

الشعر هو فن الملامسة للآخرين، وهو جسر نمشى عليه للوصول إلى الآخرين، ما قيمة الشعر إذا بقى على الضفة الأولى، ولم ينتقل إلى ضفة الناس والجماهير.

قدر اللوحة أن تُرى !

قدر القطعة الموسيقية أن تُسمع !

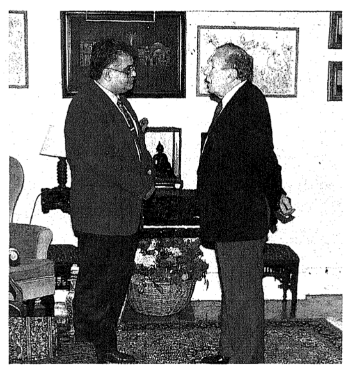
وقدر القصيدة أن تفهم وأن تسمع وأن تذهب إلى نهايتها وأن تفتح طريقها فى لحم الناس وأعصابهم وإدراكهم، أن تضئ الدروب !

لا أفهم أن أكتب قصيدة يقرأها عشرة أشخاص، وظيفتى أن أغيِّر العالم، وبدون هذا العمل (التغيرى) لا يوجد شعر، إن الذين يقرأوننى يتراوحون بين حامل الدكتوراه وأصغر خادمة فى الوطن العربى، وأنا لا أفهم هؤلاء الشعراء الذين يقولون إن الشعر المفهوم هو شعر مباشر لا أهمية له، حسبى أننى أكتب لعصرى وهمومه التى أسجلها شعرا.

لا أريد أن أكتب لأفلاطون أو أينشتاين، فحسبى إننى أكتب لأهل الحارة وأشاركهم همومهم وحياتهم، أنا لا أريد الذهاب إلى أوروبا أو الحصول على جائزة نوبل، الجائزة الكبرى التى أريد أن أحصل عليها هى الوصول إلى القارئ العربى.

○ هل تعتبر أن تكرار مفردات معينة وصور عند أى شاعر هو إضافة بمنطق (الأسلوب ـ المدرسة ـ الطريقة).. أم نقص بمنطق (مخاطبة الجمهور ـ الربح ـ الاستهلاك)؟

●● إذا عرفنا أن لغة شكسبير التى استعملها فى كل مسرحياته لم تتجاوز الألف ومائتى كلمة، عرفنا أن الشاعر يخلق لنفسه قاموسا يستعمله فهذه المفردات ليست ملابس أخلعها على قارعة الطريق لأبقى عاريا، لا أنا فى كل مجموعاتى الشعرية أستخدم حوالى ألف كلمة ولكن ليست الكلمة هى الأهم، فالأهم هو الخلطة الشعرية أو التوليفة، أن تعرف كيف تمزج وكيف تلتقط الكلمات الأكثر حياة، أية كلمة تمر بى، وأرى أنها قادرة على النفاذ والاختراق، ولو لم تكن



عربية قاموسية أستخدمها، فالقاموس ليس ضريحا أقف عليه وأطلب إذنه، ليست هناك تأشيرات دخول للجماهير من أضرحة قواميس اللغة !!

ابنتى لا تقول إنها ذاهبة لتشترى «ثوبا» ولكنها تقول «فستان» ولذلك استعملت كلمة فساتين فى قصيدة (أيظن)، أنا مع لغة ابنتى لأنها اللغة الحقيقية !

أنا أؤمن أن اللغة يصنعها الشعراء لا اللغويون، اللغات الحية يصنعها الشعراء لأنهم أكثر جرأة على اللغة وهم مستسلمون لحرياتهم، واللغة حرية لأنها من صنعنا وكل شئ فيها مباح.

○ فوضى إذن ؟!

●● فليكن.. الفوضى تصحح نفسها، ولكن الموت لايصحح نفسه، الموت يبقى موتا !

○ لماذا لم تحاول المسرح الشعرى؟ هل لعشق خاص يجمعك والقصيدة ؟

●● كنت أتمنى، فقد تعبت من التحدث بصوت واحد، كان يسعدنى أن أتحدث بأكثر من صوت، قد أكون متهيبا للتجربة، لأننى أعتبر نفسى شاعرا ناجحا فى القصيدة، ولاأريد أن أمتهن مهنة أخرى يمكن أن أكون فيها مسرحيا من الدرجة الثالثة أو الرابعة، وأنا أريد دائما أن أكون الأول.

فى شئون المرأة !

○ (المرأة) تلك المتربعة على عرش أشعارك هل عادت نفس المرأة، أم أن إحباطات السياسة ومصارع الرجال قد شكلت منها معنى جديدا عندك ؟

●● المرأة فى شعرى لم تعد المرأة، وأفكارى عن المرأة لم تعد ذات الأفكار، السياسة دخلت بينى وبين المرأة، لا يمكن أن أجلس فى كافتيريا مع حبيبتى دون أن يكون بين فنجان قهوتى وفنجان قهوتها شئ اسمه السياسة، نحن نشرب سياسة، نأكل سياسة، أنا أقول إن موضوع المرأة صغير، ففكرتى أن المرأة هى من أكبر الموضوعات التى يجب علينا كأدباء أن نتفرغ لها، ولتحريرها، فالمرأة فى حياتنا هى أرض مستعمرة، لابد من تحريرها، لابد من زرع الألغام فيها حتى تتفجر وتتفجر كل الخرافات من حولها.

○ والجنس فى شعرك كان تحديا صارخا للمجتمع العربى فى الخمسينيات والستينيات.. هل تعتقد أن له نفس الثقل الآن فى ظل تغير قيمى واجتماعى شامل شهده مجتمعنا ؟

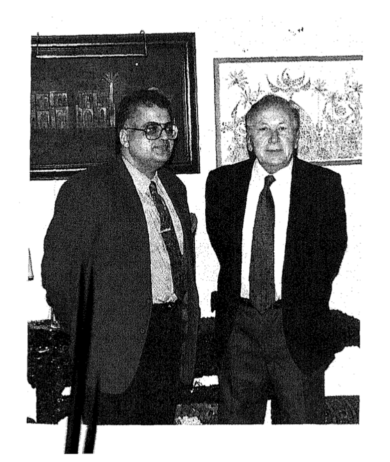
●● طبعا الجنس هو صراعنا التاريخى، أعتبره الهاجس اليومى الذى يلفنا ليلاً ونهارا، هو هذا الكابوس الذى يعيش معنا فى كل مكان.

كان لابد من إنهاء الكابوس ليس بالهروب منه، ولكن بمواجهته بالسلاح الأبيض وجها لوجه، قيل عنى إننى شاعر الفظائع وشاعر الجنس، وهذا لا أسأل عنه، فأنا أعتبر جسد المرأة قلعة محاصرة لابد من اقتحامها وتحرير السجينات الأبديات الموجودات فيها، فطالما بقى جسد المرأة محبوسا ومختوما عليه بالشمع الأحمر فلا حرية سياسية !!

أؤمن بالأولويات.. بتحرر جسد الإنسان، يتحرر الوطن، اعطنى امرأة ورجلا متحررا أعطك أرضا أو وطنا متحررا، وليست المرأة فقط هى التى يجب أن تتحرر، ولكن الرجل أيضا، لأن كل عبودية المرأة مصدرها إقطاع الرجل وديكتاتوريته.

مثقفونا ـ فى علاقتهم بالمرأة ـ لا يزال يختبئ داخلهم أبوزيد الهلالى بشواربه ولحيته وسيفه المسحوب !!

المرأة ذبيحة فى عالمنا العربى، تباع بالكيلو وتشترى بالكيلو، لا يزال الرجل مصرًا على أن يئد المرأة فكريا، لأنه ورث إقطاعات كثيرة، يملك الأرض، وما على الأرض من الشجر والحجر والبشر والنساء، ومن الصعب عليه ـ طبعا ـ أن يترك هذه الامتيازات التاريخية بسهولة، لذلك كله إذا طلعت شاعرة أو موسيقية أو رسامة أو فنانة أو وزيرة، ترتفع أصوات ذكور القبيلة الذين يريدون أن يظلوا هم الحاكمين، ولذلك لابد من تغيير المعادلة، لا أقبل المرأة «الجارية»، ولا المرأة «المملوكة»، ولا «المحبوسة» فى زنزانات ذكور القبيلة، فأنا أعتبر المرأة ذهنا وجسدا قابلة لأن تؤسس الوطن معى.



٣

هو الآن فى رأى الكثيرين شاعر الشباب العربى. ففى قلب أو ذاكرة أو وجدان أى شاب قد تجد قصيدة لنزار أو بيتا أو حتى كلمة.

لذلك كانت كلماته شديدة الشبه بملامح أى شاب، أو شابة تصادفك على رصيف أية مدينة عربية.

ومن أجل هؤلاء يقول الشاعر إنه أسقط الشعر من على عروشه ليصبح خبزا يوميا للناس. ولتفتح كلماته طريقها إلى إدراك القراء، وتصنع ظاهرة المشاركة.

نزار – اليوم – يرفض أن يتحدث للشباب بالطريقة الكلاسيكية، التى تظهرهم (كطائفة) فى شعب. ولكنه يتحدث إليهم ككل الشعب، قضايا (الكبار) قضايا (الصغار) قضايا (الرجال) قضايا (النساء) بل وحتى قضايا الكهول هى كل قضاياهم !

ونزار اليوم يحمل فى العين والقلب إعجابا غير محدود بالشباب المصرى، الذى احتضن كلماته، والذى عانق أبياته عناقا حارا فكأن حال الشاعر فى القاهرة كان يهتف.. بعد عودته لزيارة مصر : «ما أحلى الرجوع إليها».

○ لمن الدور الثقافى القادم فى العالم العربى ؟

●● لا أعرف أين ستنفجر ينابيع الثقافة فى عالمنا العربى، ولكننى أجزم أنها ستطلع من الأرض التى يسودها مزيد من الحريات، ومزيد من الديمقراطية.

إذ لا يمكن أن تحدث ولادة شعرية أو فكرية فى بلد بوليسى، فالشعر لا يظهر من تحت أقدام رجال الشرطة، ولاالسيافين، وإنما الشعر يظهر – فقط – من الأرض التى تتفجر حرية.

ومع الأسف فإن الصورة الآن مهزوزة، نتلفت إلى العالم العربى حولنا، فنجد الأساس فيه هو ألا يسمح للإنسان بأن يتكلم، أو هو يقطع لسان الإنسان ويخيط شفتيه !

فى مثل هذه الظروف لن ينبت نبات.. لن ينبت نبات. ولذلك، فنحن – معشر الشعراء – نتطلع إلى الأرض التى ستتوافر فيها حرية التعبير، ويوجد فيها الحاكم الذى يرفع القبعة للكلمة الجميلة الصادقة، وعندئذ نقول فى أى أرض ستكون الثقافة العربية القادمة.

○ فى وقت ما حاول البعض استدراجك إلى مقارنات غريبة بين الدور الثقافى للقاهرة، والدور الثقافى لبيروت، ماحقيقة رأيك فى هذا الأمر ؟

●● ويتساءل نزار : أنا ماذا قلت عن دور القاهرة، حتى تثور من حولى كل هذه الضجة الكبرى ؟! لقد كان قولى عن الثقافة المصرية، إنها لم تعد كما كانت بالأربعينيات، وهذا قانون طبيعى فى العالم كله، فلم يعرف التاريخ ثقافة تظل متوهجة إلى أبد الآبدين.

فى الأربعينيات كانت فى القاهرة عبقريات، شكلت جدولا ثقافيا كبيرا وينبوعا من المعرفة نشرب منه جميعاً، كان هناك العقاد وطه حسين والمازنى وكان وكان !

ولا أريد أن أتكلم على صعيد الفكر والشعر فحسب، ولكن أريد أن أتكلم على صعيد الفن كذلك.

كانت أسماء نجيب الريحانى وسيد درويش وأم كلثوم وعبد الوهاب ومحمود مختار نجوما تتلألأ فى سماء مصر.

باختصار كانت القاهرة هى باريس الشرق. فقد هجمت كل هذه العبقريات علينا بعصر واحد.

ولكن ليس عيبا أن نعرف أن للثقافات دورات، وكل ينجز دوره فى تاريخية معينة. ثم يستعد لدورة جديدة فى فترة كمون ثقافى، وظنى أن قاهرة السبعينيات كانت تعيش فترة الكمون الثقافى، ولذا ظهر دور بيروت الذى مالبث أن بدأ فى الانحسار.

لابد أن نعترف بدورات الحياة، فأوروبا فى القرنين ١٨ و ١٩ قدمت زعماء كبارا فى الرسم والشعر والأدب والنحت، ثم الآن،



أين هو الشعر الأوروبى ؟ أو الفن الأوروبى ؟

لم يبق من الموسيقى سوى الديسكو والروك ولم يبق من الأدب سوى الغرق فى بحور الاغتراب العاتية.

○ فى إشراقة ثقافية مصرية جديدة، ضمت الشعراء العرب فى أحضانها، وأنصتت لكلماتهم فى أمسيات معرض الكتاب، ماذا كانت مشاعرك التى استقبلت بها استقبال القاهرة ؟

●● يقول نزار قبانى: لقد وقف الشعراء العرب مبهورين أمام هذا التوهج المصرى المتنوق للشعر والأدب، فحسبه البعض فطيرة عسل، وحسبه البعض فطيرة حرية، والرواية الثانية هى الأصدق والله أعلم !

ما حدث فى ليلتى الشعرية بمعرض الكتاب كان استفتاء جديدا على حب الكلمة واستفتاء جديدا على عروبة مصر وقوميتها.

كنت مبهورا بالشباب المصرى الذى احتشد منه خمسة آلاف، فى قاعة تتسع لألف فقط.

كنت مبهورا بمشاعره القومية الجارفة، وبتجاوبه تماما مع كلماتى، بل لقد قال لى الكثيرون ممن لا أعرفهم «إنك عبرت عما كنا نريد أن نقوله»، من آخر الدنيا، وبالأتوبيس، وعلى الأقدام، جاء هذا الشباب - الأمل - ليبلغنى رسالة تتأجج كلماتها بشعور قومى نبيل.

وبعد فهذه مصر مرة أخرى، ندخلها بغير تصريح، ولا إذن ولا فرمان أميرى، لأن الدخول إلى القلب، لا يحتاج إلى تذاكر دخول، ولأن العودة إلى رحم الأم لا تخضع لإجراءات الأمن والجمارك.

الأصابع العشرة !

○ هل تستطيع الكلمة فى شعرنا العربى أن تتملص من ضغوط يمارسها الحكام على حريتها وصدقها ؟

●● الكتّاب والشعراء العرب - الآن - يتبعون مبدأ التقية، فيخافون على لقمة العيش والأولاد، أصبح الشاعر يقول لنا: «أنا أرجئ المقاومة الآن وحتى إشعار آخر» !.

وأنا ضد هذه الفكرة الإرجائية، فلا يوجد شئ اسمه (غدا) فى الشعر.

وظيفة الشاعر هى أن يضئ الطريق، ويكسر ويحطم الخرافات وأن يقتلع خيام أهل الكهف !

مع الأسف، نقرأ فى العالم العربى المقالات والافتتاحيات ونستمع إلى التعليقات الإذاعية، وكلها تريد (أن تقول ولاتقول) شيئا فى ذات الوقت !

تريد أن ترضى مائة طرف فى آن واحد، ولهذا قلت إن على الكاتب أن يكتب بأصابعه العشرة. أما أن يكتب إنسان ما بإصبع واحد، أو أصبعين ويخبئ بقية أصابعه حتى إشعار آخر فذلك أمر لا يجوز !

○وبكم أصبع تكتب أنت ؟

●● يشرفنى أننى أكتب بأحد عشر أصبعا، فلابد من خلق أصابع جديدة للتعبير، ولشن الهجوم، وخلق وتأسيس الإنسان العربى القادم. فمشكلة المثقف العربى الآن هى مشكلة الأقنعة فكل واحد يلبس لكل عصر قناعا، ولكل حاكم قناعا، ويغير الشعراء سروجهم !

وأخطر ما فى الكتابة أن تغير السرج الذى تركب عليه، يجب أن تركب حصانا واحدا وتقاتل عليه، أما تغيير الملابس، وتغيير الأقنعة، وتغيير المكياج، فهذا كله من صفات الأديب المنافق، وليس من صفات الأديب المواجه الذى يحترف المواجهة !

الكلمة والسلطان !

○ هل يمكن أن يحكم الشعراء مجتمعا ما ؟ وماذا سوف يصنعون لو كانت لدينا فى مكان ما من العالم العربى حكومة من الشعراء ؟

●● أرفض أن يحكم الشاعر، بالرغم من أن عندى أفكارا مؤداها أنه لو حكم الشعراء لصنعوا ألف مدينة فاضلة !

وبالطبع فإن أفكارى هذه تصطدم بطبيعة السياسة العربية الحالية، فلا المتنبى ولا شكسبير ولا أبو تمام ولا أحد يستطيع ألا يصطدم بها إذا فكر فى هذه المدن الفاضلة، لكن أنا أعتقد أنه يجب أن يكون للمثقف أو الشاعر دور ما فى توجيه السلطة.

ماذا يمنع أن يكون الشاعر مستشارا للدولة مثلما كان «أندريه مالرو» وزيرا لثقافة حكومة ديجول ؟!

كان ديجول رجلا مثقفا، وحينما أراد أن يختار، اختار مالرو ونجح هذا الثنائى نجاحا كبيرا.

أريد نموذجا لتعاون السلطة مع الكاتب على هذا النسق. أما الأنساق التى نراها فى بلاط قصور الحكم العربية، فالكلمة فيها لا تنتمى إلا للارتزاق والتكسب.

ويشرفنى أننى أول شاعر عربى ألغى فن الشحاذة من قاموس الشعر، ربما أكون مقروءا أكثر من غيرى، أو أستطيع أن أقف على أقدامى من إيراد كتبى فحسب. ولكنى أيضا أتيحت لى فرص كثيرة للاقتراب من الحكام، وكان بإمكانى أن أتملق، وأقف على أبواب الحكام والملوك خاصة هؤلاء الذين يتمنون صوتا مثل صوتى إلى جانبهم.

ولكننى لم أفعل.. لم أفعل.

وأصبحت فى حالة صدام مع معظم الأنظمة، لأنى لا أقبل على الكلمة أن تزيف نفسها، أو تلبس الأقنعة، أو تشتغل سائسا فى اسطبل السلطان !

تأميم الشعر

○ **أيها الشاعر.. ما هو حلمك ؟!**

●● حلمى كبير جدا، فهناك شاعر يقول : حلمى أن يقرأنى مائة، والبعض يقول: حلمى أن يقرأنى ألف، والبعض الآخر يقول: حلمى أن يقرأنى عشرة آلاف.

وأنا أقول: لن يرتاح لى جفن، حتى يقرأنى ١٥٠ مليون عربى من المحيط للخليج، وحتى أستطيع أن أخاطب أية نحلة أو نخلة أو حجر أو نهر أو شجرة، على امتداد هذا الوطن.

والقارئ الذى يقول إننى لم أفهم نزار، فأنا على استعداد لأن أذهب إليه ـ أينما كان ـ لأعتذر !

فالشاعر الحقيقى هو الذى يصل إلى الناس، بلغتهم، والقصيدة هى أن تشبه الآخرين، فلا الفرزدق يشبه أحدا اليوم، ولا ابن الرومى ولا الحطيئة.

كان درس الأدب العربى رعبا يعيشه الطلبة من الشباب، فجئنا لندخل بهم عصرا يتفاعل فيه الناس مع الشعر.

لقد أسقطت الشعر من الطابق المائة، وأنزلته إلى الكافيتريا ليختلط مع الناس.

أنا ألتقط الشعر من أفواه الناس، وأعيده إليهم خبزا يوميا بمتناول الجميع ـ حتى ـ بدون أن يدفعوا الثمن.

أنا أعتقد أن هذا هو الشعر، فكل شاعر يقدر على صناعة الصور الشعرية أما أن يطوع لغة الناس فهذه هى الصعوبة، ولذلك فقد اخترت الطريق الصعب وأممت اللغة لأجعلها حديقة عامة، واللغة الأكاديمية لا تعنينى. فقد أخرجت الشعر من بطون القواميس وطرحته خبزا للناس، وجعلت الشعر ملكا لكل هؤلاء الناس، ولست نادما، لأننى أخذت الثمن، وهو حب كل هؤلاء.

وثنية الغناء

○ **لم نعرف من أشعارك المغناة سوى تلك التى غنتها أصوات نجاة وعبد الحليم وعبد الوهاب، لماذ لم يحاول آخرون ـ على امتداد العالم العربى الكبير ـ تلحين أشعارك أو غناها ؟**

●● أنا السبب !

لأن القصيدة عندى، يجب أن تعطى لمن يستحق أن يغنيها، فهناك ملحنون رديئون جدا، وأنا أريد أن أضمن لقصيدتى من يحفظ لها مستواها.

وتجاربى المغناة كانت ناجحة للغاية، وأفادت شعرى، لأن القارئ العربى يقرأ بأذنيه فـ «قارئة الفنجان» و «أيظن» يسمعها ١٥٠ مليونا، بدلا من خمسين ألفا يقرأونها بين دفتى كتاب.

لذلك أعتقد أن المستقبل يجب أن يكون للقصيدة المغناة، لأن عملية الطباعة بدأت تندثر، والكتاب بدأ يتراجع، وصرنا فى عصر الفيديو والتليفزيون، ولا نعرف كيف سيكون شكل الشعر فى المستقبل، لا أتصور أن الشعر سيقرأ فى المستقبل من على المنبر مثل التخت، وإنما سيسمع فى إطار من الموسيقى والألوان والصور.

سوف يختلط الشعر بالناس ويحرضهم على «المشاركة» ! وسيكسر هذا الشعر الوثنية التى فرضها الشكل التقليدى للغناء. لن تحتجب الكلمة وراء آلات تؤديها بلا انفعال أو اختلاط. فقيمة الغناء الحديث أنه يذهب للجمهور، أما أم كلثوم فكانت تقف على عرشها وتفرض بكل جلال وجمال صوتها على الناس أن يسمعوا، وتفرض عليهم أيضا هذه العبادة الصامتة.

○ **وهل كانت هذه الوثنية تسود أداء أم كلثوم حينما غنت من كلماتك «أصبح عندى الآن بندقية» ؟**

●● ما أقصده بالوثنية، ليس وثنية الغناء، ولكن وثنية الإخراج الفنى، الغناء من على العرش، واقتصار مشاركة الناس على صياحهم «الله... أعد». هذه الأغنية تكون أحلى وأعظم إذا اختلطت بأنفاس الجماهير ولحمها وأعصابها، وإذا نزلت من فوق منبر الوعظ.

عبد الحليم كان خطوة متقدمة جدا، لم ينجح أحد فى الاقتراب من مستواها حتى الآن، من حيث شكل الإخراج الغنائى، عبد الحليم علم الناس فن المشاركة، وأذكر أنه أدى «قارئة الفنجان» أداء مذهلا أشعر كل من يستمع إليه بأنه شارك فى الغناء.

ولذلك كله، فأنا أحلم بقصيدة تخترق الشكل التقليدى الذى تقدم به كل مهرجانات الشعر العربية، من مهرجان (جرش) بالأردن إلى (مربد) إلى غيرها. ففيها يطلع شاعر من القرن العاشر، وينزل ليطلع شاعر من القرن العشرين، بينهما عشرة قرون، واحد يشاركه الناس والآخر لا يشاركه أحد، واحد يلقى قصيدة عمومية، والثانى نثرية والثالث تفعيلية، وتتقطع أعصاب المستمع وهو ينصت لكل هذه القصائد المنبرية، كل شاعر يحمل لنا قصيدة من ألف بيت، ويبدأ بإطلاق الرصاص على المستمعين. انتهى زمان هذه الأشكال لإلقاء الشعر. أتمنى أن يقرأ شعرى ممثل كبير مثلما يؤدى الممثلون الكبار فى إنجلترا وفرنسا أشعار اليوت أو شكسبير.

أتمنى أن يقرأ كلماتى ممثل كمحمود ياسين، صوته جميل، ونبرته غير انفعالية ويؤدى أداء سليما ومضبوطا. أريد أن يشترك معى فنان تشكيلى فى رسم لوحات بخياله تعبر عن كلماتى. أريد - حتى - أن تصاحب أشعارى رقصات مثل الباليه تعبر عن معانيها.

أرفض أن تبقى قراءة الشعر مثل قراءة أوردة الذكر بالشكل الكلاسيكى الرتيب. يجب أن يأخذ الشعر بكل الأسباب الفنية، ويجب أن يخلع الشعر العربى عباءته وكوفيته ونعله، ويلبس ملابس «سبور» !!

بصمات الآخرين !

○ يسود أدب الشبان فى العالم العربى تأثر فاضح بالأشكال الأوروبية والغربية، كيف تنظر لهذه القضية ؟

●● النقل ممنوع ! أنا عربى ولكن لى عين مبصرة، ولى - أيضا - بصيرة، وأنا مفتوح الأبواب على كل الرياح الأربعة، ويجب أن يكون الشاعر مفتوحا يتلقى كل أنواع البث: حتى يكتب شعرا.

أنا لست مثل الشاعر الجاهلى زهير بن أبى سلمى، أختبئ بالخيمة سنة،. ثم أكتب حولية، دون أن أدرى بكل الذى يجرى حول الخيمة، كما أننى ضد النقل الحرفى، حين يركض البعض ليكتبوا قصائد على نسق الشاعر الأوروبى «سان جون بيرس».

فالشاعر الأوروبى له حياته وثقافته، وجذوره الحضارية والدينية، أما نحن فنعيش فى القاهرة، أو دمشق، أو بغداد، وتحتنا أرض تحمل خمسة آلاف سنة من الحضارة.

نحن أكثر ليبرالية، من كل العالم، ولكن ليبراليتنا لها عقل، فالمفروض أن نعرب الأشياء، لا أن ننقلها - هكذا - جملة وكتلة.

أنا ضد كل هذه الأشكال التى تأتينا منقولة دون أن تكون لها صلة بحياتنا أو بثقافتنا.

أنا لست مع الوقوف وإغماض العينين، مثل بعض التقليديين الذين يقولون - مثلا إن نظرية الحداثة فى الشعر هى نظرية صهيونية، هذا كلام فارغ، هناك حداثة عربية، مثل تلك التى أفرزها فى عصر النهضة بمصر: محمد عبده والطهطاوى وطه حسين.

هؤلاء فتحوا عيونهم، وذهبوا إلى فرنسا، وعادوا ليؤلفوا لنا أدب نهضة عربيا تماما! الحداثة الآن يجب أن نكون فيها على علم بهذه الكونية للفكر. والحداثة الآن يجب أن نكون فيها على وعى بأصول فكرنا وتراثنا.

أنا - مثلا - برغم أن ثقافتى فرنسية، وقرأت وأعجبت برامبو، وبودلير، وجارثيا، ولوركا، ولكنهم ذابوا فى وجدانى العربى، وعادت فصيلة دمى عربية، بعد أن أذابتهم فيها. حينما نهضم كل المدارس ونستوعبها، ونعى تراثنا ونتمثله نصبح سادة الموقف وسادة التعبير !

○ كثير من الشعراء الشبان فى الوطن العربى يقولون إنهم يسيرون على نهج نزار أو مدرسته، فهل يسعدك هذا ؟

●● أنا ضد هذا - بدون تردد - أنا لا أؤمن بشعر يحمل بصمات الآخرين. كل شاعر، مطلوب منه أن يكون شيئا جديدا، قماشا جديدا. لا يمكن أن يظهر «متنبى» ثان أو ثالث، أو ثالث عشر.

ولا يمكن أن يظهر «سان جون بيرس» ثالث أو خامس أو خامس عشر. هناك «متنبى» واحد و «طاغور» واحد و «إليوت» واحد ! ومتى ظهرت نسخ أخرى بالكربون، فالنسخة الثانية دائما تكون مزورة !

أهم ما فى شعرى أننى اجتهدت لتكون لى صورى الخصوصية وصوتى وصداى الخصوصيان حتى قال عنى أحد خصومى فى شهادة إنصاف: «لو سقطت ورقة من شعر نزار بدون توقيع فى سيارة أو أتوبيس، فإن أول راكب تقع فى يده هذه الورقة سيحملها على الفور إلى بيت نزار» !!

هوامش على دفتر حب !

○ لماذا تركيزك أخيرا على الشعر السياسى أكثر من شعر الحب ؟

●● تجربتى - الآن - فى الأمسيات الشعرية، حتى أمسية (القاهرة) أثبتت أنه يجب أن يكون هناك تعادل فى تقديم الشعر، ولذا بدأت بشعر الحب، وانتهيت بالسياسة.

ولكن فى بعض البلدان كنت أشعر أن الشعر السياسى، يتفوق، الناس يصفون إليك وأنت تلقى شعر الحب تسامحا، وينتظرون أن تفرغ حتى تنقلهم إلى أتون السياسة.

فى بعض القاعات العربية قرأت قصيدة حب واحدة، وعشرين قصيدة سياسية، لأننى شعرت أن المناخ لا يحتمل شعر الحب ! العصر كله يسير فى هذا الاتجاه، حياتنا غير طبيعية، نحن نعيش على أرض بركانية، تفجرها السياسة، فمن الذى يستطيع ألا يهتم بها ؟ على المقهى نناقش السياسة، فى الطريق نناقش السياسة، فى مدرجات الجامعة نناقش السياسة.

الحب - على احترامى له - يبقى هامشا ضيقا جدا بالنسبة لحضور السياسة الآن. لذلك أنا أرقب الأشياء، وأحس أن كيان الناس كله مضرج بالسياسة، ولابد - حينئذ - أن أكون ابن عصرى، وإلا فاتنى القطار !

○ **ما رسالتك التى تحملها كلماتك الآن لكل فتاة وامرأة عربية ؟**

●● المرأة حرة !

حرة فى ممارسة خياراتها العاطفية وممارسة خياراتها السياسية. ليس هناك فرق، فالرجل يمكن أن يقول أريد هذه المرأة، أو أحب هذه المرأة، وليس عارا أن تقول المرأة أريد هذا الرجل.

ليس هناك عار على المرأة وليس عارا على الرجل، كل محاولة لإجهاض حرية المرأة أو استمرار عبوديتها لإقطاع الرجل هى وقف ضد المنطق وضد الطبيعة.

ولها أقول .. لها أقول :

لا أحلم أن أصبح قيصر

لا.. ولا أحلم أن أستلم العرش

فعرش الشعر أكبر

لا.. ولا حلم أن يمشى أمامى

وورائى صف عسكر

كل ما أرجوه ياسيدتى

أن تحبينى قليلا

لا لشئ

إنما كى أتحضرا

○ **متى تصل المرأة العربية إلى حرية الاختيار ؟**

●● حين يصل شيخ القبيلة إلى رؤية المرأة العربية بكل إمكاناتها، وطموحاتها، وحقوقها.

حين يصل شيخ القبيلة إلى أنه ليس هناك شئ اسمه عقل نسائى، وشئ اسمه عقل رجالى، كما ليس هناك شئ اسمه حق نسائى، وشئ اسمه حق رجالى.

الذى خلق التمييز العنصرى هو الرجل، والرجل كمالك يصعب عليه أن يتخلى عن ملكيته، فلا يوجد من يملك الأرض ومن عليها ثم يتنازل طواعية عن جزء منها للمرأة.

هناك من يقولون ليست هناك شاعرة جيدة، وليست هناك رسامة جيدة، وأن المرأة لا تستطيع أن تعمل كوزيرة عدل، أو كوزيرة ثقافة.. من الذى قال هذا ؟.. إذا كانت الطالبات فى كليات الحقوق وفى الصفوف الأخيرة فى كل لون من ألوان الدراسة يتميزن ويتفوقن.. فكيف يمكن أن تكون المقولات السابقة صحيحة ؟

حينما تتخرج الطالبة تعود للمجتمع مرة أخرى، وتجده مجتمعاً يفرق ـ بالفعل ـ بين المرأة والرجل حتى فى الوظيفة والمرتب، تصور مثقفة عربية وحاملة دكتوراه من كمبريدج أو من اكسفورد أو من السوربون، وتتزوج من عربى، فإذا أرادت أن تسافر وحدها، تذهب إلى وزارة الداخلية لتجد من يقول لها: اذهبى واحضرى زوجك حتى يوافق على سفرك !!

هذا نوع من الاستعباد الأبدى، فالرجل العربى يرى أنه مالك جسد وعقل المرأة، وهو مؤمن بأن تظل المرأة رهينة لديه إلى ما شاء الله، يضعها فى القفص الذى يريد، ويوافق أولا يوافق على أن تخرج المرأة، أو تسافر، أو تعود !!

هذا مجتمع خطأ.. خطأ.. غلط.. خطأ !!

كنت أبحث عن حياة أقعد فيها، بينما المرأة تأتى إلىّ طائعة لطيفة، حنون تبحث عن هنائى وراحتى، وتحممنى، وتعطرنى، وتلبسنى.

شئ خطير فى حياة الرجل، أن يعتاد هذه العادات السيئة، وحين تسألنى كيف يمكن للفتاة أن تعيد تشكيل رجلها، أقول : بأن تتعامل معه على قدم المساواة دون إفراط، لأن الإفراط العاطفى يؤذيها، فالرجل طماع يريد كل شئ بدون تعب، وهناك بنات كثيرات، ونساء كثيرات، يلاحقن الرجل الذى يحببنه، وتعمل له الواحدة منهن ١٥ تليفونا فى اليوم، ومع كل تليفون تخسر بوصة من حبه.

الرجل هو الذى ينبغى أن ينتظر المرأة وليس العكس.

المرأة تخسر كلما أعطت.

لابد أن تعرف المرأة أن لعبة الحب هى لعبة ذكية جداً، وليست لعبة ارتماء، أو استسلام.

من الممكن أن تستسلم المرأة وترفع الراية البيضاء، وتقول للرجل: تفضل واحتل !! وهنا لن تكون إلا مستعمرة.

فكرة أن الحب أعمى، هى نظرية خاطئة تماماً، فالحب ـ بالقطع ـ بصير جداً، وعلى المرأة أن تكون بصيرة، تتقدم خطوة، وتتراجع خطوات، وهنا يحبها الرجل، فالرجل لا يحب إلا من يناور عليه، أما المرأة التى تعطى كل الأشياء التى عندها فى خمس دقائق، لا يبقى منها شئ إلا الغبار.

○ **هل تعتقد أن إحباطات السياسة وانتصاراتها أدت إلى إسقاط نفسها على علاقة المرأة العربية بالرجل العربى ؟**

●● لا نستطيع أن نهرب من التاريخ، ولا نستطيع الفرار من علاقات الواقع العربى التى تفرخ الاكتئاب والانكسار فى نفوسنا.

الرجل فى حالة أصح من ذى قبل، لأن هناك مناخ حرية يسمح به الآن لم يكن يسمح به، وخفت عمليات القمع المنزلى إلى درجة كبيرة، وأصبح متاحاً ـ اليوم ـ أن تقابل المرأة فى المكتب، أو فى الشارع العمومى، فعملية التواصل مع المرأة من ثقوب الأبواب والشبابيك انتهت.

صار الحوار الذهنى هو القاعدة الرئيسية فى العلاقة بين الرجل والمرأة، وأنا أظن أن استمرار العلاقة بين الطرفين

يجب أن يقوم على الحوار الفكرى وليس الحوار الجسدى.

الحوار الجسدى قصير الأمد.. لابد من حوار ثقافى.

لا يمكن لرجل أن يحب امرأة لجسمها، وإلا سقطت العلاقة بعد خمس دقائق أو عشر دقائق.

الآن هناك موضوعية فى العلاقة، فالعصر يعطى الرجل حضارة، ويعطى المرأة حضارة.

نحن محاطون بعصر أصبح فيه الحوار الثقافى أساسياً.

خذ - عندك - المسرحية، والشعر والندوات والسينما، فالمرأة تحضرها إلى جانب الرجل، هى - أيضاً - لها أذن تسمع، وعيون ترى، ومخ يفكر، فلا يمكن أن تبقى هى فى الفراغ، ويبقى الرجل هو الوحيد الذى يكتشف فى نفسه الثقافة والمعرفة.

ولذلك أنا أستبشر وأقول، إن الحوار الثقافى سيعطى صورة أخرى للحب المعمق، بدلاً من الحب الذى يوجه لشريحة اللحم !!

زمان كان الحب الشرقى العربى يعنى هذا المعنى، وكانت عملية التملك دائرة على قدم وساق، والمرأة توزن بالرطل، وتُحب بالرطل، وتُرفض بالرطل، وتُطلق بالرطل، يعنى كل العلاقة قائمة على الوزن، ليس وزن العقل ولكن وزن الأرداف!

أنا أريد أن أبطل الحب/ الوليمة !

نظرية الحب الوليمى لابد أن تسقط !

لم نعد نلتقط المرأة بالأيدى والأسنان والأصابع، فالمرأة كائن حضارى نتعامل معه فى حضن، ولا نأكله بالشوكة والسكين.

○ **أيها الشاعر ضمن من ترى من وجوه فى الساحات والشوارع العربية، صف لى فتاة عربية مثلت أمامك ملامح المستقبل ؟**

●● الفتاة العربية لم تعد تأتى إلى رجلها أو صديقها والسياط تتابعها، والمباحث وراءها.

فى كل بيت عربى مباحث، حتى الأم مباحث، والأم بالذات!!

المرأة الآن تتمتع بقدر أدنى من حرية الاختيار، تستطيع إذا رأت رجلاً زميلها فى الجامعة، واقتنعت به، أن ترجع إلى البيت وتحكى لأمها أن فلاناً هو صورة الرجل الذى أطمح إليه، دون أن تذبح، ودون أن تمارس الأم مباحثيتها عليها، هناك بعض التقدم هنا، دون شك.

أما بنت المستقبل فأنا أستطيع التعرف عليها فى الشوارع، فى الساحات، فى أمسياتى الشعرية.

نصف البنات العربيات اللائى أقابلهن، يقلن لى : لقد حررتنا، جعلتنا نستطيع أن نبوح بما فى أعماقنا، نحن عندما نعجز عن مكالمة صديق، نأخذ ديواناً من دواوينك، ولقد استغلتنى بنات كثيرات فى رسائل الحب التى كتبنها، حين أخذن قصاصات من شعرى وأرسلنها للطرف الآخر فاقتنع.

○ **كم جيلاً تبصر من نساء نزار قبانى ؟**

●● أربعة أجيال، فمن الأربعينيات إلى الثمانينيات ظهر جيل كل عشر سنوات، الآن يسمعنى جيل له بنات وحفيدات، حين تأتى الأم وتعرفنى على ابنتها وتقول لى إنها تحب شعرك مثلما كنت أحبه.

أنا أعتبر نفسى مسلسلاً تاريخياً شعرياً !

أرى الأطفال اليوم يلقون شعرى ويقرأونه، ولقد صدرت لى - مرة - مجموعة شعرية للأطفال فى بيروت، وكان الصغار من التلاميذ والتلميذات يحملونها ويأتون عندى طالبين أن أوقع لهم، وكنت أوقع لهم وأسألهم بدورى: لماذا ترتبطون بهذا الشعر وتحبونه؟ فأجابنى أحدهم: لأنه يشبهنا !!

إذن الأطفال لا يشبهون المتنبى والفرزدق وأبو تمام، ولكنهم يشبهون نزار قبانى، والحقيقة أن هذا يملأنى غبطة، لأن هناك من قالوا عن نزار إنه «شاعر طارئ» أو «شاعر محلى» وإنه بانتهاء المرحلة سينتهى.

وعلى العكس كان الواقع، فقد صرت أورث، من الأم إلى ابنتها، ومن الإبنة إلى ابنتها، وهذا دليل على أننى أحمل الحقيقة السياسية، والحقيقة العاطفية إلى الناس.

○ **متى يدرس شعر نزار قبانى فى كل المدارس ؟**

●● حين تتحضر الدول العربية بما فيه الكفاية، ويرتفع سيف السياف عن الثقافة العربية.

○ **هل تشعر أن النماذج التى يختارونها من شعرك للتدريس فى المدارس هى التى تريد توصيلها إلى الشباب ؟**

●● هم يختارون ما لا يعجبنى.

يجب أن تترك لى حرية الاختيار، أما لو اخترت فسوف يغلقون كل المدارس.

○ **هل يحمل شعرك ما يمكن أن يكون أفكاراً لا تربوية ؟**

●● يا أخى أن شعرى يحمل الحقيقة لا الفضيحة !

يقولون إن نزار هو شاعر الفضيحة، وهذا صحيح من زاوية أننى شاعر الفضيحة العاطفية والسياسية.

أنا أعتبر الفضيحة هى الوردة التى يضعها الشاعر فى عروة ثوبه ليس هناك شعر لا يفضح شيئاً، وإلا كان كلاماً فارغاً.

أهميتى تأتى من أننى رفعت الستار، وأطلقت الحب من الأخبية السرية إلى الهواء الطلق.

هم يسمون - هذا - الفضيحة، ولكننى أسميه عالمية جميلة جداً.

الناس كانوا يتبادلون الحب فى الأقبية، وفى الظلماء، ومن ثقوب الأبواب، فأخرجته - أنا - إلى هايد بارك، وجعلته يستنشق الهواء.

أنا لا أتاجر بحبى، ولا بحب الآخرين.

الحب معجزة إلهية مثل الربيع ومثل النجوم، والأزهار والبحار، فلماذا نستعمل مبدأ التقية فى الحب، ونختم عليه بالشمع الأحمر ونضع عليه الأقفال.

عملية الوأد العاطفى عندنا لا تزال مستمرة، مع أن الإسلام ألغى الوأد. مازال الرجل والمجتمع يئدون المرأة بأشكال مختلفة !

نحن ـ أيضا ـ موءودون سياسياً، فمن ذا الذى يستطيع أن يقول كل مافى أعماقنا ؟ من ذا الذى يستطيع أن يمارس فضح كل هذه المسرحية المفجعة التراجيدية التى تدور على الأرض العربية ؟

فى أمسيتى الشعرية الثانية فى القاهرة كنت أصهل كجواد يستقبل برية الحرية !

وأشهد بأننى ما شعرت ـ وأنا ألقى كلماتى المتفجرات من فوق المنبر ـ بأننى مهدد أو خائف من أحد، كنت أشعر أننى فى عرس الحرية «عرس الكلمة الحرة.. وعرس المجتمع الحر».

بهذه الكلمات بدأ نزار قبانى حديثه لى صبيحة أمسيته الشعرية التى أقيمت فى إطار معرض الكتاب.

والحديث إلى نزار هو الحديث إلى زعامة شعرية عربية كبرى تستطيع أن تقول ـ بكل واقعية ـ إنها نحتت فى وجدان أربعة أجيال عربية علامات لا تنسى، ونقلت الشعر العربى من برجه العاجى فى كتب النصوص والبلاغة إلى قارعة الطريق العام، وإلى حياة سواد الناس اليومية.

والحديث إلى نزار هو محاولة لجمع أكبر قدر من خواطره ومشاعره وأفكاره وتعبيراته شديدة التميز.

ومن خواطره عن أمسيته الشعرية هذا العام :

«كانت الندوة أهم كثيراً من لقاء العام الماضى، فليس الموضوع هو الكم الهائل من الحضور، ولكن المهم هو المستوى الحضارى الذى قابل به المستمعون كلماتى.

ثم إن الجمهور محتشد سياسيا.. فالمواطن المصرى اليوم هو عبارة عن وحش سياسى، لم أستطع أمامه أن أقول كلمة حب واحدة، فأية قصيدة حب كانت ستسقط تحت الأقدام.

غنيت الكلمة الانتحارية.. التى تحاول التغيير.. تحاول التحريض.. واختفت كلمات الغزل.. فالشاعر اليوم يمشى على الزلزال وإن تجاهله فسوف يطمره تحته.

ثم تبدأ ـ بعد هذه الكلمات ـ كل فصول الحوار !

○ **فى عصر (أطفال الحجارة).. وأمام أحداث السقوط السياسى فى مناطق متفرقة من وطننا الكبير.. كيف يمكن لكاتب أو شاعر أن يمسك بتلابيب الكتابة ؟!**

● تعبيرك مهم جدا.. فقد نسينا أن نمسك بتلابيب الكتابة، وصارت الكتابة عند أكثر كتابنا نوعا من تحصيل حاصل.

نحن اليوم نقول كلاما ليس له طعم ولا رائحة ولا لون، ولكننى وسط هذا المناخ الثقيل كتبت قصيدة أطفال الحجارة، وهى على صغرها ـ كانت قصيدة انفجارية، قيل عنها أشياء كثيرة، ولكن أهم ما فيها أنها تحولت فى النهاية إلى نشيد جماهيرى أو نشيد شعبى.

لم يعد هناك مكان أو مجال لكتابة أنصاف الحلول. لم أعد أؤمن بنصف الكلمة أو ربع الكلمة أو تقسيم الكلمة إلى جزئيات، نحن الآن فى عصر الخراب العربى، عصر التجزئة، عصر الانكسار العربى، والشاعر لا يمكن أن يواجه كل هذا إلا بأن يصرخ، وأن يسمِّى الأشياء بأسمائها، وإلا يلبس الأقنعة.

ليس هناك شاعر يضع قناعا على وجهه ولا يستطيع أن يظل واقفا على منبره! الجماهير على استعداد أن تسقط كل شاعر لا يتحسس الآن ما يجرى على خريطة الوطن العربى. من غير المعقول أن يحترق هذا العالم العربى من حولنا، بينما نقعد نحن لنغنى المواويل !

هذا العصر انتهى..

فإما أن يتقن الشاعر فن المواجهة، أو يسكت ويستقيل ويذهب ليقعد فى بيته !

كنت مستاء من الشاعر العربى فى رد فعله للانتفاضة، وكتبت قصيدة اسمها (الثقب) وصفت فيها هذا الشاعر العربى وكيف مات وتحول إلى جثة موضوعة فى ثلاجة مستشفى !!

أين الخمسينيات؟! عندما كانت كلمة واحدة أو حدث سياسى واحد يخرج الجماهير كالوحوش تعلن رأيها وتتخذ موقفا.

اليوم يموت أطفال الضفة وغزة، الأطفال الصغار يموتون بالرصاص، وهم لا يحملون سوى الدفاتر والأقلام والمحايات.

يموتون فى سبيل قضية سياسية، بينما الدول والشارع العربى والسلطات العربية حولها فى حالة إغماء سياسى !

○ **تقف الأشعار مع أطفال الحجارة، ولا يقف الشاعر العربى معهم.. فهل حلت الكلمة محل الفعل اليوم فى أوطاننا؟**

●● الكلمة.. فعل.. وهى تلعب دورها لخلق هذا الفعل وإفاقة الشارع العربى من إغمائه.. وفى ندوتى بمعرض الكتاب لم يطلب أحد من الحضور أن ألقى قصيدة حب، ولم أك مستعدا ـ أصلا.. لأقول كلمة حب.

كلنا ـ اليوم ـ مجيشون.. والكلمة إما أن تكون على الخطوط الأمامية أو لا تكون.

لم يعد الكُتّاب والشعراء يجلسون فى المقاهى على طريقة «سان جيرمان دبرى» فى باريس.. فالأب لم يعد يصنع فى المقاهى..

الأب يصنع بالطريق الانتحارى فى الجبهة وفى المواجهة.. لذلك أقول إن الشارع العربى والكتّاب العرب هاربون من الجندية.. وأطلب من أطفال غزة ـ وإن كنا آباءهم ـ ألا يشبهونا، وإن كنا أوثانهم فلا يعبدونا، وإن كنا كتّابهم فلا يقرأونا.. نحن نموذج ردئ جدا فاصنعوا ـ يا أبناءنا ـ ثورتكم بأنفسكم ولا تلتفتوا يمينا أو يسارا ولا تأخذونا نموذجاً فنحن أردأ النماذج.

صوت السلطان !

○ كنت تحدثنا ـ أحيانا ـ عن شعراء وظفوا أنفسهم لخدمة قوة السلطة والسلطان، لكن الزمن تغير.. فهل توظفت الكلمة الآن لخدمة قوة المال والدولار ؟

●● كاتب السلطان أو شاعر السلطة لم يزل موجوداً.. ولكن الأسماء تغيرت كان شاعرا للخليفة ثم لأمير المؤمنين ثم الباب العالى.. والآن ظهر سلاطين جدد ربما يحملون أسماء تقدمية ولكنهم أيضا سلاطين يبحثون عن كتابهم !

ماهو السلطان ؟ السلطان هو من يريد منى أن أسبح بحمده، ويريد منى أن أغنى عدله وجماله.

كل من حولنا سيّافون كبار.. ونحن الشعراء مطلوبة رؤوسنا على صينية من الذهب أو الفضة.. إن لم نغن لهم مسبحين معددين المناقب أناء الليل وأطراف النهار.

ولكن هؤلاء الذين يغنون للسلطان ليسوا بشعراء، الشاعر اليوم هو من يواجه، وأنا أعرف أننا نمشى على حد الخنجر ولكن هذا هو الشعر !

الشعر هو عملية استشهاد، وقد انتهى شعر شم النسيم أو المشاوير فى ضوء القمر !

السلطان.. أى سلطان.. لا يريد ـ إطلاقاً ـ أن يسمع غير صوته، ولا يطرب إلا لصوته، وأى صوت آخر.. أى صوت رافض.. أى صوت يقول لا سيكون مدانا من هذا السلطان، ولذلك فإن هذا الزمن هو زمن الشاعر الذى يعرف أن الكتابة هى عملية انتحار.. وأن الكلمة لها ثمن عليه أن يدفعه.. وأن يصرخ بالحقيقة دون خوف أو ارتجاف !

○ هل تشعر أنك وحدك فارس هذه الكتابة الانتحارية ؟

●● الكاتب دائما وحده.. من الجائز أن يقف على منبر فيه عشرة آلاف، أو عشرون ألفا، ويلقى عليهم كلماته، ويلقى التصفيق، ويلقى الإعجاب، ويلقى الانبهار، ولكنه يعود لينام فى فراشه وحده وسيف السلطان مسلط عليه !!

الكلمة الجريئة التى لا تلبس الأقنعة أو تجامل.. ملاحقة.. ومضطهدة.. ومقهورة.

المطلوب من الشاعر ـ اليوم ـ أن يموت على أوراقه.

فن الكتابة هو أن نموت على أوراقنا، ولكن ـ مع الأسف ـ فإن أحدا لا يرضى بالموت !!

يعتبر الاستشهاد جنونا، ومن هنا لم تظهر لدينا قصيدة شعر تريد احتراف الجنون.

○ فى الزمن العربى الصعب.. ماذا تحاول كلماتك أن تنحت فى وجدان المواطن العربى ؟

●● كانت كلماتى دائما صرخة فى وجه الظلم.. وصرخة فى وجه القهر. لم ألبس الأقنعة.. ولم أراهن على أى شئ لم أقتنع به.. ولم أحاول أن ألتف حول الأشياء إطلاقا.. فقد اعتبرت نفسى ـ منذ البداية ـ المتحدث الرسمى باسم الوجدان العربى.

أنا ألتقط من الشارع العربى الحادثة السياسية فأصوغها.. أنا موجود فى قلب هذا الشارع وأحاول أن أصوغ وجدانه، فى دول العالم الثالث وظيفة الشعر ليست ممارسة (التطريب) ولكن وظيفته هى ممارسة (التثوير) ولذلك فليست هناك أية أهمية لشعر لا يغير.

لا أقول لك إننى فتحت القسطنطينية بالشعر، ولكن أقول إننى على قدر طاقاتى استطعت أن أهز هذه الأرض قليلا.

أقاتل كى أغير ولو سنتيمترا واحدا من مساحة الحزن العربى ومساحة الانكسار العربى !

عصر التقية !

○ هل تشعر أنك أخفيت أبدا بعضا من كلماتك ؟

●● معركة الشعر لا تنتهى مثل معارك الإنسان ! الشاعر هو من يستطيع أن يقول كل مافى أعماق الناس. الشاعر هو من يستطيع فضح كل هذه المسرحية التراجيدية المفجعة التى تدور على الأرض العربية، قوانين وشروط لعبة الكتابة صارت معروفة.

الكتابة عملية انتحارية ولكن الراغبين فى الانتحار قليلون جدا. ما زال الكاتب أو الشاعر يكتب كلماته على الورق وعقله يحسب كيف ستفسر هذه الكلمات. متى ستنتهى من عصر (التقية).. عصر الذعر.. وعصر الخوف من الورقة البيضاء ؟! الورقة البيضاء أفق مفتوح.. يجب أن أرقص عليه بمنتهى الحرية أرقص ـ حتى ـ عاريا !!

أنا لست شاعرا سريا.

تسألنى أعندك قصائد لم تنشرها ؟

أقول لك أبدا.. فمم أخاف ؟!

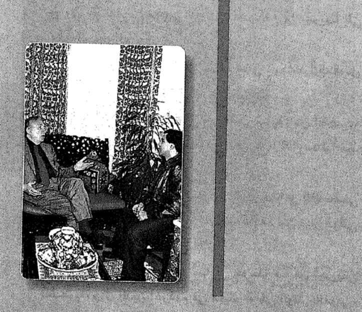
هناك شعراء عندهم قصائد سرية يقولون إنها ستنشر ـ إن شاء الله ـ بعدما يموتون !!

ماذا يهمنى فى أن تنشر كلماتى بعدما أموت.

أنا أريد أن أغير هذا العصر.. أريد أن أنقض عليه بكل أظافرى.. بكل همجيتى.. بكل جوارحى

أما عندما أموت.. فلن أستطيع.. أبداً.. لن أستطيع.

٣



نزار قباني يعترف :

لو لم أكن شاعراً كنتُ أتمنى أن أكون مصمم أزياء نسائية

أحمد الشهاوي

١

من منا لم يحب بلغته، ويمارس التمرد على طريقته، ويراقص حبيبته على إيقاع موسيقى شعره، ويدخل صدر محبوبه متدفئاً بدثار كلماته، يشرب غيث سماوات العشق من نبعه الفياض، ويؤسس إمبراطورية للحب معتمداً على حراسه وجنوده المنتشرين في أوراقه التى استطاع أن يهربها إلى داخل البيوت العربية.

كنا نحتاج مارقاً فكان ، ومفجِّراً فكان ، وكاسراً للمقدَّس فكان، وفاتحاً فكان.

عندما التقيته، كنت موقنا أننى ألتقى تاريخاً من القصيدة والشعر، وإنجازاً كبيراً فى الكتابة المغايرة لما كان سائداً منذ ديوانه الأول.

- تذكرت ـ وأنا أتجه إلى المصعد ـ مقولة الشاعر الفلسطينى محمود درويش حينما قال : «من لم يستفد من نزار قبانى فليرفع اصبعه».

وأنا كشاعر استفدت منه فى مرحلة ما من تجربتى الشعرية، وكل الذين أعرفهم فى مصر أو فى الوطن العربى، أفادوا من منجزه الشعرى.

في عام ١٩٩٠ ـ حاولت محاورته فى لندن ولكن ابنته «هدباء قبانى» قالت لى إنه فى بيروت وعندما يعود ستكون أنت فى القاهرة.

نزار قبانى.

لايتحدث كثيراً إلى الصحافة ولايحاور إلا من يطمئن إليهم نفسياً وإنسانياً، لابد أن تصادقه قبل اشتعال فتيل الحوار ـ الحرب.

وقبل حوارى معه جلسنا عدة جلسات مطولة للحوار والمناقشة والإعداد، جلْنَا فى شوارع لندن وحدائقها، تصعلكنا، تهاتفنا، اختلفنا واتفقنا .. شاعران من جيلين بينهما مسافات من التجربة والإنجاز جمعهما الحب والشعر والعشق.

حريص ـ نزار قبانى ـ ألا يعطى رقم هاتفه لأحد، هكذا عرفت، وهكذا قالت لى «هدباء» ابنته التى عرفتها من خلال المبدعتين السوريتين : زينات نصار ولينا الطيبى اللتين تعيشان فى لندن وكانتا تعملان على مقربة من بيت نزار قبانى الذى كان يسكن قرب ابنته فى وسط العاصمة لندن.

نزار قبانى.

أعرفه من خلال شعره، وكتبه حول تجربته الشعرية، ومقالاته، وأمسياته فى القاهرة لكنها المرة الأولى التى نلتقى.

أهديته (الأحاديث ـ السفر الأول) وأهدانى «هل تسمعين صهيل أحزانى» و «هوامش على الهوامش» وهما من آخر كتاباته الشعرية.

حميم ودافىء

أنا لاأستطيع أن أحاور «أحداً» لا أحبه، ويخوننى الحبر عندما أكتب عن مبدع لايتسلل إلى دمى ويسرى.

هكذا تكون البداية لدىَّ.

الحب أساس كل شىء.

التقانى نزار كصديق قديم يعرفنى من سنوات بعيدة.

الشعر وحَّدنا.

والأحزان جمَّعتنا

نزار .. يحمل جبال حزن أسطورية فى قلبه، ومن عينيه تخرج أحزان الدنيا.

كان يستعد للذهاب إلى إجراء فحوص طبية يحتاجها «جسد نزار» الذى صد حملات ضارية وهجوماً مسلحاً بكل آلة الحرب العربية فى الكلام والطعن.

وكنت قادماً من «مستشفى كورمول» حيث «روجر وليام» شيخ جراحى الكبد فى العالم الذى يعالجنى.

وبين أيام العلاج لكلينا دار الحوار، وتعددت اللقاءات التى لم يقطعها سوى امرأة مصرية تلازم نزاراً منذ عشرين عاماً اصطحبها معه فى كل البلدان التى حط فيها رحاله، تعرف تفاصيل حياته، ومواعيد قهوته، وربَّت ولديه زينب وعمر.

تحدث عنها بحب كبير، وفية وشامخة، تذكُّره بالقاهرة الأصدقاء الذين يحملهم فى القلب أينما حل وسنوات الشباب مع المثقفين المصريين.

ضاقت المسافات بيننا، وقربت المحطات، وتآلف المختلف، وسافرت حمامات بيضاء إلى جبال قلبينا.

وسارت النار إلى باب القصيدة، وأحرقت الأستار

وكسرت الأطواق، وبدا كل شىء كشمس.

٢

قلت لنزار قبانى: ستكون أسئلتى حادة وجريئة وصدامية.. فقال لى: نريد أن نشعل حرائق معاً، نكسر المألوف والمعتاد، ننذر بطبولنا عالمنا العربى الغارق فى آبار النسيان.

لم يعترض على أى سؤال. قدمت له سبعين سؤالاً ، هو دقيق ومنظم: «لا أؤمن كما تعرف بالفوضى والارتجال»، صارت تلك الأسئلة فيما بعد مواجهة حقيقية.

فقط، سؤال واحد، اتفق معى أن نلغيه من الحوار.

السؤال يقول :

«قلما قرأت رأياً مكتوباً فى شعراء مصر، فما رأيك مثلاً فى شعر هذه الأسماء : صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطى حجازى، أمل دنقل، محمد عفيفى مطر، ملك عبد العزيز، محمود حسن إسماعيل، فاروق شوشة، فاروق جويدة، محمد إبراهيم أبوسنة؟».

قال: يا أحمد جنبنا الحرج، وطويت السؤال، فكان الوحيد الذى لم يجب عنه.

فى SLOANE STREET حيث يسكن نزار قبانى، فى بيت يأخذ رقم ٣٥.

شارع هادىء نوعاً ما، يتفرع من الشارع الرئيسى KNIGHTSBRIDGE الذى توجد فيه محلات هارودز الشهيرة، ومكتبة الكشكول أهم المكتبات العربية فى لندن، والتى أغلقت أبوابها فيما بعد.

نزار، يحب الجدة فى كل شىء محاولاته دوبٌ لإذابة ثلج شتاء المكرور والعادى.

كان يريد لحوارنا أن يكون جديداً.

المسألة لاشك شائكة. وشائقة فى الوقت ذاته، فشاعر مثله له تاريخ طويل وعميق ومتجذر فى السبعين الآن - كان هذا عام ١٩٩٢ - أجاب عن آلاف الأسئلة، ودخل آلاف المواجهات والحوارات والمعارك. ومواجهتى - مكاشفتى - معه جاءت من معرفتى به شعرياً وفكرياً وقراءتى الطويلة له.

حاولت وتناقشت طويلاً مع أصدقائى الشعراء الأحباء نورى الجراح ولينا الطيبى وناصر فرغلى «الذين يعيشون فى لندن»

....

دقائق معدودات حتى يصل المرء إلى بيت نزار قبانى إذا كان فى شارع نايسبريدج.

مصعد البيت، يوحى بقدم المبنى، يذكّرك بالعمارات التى بنيت فى قاهرة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات إحساس ما غامض ينتابك وأنت تصعد، لتلتقى نزاراً وأنا أفتح باب المصعد. كان نزار يفتح لى قلبه وذراعيه ويدخلنى جنته الصغيرة.



أحمد الشهاوى ونزار قبانى أمام بيته فى ٣٥ شارع سلون، حيث يسكن نزار قبانى فى حى راق يُعد من أهم أحياء لندن وهو على بعد خطوات من محلات هارودز التى يملكها الفايد

تلك أخلاق الشعراء الكبار الذين يحملون النُبل والسمو والعلو فى أرواحهم.

لم يكن الدبلوماسى الذى رأى الدنيا، وشاف العلم وقابل الملايين هو الذى يلتقينى.

كسر البروتوكول وقواعده.

فقط بقى من الدبلوماسى دقته وحضوره الدائم وأناقته التى سبقت الدبلوماسى وولد بها.

كانت هى زيارتى الأولى له.

هو لايخرج كثيراً. يعيش فى عزلته وغربته يكتب قصيدته، مقالاته. ويقرأ. ويتأمل حالَهُ وأحوالنا وتحولات الوطن.

من بعيد يقترب من الحلم ويصعد إلى سماواته. الرؤية تجعله نائماً ومتورطاً فى قلب النار.

أنثاه نارٌ وأنثاى سماءٌ لاسقف لها. لاحدود. كان فرحاً ومتحمساً. وكنتُ.

كان ومازال عاشقاً. وكنت.

شاعران التقيا فى الغربة. غريبان التقيا فى القرب. بعدهما اتصال. ووصلهما صد ودخول وانمحاءٌ. واصلنا النقاش، ووصلنا ما انقطع.

٣

ما يلفت الانتباه فى بيت نزار قبانى

هو «اللوحات التشكيلية».. كأننى أدخل معرضاً دائماً، أو متحفاً. لوحات تمثل اتجاهات وتيارات شتى لأسماء عربية وأجنبية.

كل الحوائط داخلة فى نسيج ولحم اللوحات.

فى غرفة الجلوس، غرفة المكتب، الطرقات المؤدية إلى الغرف، والغرف الأخرى

فى مكتبه، صورة كبيرة لنزار، التقطها أخوه بعدسته الدقيقة قبل عشرين عاماً، الصورة تؤكد أن نزاراً لم تفعل السنوات فعلها معه بعد، لم يتغير كثيراً.

وفى مكتبه، بالطبع، وجدت أعماله الشعرية الكاملة، والدواوين الأخرى التى صدرت بعد صدور الأعمال الكاملة.

وكتباً أخرى بالإنجليزية والفرنسية، وهما اللغتان اللتان يجيدهما نزار قبانى.

و .. فى غرفة الجلوس، فى منطقة الصدارة تجد صوراً صغيرة لعمر وزينب نزار قبانى، وكذلك ابنته الكبيرة هدباء وزوجته الراحلة بلقيس، وصوراً لنزار مع أبيه وأمه وإخوته وهو بعد طفل صغير.

أشياء صغيرة، وتفاصيل دقيقة لمستها فى بيته تؤكد وفاءه النادر وقوة ذاكرته، وحرصه على النظام والدقة فى كل شىء.

فما زال يحتفظ بطاحونة البن التى كانت أمه تطحن فيها البن وتقدمه طازجاً للضيوف، وأرانى «السفرطاس»الذى يخصه وهو طفل صغير - أى قبل نحو نصف قرن من الزمان - مكتوب اسمه عليه حتى لايضيع و«السفر طاس» كلمة تركية تعنى بالعربية إناء السفر.

وكان نزار يحمله معه إلى المدرسة، وهو قريب الشبه بـ «عامود الطعام» عندنا فى مصر وكان نزار يملؤه بما لذ وطاب من الطعام والشراب وهو ذاهب إلى المدرسة وبين الحصص يبدأ فى التهامه.

الإنسان كائن يعيش على حلم الذكريات، واستعادتها ونزار من أكثر الناس تذكراً.

ومن عوامل التذكر لديه، وهو المسافر أبداً فى الخارج، (الدول) والداخل (النفس)، أن يقتنى من كل بلد ما يذكّره بهذا البلد. فى بيته وجدت صدى لكل البلاد التى عمل فيها دبلوماسياً وخاصة الأندلس (إسبانيا) وهى أكثر البلاد حضوراً وتأثيراً فى شعر نزار قبانى.

وكذا الصين رغم أنه لم يعمل فى بكين سوى عامين (٥٨ - ١٩٦٠) وقتها كان عمره ثلاثين عاماً.

حضور الغياب، لدى نزار شديد.. كان نزار حريصاً أن أعرف عنه كل شىء. الدقائق الصغيرة كان يحكيها، وكل ما يقال لاينبغى حتماً أنه للنشر والإذاعة. فقط أراد لى أن أحيط بحياته وسفره وترحاله وعشقه وطريقته فى الكتابة، وحال الرقابة فى وطننا العربى، وكيف أن الحكام يخافون ويرتعدون من قصيدة شعر.

فالقصيدة تغير بقوتها ، لا بقوة السلاح.

بدمها تبنى، لا بالدبابات التى تهدم وتدمر.

واقفاً كان . فى حديقة الهايدبارك.

سألنى: لماذا يا أحمد ينام الحمام هنا فى يدى، ويبيض على شفتى، ويعرف لغتى، يعرف من أنا، أعرف لغته، وأعرف من هو.

ثمة حوار بيننا.

وفى بلادنا يخافك الحمام، يهرب فى الحال عندما يراك!

سألنى وأجاب:

إنها الحرية.

حرية الحركة، والطيران، والغناء، والزقزقة، والكتابة، حرية الحزن والبكاء.

نحن الوطن الوحيد فى العالم، الذى لايحط فيه الحمام على الأرض خوفاً من الخوف، ورصاص القناصة، وبوابات السجن، وسكاكين الذبح.

أحاول أنا الآخر، استعادة الكثير الذى قاله لى نزار قبانى، هذا الكائن الرائع الذكى.

طفل كبير كان يخربش بمفرداته حائط الحوار الذى هدمه حتى يرى قارئنا كل شىء مكشوفاً.

كانت جلساتنا قبل الحوار، حميميةٌ ودافئة. التقى فيها النيل ببردى واتحدا.

وسال دم شعرى بشعره.

ما أجمل أن يكون الحوار بين شاعرين مختلفين فى أشياء كثيرة إلا فى العشق والحرية.



حمامة غريبة حطت على الكفوف، وحدثتنا بلغة الحروف، ولما عرفت أننا شاعران استراحت على يمين نزار، وراحت تنظر للشهاوى سائلة عن أحواله.

٤

نزار قبانى

لايسألك ـ وأنت فى بيته ـ عن ماذا تشرب.

فجأة، وأنت مسترخٍ مستريح تجيئك القهوة المظبوط، تصنعها السيدة التى تعمل فى صحبته منذ عشرين عاماً، ثم تناديه ليحمل قهوتها ويدخلها إلى غرفة الجلوس التى تأخذ شكل الأرض التى سافر إليها نزار.

أنا لا أشرب القهوة، ولكن كرم نزار أحرجنى فشربتها فى بيته مرتين وفى كل مرة كنت أقول فى نفسى «سأقول له لا» ولكن عندما تأتى القهوة برائحة الكرم النزارى يدركنى الحرج.

وأنا فى الأساس شخصٌ لايهتم كثيراً بنصائح الأطباء عن المنوع والجائز.

قضينا وقتاً طويلاً فى البيت.

ثم خرجنا ـ بعدما أبدل نزار ملابسه بملابس تتوام مع شوارع لندن وحدائقها، والتخفف من الملابس الرسمية وجوِّ الحوار

ولكننا خرجنا من حوار لندخل فى حوار آخر ممتد.

كانت هناك أسئلة تدور فى ذهنى

لماذا لم يعد نزار يتحدث إلى الصحافة العربية مثلما كان فى السابق.

واكتفى بما يكتبه فى جريدة «الحياة» مرة كل أسبوعين سواء جاءت كتابته قصيدة أو مقالاً.

لماذا لم يعد نزار يسافر إلى المدن العربية التى تدعوه لكى يلقى جديده الشعرى؟

هل هى عزلة الغربة، والاحتماء بجدار الذات الذى صد

سكاكين كثيرة حاولت الذبح ولكن جاءت جميعها ثالمة، وكان الجدار صلبا؟

هل هو وجع الغربة، والاكتفاء بالكتابة،أو بالكتاب الذى يصدره نزار عن منشوراته فى بيروت وتقوم دور التوزيع العربية بتوزيعه فى البلاد العربية؟

حدثنى نزار عن بعض الحكومات العربية التى تخشى قصائده، ولذا فهى تمنع كتبه من البيع، أو من المشاركة فى معارض الكتب، أو تنزع الصفحات إذا وجدت شيئاً مكتوباً عنه أو لَهُ، فقط تبيح النقض الذى يحاول الهدم! والرصاص الذى ينطلق للقتل!

وإذا كان نزار ممنوعاً فى مكان ما من العالم العربى فهذا المكان هو أكثر الأمكنة قراءة لأشعاره، فالكتب سرعان ما تتتابع إليه من كل مدينة، وخاصة لندن وباريس والقاهرة.

هل تخشى الحكومات على نساء بلادها من قصائد نزار حتى لايتمردن ويعلنَّ الثورة؟

وهن - أصلاً - يخبئن شعره فى صدورهن ويشتعلن ولايقدرن أن يفعلن شيئاً، ربما التغيير قادم ولكنه بطىء قد يستغرق سنوات طوالاً.

بأسى، تحدث نزار عن تعقب تلك الحكومات لكتاباته.

وربما يكون ذلك أهم الأسباب التى جعلت نزاراً يعيش فى منفى هو الذى اختاره.

قال لى نزار: أنت فى عالم : الشاعر فيه هو الشاعر الذى يكتب ويبحث، والباحث عن ناشر، وهو الذى يدور بشعره على النقاد والصحفيين والمجلات والصحف بعكس ما هو موجود فى أى مكان من العالم.

الشاعر يقرأ ويكتب فقط. ولايفعل شيئاً غير ذلك، وهناك وكلاء ومؤسسات تقوم هى بكل شىء، الشاعر فى بلادنا يعانى من حرية النشر، وحرية الكتابة، وحرية النقد، وحرية الوصول إلى القراء.

سألنى نزار عن أصدقاء له فى القاهرة، وعن أحوال القصيدة الجديدة فى مصر، وحكى لى عن ذكرياته فى القاهرة وأسقط كل الحجب والأستار التى يمكن أن تحول بين تواصلنا.

هى المدخل الحقيقى لشخصيته

عدنا مرة أخرى إلى البيت

وبدأنا الحوار - الاعترافات.

● **نرحب بك فى مجلة (نصف الدنيا) لأننا نعتبرك شاعر المرأة، بامتياز .. أى (شاعر نصف الدنيا)..**

خلال خمسين عاماً من الدوران حول هذا الكوكب غير المكتشف الذى هو المرأة .. ماذا أعطتك المرأة.. وماذا أخذت منك؟

- قبل كل شىء أود أن أصحح اسم مجلتكم واسمى فلا مجلتكم هى (نصف الدنيا) ولا أنا شاعر (نصف الدنيا).

فالمرأة هى كل الدنيا .. وأنا شاعر كل الدنيا، ولا أقبل بحالٍ من الأحوال أن أتنازل عن سنتيمتر من ممتلكاتى.

المرأة أعطتنى الشعر، والقلق، والجنون..

وأخذت ضلعاً من أضلاع صدرى، وصنعت مشطا من العاج تتمشط به.

● **أنت شاعر الحب بلا منازع. مؤخراً شكوت أن الحب كقيمة وسلوك هو فى حالة تراجع. هل هذه بطاقة رثاء لشعر الحب؟**

- لا ... بل هى بطاقة رثاء لهذا العصر..

هذا العصر الذى باع الوردة .. ليشترى رزمة ديناميت.. وباع ضحكة المرأة ليشترى ساندويشة من عند «ماكدونالد».. وباع رابعة العدوية ليشترى مادونا .. وباع السيد درويش ليشترى مايكل جاكسون.. وباع (النهر الخالد) ليشترى (لولاكى) .. وباع صوت أم كلثوم ليشتري سيارة تاكسى مارسيدس تشتغل على الديزل.. وقص ضفائر ألف نخلة ليبنى مكانها برجاً سكنياً على كورنيش النيل.



ربما لايوجد بيت لشاعر عربى فيه كل هذا العدد الكبير من اللوحات التشكيلية لفنانين من مختلف الأجيال والتيارات.

نزار قبانى للشهاوى : أنت تعرف أنى أحاول تقريب المسافة بين الشعر وكل الفنون، أنا أعجن الشعر بدم الأشياء.

كل الأشياء الجميلة هي في حالة تراجع..

فضوء الشموع صار من مخلفات التاريخ، وضوء النجوم صار من مخلفات التاريخ، وضوء العيون السود أو الخضر صار من مخلفات التاريخ أيضاً.

في عصرنا كنا إذا عشقنا نتكلم جيداً.. ونتغزل جيداً.. أما عشاق اليوم فهم أميون وعاجزون عن صنع جملة مفيدة واحدة في وصف أشواقهم..

نحن كنا في حالات العشق .. نقدم لحبيباتنا عقداً من الياسمين، وعشاق اليوم يقدمون لحبيباتهم كيس (بوب كورن)، نحن كنا نتعشى على ضوء الشموع، وإيقاع البيانو.. وعشاق اليوم يمارسون الحب على ظهر موتوسيكل.. قد يقول (عشاق الموتوسيكلات) عني: إنني رجعي ومتخلف.. و (دقة قديمة) ولكن ماذا أفعل إذا كان الحب (فوق موتوسيكل) .. وفي زحمة السير وصفارات شرطة المرور يصيبني بالدوار والغثيان.

ياعشاق الدراجات النارية ... إذا كان هذا هو الحب التقدمي الذي تنادون به، فما أحلى رجعيتي..

● كل حديث بين شخصين، أكانا عالمين أم فنانين أم بائعين، أم عاملين يقود في النهاية إلى المرأة.

هل هناك سر يمكن أن تسميه سر الأسرار، وما الشعر والأدب وفنون الكلام غير محاولة فاشلة للاقتراب من هذا السر؟

ـ العالم النمسوي سيجموند فرويد أجاب عن سؤالك بوضوح، حين جعل الحافز الجنسي دينامو الحياة ومحركها. فإذا تقدمت البشرية وتطورت، وأبدعت وأعطت شعراً ورسماً ونحتاً وموسيقى وفكراً ومسرحاً، وفلسفة.. فلأن كبريت الجنس لم يتوقف عن الاشتعال والتفجر. ولأن المرأة كانت دائما مصدر الضوء.

نحن دائما معجونون بالمرأة .. ومختلطون بها .. عضوياً وكيمائياً، ومهما ادعينا الذكورة فإننا مرتبطون بها بواسطة حبل المشيمة منذ ميلادنا حتى موتنا.

والرجل الذي يقول إنه قطع حبل مشيمته وانفصل نهائياً عن المرأة.. يتحول إلى شجرة يابسة بلاجذور ولا أوراق ولارائحة..

المرأة مجموعة من الأسئلة والفوازير يقضي الرجل طوال حياته وهو يحاول حلها .. ومتى توصل إلى الحل سقط ميتاً.

لذلك ليس من مصلحة الرجل أن يصل إلى اليقين ويكتشف خريطة المغارة المسحورة، وليس من مصلحة المرأة أن تسلمه مفاتيح المغارة.

فحتى تفتح المغارة أبوابها لألوف السائحين فسوف تتحول إلى مهرجان سياحة مكشوف كمهرجان الضوء والصوت..

● بعد تجاريك الطويلة مع النساء كيف يمكن لامرأة أن تبقى دائماً متوهجة ومثيرة ذهنياً وصامدة في وجه الترهل الجسدي والعقلي؟

ـ الإثارة الذهنية هي في تصوري أهم من الإثارة الجسدية فالإثارة الجسدية لاعمرَ لها، وهي مرتبطة بالسطحي والآني والعابر، وإذا افترضنا أن عمر المرأة الافتراضي هو ثلاثون عاماً فإن جمالها بعد الثلاثين يجب أن يكون ذهنياً.. ومكياجها يجب أن يكون (ماكياجاً ثقافياً).

● في قصيدتك المغناة (أسألك الرحيلا) دعوة واضحة للمرأة كي تبتعد عمن تحبه حتى يستمر الحب قوياً ومعافى.. أي أنك تعتبر (الهجر) ضرورياً (كالوصل)..

كيف تفسر هذا المطلب الصعب بالنسبة لامرأة عاشقة؟

ـ الحب ليس وجبة طعام نلتهمها بخمس دقائق وينتهي الأمر، لذلك فأنا ضد (الالتصاق) الطويل.. وضد استهلاك الأشياء التي نحبها.

لابد من وجود مسافة معقولة بيننا وبين الشيء الجميل سواء كان لوحة أو تمثالاً.. أو منظراً طبيعياً .. أو امرأة نحبها

الاقتراب الكثير يفسد الرؤية ويشوش الإحساس ويقتل الحلم، أنا لا أريد حبيبتي أن تتحول إلى مقعد في غرفة الجلوس أو ستارة أو سجادة أو اسطوانة موسيقية تعيد نفسها..

أريدها برقا لايُمْسَكُ بالأصابع
وبحراً لاموانيءَ له ..
وقلقاً لايستريح..
ودهشة مستمرة لاتتحول إلى عادة
(كن مرة أسطورة.. كن مرة سرابا)
(وكن سؤالاً في فمي لايعرف الجوابا)
(وكي أكون دائماً جميلة)
(وكي تكون أكثر اقترابا)
(أسالك الذهابا..)

وبهذه المناسبة، أذكر أنني حين عرضت القصيدة على أستاذنا الراحل محمد عبد الوهاب قال لي :

ـ هذه القصيدة انقلاب في قانون الحب. فلقد قضينا

مئات السنين نتمنّى وصل الحبيب ونذبح أنفسنا للحصول على موعد منه.. ثم جئت أنت، فأعلنت (الفيتو) على الوصال بين الحبيبين، ونسفت مواعيد الهوى، وقلبت نظرية الحب رأساً على عقب!

قلت لأستاذنا الكبير :

ليس هناك نظرية واحدة فى الحب .. فكل عاشق يحمل نظريته معه، ونظريتى هذه ليست سوى محاولة للقضاء على الروتين اليومى للحب، وإبقاء الحبيبة طازجة كالوردة.. ومدهشة كقوس قزح..

واقتنع موسيقارنا العظيم بتفسيرى ووضع القصيدة فى جيبه، وهكذا ولدت (أسألك الرحيلا)...

● **والسيدة أم كلثوم، لم يكن بينك وبينها أى لقاء أو مشروع لغناء إحدى قصائدك؟**

ـ طبعاً كان من أجمل أحلامى أن تشدو مغنية العصر بقصيدة حب من قصائدى.

القصيدة الوحيدة التى غنتها لى كانت قصيدة سياسية ، هى (أصبح عندى الآن بندقية) التى كانت أغنية جميلة جداً لحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب، وأعطاها صوت السيدة أم كلثوم بعداً ملحمياً وثورياً رائعاً.

أما عن قصائد الحب، فسوف أدلى لمجلة (نصف الدنيا) بأول اعتراف عن قصيدة حب، لم تر النور، لأنها اصطدمت بمبادىء السيدة أم كلثوم، ومناقبيتُها، وفكرها الصوفى.

القصيدة التى قدمتها لها فى السبعينيات، كان عنوانها: (اغضبْ.. كما تشاءُ)

وهذا مطلع من القصيدة:

اغضب كما تشاءُ..
واجرح أحاسيسى كما تشاءُ
حطم أوانى الزهر والمرايا
هدِّد بحب امرأة سوايا
فكل ما تقوله سواء
وكل ما تفعله سواء
فأنت كالأطفال، ياحبيبى
نحبُّهم ..مهما لنا أساءوا..
اذهب إذا أتعبك البقاء
فالأرض فيها العطر والنساء
وعندما تريد أن ترانى..
وعندما تحتاج كالطفل إلى حنانى
فعُدْ إلى قلبى متى تشاءُ
فأنتَ فى حياتى الهواءُ
وأنتَ عندى الأرضُ والسماءُ
لابدَّ أن تعود ذات يومٍ
وقد عرفت ما هو الوفاءُ

كنتُ أقرأ القصيدة للسيدة أم كلثوم فى فيللتها فى الزمالك، وكانت تصغى إلىّ بذوق شعرى رهيف، وعقل مفتوح..

وعندما فرغت من قراءة القصيدة، قالت لى السيدة العظيمة:

ـ قصيدتك جميلة جداً يانزار .. ولكنها بكل أسف ـ تتعارض مع مبادئى، ومواقفى، ونظرتى إلى الحب.

وأضافت بكل هدوء ومحبة:

ـ إن أم كلثوم لاتسمح لنفسها، ولاتسمح لها تقاليدها وقيمها أن تقول للرجل الذى تحبه: اذهب شمالا ويميناً، وشرقاً وغرباً وادخل فى علاقات غرامية مع ألف امرأة وامرأة ثم متى تعبت (فعد إلى قلبى متى تشاءُ) لأننى حاضرة للصفح عنك فى أية لحظة.

ـ هذا موقف لا أقبله ـ يانزار ـ لأنه يتناقض مع ما أؤمن به : فأرجو أن تفهم وجهة نظرى.

والحقيقة أننى لم أتضايق من كلمات السيدة أم كلثوم، بل استمعت إليها باحترام وتقدير كبيرين لرأيها ومناقبيتها، وتاريخها العريق.

هذا حوار حضارى دار بينى وبين كوكب الشرق السيدة أم كلثوم، منذ حوالى عشرين عاماً، أنشره للمرة الأولى فى مجلة (نصف الدنيا) حتى تعرف الأجيال الجديدة، أن عمالقتنا فى الغناء لم يصلوا إلى القمة بأصواتهم فقط.. وإنما بنقائهم الداخلى، وتصوفهم الفنى، والتزامهم الأخلاقى.

● **شكَّلت مع عبد الحليم حافظ ذات يوم، ثنائياً تميز بشجاعة الكلمات وغرابتها وحداثة الأداء وثورته.**

من هو عبد الحليم حافظ بين المطربين؟

ـ عبد الحليم حافظ هو بين المطربين شاعرهم، وبين الشعراء مطربهم، ولا أدرى لماذا أشعر أن هذا الرجل شاركنى فى كتابة قصائدى، كما شاركته أنا فى غناء شعرى.

ففى (رسالة من تحت الماء) وفى (قارئة الفنجان) .. اختلطت حدودى وحدوده حتى صار هو الشاعر، وصرتُ أنا المغنى..

هذا التداخل أو هذا التقمص مع عبد الحليم حافظ يحدث

لى للمرة الأولى..

كنت دائماً أحتفظ بحدودى الشعرية وباستقلالية كلماتى، حتى جاء عبد الحليم ونسف الحدود كلها.

دخلت معه بحر المغامرة الشعرية والغنائية فلم يخف من ارتفاع الموج وعصف الرياح.

ذات يوم، وكنت مقيماً فى بيروت، اتصل بى الموسيقار الأستاذ محمد الموجى من فندقه فى بيروت وقال لى: يا أستاذ نزار أنقذنى فأنا فى ورطة، قلتُ خير إن شاء الله.

قال : أصل الأستاذ عبد الحليم أعطانى قصيدة لك تنتهى بعض أبياتها بالقاف المسكونة :

(الموج الأزرق فى عينيك، ينادينى نحو الأعمقْ)

(وأنا ماعندى تجربة فى الحب، ولاعندى زورقْ)

(إنى أتنفس تحت الماءْ)

(إنى أغرقْ .. أغرقْ ... أغرقْ)

وأنت تعلم أن تلحين الحروف الصوتية أمر ممكن، أما تلحين الحروف الساكنة فمهمة مستحيلة.

فهل ممكن أن تخلصنى من حكاية (إنى أغرق .. أغرق .. أغرق)؟ حتى أعرف كيف أشتغل على اللحن.

قلتُ : ياأستاذ محمد.. يؤسفنى أن لا أستطيع أن أفعل شيئاً، لأن موضوع القصيدة الأساسى هو الغرق.. أى غرق امرأة فى بحر الحب .. فإذا انتشلنا المرأة بسلام من الماء.. سقط الحجر الأساسى للقصيدة.. وبعد أيام وصل عبد الحليم حافظ إلى بيروت، ونقلت إليه اعتراض الموجى، فقال لى ضاحكاً: (لاتهتم بصراخ الموجى فهو عيلجّن يعنى عيلحّن) وبالفعل أكمل الموجى تلحين (رسالة من تحت الماء) بكل قافاتها المسكونة وكانت واحدة من أجمل ألحانه وأنجحها..

● من كان عبد الحليم حافظ بالنسبة لك كشاعر، وإلى أى درجة استوعب غرابة كلماتك، وجرأتها، وخروجها على المألوف فى الأغنية العربية؟

ــ أعظم ما فى عبد الحليم أنه كان مثلى باحثاً عن الغريب والمدهش واللامألوف.

كنت أنا أحلم بإحداث انقلاب فى جسد القصيدة .. وكان هو يحلم بإحداث انقلاب فى جسد الأغنية.

وهكذا تلاقى فكرى الانقلابى بفكره واستطعنا أن نخرج من لغة أحمد رامى الغارقة فى الحلم والرومانسية، لندخل الأغنية إلى عصر الحداثة ونجعلها جزءاً من كلامنا اليومى، ومن عصرنا.



من فوق أريكة صينية كان نزار قبانى اشتراها لمَّا عمل دبلوماسيا لبلاده فى الصين، يتحدث عن تجاربه فى الحياة والشّعر.

ودخلنا إلى المختبر معاً وخرجنا (بقارئة الفنجان) التى أعتبرها من أغرب وأصعب قصائدى فى الغناء.

ولكن عبد الحليم ألقى القبض على القصيدة وقرر أن يغامر بها، وعندما عبَّرت له عن قلقى من صعوبة القصيدة، وعدم قدرة الناس البسطاء على التقاط الصورة الشعرية:

قال لى : إذا كان البسطاء لايفهمون فسوف نجعلهم يفهمون، إننى أريد أن أرفع ذوق الناس، هذه هى مهمتك كشاعر، وهذه هى مهمتى كمطرب، وإلا فسوف نبقى فى عصر (تعالى لى يابطة)!

إن كلمات عبد الحليم الشجاعة والواثقة والمستقبلية لاتزال ترن فى أذنى حتى اليوم..

وكلما سمعت أولاد الأحياء الشعبية يرددون :

بحياتك ياولدى امرأةٌ
عيناها سبحان المعبود
فمها مرسوم كالعنقود
ضحكتها أنغام وورود
والشعر الغجرى المجنون يسافر فى كل الدنيا..
قد تغدو امرأة ياولدى يهواها القلب هى الدنيا..

كلما سمعت هذا المقطع من (قارئة الفنجان) أدركت كم كان عبد الحليم حافظ على حق، لأنه استطاع بالفعل أن يرفع بفنه الذوق الشعبى إلى مستواه الحضارى والثورى والثقافى.

● وبعد عبد الحليم حافظ .. إلى أين؟

ـ إلى اللاشيء فلقد ذهب الانقلابي الكبير وذهب المغامر الكبير وذهب الذي كان يكسو الكلمات جلداً وعظماً.

وإلى أن يأتي انقلابي آخر بمواصفاته وشجاعته ورؤيته المستقبلية سوف ننتظر طويلاً..

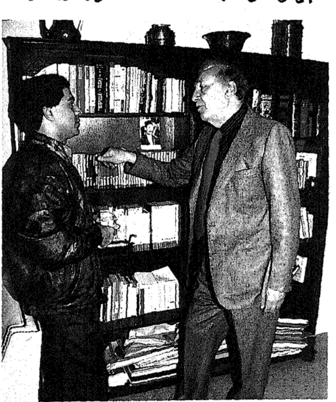
● برأيك من هو (هي) أجمل من غنى قصائدك؟ وما أقرب القصائد المغناة إلى قلبك، ومن غير عبد الحليم حافظ (يصلح) لغناء قصائد نزار قباني؟

ـ هناك ثمة فارق بين من غنى قصائدي وبين من (تقمصها).. فنجاة وفايزة أحمد وفيروز وماجدة الرومي غنوا قصائدي بشكل جميل، ولكن الذي تقمصني هو عبد الحليم..

● عندما تسمع قصائدك بأصوات المطربين والمطربات، هل تتذكر كلمات نزار أم صوت المطرب أو المطربة؟

ـ عندما أسمع شعري المُغنّى تختلط في رأسي حدود الجغرافيا، وأوزان الشعر بإيقاع الموسيقى، ويتحول العمل إلى بناية عالية من الشعر والموسيقى لا أميز بين أبوابها وغرفها وشرفاتها.

● إلى أي مدى أسهمت قصائدك المغناة في وصول صوت



نزار قباني لأحمد الشهاوي في ركن من مكتبته : لم أعد أحتفظ في بيتي إلا بالأصول والأمهات من الكتب، فقد مر زمن القراءة « القطاعي » كما تقولون في مصر.

نزار إلى أبعد نجع أو قرية في صعيد مصر، أو القامشلي أو دير الزور في سورية؟

ـ بالرغم من كوني شاعراً مقروءاً على مستوى الوطن العربي كله، إلا أن قصائدي المغناة وسعت حدود امبراطوريتي الشعرية بشكل مذهل، فالذي لم يعرفني عن طريق أعمالي الشعرية الكثيرة عرفني عن طريق الكاسيت، والذي لم يعرفني عن طريق الكاسيت.. عرفني عن طريق أشرطة الفيديو المأخوذة لأمسياتي الشعرية.

وبشكل عام أنا مدين لشعري المغنى كثيراً، لأن الشعب العربي لايقرأ بعينيه كما بقية الشعوب، ولكنه يقرأ بأذنيه..

● لو لم يكن نزار شاعراً.. فماذا كان يمكن أن يكون؟

ـ كان يمكن أن يكون مصمم أزياء نسائية، ففي تصميم الأزياء النسائية شيء كثير من الشعر والتخيل والخلق..

وعلى فكرة فإن ابنتي زينب تحمل دبلوماً في الـ Fashion Design من لوس أنجيليس ... وربما حققت زينب بعض هواياتي المقموعة.

● هل تفرق بين مصطلحي (شعر الحب) و (شعر الغزل)، أم أنهما شيء واحد؟

ـ إنهما مصطلحان مختلفان..

فشعر الغزل يتناول مفاتن المرأة الخارجية، ويهتم بتصويرها وعرضها كما تفعل الكاميرا..

أما شعر الحب فهو يتناول المرأة من كل زواياها وأبعادها الروحية والنفسية ويحاول أن يكتشف عطر الأنوثة الداخلي.. أي أنه يسلط الضوء على ما في أعماق الوردة لا على أوراقها ولونها فقط..

● لك كتابٌ اسمه (أحلى قصائدي).. ما أحلى قصائدك في شعر الحب؟

ـ أحلى قصائدي هي قصائدي التي لم أكتبها .. أما قصائدي المنشورة فقد تركت بيت الأبوة وتزوجت وأنجبت ورحلت مع زوجها وأولادها إلى بلد آخر..

ولم يبق بيني وبينها إلا المراسلات وأطيب التمنيات بالتوفيق.. إنني أتضايق كثيراً كلما دعيت إلى حفل عشاء وقام صاحب البيت، زيادة في الترحيب، بوضع شريط مسجل لإحدى الأمسيات التي أقرأ فيها شعري..

ولا أدري لماذا أشعر أن الزمن الشعري غير قابل للاسترجاع، وأن صوتي الخارج من آلة التسجيل هو صوت

شاعر آخر..

وحين ينتهي التسجيل .. أستعيد طمأنينتي وأشكر صاحب البيت لأنه أطلق سراحي..

إنني شاعر بلا ذاكرة شعرية.. لأن البقاء ضمن أسوار الذاكرة الشعرية يمنعك من الاشتغال على القصيدة الآتية، ويجعلك رهين ما تحفظ.. وأنا والحمد لله لا أحفظ شعري.. ولا أتذكر اليوم قصيدة كتبتها البارحة.

● **غنت لك ماجدة الرومي قصيدة (ياست الدنيا يابيروت) من ألحان الموسيقار المصري جمال سلامة.. ما رأيك في اللحن وفي أداء ماجدة للأغنية؟**

ـ اكتشافي للملحن جمال سلامة كان فرحة حقيقية، ذلك أن اللحن الذي وضعه لقصيدتي (ياست الدنيا يابيروت) كان على مستوى نشيد (المارسيلييز) الفرنسي .. أي لحنًا بدون تطريب .. وبدون ميوعة.. وبدون هزِّ خصر، القصيدة تطالب بيروت أن تنهض من موتها كطائر الفينيق..

قومي من حزنك، إن الثورة تولد من رحم الأحزانْ

قومي كقصيدة ورد أو قومي كقصيدة نارْ

قومي إكراماً للغابات، وللأنهار، وللوديانْ

قومي إكراماً للإنسانْ

يابيروت .. يابيروت .. يابيروتْ

مثل هذه الكلمات المتشنجة، العاصفة العصبية.. كانت بحاجة إلى لحن متشنج وعاصف يعبر عنها، وأنا سعيد أن الموسيقار الدكتور جمال سلامة كان على مستوى قلقي وتوتري، وكذلك كان أداء السيدة ماجدة الرومي بصوتها الأوبرالي القويّ، وإيمانها الذي لايقهر بقيامة لبنان وعودته وطناً للشعر والجمال والحب كما كان..

● **لماذا تكتب الشعر؟**

ـ أنا كالسد العالي في مصر أختزن خلفي ملايين الأمتار المكعبة من الأحاسيس والانفعالات والغضب والجنون.

وأنا أكتب حتى لا تفيض مياه السد وتغرق الدنيا.

● **هل الشعر هو جنون مكتوب؟**

ـ إنه جنون مكتوب ومقروء ومسموع أيضاً..

● **كيف تصبح صورة العالم إذا انقرض جنس الشعر؟**

ـ سينقرض مع انقراض الشعر، جنس الغزلان والفراشات، والزرافات، وعصافير الكناريا، والحمائم البيضاء، والنساء الجميلات، وأزهار التوليب والتمر حنّة..

ولن يبقى على الأرض سوى وحيد القرن والتماسيح والنسانيس والضباع والديكتاتوريين..

● **إلى أي عصر من العصور تشتاق؟**

ـ أشتاق إلى عصر الشموع ورائحة الحطب، وخبز الصباح، والمرأة التي تخرج من النهر عند الصباح، وليس عليها إلا رذاذ الماء ورذاذ الفجر، أشتاق إلى المرأة التي لم تصنع في مختبرات ماكس فاكتور، ونينا ريتشي، وشانيل، كما تصنع سيارات البورش والفيراري..

أشتاق إلى امرأة معجونة بالورد البلدي والقرفة، واليانسون، وأذان الفجر، والمواويل، وسمفونية البهارات المنبعثة من دكاكين العطارين في دمشق، والقاهرة، ومراكش.

أشتاق إلى المرأة السنبلة،، التي ترفض أن تدخل مسابقات ملكات الجمال .. لأن خصر السنابل لايُقاس..

● **ولكن العصر الجميل الذي تتحدث عنه لم يعد ممكناً.. فكيف تواجه عصرك؟**

ـ أواجه عصري بكتابة الشعر، فالشعر هو الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها أن أقاوم بشاعات هذا العالم، تماماً كما يفعل البستاني حين يكافح الحشرات الضارة بالمبيدات الكيماوية.

الشعر هو بطبيعته من (حزب الخضر) وهو الذي يحمي الحياة، ويصون البيئة ويدافع عن زرقة البحر، وخضرة الغابات، وسلالة العصافير، وذرية الإنسان..

إنني لا أهتم بعصري كثيراً، فأنا بالشعر أخترع العصر الذي أريده.

● **ينتقل الياسمين الدمشقي في شعرك من دمشق إلى جنيف، إلى لندن، إلى باريس، إلى مدريد، في رحلة تذكّرنا برحلة الأمويين إلى الأندلس.. ما هذا الياسمين الذي تعبق رائحته في ثيابك وفي أبجديتك؟**

ـ أنا من سلالة الياسمين الدمشقي، وهذا الياسمين لم يدخل في تركيبي الجسدي والسايكولوجي فقط.. ولكنه دخل في تركيبي اللغوي والثقافي.. كل الذين قرأوني بشمولية يقولون (إن لغتي مائية)، وإن النباتات الشامية من ياسمين، وفل، ونرجس، وورد، وريحان، تعرِّش على أكتاف حروفي.

إنني محصول شامي مئة بالمئة كالمشمش، والتفاح، والعنب، والسفرجل، ولا أتصور أنني أستطيع تغيير فصيلة دمي:

أنا قبيلة عشاق بكاملها ... ومن دموعي، سقيتُ البحر والسُحُبَا

فكل صفصافة حولتها امرأة وكل مئذنة رصّعتها ذهبا
فلاقميص من القمصان ألبسه إلا وجدت على خيطانه عنبا

● كيف تقضى يومك فى المنفى اللندنى حيث صباح بلا ياسمين وظهيرة بلا شمس، ومساءً بلا نجوم؟

– سبق لى أن قلت إن الياسمين الدمشقى هو جزءٌ من دورتى الدموية. فأنا أحمله فى حقائبى، وفى ثيابى، وفى أوراقى..

لذلك ليست لدىَّ مشكلة مع الطقس، وغياب الشمس والقمر والنجوم لايشكِّل عندى كارثة.

لأننى أستطيع أن أخترع شموسى، وأقمارى، ونجومى عندما أريد..

الحب فى الأرض، بعض من تخيلنا

لو لم نجده عليها لاخترعناه

إن الأسفار كلها لاتستطيع أن تقتلع ياسمينة واحدة من جدران ذاكرتى..

● صف لى الشارع الدمشقى الصغير الذى يؤدى إلى منزل طفولتك فى حى (مئذنة الشحم) كما تتذكره فى آخر مرة كنت هناك..

– حارتنا الضيقة فى دمشق القديمة لاتزال فى مكانها، والأبواب الخشبية لاتزال فى مكانها، والسنونو لايزال يعشش فى سقوفنا وأجفاننا كلما تعب من الرحيل..

منذ سنتين زرت حارتنا، مع فريق تليفزيونى كان يرافقنى.. سلَّمتْ علىَّ القطط النظيفة البيضاء.. وسلَّمت علىَّ الشبابيك والشُرفات، وسلمُ علىَّ صبيان الحارة والبنات ذوات الضفائر..

وسألت إحدى البنات إذا كانت تعرفنى فاحمرُ وجهها خجلاً وقالت : أنا لاأعرفك ولكن أمى تضع مجموعاتك الشعرية إلى جانب سريرها...

● لو زارك فى الحلم طيف، وقال لك : أنا «المتنبى».. ماذا ستقول له؟

– سأعطيه غرفة نومى ومكتبى، وأصنع له قهوة عربية بالهال، وأغسل قدميه بماء الورد، وأعترف له بأنه علمنى الشعر واحترام النفس والكبرياء..

● لو وجدت نفسك مصادفة أمام صندوق بريد وفى يديك مظروف وطابع، وورقة بيضاء. ففيمن تفكر، ولمن تكتب خطاباً؟

– أكتب خطاب شكر لأمى وهى فى فردوسها السماوى، لأنها فى عام ١٩٤٤ باعت أساورها الذهبية وساعدتنى على طباعة مجموعتى الشعرية الأولى (قالت لى السمراء)..

ولولا هذا القرض (الأمومى) لما تمكنت من تحقيق حلمى الأول فى تحويل صرخاتى الشعرية الأولى إلى كتاب مطبوع..

أساور أمى هى التى فتحت طريقى إلى المطبعة، وهى التى جعلتنى أدمن رائحة الحبر والورق..

لقد كانت أمى هى (ناشرتى الأولى)، لذلك لم أضطر فى يوم من الأيام لتقبيل أيدى الناشرين والتماس رحمتهم.

● لو تخيلت نفسك عابراً من هذا القرن إلى القرن ٢١.. ماذا تقول فى وداع هذا القرن؟

– أقول له : وداعاً يا عصر هيروشيما وشيرنوبيل وغاز الأعصاب وغاز الخردل و (الروبوتات) التى تكتب قصيدة النثر..

● ماذا يعنى الجنس لديك؟

– يعنى الطهارة، النقاء، والسمو..

وهو مرتبط بعقلية ومستوى وحضارة الإنسان الذى يمارسه.. فإذا كان الذى يمارسه راقياً تحول الجنس إلى فعل رقى، وإذا كان الذى يمارسه ثوراً تحول الجنس إلى مذبحة أو إلى (كوريدا) إسبانية.. قل لى كيف تقترب من امرأة أقل لك من أنت.

● لو قامت ثورة وجاء مفجروها يسألونك أن تكون الحاكم المُغيِّر وقبلت.. ما أول شىء تفعله ؟

– ليس ثمة ثورة فى التاريخ طلبت مشورة المثقفين، أو الشعراء أو رجال الفكر، بل ذبحتهم كما ذبحت سقراط فى أثينا والحلاج فى بغداد، فليس من طبيعة السيف أن يصادق أحداً أو يشاور أحداً أو يشارك بالسلطة أحداً..

ولما كان الفكر سلطة قائمة بذاتها، وكان الشاعر سلطاناً على أوراقه وعلى جماهيره .. فإن من يغتصبون السلطة، لايتساهلون مع أى صاحب سلطة أخرى، كالكاتب، أو المفكر، أو الشاعر..

إنها عداوة قديمة مثل عداوة القط والفأر..

ربما كان هناك ثمة فئران تجامل القطط وتتزلف لها وتعقد معها معاهدات صلح..

ولكن الفأر الذى يحترم نفسه .. ويحترم سلالاته المناضلة لايرفع الراية البيضاء، ولايتخلى عن قضيته..

لذلك لاجواب لى عن سؤالك السريالى، فلا الانقلابيون سيأتون إلىَّ، ولا أنا سأذهب إليهم.

● هل مازال فى إمكان الشاعر أن يشعل الحرائق.. هل

مازال هناك فى العالم العربى ما لم يحترق؟

ـ لا .. لم يعد بإمكانه مع الأسف..

فالقصيدة التى كانت فى الثلاثينيات من هذا القرن، تفجر وتغيِّر وتحرك المظاهرات، وتقلب الوزارات أحالوها إلى المعاش، ووضعوها تحت الإقامة الجبرية.

شعراء الحداثة اليوم قرفانون من الجمهور والجمهور قرفان منهم.. فكيف يمكن لهؤلاء الشعراء أن يكونوا صوت أمتهم إذا كان صوتهم لايستطيع أن يصل إلى أبعد من خمسة سنتيمترات من أفواههم؟!

كيف يمكن لهؤلاء الشعراء أن يضيئوا دروب المستقبل العربى إذا كانت بطارياتهم الثقافية فارغة؟ كيف بوسعهم أن يعلمونا فن الشعر إذا كانوا عاجزين عن تركيب جملة مفيدة؟ وكيف بوسعهم أن يعلمونا فن العشق إذا كانوا لم يلمسوا فى حياتهم أصبع امرأة؟؟...

● لك مسرحية شعرية اسمها (جنوستان).. هل تعدنا بأعمال مسرحية شعرية أخرى أم ذلك مجرد نزوة فنية وبيضة ديك؟

ـ هذه غلطة الشاطر .. ولن أكرر غلطتى أبداً..

● يتهمك حتى الذين يحبون شعرك أنك هجَّاء يخلط فى هجائه بين الحكام والشعوب، ويخلع على الجانبين الصفات نفسها؟

ـ الحاكم لايأتى من الفراغ أو من العدم، وإنما هو محصول زراعى كالبصل، والعدس، والقمح، والشعير... والملوخية..

الحاكم يتكوَّن فى رحم الشعوب كما تتكون البيضة فى رحم الدجاجة، أى أن ملامح الشعوب والحكام تتشابه..

لذلك فأنا لا أبرىء الشعوب من المسئولية، فهى بانصياعها ونفاقها ولا أُباليتها وانتهازيتها.. تهيىء المناخ المناسب لولادة الديكتاتور.. الديكتاتور ليس قوياً بقوته وإنما هو قوى بضعفنا..

والطاغية ليس هو عملاقاً كما نتصور، ولكنه عملاق لأننا قبلنا أن نكون أقزاماً..

● «قصيدة النثر» كما يسميها شعراؤها اليوم، أخرجت لنا عدداً من الشعراء الجيدين، وعدداً كبيراً من الشعراء الرديئين..

هل تتابع هذا الجديد؟ وهل هناك أسماء لفت شعرها انتباهك ؟



جلس نزار ليشرح للشهاوى أهمية هذه التحفة الصينية التى كان حريصاً على أن يعود بها من الصين فى منتصف الستينيات، لأنها تذكره بأحلى الذكريات.

ـ نعم أتابع «قصيدة النثر» وأموت ضجراً..

وأحاول بكل طاقاتى ومعارفى وخبراتى الشعرية، أن أتعاطف معها، وأن أدخل فى فضائها، ولكننى أصطدم بعشرات الأبواب المغلقة، لأن الذين هم فى الداخل لايريدون أن يفتحوا لأحد..

إننى أبحث فى الفن ـ كل الفن ـ عن القناعة العقلية والنفسية، وحين يفشل النص فى إقناعى بأهميته أو جدارته أو طرافته، أسقطه من حسابى..

(قصيدة النثر) تعيش فى عزلة مطلقة، وفى غربة رهيبة عن الحياة العربية، لأنها قطعت جميع الجسور الثقافية والاجتماعية والمعنوية والتاريخية مع الآخرين، أى أنها حزب بلاد أنصار، ولا أعضاء، ولا نظام داخلى، ولا شعبية، ولا قوة انتخابية..

● أليس من سبيل إلى اجتماع المثقفين والمبدعين العرب فى (خط ثالث) يتجاوز التجاذب السلطوى بين خطين سائدين، ويمكِّن المثقفين من الاستقلال بآرائهم بعيداً عن السلطات والحاكمين ليتمكنوا بعد ذلك من إحداث تغيير فى مجتمعاتهم؟

ـ كلامك يذكرنى بمقررات مؤتمر باندونج، ودول عدم الانحياز التى تحولت إلى اسم بغير مسمى.

أنت تريد من الأدباء أن يشكلوا (خطاً ثالثاً) يتجاوز سلطة مراكز القوى وسلاطين الأمر الواقع، ونرجسية الحاكم بأمر الله، وسلالات اللون الكاكى، وتذبذب المثقفين، وجحيم

الأصوليين ، وجاهلية التقدميين..

إن ما تحلم به هو مجرد فانتازيا أو يوتوبيا، فليس في الكتابة شيء يسمى (الخط الثالث).. فإما أن تكون على خط النار، وإما أن لاتكون.

● نال العرب جائزة نوبل عن طريق نجيب محفوظ، وهناك من يرى أن الجائزة لن تذهب ثانية إلى أديب عربي قبل مرور عقد، ومع ذلك هناك من الأدباء من يعد نفسه بها كأدونيس وإدوار الخراط ونوال السعداوي وربما غيرهم.

ما رأيك في الأمر وأنت طالما كنت ضد الجائزة ؟

ـ لم ينتظر شيكسبير عندما كتب مسرحياته جائزة نوبل، ولا المتنبي انتظرها، ولا رامبو، أو بودلير انتظرها..

الكاتب يضع عينه على ورقة الكتابة فقط، فإذا فكر بشيء آخر أضاع توازنه، واضطربت رؤيته وأصيب بالدوار.

الخيول الأصيلة تركض من أجل لذة الركض، والشعراء الكبار يغنون من أجل لذة الغناء..

ولو طلبنا من أبي نواس أن يترك حانته في بغداد، ويسافر إلى ستوكهولم ليتسلّم جائزة الأكاديمية الملكية السويدية، لأجابنا مبتسماً: ياسيدي .. يفتح الله.. إنني لن أترك مكاني على شاطىء نهر دجلة .. ولن أترك زجاجتي لو كانت الرحلة إلى الجنة!!.



احمد الشهاوي ونزار قباني على شاطىء بحيرة الهايدبارك في لندن عام ١٩٩٢، حيث اقترح نزار أن يذهب لإطعام الحمام، ليتذكر الحرية التي يفتقدها، والتي لاتتحقق إلا في شعره وسلوكه فقط.

● لم أقرأ كتاباً نقدياً يقارب عالمك الشعري مقاربة ترقى إلى مستويات هذا العالم، رغم أن بعضها حمل عنوان (الكون الشعري عند نزار قباني).

هل تعتبر بساطة شعرك الأسرة والجذابة مدخلاً مضللاً إلى شعرك؟ هل تعتبر نفسك ظاهرة محيرة؟

ـ إنني أعتبر نفسي ظاهرة طفولية.

والتعامل مع الأطفال، كما يعرف الكبار، في غاية الصعوبة

إن الأطفال يتكلمون على سجيتهم بدون ترتيب سابق، وبدون تخطيط سابق، وبدون جدول أعمال وأوراق عمل..

إن شعري لايحتمل كل هذه التعقيدات الأكاديمية، وكل هذه القبعات والأزياء والطقوس البروتوكولية..

ولما كان النقاد مغرمين باستعراض عضلاتهم البنيوية، والألسنية، وكانت هوايتهم تعقيد البسيط.. وتصعيب السهل وتخريب الجميل .. فقد فشلوا في إقناعي بترك روضة الأطفال وارتداء ملابسهم الكهنوتية السوداء وقبعاتهم الكرنفالية..

● يشكو منك الأدباء من الأجيال اللاحقة عليك، والشابة، من أنك لاتفتح معهم أية قنوات اتصال، وليست لك مجالس تجمعهم بك، كما يفعل الكثير من شعراء العربية على امتداد الوطن العربي، خاصة وأنك صاحب تجربة شعرية طويلة وعميقة في تحديث القصيدة العربية؟

ـ أنا شاعر ولست (صاحب طريقة) شعرية لأجمع دراويش الشعر حولي، إنني لم أقتنع يوماً بجدوى مثل هذه التجمعات أو الصالونات التي لم يطلع منها شيء من الشعر أو من النثر.

إن مهنتي هي أن أكتب الشعر، لا أن أمسك الطبشورة بيدي وأقف على اللوح الأسود .. لأشرح كيمياء الشعر..

ليس في الشعر تكايا ولاحلقات ذكر ولامجاورون ولامرابطون.. الشعر هو حالة من حالات الانطواء والعزلة لاحفلة (كوكتيل) يختلط فيها الداخل بالخارج.. والموهوب بالبلطجي..

● لم تحاول أبداً أن تمارس النقد أو تقديم قراءتك للشعر العربي القديم أو حتى الحديث. وكتاباتك النثرية غير المقالات السياسية، تركزت جميعها حول تجربتك الشعرية الخاصة أو سيرتك الذاتية.

ـ السيرة الذاتية التى يكتبها الشاعر خلال حياته عن تجربته الشعرية هى أهم الكتابات على الإطلاق. لأنها تضىء خلفية المسرح، وتكشف الستائر عن رؤيته الحياتية والثقافية الصغيرة التى لايعرفها أحد..

ولو أن شعراءنا الكبار، كالمتنبى وأبى تمام والشريف الرضىّ والعباس بن الأحنف، وعمر بن أبى ربيعة، كتبوا سيرهم الذاتية، لانفتحت أمام الدارسين العرب آفاق مذهلة من المعرفة.

أما ممارسة النقد أو تقديم مختارات من الشعر العربى القديم، فعمل مدرسى وتعليمى لايدخل فى طبيعة مهمتى كشاعر.

إن عملية الإبداع لا تتحمل أى عمل إضافى عليها، وعلى الشاعر أن يبقى متفرغاً كأى رسول لأداء رسالته.

● بقدر مالك من نقاد متحمسين.. لك نقاد يهاجمونك بضراوة.. من هو فى رأيك أكثر النقاد إنصافاً ومعرفة بأسرار تجربتك الشعرية؟ ومن هم أكثرهم قسوة فى التعامل مع شعرك؟

ـ صدقنى أنا لا أشغل بالى بمثل هذه التساؤلات، وليس عندى جدول انتخابى بمن يؤيدوننى ومن يعارضوننى..

كل ما أعرفه أننى لا أزال منذ خمسين عاماً أنجح فى الانتخابات العامة، وأدخل البرلمان كناطق رسمى بلسان الشعب العربى دون أن أشترى صوتاً واحداً، أو أستعين بأجهزة المخابرات ومراكز القوى، وأنا بالطبع مدين لجميع الذين صوّتوا معى، ولجميع من صوتوا ضدى، لأننى شاعر ديمقراطى ويؤمن بالتعددية الشعرية..

● كان هناك اتهام موجّه إلى اثنين (أنت وسعاد الصباح) بأنك تكتب لها شعرها .. المتهمة الأولى نفت التهمة على صفحات مجلة (المجلة).. فما دفاع المتهم الثانى عامة على صفحات مجلة (نصف الدنيا)؟

ـ هذه التهمة إهانة لجنس النساء، لأنها تظهرهن بمظهر القاصرات الخائبات العاجزات عن تقديم أى عمل إبداعى..

إنها إشاعة سخيفة روّجها ذكور القبيلة ليثبتوا أن (الرجال قوامون على النساء) فى الشعر والنشر والإدارة والاقتصاد والسياسة وكل النشاطات الإنسانية الأخرى..

إن عصر وأد النساء جسدياً قد انتهى..

فإلى متى يستمر عصر وأد النساء (شعرياً)؟؟

● أنت لم تدخل فى حياتك حزباً سياسياً، ولم تربط نفسك بتجمع ثقافى وجماعة شعرية، ولم تنخرط فى تنظيم سرى، ولم تضع شعرك فى خدمة أية أيديولوجية.. لقد كان الإنسان هو انتماؤك الوحيد.. فماذا تقول فى شعراء عرب كبار وشعراء عالميين؟

ـ أنا لا أنقل سلوك الآخرين، ولا مواقفهم. إننى لا أسمع إلا صوت حريتى، لايعنينى أن يكون بابلو نيرودا اشتراكياً، وأراجون شيوعياً، وإزرا باوند فاشستياً..

ما يعنينى هو أن يبقى الشعر خارج زنزانات الأيديولوجيات السياسية والحزبية، لأن الشعر أكبر من هذه الأقفاص الضيقة..

● بعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وهزيمة العرب الكبرى فى يناير ١٩٩١، أعدت نشر قصيدتك الشهيرة (هوامش على دفتر النكسة) وألحقت بها قصيدتك الجديدة (هوامش على الهوامش)..

كيف رأيت القصيدة السياسية بين هزيمتين، وكيف ترى ضياع حلمك وهزيمتك الشخصية بين هذين التاريخين الفاصلين فى حياة الأمة العربية؟

ـ ماجرى فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٩١ لم يكن هزيمتى الشخصية، ولكنه كان هزيمة وطن، وأمة، وتاريخ..

لقد أذهلنى أن هزائمنا تتكرر كضربات الساعة بإيقاع واحد ونموذج واحد، وأن (أبطالنا) يتشابهون كأوراق الكوتشينة، وأن معجم أحمد سعيد لم يطرأ عليه أى تغيير، بعد ربع قرن..

إن قصيدتى (هوامش على الهوامش) التى صدرت بعد حرب الخليج كانت تريد أن تقول هذا بصوت نصفه سخرية ونصفه بكاء..

إننى لا أعتبر القصيدة جديدة.. إذ ليس فى تاريخ كوارثنا ومصائبنا شىءٌ جديد.

● لماذا «ارتحلتَ عن الفيحاء مغترباً»؟

ها أنت ساءلت نفسك، ها أنذا اليوم أرد إليك سؤالك ثانية؟

ـ عندما يكمل الطفل شهره التاسع، فإنه يترك رحم أمه ليعيش حياته ويكشف الدنيا..

إن جميع أطفال العالم يقومون بهذه الرحلة المكوكية حتى يكتشفوا أبعاد أجسادهم وأبعاد الكائنات والكواكب الأخرى.

• ما رأيك بالصفات التى يطلقها النقاد والقراء على الشعراء (كالشاعر الكبير)، (أمير الشعراء)، (شاعر الشباب)، (شاعر النيل)، (شاعر القطرين)، الخ..

هل ترى أن اسم الشاعر يحتاج إلى صفات ليثبت؟

ـ كل هذه الألقاب هى من مخلفات العصر العثمانى .. وكما ورثنا الطربوش والمسبحة والشيشة والحمام التركى والقبقاب .. ورثناها..

والغريب أن أنظمة الباشوية، والبكوية، والأفندية.. انسحبت على حياتنا الثقافية فكان للشعر باشواته .. وبكواته ... وجنرالاته..

كلمة شاعر وحدها هى امتياز دون أى فرمانات ولانياشين ولا أوامر سنية، وهكذا بقى شكسبير فى الأدب الإنكليزى شكسبير .. وبقى بودلير فى الأدب الفرنسى بودلير.. وبقى ريلكه فى الأدب الألمانى ريلكه.. وبقى دانتى فى الأدب الإيطالى دانتى.

• هل تعتقد أن الشعرية العربية تمر بازمة ما.. أم أن الأزمة تتعلق بشعراء دون شعراء.. والشعر فى خير؟

ـ الشعر كما أعرفه بخير. أما الشعر الذى يتخانق ليلاً ونهاراً مع الجيران ومع اللغة ومع الفاعل والمفعول ومع التراث، ومع التاريخ.. ومع نفسه، فيحتاج إلى طبيب ليكشف عليه..

• فى المقابل، هل ترى أن القراء يميلون إلى الكسل، وإلى نشدان السهولة، وأحياناً إلى الانصراف عن الشعر لأسباب لادخل للشعر فيها.. وبالتالى فهم مصدر الأزمة؟

ـ لا أعتقد أن الشعر الجميل، حتى ينتقل إلى الناس، يجب أن يمر بمرحلة (ميفرين) أو (صداع) أو (شلل أطفال)

لذلك فإن الحديث عن كسل الناس، ونشدانهم السهولة ليس دقيقاً، فالناس يبحثون فى القصيدة عن فراديس يلجأون إليها، لا عن (فوازير).. إن الناس فى نظرى لايزالون ناساً.. ولاتزال الكلمة الجميلة تهزهم، أما شعراء الحداثة فقد قطعوا جسورهم مع الناس ولم يعودوا قادرين على هز البشر ولا الحجر.

• نسمع منذ عقدين من الزمان كلاماً مضاداً (للجمهور) يصدر عن الشعراء الجدد، الذين يوجهون فى الوقت نفسه انتقادات عنيفة ضد الشعراء المنبريين (على حد تعبيرهم)، لكونهم يشغلون أنفسهم بفكرة إرضاء الجمهور، أكثر مما يشغلون أنفسهم بفكرة الارتقاء بالشعر إلى ذرى لم يبلغها.. كيف تحدد علاقتك بالجمهور، وأنت أكثر الشعراء شعبية؟

ـ هذه قصة روجها الشعراء الفاشلون الذين لم يستطيعوا منذ عشرين عاماً أن يلقوا القبض على ذبابة واحدة تتطوع لسماع شعرهم.

وحين لايستطيع الثعلب أن يطول عنقود العنب يقول عنه إنه حامض. إن (الجمهور) ليس حامضاً أبداً.. ولكن قصائدهم هى الحامضة.

إن الجمهور هو البوصلة التى يهتدى بها الشاعر، والمنبر هو غرفة امتحان.. والشاعر الذى يخاف دخول الامتحان ... من الطبيعى أن يأخذ صفراً فى مادة الشعر.. وأن يرميه الجمهور خارج القاعة..

• (لقد لعبت دورى بإتقان لمدة خمسين عاماً، وأشعر أن الوقت قد حان لتسليم مفاتيح مدينة الشعر إلى شاعر آخر)

وأنت تفكر فى قول هذا الكلام قبل إعلانه، ماذا كان تصورك عن هذا (الشاعر الآخر..) ما مواصفات قصيدته، خاصة أن الظروف تغيرت، وكذا ذائقة الجمهور، واستجدت أمور كثيرة فى ساحة الشعر العربى؟

ـ لست أنا الذى يُعطى المفاتيح لشاعر آخر. فالشعر كالاستقلال يؤخذ ولايعطى، فالشاعر الحقيقى لايحتاج إلى شفاعات، ولا إلى وساطات للحصول على مفاتيح مدينة الشعر.

وأتصور أن الشعب العربى يعرف جيداً ملامح الشاعر الذى يريده ومواصفات القصيدة التى يريدها..

لا مجال هنا للتزييف أو للتزوير أو للعب على مشاعر الجماهير.

فالجماهير تبحث عن شاعر يصوغ مشاعرها، ويعبر عن أحاسيسها، ويكون الناطق الرسمى بلسان أفراحها وأحزانها ومعاناتها الإنسانية والعاطفية والقومية.

والقصيدة المطلوبة ـ بصرف النظر عن نصها وشكلها ـ هى القصيدة المفتوحة على قضايا الإنسان وقضايا التاريخ، لا القصيدة المتشرنقة المغلقة الخائفة من مخالطة الآخرين .. وملامسة أيديهم.

قد تتغير مواصفات الشعر بين عصر وعصر ومرحلة ومرحلة، وقد تتغير الحساسية البشرية من جيل إلى جيل...

ولكن جوهر الشعر يبقى واحداً، فهو خطاب هدفه أن

يذهب إلى الآخرين ويشكل جزءاً من نبضهم، وصراخهم وضحكاتهم ، وثورتهم الدموية، أما هذا الشعر الذى حبس نفسه فى قوقعة لغوية مسدودة، والذى لايعرف أحد عنوانه.. فسيبقى خارج أسوار المدن العربية، وخارج قوانين الذائقة العربية.

● فى إحدى مقالاتك الأخيرة قدمت لقرائك اعترافاً كبيراً بلا شعرية أغلب قصائدك السياسية، وصفه أحد المعلقين بأنه جرىء، وقال إن على شعراء آخرين أن يتحلوا ببعض شجاعتك ويقدموا اعترافات مماثلة.

أولاً: ما الذى قادك إلى مثل هذا الإعلان، وفيه شيء من التنكر لماضيك الشعرى؟

ثانياً : هل ترى أن على كثيرين فعلاً أن يعترفوا بفشل القصيدتين (السياسية) و (الوطنية) فى تحقيق الشعرية؟

- إن ما كتبته عن قصائدى السياسية هو نوع من (عودة الوعى) ومحاولة لرسم الحدود بين (الشعرى) و (اللاشعرى).

وحق المراجعة حق من حقوقى، ولا أطلب من الشعراء الآخرين أن يعلنوا الطلاق مع قصائدهم السياسية.

كل ما أردتُ أن أقوله باختصار (هو أننى كنت سيداً فى قصائدى الغزلية.. وكنت مأموراً لسلطة التاريخ فى قصائدى السياسية)

ربما كان هذا الاعتراف بحاجة إلى شيء من الشجاعة، بعد ثلاثين عاماً من كتابة الشعر السياسى، ولكننى أردت أن أدلى بهذه الشهادة أمام الأجيال الشعرية الجديدة.. حتى تعرف مواقع أقدامها على خارطة الشعر.

● عشت سنوات من عمرك فى القاهرة. ولعلك أصدرت بعض دواوينك الشعرية فيها. واحتفت صحافة ذلك الزمان بقصائدك، واهتم به نواقو الشعر الجديد.

هل لك أن تروى لنا فصولاً عن علاقتك بالقاهرة وأدبائها، وهل لك أن تروى لنا قصة ديوانك (طفولة نهد) وتحريفها إلى (طفولة نهر) حتى ينشر المقال النقدى الذى كتب عنه فى إحدى المجلات الأدبية الكبرى؟

- وصلتُ إلى القاهرة فى صيف عام ١٩٤٥ موظفاً دبلوماسياً فى السفارة السورية، وكان عمرى اثنين وعشرين عاماً.

كنت فى أول الصبا، وكانت القاهرة فى ذروة نضجها الثقافى والصحافى والإذاعى، وشعرت أن البحر أمامى كبير



كان نزار قبانى أليفاً وحميماً مع أحمد الشهاوى، لأنه من رائحة مصر، ولذا جاء حوارهما الذى تم فى ١٩٩٢، ونشرته مع «نصف الدنيا» وقتذاك ست صحف عربية، وهما فى هذه الصورة يسيران على شاطىء البحيرة فى لندن، يتناقشان فى الخطوط الأساسية للحوار

وأن علىّ أن أتعلم العوم بسرعة .. (حتى لا أغرق).

كان معى ديوان شعر جديد اسمه خارج عن المألوف فى عالم الكتب وهو (طفولة نهد).. وكانت صياغته الشعرية أيضاً غير مألوفة فى شعر ذلك الزمان..

وأتذكر أننى قدمت مجموعتى لثلاثة من نجوم الفكر، والصحافة، والنقد، هم الأساتذة، توفيق الحكيم، وكامل الشناوى، وأنور المعداوى، فسمعت منهم كلاماً جميلاً كنت بحاجة إليه حتى أواصل الإبحار..

وعندما تقتنع القاهرة، بموهبة شاعر فإنها لاتخذله أبداً ولا تتخلى عنه..

وقدمتنى الإذاعة المصرية فى قراءات شعرية، وكان كبير المذيعين فيها الأستاذ محمد فتحى، ومعه الأستاذ حافظ عبد الوهاب، كما كان رئيس القسم الموسيقى فيها الأستاذ مدحت عاصم.

كما أتيح لى فى هذه الفترة الخصبة أن أقترب من الكبار فى عالم الغناء والشعر والمسرح والصحافة ومنهم الموسيقار محمد عبد الوهاب، والسيدة أم كلثوم، والشاعر أحمد رامى، والأستاذ رياض السنباطى، والأستاذ يوسف وهبى، والسيدة أمينة رزق، والأستاذ نجيب الريحانى، والأستاذان: مصطفى وعلى أمين، والأستاذ محمد حسنين هيكل الذى كان يتمتع

بذائقة أدبية متوهجة منذ أن كان يعمل فى هيئة تحرير (أخبار اليوم)..

باختصار كانت القاهرة فى منتصف الأربعينيات، المناخ المثالى الذى أحتاجه لأدخل فى دائرة الضوء..

كنت أتنفس تحت سماء يملؤها طه حسين والعقاد، والمازنى، عبد العزيز البشرى، وأحمد أمين، وبشر فارس، ودرينى خشبة، وأحمد حسن الزيات، ومصطفى صادق الرافعى، محمود حسن إسماعيل، وبيرم التونسى، وإبراهيم ناجى، ونجيب محفوظ، ويحيى حقى، وعزيز أباظة.

وبعد ذلك تعودت على مصر، وتعودت مصر علىّ.. وصارت مصر تعتبرنى واحداً من شعرائها أو من أولادها..

حتى أن الموسيقار الراحل الأستاذ محمد عبد الوهاب، قال لى ذات يوم بصوته الرخيم الهادىء:

(لماذا لاتسكن فى مصر يانزار؟ إن مصر تحتاج إليك، كما تحتاج إليها، ثم إن مصر تحبك وعندما تحب مصر فناناً فإنها تسير معه على طريق الحب إلى آخره.)

أما قصة تحويل عنوان ديوانى (طفولة نهد) إلى (طفولة نهر) فلايمكن أن أتذكرها دون أن أموت غيظاً أو قهراً.

إنها دليل على أن الفكر السلفى لايمكن أن يتطور أو يتحضر أو يغيِّر مواقعه الحجرية..

وبغير غرور أقول إننى معجب جداًبعنوان هذا الديوان بالذات وأعتبره (لقطة اللقطات)..

ولكن الأستاذ أحمد الزيات رحمه الله - قال لصديقى الناقد أنور المعداوى، عندما ألقى نظره على مقاله النقدى المعد للنشر فى مجلة (الرسالة) لؤلؤة المجلات الثقافية فى الأربعينيات:

- ماعنوان ديوان صديقك الشاعر نزار قبانى؟

- (طفولة نهد) ياسيدى الأستاذ.

- (طفولة نهد) .. (طفولة نهد) كده حته واحدة؟؟

لاحول ولاقولة إلا بالله..

وخرج الناقد أنور المعداوى من مكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات وهو لايعرف أن الأستاذ الزيات قرر بينه وبين نفسه أن يغير كلمة (نهد) بكلمة (نهر)..

وهكذا اغتال أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات أجمل عناوينى حفاظاً على تقاليد مجلة (الرسالة) ووقارها..

وعندما صدرت (الرسالة) بعد أيام.. ظن الناس أننى أصدرت أطلساً للجغرافيا .. لاديوان شعر.. وإننى أتغزل بنهر المسيسيبى لا بنهد امرأة!!

● ماذا يمثل الشاعر السورى الكبير عمر أبو ريشة بالنسبة إليك وهو من الشعراء المجددين فى الأوزان والصور والصوغ الشعرى؟

- عمر أبو ريشة محطة هامة من محطات الحداثة، فلقد خرج على المألوف فى الخطاب الشعرى التقليدى، وابتدع (حداثته الخاصة) الصادرة عن معرفة بالتراث الشعرى العربى، وإدراك عميق لطبيعة التحديث، واحترام للجذور.

حداثة عمر أبو ريشة هى حداثة البصيرة والرؤية والتعمير، لاحداثة الهدم والتخريب والإرهاب اللغوى والهذيان السريالى.

كان شديد الكبرياء كرمح، وكان يعتقد أن روح المتنبى تقمصت فيه باعتباره من مدينة حلب.. وأنا قانع بصدق رؤيته..

● هناك شعراء يعبرون الدنيا كشهب تضىء وتختفى بسرعة فلا يتيح لهم قصر أعمارهم الشعرية أن يتركوا آثاراً قوية فى الزمن.. هل تسمى لنا بعضا من هؤلاء الشعر؟

- الإبداع الشعرى لايقاس بالطول والعرض ولا بالامتداد الزمنى.. إنه انفجار كبير يضىء الكون للحظات .. ثم يختفى.

فإذا انفجر بعض الشعراء وهم فى قمة دورانهم حول الأرض، فهذا هو قدر الكواكب والنيازك.

إن الشاعر أرثور رامبو كتب شعراً فى سن السادسة عشرة إلى الثامنة عشرة.. ثم اختفى فى أزقة عدن .. بعدما أحدث فى الشعر الفرنسى زلزالاً قلب اللغة والخطاب الشعرى رأساً على عقب..

أبو القاسم الشابى، كان أيضاً برقاً..

وبدر شاكر السياب، كان برقاً..

وأمل دنقل كان برقاً..

إن أجمل مافى البروق أنها لاتشيخ.

● هناك مقلِّدون كُثُر لشعرك. بعضهم بدأ يشتهر، كيف تنظر إلى مقلِّديك؟ ولو كان لديك نصيحة توجهها إليهم، فما هذه النصيحة؟

- هذه ظاهرة لاتغضبنى ... لأن الموجة تقلِّد الموجة، والزهرة تقلد الزهرة، والعصفور يتعلم الطيران من أبويه..

وأتصور أن المقلدين لابد أن يكتشفوا ذات يوم أجنحتهم..

وأصواتهم، وعندئذ سيغادرون أشجارهم وأعشاشهم .. إلى سماء أكثر زرقة، وفضاءات أكثر اتساعاً..

● هناك من يتهمك بأنك خلال حرب الخليج اتخذت موقفاً لايتناسب وجرأة مواقفك السابقة. كيف تقيم الآن حرب الخليج كشاعر يمثل ضمير أمته، وكشاهد على عصره؟

ـ الشاعر لايرقص في الموالد، ولا يتعقب الجنائز.. ولايلحق بكل مظاهرة تمشي في الشارع.

نحن نتصور أن الشاعر هو سيارة إسعاف مستنفرة ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة.. أو مراسل حربي عليه أن يرسل إلى جريدته برسالة من الجبهة كل خمس دقائق.

إنني ضد كل المظاهرات في الشعر..

وحرب الخليج بكل أسف كانت مظاهرة سخيفة ابتدأت من الجاهلية وانتهت إلى الجاهلية..

أية جرأة كانت مطلوبة مني؟

أن أركب سيارة جيب مع الجنرال شوارزكوف؟

أم أشرب البيرة على ظهر إحدى حاملات الطائرات؟

أم ألبس قميص «ت ـ شيرت» عليه صورة الرئيس بوش؟

أية شجاعة كانت مطلوبة مني؟

أن أصفق للقاتل.. أم أرقص على جسد الضحية؟

لقد كانت حرب الخليج أسوأ كارثة سقطت على رؤوسنا منذ حرب داحس والغبراء حتى اليوم..

ولسوف تمر مئات السنين قبل أن نخرج من القبر الجماعي الذي دفنّا أنفسنا فيه.. للمرة الثانية أو ربما للمرة الألف..

● بعض الشعراء الكبار يتنكرون لمصادر شعريتهم، وبعضهم يبقى وفياً، فما يضيره أن يفصح عن هذه المصادر؟

تجربة نزار قباني تعد انقلاباً في الشعر، استمر خمسين عاماً هل لنا أن نتعرف إلى مصادره المبكرة.. أكانت هذه المصادر شعراً وشعراء، أم نثراً وناثرين، أم حوادث كبرى في حياته وحياة بلاده؟

ـ مصادر الشعر ليست وثائق سرية، كتلك التي تحتفظ بها وزارات الخارجية ولاتفرج عنها إلا بعد مئة سنة..

وأنا لا أفهم لماذا تتكتم النحلة على الحقول التي ارتشفت من أزهارها العسل، أو يتكتم البلبل على الكونسرفاتوار الذي تعلم فيه الموسيقى.

ولكن عقدة النقص تدفع بعض الشعراء إلى تجميل وجوههم وكتابة سيناريو لحياتهم الأدبية لا يتطابق مع الأصل.

بعضهم يقول لك: إنه كان يسكن في غرفة واحدة مع شيكسبير، وبعضهم يقول: إنه كان يتناول شاي الساعة الخامسة مع ت. س. اليوت.. وبعضهم يقول: إنه كان يسكر مع عمر الخيام في خمارة واحدة.

وبعضهم يقول: إنه كان عضواً في اللجنة السياسية للحزب الشيوعي التركي مع ناظم حكمت..

وبعضهم يقول: إن هوميروس عرض عليه مسودة الإلياذة قبل أن يدفعها للنشر..

أنا شخصياً لم ألجأ إلى مثل هذه السيناريوهات بل قررت أن أكتب حياتي ، وجذوري وينابيعي الثقافية، وأسفاري، ونسائي، بكل بساطة العصفور الذي يكتب مذكراته..

في سيرتي الذاتية (قصتي مع الشعر) كنتُ بسيطاً، وأليفاً، وصادقاً .. ولم أستعمل العدسات المكبرة، أو الشاشات السينما سكوب، لعرض عضلاتي الشعرية، أو النسائية.

فمن أراد أن يعرفني على الطبيعة، بدون كاميرات.. وفلاشات و (بوزات) سينمائية .. فليقرأ (قصتي مع الشعر) لأنها بطاقة تحقيق الشخصية التي لا أحمل سواها.

● هناك مدينتان أثرتا في تجربتك الشعرية تأثيراً طاغياً : دمشق وبيروت، وهو تأثير يتجاوز مفردات بيئتهما إلى ما هو أعمق، لقد حفرتا في شخصية شعرك بعض شخصيتهما.. أما يتنازعان عالمك؟ وكيف استطعت أن توائم بينهما، ولو شئنا أن نتخيلك مسافراً طال سفره وسيرجع، فإلى أيٍّ منهما سترجع؟

ـ دمشق علمتني كلماتي الأولى، وتركت بصماتها المائية على أبجديتي، وبيروت دربتني على أن أركض كحصان متحرر بين جبال لانهاية لكبريائها وبحرٍ لانهاية لزرقته..

دمشق كانت دار الحضانة.. وبيروت أعطتني شهادة (الدكتوراة في الحرية). أما إلى أين سأعود .. فإلى أية مدينة في العالم تستقبل قصائدي على المطار وتقدم لها باقة من الورد الأحمر.

● أنت شاعر وناشر.. كيف يستوي الأمران؟ فالشاعر محلق والناشر رجل سوق، وميزان، وزبائن؟

ـ أنا شاعر اختار أن يطبع دواوينه الشعرية فقط.. ويعطيها كل الأبعاد الجمالية التي يتطلبها الشعر.

إن تسليم ديوان الشعر إلى ناشر لايتذوق الشعر، هو كارثة لأنه يتعامل مع الديوان كما يتعامل مع صفقة حديد أو أسمنت..

أنا أصنع ماكيت الديوان، وأنا أختار صورة الغلاف، وأحدد عدد الأبيات فى الصفحة، ومكان الفراغات ونوع حرف الكمبيوتر ونوع الورق ولونه.. هذه هى قصتى مع النشر ... ولا أزال أعتبر نفسى شاعراً هاوياً يهتم بالجماليات أكثر مما يهتم بالحسابات والمستودعات ... والتسويق والتزوير والمزورين..

● هل الشاعر والناقد عدوان؟

ـ العلاقة بين الناقد والشاعر علاقة تحكمها الغيرة، والتنافس، وعقد النقص.. إنهما شخصان يملكان دكانين متجاورين.. ويتزاحمان على بيع بضاعة واحدة.

● فى حياتك محطات للألم، فيها ما يبقى جارحاً على مر الزمن.

هل إن الشعر لك ليس إلا محاولة لردم هوة، أو محاولة نسيان، أو هو إصرار على بعث الذكرى، على رغم ما تفجِّر فى النفس من ألم؟

ـ الحزن هو صديقى الكبير .. لم يتخل عنى لحظة ولم أتخل عنه لحظة.. إننى كأبطال الإغريق أعيش دائماً على حافة الهاوية، وأستطيع أن أقول إن الحزن كان واحداً من أهم مصادرى الشعرية.. واللون الرمادى هو أجمل الألوان لدىَّ..

إن حياتى جميلة بغيمها، ومطرها، وسحابها، وضبابها، وطقسها الشتائى العاصف..

ويبدو أن الشعر لايكتب إلا فى مثل هذه المناخات الشاحبة، والخلفية التراجيدية.

وربما كان عنوان ديوانى الأخير (هل تسمعين صهيل أحزانى)؟ تعبيراً عفوياً عن هذه العلاقة القدرية التى تربطنى بالحزن..

● الصحافة العربية اليوم، خصوصاً المقيمة فى المهجر، أصبحت فى طراز لون واحد، ويجرى استقطاب الصحفيين والكتّاب إلى هذا اللون.

هل أصبحت مع ذلك اللون الواحد بعدما كنت داعية لتعدد الألوان؟

ـ لم أكن يوماً من شعراء اللون الواحد أو كتّاب اللون الواحد، وأنا حين أختار الصحيفة التى أكتب فيها فإنما أختار حريتى وأختار مستواى.

لا أسمح لأحد أن يتدخل فى مواضيعى وتعابيرى وصياغاتى، فأنا وحدى الذى يحكم فوق ورقة الكتابة.

أما أن صحافة المهجر، أصبحت من طراز واحد.. ولون واحد.. فلأن حريتها ليست حرية بريطانية أو فرنسية أو أميركية..

إنها صحف عربية جداً تحاول أن تلبس (قبعة الديمقراطية).

● هل ستشهد المنطقة العربية ولادة زعيم عربى من طراز جديد يقود شعوبها إلى مستقبل يتناسب وتاريخها الحضارى العريق؟ أم أن أمتنا (عاقر) كما وصفتها بنفسك؟

ـ الزعماء الكبار لايمكن توليدهم على طريقة (أطفال الأنابيب)، إن ولادة الأنبياء والمصلحين والزعماء والقادة لابد أن تتوافر لها شروط حضارية، وديمقراطية، واجتماعية، وثقافية، وتربوية، ونفسية تساعد على حدوث الولادة.

وفى ظروف الجفاف والملوحة والعقم التى يمر بها الوطن العربى، فإن أية ولادة تحدث سوف تكون ولادة قيصرية أو حملاً كاذباً..

● ماذا تعنى لك أمريكا بـ (نظامها العالمى الجديد) هل هو جديد حقاً؟ أم أنه قديم قدم كل ديكتاتورية تريد السيطرة على شعوب ودول العالم وفق مقاييسها؟

ـ الدكتاتوريات تأخذ فى كل قرن أسماء جديدة وعناوين جديدة وترفع لافتات جديدة، وبعد انتهاء الحرب الباردة، وضعت أمريكا يدها على مسرح السياسة العالمية وطردت جميع الممثلين واحتفظت بدور فتى الشاشة الأول.

ولا أدرى لماذا أشعر أن (هوليود) هى التى ترسم مصير هذا العالم، وأن مطاعم (ماكدونالد) سترفع أعلامها قريبا فوق متحف اللوفر، ومسرح البولشوى، وقصر اليونسكو فى باريس.

ردود بكلمة واحدة، أو بسطر :

● ما البحر؟

ـ أقدم كتاب للحرية، كُتِبَ باللون الأزرق.

● ما المدينة؟

ـ علبةُ السردين التى يتقاتل الناس على سكناها .

● ما السماء؟

ـ الورقة التى كتب عليها الإنسان مذكراته، قبل اختراع الورق

● ما الطفل؟

ـ قلبنا عندما يأخذ شكل التفاحة الحمراء.

● ما المرأة؟

ـ عُلْبَةُ الألوان التى لولاها لكان العالم صورة بالأبيض والأسود.

● ما الحلم؟

ـ حقيقتنا المجردة من الثياب.

● ما الحب؟

ـ هو جرثومةٌ صغيرة تدخل دورتنا الدموية، فتجعلنا أكثر نضارة وعافية.

● ما الغد؟

ـ ورقة (بوكر) مغطاة لانعرف ما تحتها.

● ما الأبيض؟

ـ العذرية التى لم تتلوث بعد.. وبكارةُ الثلج قبل أن يتزوج..

● ماالأسود؟

ـ هو الأبيض عندما يصاب بحالة اكتئاب.

● ما السفينة؟

ـ هى قطعةٌ من الخشب أرادت أن تصير سمكة.

● ما الأمس؟

ـ هو قطعة من العمر تحولت إلى رماد.

● ما الوقت؟

ـ هو المنشار الذى ينشر عظامنا وأعمارنا دون أن نراه.

● ما المشاعر؟

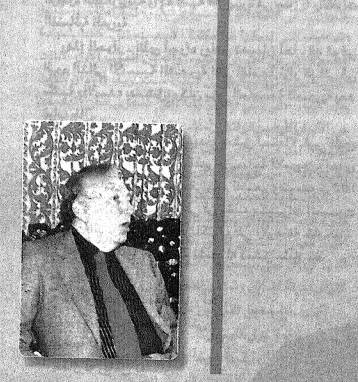
ـ مشروع زلزال لاتستطيع جميع مراصد العالم أن تتنبأ بوقت انفجاره.

● ما الوردة؟

ـ مصنع العطر الذى يوزع منتجاته على الناس مجاناً.

لندن فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٢

٤



نزار قباني :

أنا الناطق الرسمي باسم ٢٠٠ مليون عربي

رياض نعسان أغا



هذا حوار استمر ست ساعات، وقد أجراه فى دمشق إعلامى بارز وكاتب درامى شهير هو رياض نعسان أغا أحد الوجوه التليفزيونية والإعلامية الشهيرة فى سوريا والقنوات الفضائية العربية.

وهذا الحوار - الذى أجراه رياض نعسان أغا - قد تم فى اليوم التالى للأمسية الشعرية التى أقامها نزار قبانى فى مكتبة «الأسد» بدمشق، وكان يزور العاصمة السورية بعد غياب طال.

وفى الأمسية الشعرية شهدت دمشق احتفالاً غير عادى بالشعر.. فقد احتشدت الجماهير فى ساحة الأمويين - إحدى أكبر ساحات دمشق - لتلتقى نجم الشعر ولتسمع ترتيله، واضطرت إدارة المكتبة إلى أن تضع مكبرات الصوت وشاشات التلفزة فى ساحات المكتبة وعلى الأرصفة خارجها.. كان احتفالاً شعرياً مهيباً، لم تشهد له دمشق مثيلاً منذ سنين طويلة.

وقبل أن يبدأ رياض نعسان أغا..

نزار قبانى: ما الأسئلة التى ستوجهها لى:

فقال له رياض نعسان أغا:

ليست لدى أسئلة محددة.. كل مافى الأمر أننى سأحاول الدخول إلى عالمك الشعرى وأن أقدم للناس حواراً مع الشاعر الذى أحبوه وتغنوا بأشعاره على مدى نصف قرن من الزمان..

فى البداية، كان نزار قلقاً غير متحمس لإجراء اللقاء، لكننى استطعت إقناعه..

عدة ألقاب أطلقت على الشاعر الكبير نزار قبانى.. فهو شاعر الحب، وشاعر المرأة، وشاعر الصبوة، وشاعر الجمال.. وشاعر أطفال الحجارة.. لقد استطاع نزار أن يخترق حدود المحلية ليصبح شاعر الأمة العربية وأن يحقق شهرة مدوية.

■ **قلت وأنا أفتتح حوارى معه: اسمح لى بأن أصارحك بأننى كنت إلى مدى بعيد يائسا من حالة الشعر العربى.. كنت أتساءل: هل بات الشعر فى عهد المسلسلات وأشرطة الفيديو التى بدأت تملأ رفوف المكتبات محتلة أماكن الكتب ودواوين الشعر؟ المفاجأة أننى شخصياً حاولت لمدة خمسة أيام أن أحصل على بطاقة لحضور أمسيتك الشعرية.. كان صعباً جداً أن يجد المرء وسط ذاك الزحام المدهش فرصة لحضور أمسية شعرية.. الجماهير التى احتشدت كانت تتدافع على الأبواب.. والمهم هو ذاك الاحتفال بالطقس الشعرى.. الناس لبسوا أجمل ملابسهم.. النساء تزينّ بأجمل حليهن، كيف تفسر ذلك؟ وهل يموت الشعر؟**

□ **نزار :** فى الحقيقة، الأمسية الشعرية الخرافية، وأسميها «خرافية» التى قدمتها فى مكتبة الأسد بدمشق، كانت شهادة ناصعة على أن الشعر بخير.. وأنه فن العرب الأول، كانت القاعة حضارية، والعيون كانت حضارية، والآذان كانت حضارية، حتى إننى أشعر وأنا ألقى شعرى أننى انفصلت عن الكرة الأرضية وأننى أمشى فوق سجادة من الغمام الأبيض، لقد دخلت إلى مكتبة الأسد وأنا رجل من لحم ودم وخرجت وأنا مرسوم بألوان قوس قزح..

لقد أعطيت الجمهور كثيراً لكنه أعطانى أكثر.. أعطيته قطرة محبة فأعطانى بستانا من الورد، لذلك لا أملك أمام هذا الحب الجارف للشعر إلا أن أنحنى أمام هذا الشعب العظيم الذى لايزال على مستوى الشعر، وأحيى هذه المدينة التى لاتزال مدينة المدائن وشمس الشموس..

ألبس جبة محيى الدين بن عربى
وأهبط قمة جبل قاسيون
حاملاً لأطفال المدينة خوخاً وحلاوة سمسمية
ولنسائها أطواق الفيروز وقصائد الحب
أدخل في نفق طويل من العصافير
والمنثور والخبيزة والياسمين العراتلى
أدخل فى أسئلة العطر
تضيع منى حقيبتى المدرسية والسفرطاس النحاسى
الذى كنت أحمل فيه طعامى
والخرزة الزرقاء التى كانت تعلقها أمى فى صدرى

فيا أهل الشام، من وجدنى منكم فليردنى إلى أم المعتز وثوابه على الله.
أنا عصفوركم الأخضر يا أهل الشام
فمن وجدنى منكم فليطعمنى حبة قمح
أنا وردتكم الدمشقية يا أهل الشام
فمن وجدنى فليضمنى إلى أول مزهرية
أنا شاعركم المجنون يا أهل الشام
فمن رآنى منكم فليلتقط لى

صورة تذكارية قبل أن أشفى من جنونى الجميل

أنا قمركم المشرد ياأهل الشام.

فمن رآنى منكم فليتبرع لى بفراش وبطانية صوف لأننى لم أنم منذ قرون.

■ **أنت تتغنى بدمشق غناء ـ على حد علمى ـ لم يقله شاعر قبلك حتى فى التاريخ القديم. ما دمشق؟ أهى تلك الحارة الصغيرة التى ولدت فيها؟ أم هذه الفسحة التاريخية الجغرافية الحضارية؟**

□ **نزار قبانى:** دمشق اسم كبير جدا، اسم حضارى وثقافى وتراثى كبير، وهى فى هذا المعنى تتجاوز حدود اسمها لتصبح الكون كله بالنسبة لى. فماذا كانت روما. حين نتكلم عن روما فنحن نتكلم عن الامبراطورية الرومانية بكاملها، وحين نتحدث عن حضارة أثينا نتحدث عن حضارة الإغريق. إذن فدمشق هى العاصمة عاصمة القلب. عاصمة التاريخ وعاصمة البطولات. لذلك أرجو ألا تؤخذ دمشق بمعناها الضيق فهى أكبر منى ومنك ومن اللغة ومن كل شىء آخر.

وأود أن أقول إننى مجنون دمشق لا مجنون ليلى ـ ففى العالم العربى مليون ليلى ولكن ليس هناك إلا دمشق واحدة.

■ **ليس بوسعى أن أرد عن دمشق تحيتك إليها لأن دمشق عاصمة قلبك.**

□ **نزار:** تحدثت عنها كتابة وأردت أن أعبر عن ذلك صوتاً وصورة لأقنع الذين يتحدثون عن الإقليمية أن ليس هناك إقليمية بالنسبة لدمشق:

ينطلق صوتى هذه المرة من دمشق.

ينطلق من بيت أمى وأبى.

فى الشام تتغير جغرافية جسدى.

تصبح كريات دمى خضراء وأبجديتى خضراء.

فى الشام ينبت لى فم جديد وينبت لصوتى صوت جديد.

وتصبح أصابعى قبيلة من الأصابع.

أعود إلى دمشق ممتطيا صهوة سحابة.

ممتطيا أجمل حصانين فى الدنيا:

حصان العشق وحصان الشعر.

أعود بعد ستين عاما لأبحث عن حبل مشيمتى وعن الحلاق الدمشقى الذى ختننى.

وعن القابلة التى رمتنى فى طست تحت السرير

فى ذلك اليوم من شهر آذار ١٩٢٣ وقبضت من أبى ليرة

ذهبية وخرجت من بيتنا.

ويداها ملطختان بدم القصيدة.

أعود إلى الرحم الذى تشكلت فيه.

وإلى الكتاب الأول الذى قرأت فيه.

وإلى المرأة الأولى التى علمتنى جغرافية الحب وجغرافية النساء.

أعود بعدما تناثرت أجزائى

على كل القارات.

وتناثر سعالى فى كل

الفنادق.

فبعد شراشف

أمى المعطرة

بصابون الغار.

لم أجد سريراً أنام عليه.

وبعد عروسة الزيت والزعتر.

التى كانت تلفها لى أمى

لم تعد تعجبنى أى عروس فى الدنيا.

وبعد مربى السفرجل الذى كانت تصنعه بيديها

لم أعد متحمساً لإفطار الصباح.

وبعد شراب التوت الذى كانت تعصره.

لم يعد يسكرنى أى نبيذ.

ماذا تفعل بى دمشق.

كيف غيَّرت ثقافتى وذوقى الجمالى فتنسينى رنين طاسات عرق السوس كونشيرتو البيانو لرحمانينوف ؟

كيف تغيرنى بساتين الشام وأصبح أول عازف فى الدنيا.

يقود أوركسترا من شجرة الصفصاف.

■ **أستاذ نزار: الحقيقة أنك تكرمت علينا وقبلت دعوتنا لزيارة الحى الذى ولدت ونشأت فيه، هذا الحى الذى كنت ومازلت تحن إلى العودة إليه وقد عدت إليه فرحاً مستبشراً. يملؤك الحنين واستقبلتك دمشق وأتحفتنا بحديث الاستقبال حتى القطط الشامية الأليفة سلمت عليك وأخبرتك عن أحوالها.**

وأرجو أن تختار لنا أنت القصيدة الأجمل ـ كما تحس الآن ـ لكى تكون الصوت الشاعرى العذب الذى يرافق رحلتك إلى دمشق القديمة.

□ أود أن أشكرك لأنك رافقتنى إلى رحم أمى. قبل الدخول إلى الرحم الذى لا يتسع قبل كل شىء إلا إلى شخص واحد ولكنا ذهبنا عشرة. فى الحقيقة أن الذهاب لبيتنا إلى مئذنة الشحم كان ذهاباً إلى تشكيلات واسعة أو مشتقات من اللون الأزرق والأصفر والأحمر والليلكى، كان ذهاباً إلى الظل والماء. المنزل كما رأيتموه فتح لى ذراعيه: شجرة النارنج. النافورة التى كانت تتغرغر بصوت أزرق، السنونو، عريشة الياسمين. بلاط باحة الدار الذى طالما حبوت عليه. السجادة التبريزية التى كنت أكتب عليها فروضى المدرسية. الياسمينة التى كان يجلس تحتها أبى. كل هذه السيمفونية من اللون الأخضر استقبلتنى، وكما قلت وكما رأيت بعينيك حتى القطة قطة البيت جاءت إلىَّ مشتاقة ونامت على حضنى، وفى الحقيقة. يعنى هذا المنزل الجميل كان الخلفية الخضراء التى كتبت فوقها شعرى، ولولا هذا البيت لكان شعرى مختلفاً جداً، إن الناقدين أجمعوا الآن أن أبجديتى مائية، أنا أحب هذا التعبير يعنى لا الجافة ولا الصحراء يعنى أبجدية تشبه دمشق.

■ **رياض: دمشق التى تجرى من تحتها الأنهار.**

□ **نزار:** الحقيقة كل شىء كان فى مكانه فى المنزل القديم. إلا أن الزمن بعد أربعين عاماً لم يبق فى مكانه والطفولة لم تبق فى مكانها والأحلام الأولى لم تعد فى مكانها، وقد خرجت من المنزل والدموع فى عينى ولكنى كنت مقتنعاً أنه بإمكاننا استعادة كل شىء إلا الطفولة.

■ **رياض: لن أفسد هذا الكلام الجميل بأى تعليق. أنت لا تكتب شعراً ولا تكتب نثراً أنت ترسم بالكلمات، فإذا تكلمت حديثاً عادياً قلت شعراً.**

ما القصيدة التى تراها الأجمل لترافق هذه الرحلة؟

□ **نزار:** عندما كنت فى أسبانيا كتبت وأنا فى مدريد قصيدة إلى أمى بل خمس قصائد أسميتها (خمس رسائل لأمى) وسأقرؤها عليكم لوسمحتم :

صباح الخير ياحلوة صباح الخير ياقديستى الحلوة.

مضى عامان ياأمى على الولد الذى أبحر.

وخبأ فى حقائبه صباح بلاده الأخضر.

وأنجمها وأنهرها وكل شقيقها الأحمر.

وخبأ فى ملابسه طرابيناً من النعناع والزعتر.

وليلكة دمشقية.

أنا وحدى. أنا وحدى. دخان سجائرى يضجر.

ومنى مقعدى يضجر.

عرفت نساء أوروبا. عرفت عواطف الأسمنت والخشب.

عرفت حضارة التعب. وطفت الهند. طفت السند. طفت العالم الأصفر.

ولم أعثر على امرأة.تمشط شعرى الأشقر.

وتحمل فى حقيبتها إلىَّ عرائس السكر.

وتكسونى إذا أعرى وتنشلنى إذا أعثر.

فيا أمى أنا الولد الذى أبحر.

ولازالت بخاطره تعيش عروسة السكر.

فكيف ياأمى غدوت أباً ولم أكبر.

صباح الخير من مدريد ما أخبارها الفلَّة

بها أوصيك يا أماه تلك الطفلة الطفلة.

فقد كانت أحب حبيبة لأبى.

يدللها كطفلته ويدعوها إلى فنجان قهوته ويسقيها ويطعمها ويغمرها برحمته.

ومات أبى ولا زالت تعيش بحلم عودته.

وتبحث عنه فى أرجاء غرفته.

وتسأل عن جريدته.

وتسأل حين يأتى الصيف.

عن فيروز عينيه،
لتنثر فوق كفيه،
دنانيراً من الذهب،
سلامات سلامات، إلى بيت سقانا الحب والرحمة،
إلى أزهارك البيضاء فرحة ساحة النجمة،
إلى تختى إلى كتبى إلى أطفال حارتنا وحيطاناً ملأناها،
بفوضى من كتابتنا،
إلى قطط كسولات تنام على مشارفنا،
وليلكة معرشة على شباك جارتنا،
مضى عامان ياأمى،
ووجه دمشق عصفور يخربش فى جوانحنا يعض على ستائرنا،

نزار قبانى .. أنشودة حب مصرية

مضى عامان ياأمى، وليل دمشق وفل دمشق ودور دمشق تسكن فى خواطرنا،
مآذنها تضىء على مراكبها،
كأن مآذن الأموىّ قد زرعت بداخلنا،
كأن مشاتل التفاح تعبق فى ضفائرنا،
كأن الضوء والأحجار جاءت كلها معنا،
أتى أيلول يا أماه،
وجاء الحزن يحمل لى هداياه،
ويترك عند نافذتى مدامعه وشكواه،
أتى أيلول، أين دمشق أين أبى وعيناه،
وأين حرير نظرته،
وأين عبير قهوته،
سقى الرحمن مثواه،
وأين رحاب منزلنا الكبير وأين نعماه،
وأين مدارج الشمشير تضحك فى زواياه،
وأين طفولتى فيه أجرجر ذيل قطته وآكل من عريشته،
وأقطف من بنفساه،
دمشق ياشعراً على حدقات أعيننا كتبناه،
وياعينين خضراوين يسكن فيهما الله،

■ **رياض: أستاذ نزار أتابعك وأنت تنشد شعرك وطغيان العاطفة والكمية الهائلة من الأحاسيس ومن الوجدان الصادق تنتشر فى المكان تضوع منه لتملأ الدنيا لك تصير أم نزار قبانى أم كل إنسان يقرأ القصيدة، لم تعد أم المعتز أمك وحدك، هى أيضاً أمى، أم كل قارىء، وعندما أقرأ قولك صباح الخير ياأمى اتخيل أمى وأحس ذات الأحاسيس. أنت تمتلك قدرة على أن تتحدث باسم الناس على أن تشعر بمايدور فى أعماقهم، أن تأخذ النظرة الشعرية التى تحسها قلوبهم، قد لا يستطيعون كتابة هذا الفن الراقى ولكنهم يحسون جيداً بأنك أنت شاعرهم. لأنك تكتب بلسانهم.. ماتعليقك على ذلك؟**

□ نزار: يا سيدى ماهو الشعر؟

الشعر هو هذا الجسر من الكلمات الجميلة الذى نمده إلى الآخرين وعندما لا يكون هناك جسر لا يكون هناك شعر، يعنى أنا منذ بداياتى فى الحقيقة تبنيت قضية الجماهير عاطفيا: جنسياً وسياسياً وقومياً. وأنا أقول بأننى الناطق الرسمى باسم ٢٠٠ مليون عربى، أقول: الشعر إذا لم ينزل إلى الشارع، إذا لم يختلط بدم الناس ولحمهم وأعصابهم وأحزانهم ومدامعهم لا يكون شعراً، أنا لا أمارس الشعر من شرفة الطابق التاسع والتسعين، أنا أنزل إلى الشارع أجلس

على الأرض آكل مع الناس أشرب مع الناس أضحك مع الناس أبكى مع الناس، ثم أكتب شعرى من شفاه الناس وأمرره على مصفاة الشعر وأعيده إليهم.. هذا هو الشعر فى العالم الثالث، العالم الذى نعيش فيه، هناك ملايين القضايا المطروحة، والشاعر وظيفته أن يغير، أن يرفع، أما الشعر الذى يكتفى بأن يطرح معضلات وفوازير على الجماهير فإن الجماهير لا تحتاج إلى فوازير، هذا الحشد الهائل الذى جاء إلى (مكتبة الأسد) ليسمعنى جاء ليسمع نفسه لا ليسمعنى، الحوار كان راقيا لأن المستمعين كانوا راقيين أيضاً.

■ **رياض: لابد إذن للمتلقى أن يكون على مستوى الرسالة لابد أن يسهم الشاعر ذاته فى رفع سوية المتلقى.. ألا تعتقد أستاذ نزار قبانى أنك اسهمت إسهاماً كبيراً فى رفع سوية المتلقى الشعرية عند الجمهور منذ الخمسينيات حتى الآن. من كان يحلم بأن يكون فى حقائب النساء ديوان شعر ؟!**

□ **نزار:** أنا منذ ١٩٤٨ عندما كتبت مقدمة ديوان «طفولة نهد» كتبت عن المدينة الشاعرة فى موازاة المدينة الفاضلة للفارابى، ماهى المدينة الشاعرة؟ كنت أحلم بمدينة أشجارها تكتب شعراً، أطفالها يكتبون شعراً، نساؤها يكتبن شعراً. كنت أحلم بمدينة تكون فيها القصائد مثل أرغفة الخبز الخارجة من عند الفران، ومثل القماش الشعبى الذى يلبسه كل الناس. يقدم الشعر إلى الناس دون مقابل. أنا لا أفهم أى شعر يُكتب لعشرة أشخاص أو للنخبة. شعر القصور، والسرايات انتهى. هناك شعر الشعب، شعر الناس الذين لهم قضايا، أنا لا أخاطب عشرة أشخاص. إنما طموحى دائماً كان أن أصل إلى الـ ٢٠٠ مليون، وحين يتخلف واحد عن قراءتى كنت مستعداً أن أذهب إليه وأقدم اعتذارى. لأننى كنت أشعر بأنه ربما يوجد شىء فى لغتى الشعرية لم يستطع أن يكتشفه، لذلك حاولت أن أنتقى. هذا حديث جرنا إلى اللغة الشعرية.

اللغة الشعرية هى المفصل الرئيسى الذى يتحرك عليه الشعر. أنا اشتغلت أربعين سنة لأؤسس لغة تكون للناس جميعاً، أنا أزلت حاجز الرعب بين الشعر، وبين الناس. أنا أممت الشعر صار بإمكان كل واحد، أن يقرأ الشعر حتى الأطفال. أنا أعتقد أن هذا حلم حلمت به عام ١٩٤٨.

■ **رياض: أنا أذكر قبل سنين طويلة مرة قرأنا فى إحدى قصائدك لفظة شعرية هى «الطبشور» ما أظن أن شاعراً غير نزار قبانى يمكن أن يتجرأ فيجعل كلمة «الطبشور» كلمة شعرية (أرجعى لى الطبشور والكتبا).**

□ **نزار:** الطبشور كلمة يمكن أن يكون أصلها عثمانيا أو غيرها، ولكن أنا تجرأت على اللغة حتى فى استعمال كلمات لاتينية مثل التليفون وضعتهما فى الشعر وأدخلت القضايا اليومية فى الشعر لأن الشاعر يعيش على أرض البشر لايخاطب الملائكة ولاسكان الكواكب الأخرى.

أريد أن أقص عليك قصة قصيرة: الأستاذ محمد عبد الوهاب أعطيته مرة قصيدة «ماذا أقول له لو جاء يسألنى» ففيها على المقاعد بعض من سجائره، وفى الزوايا بقايا من بقاياه. فجاء لعبد الوهاب جماعة من الكلاسيكيين قالوا ياأستاذ أنت غنيت لشوقى، والآن تغنى عن السجائر! فضحك عبد الوهاب، وقال أنا لحنت هذه القصيدة بسبب كلمة السجائر الموجودة فيها، هذا يثبت بأن القصيدة معاصرة.

■ **رياض: عبد الوهاب غنى بصوته (حتى فساتينى التى أهملتها).**

□ **نزار:** أنا أريد أن أشير هنا إلى أن الفن المعاصر (عبد الوهاب) كقمة من قمم الموسيقى، والفكر، والثقافة قادر على أن يستوعب المعنى.

■ **رياض: أستاذ نزار لم أكن أريد أن أطيل الحديث حول اللغة الشعرية لأننى لا أظن أن لقاء صحفيا أو دينياً أجرى معك دون الحديث عن خصوصية نزار قبانى الشعرية، ولكن لابد دائماً من أن نقول عندما نتحدث عن نزار قبانى بأنه صاحب لغة خاصة، هناك لغة نزارية خاصة استطاع نزار قبانى أن ينثر مفرداتها على خريطة الثقافة العربية، وذات يوم ذكرت أن أستاذنا الكبير الافغانى قال: إذا عثرت على ورقة دون توقيع فى شارع ما عرفت أنها لنزار، وما أجمل هذه الخصوصية بأن يُعرف الشاعر من لغته، المسألة الهامة أنك فى اعتقادى أخرجت أمراً هاماً إلى ساحة النقد والشعر. لم تعد هناك كلمة شعرية أخرى وغير شعرية.. كل الكلام أصبح شعريا حين يصدر عن موهبة كبيرة.**

□ **نزار:** أنا فى البدايات كنت أغرق فى الأربعينيات، كنت أقول إن هناك كلمات تليق بالشعر، وكلمات لا تليق بالشعر. الآن ألغيت الحدود. أى كلمة يمكن تحويلها إلى شعر، ولكن هذا مرتبط بالشاعر وموهبته ومرتبط بقدرته على التحويل.

■ **رياض: أخشى الآن أن يلخذ هذا الكلام بعض الذين يحاولون الشعر فى البدايات فيكتبون كلاماً على غرار ما نقرأ فى الكثير من الكتب. هناك أكثر من عشرة آلاف شاعر قد يقولون: نزار قبانى قال ليس هناك كلمة غير شعرية ويبدأ باستخدام الطناجر والملاعق.**

□ **نزار** : أنا أعتقد أن كل واحد له الحق بأن يصرخ، أنا لا أقف فى وجه الطامحين، نحن شعب عربى، أنا قلت ذات يوم: إذا أخذنا دبوسا وغرزناه فى أصبع أى مواطن عربى لخرج منه سائل بنفسجى يسمونه الشعر. الحقيقة كلنا شبابا ونساءً فى بدايات مراهقاتنا كتبنا شعراً، وإذا قرأت بريد

القراء تجد أن ثلاثة أرباع الرسائل هي شعر، نحن في الأساس أصولنا شعرية يجب أن نستغل هذه الخصوصية. قم الآن بعمل أمسية شعرية في لندن أو باريس لا يأتيك عشرون شخصاً. يمكن الاتحاد السوفيتي هو البلد الوحيد الذي يذهب الناس فيه إلى الشعر، كما يذهبون إلى المسرح، ونحن الشعب العربي ورثنا هذا الميراث العظيم ويجب أن نبقى محتفظين به، هذا سلاح هام جدا، سلاح للتوعية وسلاح حضاري رفيع.

■ **رياض: هذا الحديث يجرنا إلى سؤال آخر: العرب اعتبرت الشعر ديوانها الكبير، وهناك القول المأثور (لا تترك العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)، ولكن هذا لا يلغي أن الأمة لا تستطيع أن تنجب الكثيرين من الشعراء الكبار، فعندما نتذكر القرن الرابع الهجري، نتذكر المتنبي، ثم نقول رحل المتنبي فجاء أبو العلاء، ورحلت الشاعرية بضعة قرون، ومر الشعر الذي يسمى شعر الدول المتتابعة حتى جاء مطلع القرن العشرين جاء شوقي فنظر إليه الناس بإعجاب لأنه استطاع امتلاك الديباجة الشعرية التي افتقدتها الأمة. بعد ذلك بدأ جيل الرواد، جيل الطليعة، وفي عصرنا الراهن وفي القرن العشرين ومنذ بداياته ظهر عدد كبير جدا من الشعراء ولكن من الذي يبقى؟ الآن استطيع القول إن هناك عددا محدودا جداً من الشعراء في الوطن العربي من عندنا كما عند الفرنسيين (هوجو) ولدى الانجليز (شكسبير) أو لنقل سواهما؟**

□ نزار: في العالم كله ليس هناك أكثر من عشرة شعراء. التقيت بشاعر من موريتانيا (فقال أنا من بلد المليون شاعر) فقلت يا أخي طول بالك، فقال ليه أطول بالي، فقلت الكرة الأرضية لم تنجب لا مليون ولا ألف شاعر من عصر هوميروس وحتى الآن. وهو غيران من الجزائر لأنها بلد المليون شهيد.. وهو يريد أن تصبح بلده بلد المليون شاعر، والحقيقة الشعر ندوة العصور التي أخرجت شعراء كبارا وعظاما يمكن أن تعد منهم شاعرين أو ثلاثة مثل شكسبير مثل (لامارتين) و (جوته). وإذا أردت أن تقوم بجرد للشعر العربي فلن يتبقى أكثر من خمسين شاعرا من العصر الجاهلي إلى الآن. أنا لا أزعل من قلة الشعراء، أعتبر أن كثرة الشعراء تحول العملية إلى مظاهرة وليس هناك مظاهرات في الشعر.

■ **رياض: لنقل إن هناك مطربا دائما على المسرح وهناك كورس كبير إذا انفرد أحد من هؤلاء الكورس أو أراد أن ينوب عن سيد المسرح سقطت العملية الفنية.. المهم أن هذه هي جوقة الشعر، الذي يصدح هو الواحد وقد فهم المتنبي حين قال (فدع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى).**

المهم أستاذ نزار أرجو أن ننتقل الآن إلى الحديث عن الموضوع الأكبر في شعر نزار قباني، عن الحب ولا يمكنني أن أتجاهل الحب وأنا أتحدث مع شاعر الحب. عرفت الحب كثيرا ولكن أجمل تعريف حفظته وأنا بعد طالب في المدرسة (الحب ليس رواية شرقية بختامها يتزوج الأبطال) على طريقة الأفلام السينمائية العربية.

□ نزار: (لكنه الإبحار دون سفينة وشعورنا أن الوصول محال).

■ **رياض: في الحقيقة كانت كل الأقاصيص والحكايات من (ألف ليلة وليلة) وما قبلها ينتهي فيها الحبيبان إلى الزواج، أما أنت فقد قلت بأنه الإبحار دون سفينة.. نزعت من قدرة البحار أداته، جعلته غارقاً في اليمِّ، وحرمته من الوصول.**

□ نزار: أخاف على الحب من أن يتحول إلى مؤسسة من المؤسسات وإلى عادة من العادات، وكنت أخاف على المرأة من أن تتحول إلى سمكة مثلجة، كنت دائماً أبحث عن امرأة البرق. المرأة المستحيل. المرأة التي تأتي ولا تأتي. دائما أبحث عن تشكيلات امرأة، عن التشكيلات اللونية لامرأة غير قابلة للامتلاك ولا للاستهلاك.

وأنا دائما أؤمن بنفس القاعدة أن امتلاك المرأة يحولها إلى سلعة، سواء بالزواج أو بغير الزواج، أنا أؤمن بأن تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس الحب. طبعا يوجد الكثير ممن يرفض قولي ولكن أنا أتحدث بلسان الشعر.

وسألتني عن تعريف الشعر فقلت: هو حالة استثنائية ينفصل بها الإنسان عن جاذبية الأرض من الوجد والتخطي والصوفية يصبح إنسانا واحدا.

■ **رياض: هذا يغير كثيرا مما يتهم به نزار، يقولون إن نزار قباني فصَّل جسد المرأة تفصيلاً .. لديه ورشة خياطة وقص وتفصيل يصنع أجمل الركب وأجمل النهود وأجمل الأقراط التي تتحلى بها أذنا المرأة ويقيس كل شيء بالمتر. فهناك مقاييس رائعة للمرأة .. هل هذا يختلف مع اللحظة الصوفية ؟ بالمناسبة أنت أجمل من وصف الركب. وأجمل من وصف الأقراط.**

لا أظن أن شاعراً في أدبنا العربي تغنى بالأقراط كما تغنيت أنت. هل يتعارض مع إحساسك بأن الحب هو تلك اللحظة الصوفية ؟

□ نزار: المرأة هي الريحانة واللؤلؤة والقمر في حياتنا، وليس معقولا أن الشاعر لاينتبه إلى الأشياء الجميلة في المرأة، والمرأة مصدر لشتى أنواع الفنون. النحاتون الإغريق صنعوا تماثيل تمثل أجسام الرجال، ولكن أكدوا على جسد المرأة فجسد المرأة قصيدة شعر. ومطاردة جمال المرأة حق من

حقوق الإنسانية وعمل حضاري.

كم من دمشقية باعت أساورها حتى أغازلها والشعر مفتاح.

أنا أمتهن مهنة غريبة أنا ألاحق الجمال. أنا صياد صور.

في البدايات كنت أحوم على القشرة الخارجية للمرأة وهذا اعترف به. ولكن كنت بفترة المراهقة. حيث أنا منبهر بالعالم النسائي، ولكن ابتداء من الخمسينيات حيث ذهبت إلى لندن تحولت المرأة، إلى حوار إلى صديقة، لم تعد تعني لي الأساور والأقراط، تحدثت في كثير من قصائدي عن جماليات المرأة الصغيرة وعن شئونها الصغيرة.

الركبة البيضاء والخضراء والحمراء كيف أميز الألوان.

إن زجاجة الفودكا تحيل ثقافتي صفرا.

وترجعني إلى جهل العشيرة.

وتضخم الإحساس بالأشياء ترميني عليك.

كأنك الأنثى الأخيرة.

«مايا» تغني تحت الدوش.

أغنية من اليونان رائعة.

وتضحك دونما سبب وتغضب دونما سبب وترضى دونما سبب.

ويدخل نهدها الذهبي في لحم المرايا.

مايا تناديني لأعطيها مناشفها وأعطيها مكاحلها وأعطيها خواتمها الملونة المثيرة.

مايا تقول بأنها لم تبلغ العشرين بعد.

وانها ما قاربت أحداً سواي.

وأنا أصدق كل ما قال النبيذ وكل ماقالته مايا.

مايا على الموكيت حافية وتطلب أن أساعدها على ربط الضفيرة.

وأنا أواجه ظهرها العاري.

الشمس تشرق دائما من ظهر مايا.

من أين أبدأ رحلتي.

والبحر من ذهب ومن زغب وحول عمودها الفقري أكثر من جزيرة.

من ياترى اخترع القصيدة والنبيذ وخصر مايا.

مايا لها إبطان يخترعان عطرهما ويكتشفان رائحة الطريدة.

مايا تسافر في انحناءات النبيذ وفي انحناءات الشعور.

وفي إضاءات القصيدة

وأنا أسافر في أنوثتها. وضحكتها وأرسو كل ثانية على أرض جديدة.

مايا تقول بأنني الذكر الوحيد وإنها الأنثى الوحيدة.

وأنا أصدق كل ما قال النبيذ وكل ماقالته مايا.

■ **رياض: هناك رأي نقدي قاله ناقد كبير هو د. إحسان عباس قال: المرأة عند نزار موضوع وليس هدفاً.**

□ نزار: المرأة ياسيدي هي موضوع وهدف معا، هي موضوع وإبداع كبير وهي هدف لبناء الحضارة، قل لي كيف تنظر إلى المرأة أقل لك من أنت. المجتمع الراقي هو الذي ينظر إلى المرأة نظرة راقية. والمجتمع المتدني هو الذي ينظر إلى المرأة بنظرة متدنية فليس هناك موضوع وهدف. فالمرأة هدف للرقي والحضارة. ولكن نحن مع الأسف استعملناها كشريحة لحم.

■ **رياض: أريد الآن أن أوسع السؤال: كيف ينظر نزار قباني إلى العالم؟ كيف يرى الأشياء؟ كيف يتفاعل معها؟ هل يتفاعل معها بالعقل أو بالعاطفة بالشعر أم بالوجدان؟**

□ نزار: أنا أعتبر العالم قصيدة غير مكتملة وكل يوم أضيف حرفاً أو كلمة أو نقطة على هذه القصيدة من أربعين سنة لم تكتمل ولا أظن أنها سوف تكتمل. هذه عملية مستمرة. القصيدة مستحيلة والقصيدة التي لم تكتب بعد أجمل بكثير من التي كتبت. أما كيف أنظر إلى العالم فأنا أنظر إليه بعيني طفل، أنا في حالة انبهار دائم من حولي وحتى ينتهي الانبهار ينتهي الشعر.

■ **رياض: هناك اراء نقدية تقول بأن الكون الشعري عند نزار قباني كون محدود. هو كون الأشياء اليومية كون الأشياء الصغيرة، طبعا أقارن ذلك بأكوان شعراء آخرين مثل (اليوت) وكونه الأرض اليباب (طاغور) الذي استطاع أن يتصل بالكون العام (الخيام) الذي نظر إلى يوم الخليقة.**

ليس في شعر نزار تلك التأملات و (الرؤى) التي توسع كونه.. فهل تعترض على أن أقول إن عالمك أو كونك الشعري هو كون الأشياء الصغيرة ؟

□ نزار: الأشياء الصغيرة هي الأشياء الكبيرة عندي، كل واحد له شؤونه الصغيرة هي بالوقت ذاته شؤون كبيرة. الحب مثلاً ليس بشأن صغير. العلاقة بن الرجل والمرأة. الجنس هو صداعنا التاريخي.

أنا لم أخترع الأشياء من عندي. أنا ولدت فوجدت الأشياء فوضعتها وتفاعلت معها وثرت عليها، فوجدت المرأة مثلاً مضطهدة ومقموعة وموءودة ولكن لست أنا الذي وأدها ولا سجنها ولا قمعها، ولكن حاولت بأسناني وأنيابي أن أدافع عن قضيتها، أن أكسر اقفال المعتقل الموجودة فيه وأطلقها كعصفور في السماوات الرحيبة، أما قضية الميتيفيزيقيات والماورائيات فلا تعني لي شيئاً يعني ما قاله طاغور أو سلوك طاغور أو سلوك جبران، يعني لكل شاعر زاوية يقف منها،

وأنا أؤمن بأنا نحن فى العالم الثالث. أنا لا أستطيع أن أكون (إليوت)، ولا أستطيع أن أكون أى شاعر متصوف آخر، فأنا أؤمن بأنا نحن فى العالم الثالث قضايانا مختلفة تماماً كذلك لا أؤمن بأنى أكتب مثل «إليوت» أو مثل «سان جون بيرس» كما يفعل غيرى، الأرض مختلفة، الواقع الجغرافى مختلف. الواقع الثقافى، الواقع الجنسى مختلف. فمثلاً ليس هناك بفرنسا قضية الجنس، بينما نحن الجنس يفترسنا مثل الضبع، لذلك أنا شاعر أحب. يمكن سبب كل الجماهيرية التى قطفتها سببها هى أننى كنت أشبه الناس. أشبه الناس بأحلامهم المكبوتة وأحلامهم الظاهرة بكوابيسهم الداخلية، ومواقفهم الخارجية. كنت أشبههم لأنى يجب أن أشبههم.. فأنا لست شاعرا دنماركياً، ولا سويدياً، ولاسويسرياً، هناك لا يوجد قضايا مطروحة مثل القضايا الكوابيس والقضايا العصبية التى تنخرنا ليل نهار، وبما أننى شاعر من هذه المنطقة يجب أن أغطى مشاكل هذه المنطقة، لا أن أكون صورة عن (سان جون بيرس) أو عن (إليوت).

■ **رياض: سؤال يخطر لى أستاذ نزار وأرجو أن تغفر لى أن أفكر بصوت عال: أنت تعبر عن حالات اجتماعية راهنة والمجتمع فى تحول مستمر.. ألا تخشى أن تصبح هذه القصائد شديدة الارتباط بمواضيع خاصة، أن تصبح شيئاً تاريخيا إذا تجاوزها التحول الاجتماعى!**

□ **نزار:** الحب لا يمكن أن يكون تاريخيا. أن يتحول إلى هرم من الأهرامات (خوفو أو أى تمثال آخر) الحب هو مؤسسة متطورة وباقية ولاينتهى المراهقات.. كبرن وصرن أمهات الأمهات، أراهن سلمونى لبناتهن يعنى الذى يحضر لى صار الجدة والبنت والحفيدة وهذا ما قاله جبرا إبراهيم جبرا بأن نزار قبانى ليس شاعر مرحلة. سيصمد أمام النقد التاريخى لأنه يتحدث عن قضايا الإنسان وأعتقد أن قضايا الإنسان معروفة. ثم أنا لا أتحدث عن حب القرن التاسع عشر أو عن حب القرن الأول الهجرى.

■ **رياض: أنت عندما تتحدث تقول شعراً وهذا يحرجنى ويجعلنى لا أريد طرح أسئلة. أنت تقول شعراً حتى عندما تصف الأشياء الصغيرة تقولها شعراً. ولكن اسمح لى بسؤال آخر: يخطر لى دائما أن نزار قبانى هو شاعر أكثر معاصرة من أى شاعر آخر، وليعذرنى الشعراء والنقاد إذا قلت هذا لأن نزار قبانى الأكثر تفاعلا مع معطيات القرن العشرين ومع متطلبات حضارة الإنسان الراهن. أين سر هذه المعاصرة؟ أهى بالألفاظ التى تستعملها فى اللغة الشعرية؟ أم على جرأتك فى اقتحام موضوعات الإنسان المعاصر حتى موضوعاته الأساسية كمسألة الجنس، مسألة الكبت السياسى، الكبت الاجتماعى، الكبت العاطفى.. أين المعاصرة؟ أم هى كل هذا؟**

□ **نزار:** أستاذ رياض أنا لست شاعرا سريا ربما هذا سر انتشارى. أنا لم أكتب قصائد وأخفيها فى جيوبى دائما كانت قصائدى مطروحة أمام الناس. أنا أعتقد أن النقطة الأولى الهامة هى قضية اللغة من لغة مرعبة أكاديمية قاموسية لايستطيع فهمها خمسة أشخاص إلى لغة متداولة بين الناس، ثم أنا لم أكن شاعرا ازدواجيا ولا باطنيا. يعنى كنت دائما شاعرا. لم أكن ذا وجهين ولم ألبس الأقنعة لذلك الناس صدقونى، والناس دائما يصدقون، الجمهور لديه ذكاء وهو الناقد الحقيقى. لذلك أنا أعتقد أن الشرط الأساسى لكل شعر يُكتب هو أن يكون ابن زمنه. ابن بيئته بحيث لو أرخ لى بعد مئة سنة يقولون إن هناك شاعرا اسمه نزار قبانى، فالشرط أن تكون اللغة هى لغة الناس طبعا دون ابتذال. يعنى أنا دائما ناديت بين اللغة الثالثة وبين لغة الناس العاديين. لغة المثقفين العرب التى نتحدث بها نحن، إذن هناك أولا قضية اللغة، وثانيا قضية الصدق والشجاعة. ثالثا قضية المعاصرة، أنا لا أفهم الآن شاعرا يتحدث عن قضية حب فى الخيمة. لم يعد هناك خيمة فى الحياة. وأن أشبه حبيبتى بالحيوانات التى كانت منتشرة كالغزالة والمها... الخ.

■ **رياض: فى الحقيقة أستاذ نزار الحديث الذى سألتك عنه لأن الحوار الهام الذى يدور عادة فى مجلس الأدب والنقد هو التراث والمعاصرة أو الموضوعات الأخرى، الإبهام والغموض. أنت أيضا لا ترفض التراث ولكن تتمثله فى إطاره المعاصر. ولكى يكون هذا واضحا ولا أريد أن يكون ميدان نقاش بينى وبينك. وأنا لا أستطيع أن أناقش فى أفكارك كثيرا لأننى مقتنع بها وهذه مهمة صعبة أن أجادلك فى أمر وأنا مقتنع بما تقول. المشكلة هى عندما يكون المحاور لايمتلك وجهة نظر أخرى، فأنا مع المعاصرة، أنا مع التراث القادر على أن يلبس لبوس العصر المتطور، وأيضا أحب شيئا من الغموض فى الشعر ولكنى أرفض الإبهام أرفض القصيدة التى لا يفهمها شاعرها ولكنى لا أريد أن أسألك عن لعبة الفن. الفن هو فى النهاية لعبة أنت ترسم بالكلمات وخلاصنا فى الرسم بالكلمات وهذا الخلاص يمكن أن يكون خلاصا فلسفيا أيضا. المهم أن الصورة فى شعر نزار قبانى هى العنوان الرئيسى العنوان الأساسى. كيف ترسم صورتك الشعرية؟ من أين تأتى بهذه الألوان؟ من أين تأتى بالريشة؟ من أين تستمد قدرتك على التوالد؟ التوالد الذهنى؟ أهو التداعى؟ أم أنت شاعر تأمل؟ ذوق أم تأمل؟ انفعال عابر أو تأمل عميق؟**

□ نزار: الصورة الشعرية ياسيدى صورة يجب أن تكون مدروسة ونظامية وخاضعة لنص. أنا لا أؤمن بالتداعيات ولا أؤمن بالكتابة الميكانيكية كأن نقول مثلا إن الشمس كانت شاحبة الوجه لأنها كانت مصابة بداء اليرقان مثلا، أو إن القمح ينثر نخاعه الشوكى على شوارع المدينة. هذه الصورة فى ذهنى ليس لها منطق. أنا مع الصورة المنطقية. رغم كونى شاعرا لا أؤمن بالمجانية فى مثل هذه الأشياء أبدا. فى شعر مثلا تقرؤه الآن تحس أن ليس به شىء. الصورة لها منطق مثل اللغة مثل ما أرفض اللغة السائبة. أرفض الصورة المجانية التى لا يمكن لأحد أن يفهمها أو يستوعبها أى لا توجد روابط فيها. أنا أتكلم عن شىء أساسى. أنا أقف أمام قصيدتى موقف المسئول. لا أنشر قصيدتى قبل أن أدققها. يظن الناس أن الشعر - أن أكتب عشر كلمات وأرسلها للنشر - لا. أنا أتعذب بالكتابة لأنه بعد أربعين سنة من الشعر لا أريد لأحد أن يشوه تاريخى، فلذلك حين أتكلم ربما يستغرب الكثير - الشعر عندى نظام لا فوضى. لغة حقيقية لا لغة عشوائية - الصورة. حين أقول: «ياشعرها على يدى شلال ضوء أسود» هذه صورة مشغولة. ومرت على الرقابة يقولون لك ما الضوء الأسود؟ أيوجد ضوء أسود؟ نعم بالعلم أنه يوجد ضوء أسود، ضوء السود. لذلك لا يوجد مجانية. ولا اعتباطية ولا فلتان. مثل ما لانوافق على الفلتان الأمنى لا نوافق على الفلتان الشعرى.

■ **رياض: يعنى هو أننى سألتك السؤال أستاذ نزار، والآن اسمح لى أن أقول أمرا آخر: ما أظن شاعرا استطاع أن يأخذ من النقاد والصحفيين ومن الكتابات وأن يملأ الصحف مثل نزار قبانى، ولكن اسمح لى أن أقول إنه لم يدرس نقديا الدراسة الجيدة. يعنى أن مجلة افتحها الآن أرى فيها شيئا لنزار قبانى أو حديثا عن نزار، يعنى أذكر بعض أبيات ذات يوم تأملتها وجدت أنك تستولد ست عشرة صورة فنية منسجمة لونية مزركشة، فقلت: أين هذا الناقد الآن الذى يستطيع أن يفتح سر هذه العبقرية وأن يفهم لى ما الذى يدور فى دماغ نزار قبانى ؟ وكيف تتوالد هذه الصور ؟**

□ نزار: الحقيقة لا أؤمن أن بعض النقد العربى لم يستطع أن يواكب الموهبة والإبداع الشعرى، يعنى النقد العربى دائما مختلف عن حركة الإبداع الشعرى، يعنى أنا شخصيا كنت أتمنى أن يعلمنى أحد الشعر لكن لم يعلمنى أحد. لقد علمته لنفسى بحكم التجربة، ليس هناك معلمون نقاد. كان هناك (طه حسين - العقاد - المازنى) يعنى كثيرون إلا أنه فى الحقيقة يقلون شيئا فشيئا. ومارون عبود ناقد كبير مرة ناقش لى قصيدة (جانين) يعنى شيخ مثل هذا. أن تصل قصيدتى (جانين) المكتوبة على الطريقة الحرة. وكان متصوفا. نحن نبحث عن مثل هؤلاء فى الحقيقة. لذلك عندما يأتينى أحد الشبان الجدد يكتب شعرا ويقول لى: كيف يمكننى أن أكتب شعرا؟ أقول له: لا أحد يقدر أن يعمل منك شاعرا. أنت تستطيع أن تصنع نفسك. من يساعدنى على النشر؟ أقول له القصيدة الجيدة تفرض نفسها وتجد من ينشرها.

بلقيس ياوجعى ياوجع القصيدة حين تلمسها الأنامل.

هلى ياترى من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل.

هلى تعرفون حبيبتى بلقيس. فهى أهم ماكتبوه فى كتب الغرام.

كانت مزيجا رائعا بين القطيفة والرخام.

كان البنفسج بين عينيها ينام ولا ينام.

بلقيس ياعصفورتى الأحلى وياأيقونتى الأغلى.

ويادمعا تناثر فوق حد المجدلية.

ياأعظم الملكات يا امرأة تجسد كل أمجاد العصور السومرية.

بلقيس - يابلقيس. كل غمامة تبكى عليك فمن ترى يبكى علىَّ.

بلقيس - كيف ذهبت صامتة ولم تضعى يديك على يدىَّ.

بلقيس كيف تركتنا فى الريح نرجف مثل أوراق الشجر.

وتركتنا نحن الثلاثة ضائعين كريشة تحت المطر

أتراك مافكرت بى وأنا أحتاج حبك مثل زينب أو عمر.

شكرا لحبك - فهو معجزتى الأخيرة بعدما ولى زمان المعجزات.

شكرا لحبك فهو علمنى القراءة والكتابة وهو زودنى بأروع مفردات.

وهو الذى شطب النساء جميعهن بلحظة واغتال أجمل ذكرياتى.

شكرا من الأعماق يامن جئت من كتب العبادة والصلاة.

شكرا لخصرك كيف جاء بحجم أحلامى وحجم تصوراتى.

ولوجهك المندس كالعصفور بين دفاترى ومذكراتى.

شكرا لأنك تسكنين قصائدى.

شكرا لأنك تجلسين على جميع أصابعى.

شكرا لأنك فى حياتى.

شكرا لحبك فهو أعطانى البشارة قبل جميع المؤمنين.

واختارنى ملكا وتوجنى وعمدنى بماء الياسمين.

شكرا لحبك فهو أكرمنى وأدبنى وعلمنى علوم الأولين.

واختصنى بسعادة الفردوس دون العالمين.

شكرا لعينيك المسافرتين وحدهما إلى جزر البنفسج والحنين.

شكرا على كل السنين الذاهبات فإنها أحلى سنين.
شكرا لحبك فهو من أغلى وأوفى الأصدقاء.
وهو الذى يبكى على صدرى إذا بكت السماء.
شكرا لحبك فهو مروحة وطاووس ونعناع وماء وغمامة وردية مرت صدفة بخط الاستواء.
وهو المفاجأة التى قد حار فيها الأنبياء.
شكرا لشعرك شاغل الدنيا وسارق كل غابات النخيل.
شكرا لكل دقيقة سمحت بها عيناك فى العمر البخيل.
شكرا لساعات التهور والتحدى واقتطاف المستحيل.
شكرا على سنوات حبك كلها بخريفها وشتائها وبغيمها وصمودها وتناقضات سمائها.
شكرا على زمن البكاء ومواسم السهر الطويل.
شكرا على الحزن الجميل ـ شكرا على الحزن الجميل.

■ **قلت مرارا: إن القصيدة هى التى تكتبك، وكيف افهم هذا والسؤال ليس لى فقط وإنما للذين يحبون الشعر ويحبون معاركه كيف تتولد العملية الإبداعية. كيف تدفق القصيدة دون فوضى ودون فلتان شعرى؟ وكيف تخضعها إلى نظام؟ وكيف تقودها كما تقود سيارتك؟ وكيف القصيدة تكتبك؟**

□ **نزار:** القصيدة لا توقيت لها. يعنى مثل الزلزال تأتى وتضرب ولكن ليست هى زلزالا مفاجئا هى تتكون داخل النفس كما تتكون المياه الجوفية فى الأرض. وأنا أقول هذا الكلام دائما. بأنه عندما أكتب قصيدة لا أكتبها أنا وحدى يكتبها المتنبى، يكتبها معى عمر بن أبى ربيعة، والبحترى والشريف الرضى، (وبودلير، وملارمى ـ ورامبو) يعنى الثقافة عندما يكون الشاعر مثقفا فهو يختزن في أعماقه فتتداخل الأمور. المياه الجوفية تتجمع فى أعماقه فتتداخل الأمور. المياه الجوفية تتجمع نقطة وراء نقطة حتى تنفجر القصيدة. فعندما تنفجر القصيدة. فالشاعر ليس له يد فى ذلك إطلاقا. أى أنه لا يمكن للشاعر أن يقول إنه يوم الأربعاء الساعة الخامسة بعد الظهر أنا سأذهب إلى مكتبى وأكتب القصيدة هذا كلام فارغ، أنا أعتقد أن القصيدة يجب أن يكون وراءها ثقافة يجب أن يكون وراءها معاناة. بدون معاناة تصبح قصيدة تجريد كنت أعرف أناسا لم يحبوا فى حياتهم ولا مرة واحدة ولم يلمسوا حتى ظفر امرأة وكتبوا مئة قصيدة حب. يجب أن يكون هناك معاناة، ويجب أن يكون هناك ثقافة شعرية والمقصود بها ثقافة عامة. يعنى أحيانا أقرأ بحثا فى الكيمياء أو الكمبيوتر أنسى فيه الشعر ولكنه يفيدنى فيما بعد بكتابة الشعر، ثم بعدما تخرج القصيدة تبدأ المراقبة يبدأ الإحساس بالمسؤولية، فأنت كشاعر عندك لغتك وعندك صورتك وعندك ثقافتك وعندك كل ما تعرفه عن الشعر العربى والعالمى، وعندئذ تبقى العملية بينك وبين القصيدة. فأنا شخصيا لا أتهاون، لا أرمى القصيدة على عواهنها وإنما كما قلت أنت فى بداية حديثك سيارة يجب أن يقودها المرء بكل اتزان وإلا ففى قعر الوادى.

■ **كم قصيدة مزقت فى حياتك ولم ترسلها للنشر؟**

□ **نزار:** كثير. العملية هى عملية مسؤولية ورقابة، يوجد أشياء أشعر فيها أن نزار قبانى غير موجود فيها. (لست بأنا).

■ **هل يكون دائما نزار قبانى فى ذروة الإبداع والعطاء؟**

□ **نزار:** ٦٠٪ أو ٧٠٪ يكون.

■ **هل مرت عليك مراحل صمت شعرى؟ لم تستطع أن تقول فيها شيئا ؟**

□ **نزار:** كثير. عقم. يعنى مر علىّ أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو ستة أشهر أراقب الورقة البيضاء أتأملها. كنت أزعل فى البداية وأعتبره (عارا) بالعكس بعد ذلك تبين لى بأن ذلك زمن التخمر فى داخلى ولا أستطيع أن أفعل شيئا. يعنى حبة حصرم هل يمكن أن تحولها إلى نبيذ ـ لا تستطيع إلا أن تضعها في خابية وتخمرها وهكذا الشعر. وبالمقابل وبعد انتهاء فترة العقم هذه يمر علىّ فترة يأتى فيها الأولاد مثل أولاد الأنابيب بالعشرات. يمكننى فى اليوم الواحد أن أكتب أربع قصائد وفى ستة أشهر أو سبعة أشهر قد لا أكتب شيئا! فهذا لا أزعل منه إطلاقا، فأنا صرت أعرف ميكانيكية القصيدة. فالقصيدة لا تأتى، لا أجرُها من شعرها. ليس هناك اغتصاب فى الشعر. نحن لا يمكننا اغتصاب القصيدة. فذاك الناحت فى الصخر يمكن أن يصبح نحاتا، أما أن يصبح شاعرا فصعب.

■ **طبعا هذه أسئلة قد تبدو عادية وصغيرة ولكن الجمهور يحب أن يعرف كل خصوصيات شاعره.. متى تكتب القصيدة: فى آخر الليل؟ فى الصباح؟ فى الظهيرة؟**

□ **نزار:** هذه أسئلة أرصاد جوية، أرفض الاجابة عنها لأن الشعر خارج عن كل الأزمنة.

■ **هل رنمت قصيدتك في الشارع ذات يوم ثم كتبتها بعد يومين أو ثلاثة؟**

□ **نزار:** أنا أولا على طاولة كتابة (مكتب) لا أستطيع أن أكتب الشعر. هذه عملية مكتبية أن أقعد وراء مكتبى وأمامى أوراق. أنا لا أكتب بهذه الطريقة.

أنا أكثر قصائدى تكتب فى الشارع. وأنا أمشى. وأنا أنتظر قطارا (أتوبيس) وأنا بالمطار.. هكذا يأتى الشعر. أما عملية الاستعداد كأن ألبس (سموكن) يوجد أناس كثيرون فنانون (تشايكوفسكى) كان يلبس أجمل ما عنده من ثياب. ويأخذ قهوته وفى الساعة التاسعة يبدأ الجلوس خلف البيانو

ثم يذهب إلى الغذاء ويستريح ثم يعود فى السادسة، هذا أسلوب (نجيب محفوظ) عندنا فى هذا الشكل يكتب فى ساعات محدودة.

■ **لقد خطر لى بأنك تكتب قصائدك فى الشارع وبأنك تبدأ بكتابتها بزمن قبل أن تكتبها؟**

□ **نزار:** أنت تذكر أستاذ رياض بيتنا فى مئذنة الشحم، وتذكر الدرج اليمينى القديم الذى يوصل إلى غرفة نومى.. كنت ذات يوم نازلا حوالى الثامنة صباحا. ونزلت على الدرج على إيقاع أول درجة وثانى درجة أتت معى قصيدة حبلى.

هى كلمة.. إننى لا أشعر أننى حبلى

وبعثت بالخدام يدفعنى فى وحدة الدرب

يامن زرعت العار.. فى صلبى وكسرت لى قلبى

ثم عدت إلى منتصف الدرج عندما شارف المقطع الأول على الانتهاء، عدت عشرة أدراج وأنهيت القصيدة بخمس قصائد وهى من القصائد الهامة جدا، لذلك أحاكيك عن انفجارات الشعر غير المنتظمة، وأنا أقول دائما إن الشعر هو انتظار ما لا ينتظر وليس انتظار ما ينتظر. يعنى القارىء أو المستمع عندما يجلس فى أمسية شعرية. ويعود ويكمل القافية أو نصف الشطر الثانى (إذا صافح الحديد الحديدا). يسمونه فى البلاغة الإرصاد كأن أعرف ما سيقول الشاعر فإذا عرفت ما سيقول الشاعر فالشاعر والجمهور مع بعض، فالشعر هو فن الدهشة، والإدهاش انبهار يعنى أنظر إلى الدنيا بعينى طفل (هارى جيمس) الشاعر الانجليزى قال: الشعر هو الطفولة وعندما يصل الشاعر إلى مرحلة ترحل فيها طفولته يرحل عنه شعره. ماهى الطفولة ؟ هى أن تخترع الأشياء المستحيلة دائما تبحث عن الألعاب، الطفل مثلا يحول قضيب الشجرة إلى حصان يركبه وأنا كشاعر لا أزال قادرا على أن أتصور أن أضع القمر فى جيبى وأنا معه فى السرير.. حلم يمكن أن يضحك عليه المرء.

■ **هذا الحوار دعانى أن أوجه لك سؤالا: فهمنا أنك شاعر كبير وفى أدبنا العربى نقول إن هناك ناثرا كبيرا مثلا: ابن المقفع ـ الجاحظ ـ يقابله المتنبى فى الشعر. أما أنت فأنت تكتب النثر شعرا وأنت تتحدث شعرا ولكن النثر فيه شاعرية عذبة أظن أن قصيدتك التى طلعت بها فى (مكتبة الأسد) فى الأمسية. أنت قلت بأننى سأقدم لكم مقدمة نثرية.**

□ **نزار:** لقد أخطأت لأنه يجب علىَّ أن أدخل فورا فى النثر الشعر مباشرة دون أن أقول لأحد وكان الناس صدقوا أن هذا شعر وهو شعر، وأقول لك اعترافا إن نثرى أهم من شعرى. لأننى مع نثرى عصفور لأنه ليس هناك حدود لأجنحتى ولا للفضاء، أما الشعر فهو فى حالة انضباط ونظام ممارسة ومسئولية، ويمكن أن القافية جاءت أم لم تجىء أو أن هذه الكلمة أفضل، أما مع النثر فليس لدىَّ مشكلة.

■ **ولكننى أحسست بأنك مشغول جدا أيضا.**

□ **نزار:** والله ليس بمشغول لأن العاطفة كانت كبيرة جدا تجاه دمشق حتى أردت أن أكتب عن كل شىء حتى عن مقهى النوفرة ـ المآذن ـ عن السفرجل ـ اللوز الأخضر.

■ **فى الحقيقة أن الحديث مع نزار قبانى حديث ممتع جدا ولا يمكننا أن نشبع نفوسنا من النهل المستمر من ينابيع الرقة والعذوبة والشاعرية، ولكننى أستاذ نزار، وددت أن يشاركنى الحوار معك مجموعة من الأصدقاء نقادا وشعراء، أن يكونوا معنا فى هذه الجلسة العذبة، حاولت ألا انفرد بالحوار وحدى مع نزار قبانى، وألا أكون أنانيا فى هذه الجلسة العذبة، لذا أردت أن يشاركنى مجموعة النقاد والشعراء واخترت أجيالا وثقافات متنوعة.**

□ **نزار:** وفى هذا نكون قد خرجنا على المألوف.

■ **رياض: الحقيقة أنا كنت أعانى من مشكلة وهى أن عددا كبيرا من الزملاء فى ساحة الوطن العربى، سألوك الأسئلة ذاتها وسألتها مرات ومرات ولكن الشكل الذى أردته أكثر اجتماعية وهو أن يشارك مجموعة من الشعراء والنقاد أو القراء.**

□ **مها قنوت:** مجرد الحديث عن شاعر كبير كنزار يشعرنى بسعادة عظيمة رغم أن المجال لا يتسع بالحديث عن شاعر تنوعت واتجهت مواضيعه نحو كثير من الأمور الإنسانية، ولكن لا أستطيع أن اتحدث عنه كثيرا بهذه العجالة من الزمن، لذلك سأحاول أن أختصر القول وهى علاقة نزار بالمرأة، فأول انطباع جمالى وإيجابى وكى نكون منصفين فصورة المرأة فى شعر نزار صورة جميلة، المرأة إجمالا فى شعر نزار امرأة حلوة الملامح قد نجد عند الكثير من الشعراء ماتعودناه هو أن الشعراء يتحدثون عن الجميلات من النساء ذوات العيون الواسعة والقدود المشوقة، إلا أننا نجد فى تراثنا العربى وفى التراث العالمى نساء صغيرات العيون أو قصيرات القامة تبعا لما تكون عليه محبوبة الشاعر وجدت عليه من ملامح، أما عند نزار فالمرأة جميلة، امرأة (عيناها سبحان المعبود. فمها مرسوم كالعنقود، ضحكتها أزهار وورود، والشعر الغجرى المجنون يسافر في كل الدنيا) صورة جميلة جدا للمرأة يقنع القارىء أنها يجب أن تكون ممشوقة حتى تسمح لشاعر حساس ورائع كنزار قبانى أن يتحدث عنها، المرأة عنده جميلة دائما.

الانطباع الثاني: فيما يتعلق بالمرأة وهو الوجه الثانى لوصف نزار للمرأة، هى أن صورة المرأة عند نزار صورة

مادية، تعمق نزار في وصف المرأة وصفا حسيا ماديا حتى غلبت هذه المادية على كثير من القيم الجمالية الأخرى النبيلة السامية، التي يمكن لشاعر أن يتحدث عنها في المرأة - الحب - الإخلاص - الوفاء - التفاني - الصبر - التضحية - كل هذا يمكن أن يكون ضمن موضوع الحب.. ولكن نزار توغل في وصف المرأة وصفا ماديا.

الانطباع الثالث: إن المرأة عند نزار عاشقة بمعنى أنها هي التي تعشق. هي التي تحب، هي التي تبوح، هي التي تبادر الاهتمام. هي التي تتعرض له، تماما كما نجد في تراثنا عند (عمر بن أبي ربيعة).

هذا التلاقي إن استطعت أن اسميه هو ظهور (الأنا) وحتى لا أعمم التسميات أقول (نرجسية) أو أي شيء آخر، إلا أن هناك انطباعا أكيدا وهو أن نزاراً لا يكتب إلا عن عاشقة، هذه العاشقة بما أنها تحبه وتبادله الحب وهو يكتب عنها، وبالتالي كثرت العاشقات في شعر نزار.

الانطباع الرابع: أن المرأة عنده مقهورة وفي شعر نزار امرأة مهزومة، من الذي هزمها، من الذي قهرها، هو الذي قهرها عاطفيا ووجدانيا وسلوكيا. المرأة مهزومة، الغريب هو أن نزاراً لم يحقق موقفا واحدا للمرأة خاصة في النواحي العاطفية، لم يحقق موقفا انتصاريا.

الانطباع الخامس: هو أن المرأة في شعر نزار رومانسية الشكل ذات أبعاد شاعرية فأنت عندما تقرأ شعر نزار تتصور كل نساء الكون الواحدة منهن تحمل قيثارة وتضع وردة في شعرها وتغني وتعزف، امرأة مترفة، استطاعت أن تحصل على بيئة معينة لم توجد لكل نساء الكون، لم نلمح في صور النساء عند نزار صورة امرأة متعبة أو امرأة تلهث وراء شيء ما، أو صورة امرأة عاملة، أو صورة امرأة وضعت في ذهنها أمرا تطمح الوصول إليه، لم نلمح صورة امرأة تعود من عملها مرهقة يعلو جبينها قطرات العرق، لم نلمح عند نزار امرأة خشنة اليدين، هل نزار كان بعيدا عن تلك المرأة أم أنه لم يجتمع إلا بنساء ذوات أشكال محددة ؟

■ **رياض: إذا سمحت أستاذ نزار أن تجيب الشاعرة مها قنوت.**

□ **نزار:** أولا أشكر الشاعرة مها قنوت التي مداخلتها جميلة ولكنها ناقصة فهي تتهمني بأنني أتحدث عن الجميلات فقط، وأنا لا أرى في حياتي امرأة لا تريد أن تكون جميلة وتتهمني أنني أتحدث عن المرأة العاشقة، وأنا لا أعرف في حياتي امرأة لا تتمنى أن تكون عاشقة أو معشوقة.

ثم تتهمني بالقمع وهذا عجيب جدا، أنا الذي كتبت تاريخ النساء - نقطة نقطة - وحرفا حرفا - وفاصلة فاصلة - حملتها على ظهري خمسين عاما وحولتها من منسف رز ولحم إلى وردة وحمامة وقمر أخضر. إذا كان هناك قمع تقول بأنني أنا الذي قمعت، أنا جئت إلى هذه الدنيا فوجدت المرأة مقموعة من عشرة آلاف عام ووجدت المرأة مقموعة ومضطهدة وموءودة. أنا الذي حاولت أن أكسر أقفال معتقلها، وأنا الذي حاولت أن أحولها من شريحة لحم بين أسنان رجال القبيلة إلى وردة تُشم في الأنف، ثم يبدو لي أن (مها) لم تقرأ كتابي (يوميات امرأة لا مبالية)، فالمرأة لها قضية المرأة المناضلة من أجل أن تكون شيئا أن تصل إلى مرحلة من التساوي أن تدافع ضد مغتصبيها الذين يبيعونها في المزاد العلني، لو قرأت (يوميات امرأة لامبالية)، لعرفت أن المرأة في هذا الديوان لم تكن تضع وردة حمراء على شعرها أو بيضاء، ولم تكن تحمل قيثارة في يديها بل كانت تحمل مسدسا سريع الطلقات لتقتل به الخرافة وجميع جلاديها ومستثمريها.

■ **رياض: أستاذ نزار عطفا على ما تفضلت به يمكن أن يكون هناك خلل ما في الفهم النقدي لمسألة الحديث بلسان المتكلم بالشعارك - أنت تتحدث بلسان شهريار - تتحدث بلسان القبيلة التي تريد افتراس المرأة فيظن الناس بأنك تتحدث عن نفسك.**

□ **نزار:** الكلام بصيغة المتكلم دائما، يدفع ثمنه الشاعر، وأنا رفعت هذه القضية، مثلا هذه القصيدة، «الرسم بالكلمات».

مارست ألف عبادة وعبادة فوجدت أفضلها عبادة ذاتي.
فصَّلت من جلد النساء عباءة وبنيت أهراما من الحلمات.
لم يبق نهد أبيض أو أسود إلا زرعت بأرضه راياتي.

لست أنا الذي فعل كل هذه الجرائم. ولكني أردت أن أخلق الموقف الدرامي، أنا أردت أن اطرح قضية درامية وكتبت بصيغة المتكلم. ولكن الناس اعتبروا أنني أنا المجرم وأخذوني إلى التحقيق.

فأرجو الفصل بين هذه الأشياء، حين يتكلم الإنسان عن قضية فله الحرية أن يستعمل أي صيغة، لذلك لا اتصور أن إنسانا حمل المرأة خلال خمسين عاما أكثر مما حملتها، لكنني الآن قررت أن أنزلها لأنها هي لم تفعل شيئا في الحقيقة لقضيتها، ودعني أقول إن قضية المرأة الاستقلال وهو يؤخذ ولا يعطى، والذي يريد أن يصل لتحقيق قضية لابد أن يكون للقضية ضحايا. ليس هناك امرأة تستطيع أن تضحي بحياتها، وأستثني بعض الحالات، لكن المرأة في الشرق العربي بصورة عامة، مستريحة وتحب أن تبقى الأميرة ذات الامتيازات، وتحب أن تقدم لها الحرية على طبق من ذهب يعني أنا قاتلت في سبيل المرأة وأن الأوان لتقول المرأة كلمتها وتتحرك بطريقتها الخاصة، لا أحد يستطيع أن يقاتل بدل الآخرين.

■ **رياض: أعتقد أن الرجال قادوا حركة تحرير المرأة أكثر مما فعله النساء.**

□ **نزار:** الرجال هم المسئولون عن الحالة العميقة التي تعيشها المرأة، لقد هاجمت الرجل كثيرا أكثر بكثير مما دافعت عن المرأة، اعتبرته هو الاقطاعي وهو الاحتكاري وهو الذي لايقبل بمشاركة المرأة حتى في الرأي ـ أنا اعلم أن أزواجا إذا تكلمت المرأة أكثر من اللازم في البيت يغضبون، الرجل مازال سلطانا بيده التشريع، بيده القانون، بيده الصحافة، بيده كل شيء. وليس هناك رجل في العالم يملك ويقبل أن يتنازل عن ما يملك، لذلك على المرأة أن تأخذ حقها بأظافرها وأسنانها.

شفتاك من حجر وصوتك من حجر.

ويداك آنيتان من عصر الحجر.

وأنا على طرف السرير كنخلة من ألف قرن وهي تنتظر المطر.

انهض ـ انهض ـ انهض فإنك حالة ميئوسة.

انهض فلا علم لديك ولا خبر.

أنسيتني شكلي وشكل أنوثتي

وكسرت أعضائي وأتلفت الزهر

إني أعض على بياض شراشفي

وأعض من قهري شبابيك القمر

ياأيها الرجل النحاسي، الذي أحببته خطأ

وهذا بعض سخرية القدر

الجنس عندك كيمياء صرفة

والعشق عندك من تقاليد الشعر

يافاقد الإحساس قل لي كلمة

قل لي كلاما حامضا أو مالحا

قل كلاما غامضا أو واضحا

قل قصة قل طرفة فأنا أموت من الضجر

■ **رياض: أستاذ نزار أرجو أن نسمع رأيا من صديقنا الدكتور سعد الله أغا القلعة وهو دكتور مهندس وباحث موسيقى أيضا.**

■ **د. سعد الله أغا القلعة: الأستاذ الشاعر نزار قباني طبعا أنا أعرفك منذ فترة طويلة فأنا من أبناء الجيل الذي عاش شعرك، لقد تبينت في شعرك ملامح الرجل الشرقي، نعم الرجل الشرقي. لقد استطعت أن تعبر عن المرأة في أنوثتها وتمردها، هذا صحيح ولكنك استطعت أن تعبر عن الرجل في عنفوانه أمامها. لقد أردتها أن تخرج من القيد الذي أحاط بها، أن تخرج لتلقاك. ولكن عندما تخرج لتلقاك، ألست دائما أنت الأقوى ؟**

□ **نزار:** الدكتور سعد الله قال كلاما جميلا في الحقيقة، ولكنه قال إنني أكتب عن منطق رجل شرقي. والحقيقة أنني كذلك فأنا رجل عربي شرقي ولا أدّعي أنني دنماركي ولا انجليزي ولا سويدي. أنا اكتب بلسان رجل عربي ولكنني من خلال ما أكتبه بصيغة المتكلم أفهم أنني أنا الرجل الذي أردت أن أحرر المرأة لأقطفها لنفسي أو أحتكرها لنفسي هذا لم يحدث في حياتي. كل ما كتبته في هذا الموضوع بهدف التحرير المطلق للمرأة ولم يكن هناك في ذهني أي فكرة للاستئثار أو للامتلاك.

■ **رياض: نسمع رأيا آخر من الناقد الدكتور عبد النبي صطيف وهو أستاذ للنقد إذا سمحت.**

■ **عبد النبي صطيف: بشكل عام ما نلاحظه في شعر نزار هو ديمومته أو إسرافه في هذه الديمومة. نزار مشغول بما نسميه فتات الحياة، ولكنه غني عن فتات الحياة هذا شيء شغله وأرّقه لفترة طويلة هو صلة الرجل بالمرأة. أخشى بأن أقول إن هذا الانشغال بالفتات فوت على نزار الاهتمام بالقضايا الكبرى، بكليات الحياة الإنسانية، بالموت. بالزمن. بالاغتراب، بأشياء كثيرة رغم أن نزاراً فجع أكثر من مرة بما يمكن أن يثير الاهتمام بهذه القضايا في شارعنا، لكن لا أدري لماذا نجد أن الاهتمام بهذه القضايا بسيط جدا أو يكاد يكون معدوما، سوف يذكر أيضا لنزار قباني بالإفصاح عما يختلج داخل المرأة في مجتمع بطركي، أعتقد أنه نجح إلى حد ما ولكن ظل يتحرك كما قلت دون التعمق في القضايا الماروائية التي تحدثت عنها قبل قليل. ربما يخطر على بالي سؤال هام وخاصة إذا قرأ بعض الشعر النسائي وخاصة في العقدين الأخيرين نجد في هذا الشعر أن هناك تأثيرا واضحا بالنزعة النزارية في الحديث عن مواجد المرأة وما يعتمل بداخلها، ترى ماذا يفكر نزار قباني بتأثير شعره في هذا الشعر النسائي المعاصر.**

■ **رياض: الإجابة إذا سمحت.**

□ **نزار:** أولا أريد أن أصحح للدكتور عبد النبي كلمة صغيرة قالها وهي أنني اهتممت بفتات الحياة. أنا لم أهتم بفتات الحياة ولكني اهتممت بالشئون الصغيرة للحياة. الشئون الكبيرة، أما إهمالي للقضايا الماروائية (والميتافيزيقية) فأعتبر وبصراحة بأن هذا ليس ميدان الشعر هذا ميدان الفلسفة والفلاسفة، وأنا كشاعر لا أسمح لنفسي بالدخول في هذه المتاهات.

النقطة الثالثة: قضية تأثر النساء العربيات الشاعرات بشعري، وأنا أقول ليست العربيات فقط هن اللاتي تأثرن بشعري هناك رجال كثيرون من الشعراء تأثروا بشعري ولكن يبدوا أن كبرياءهم وعنترياتهم تمنعهم من أن يقولوا إنهم

تأثروا به، أما النساء فبكل بساطة وطفولة يقلن إننا تأثرن بنزار لأن نزاراً كان مطروحا أو مبثوثا على كل الفضاءات العربية خلال خمسين عاما الأخيرة، ونحن ولدنا على يديه وكبرنا على يديه وراهقنا على يديه وكتبنا على يديه.

■ **رياض: هذا الموضوع تحدثنا به في مطلع الحوار.**

□ **نزار:** التأثر لا أعتبره إدانة كلنا تأثرنا. ففي بداياتي تأثرت (ببودلير - رامبو - أمين نخلة - بشارة الخوري - إلياس أبو شبكة) ثم بعد ذلك وبعد أن تتكون شخصية الشاعر يخطط لطريقه وينطلق لاتجاهه الشخصي.

■ **رياض: وهذا ما فعلته أنت حتى أصبح هناك ظاهرة نزار قباني في الشعر العربي.**

□ **أرجو أن ننقل الحديث إلى صديقنا المشترك، الدمشقي العذب الحديث دائما نجاة قصاب حسن. وهو متعدد المواهب، فهو محام شهير وهو يعزف على العود، وكما تعلم يقرض الشعر أيضا وهو الظريف الدمشقي.**

□ **نجاة:** في موضوع الحب رأى نزار أن الحب هو ملح الحياة، ولكن هذا الحب في بلادنا الذي ننظمه ونحتفل به ونفرح به ونقيم له المناسبات الجليلة، أليس كذلك ياأخ نزار، هذا الحب مطارد، فكأنما الحب هو لحاف ينكمش تحته الناس رجالا ونساء، فإذا خطر لأحدهم أن يمد رجله قليلا خارج اللحاف كان في انتظاره القلق. الحب فيه عدد من الممنوعات والأشياء التي لايجوز الكلام فيها نزار كسرها جميعا. تحدث الحب واجترأ عليه، وعرى عيوب الناس في الحب وعرى الكذب في الحب، ولكنه لم يكن يريد أن يهين الحب أو يهين المرأة، لقد حمل على ذكورية الرجال، على هذه الصفة التي تجعلهم ابعد عن الجمال وأحيانا أقرب إلى القبح. لم يتحدث نزار عن نفسه، لم يكن هو الرجل اليعسوب الذي يطوق على زهرات كثيرات.. على العكس. في حياته الشخصية كلنا نعرف أنه ارتبط بالحب بارتباطات قوية وقصيدته بلقيس في زوجته الحبيبة التي فقدها تشهد أن الحب عنده حب متين، لم يكن فاسقا ولا كان طوافا، كان الحب صادقا وإذا تكلم من قصيدة إلى أخرى ومن حين إلى آخر. العاطفة التي هي أساس وجود الإنسان واستمراره، وإذا كان الحديث عن الحب مدهشة، لما كتب الإمام العارف بالله ابن قيم الجوزية أحد كبار المتشددين في الدين (روضة المحبين ونزهة المشتاقين)، ولو كان الحب مطاردا وممنوعا لما كان العرب أفردوا له خمسين اسما. ونادرا ما يفرد مثل هذا العدد إلا لقيمة كبيرة. إذاً فنزار في حياته وفي شعره كان الرجل الصادق.

■ **رياض : يندر أن نرى بين الشعراء من غنى لوطنه بهذا الحنان والصدق، وبهذه العذوبة والرقة، وهذه القصيدة الدمشقية الخالصة هي قصيدة كل مواطن إلى مدينته في أي مكان كان ليس فقط قصيدة نزار لدمشق ربما، تكون قصيدة التونسي لتونس - المصري للقاهرة - الليبي لطرابلس - هذا ما أحسه. انتقل إلى صديق قديم هو يخالفك الرأي في كثير من مذهبك الشعري، ولكننا نحبه أيضا لأنه من ظرفاء هذا البلد الشاعر أحمد الجندي (أبو حيان).**

□ **أحمد الجندي:** أريد أن أسأل الاستاذ نزار قباني: هل استطاع أن يحفظ في شبابه الباكر كثيرا من الشعر وهل روى للشعراء القدامى والمحدثين شعرا كثيرا؟ أسأله هذا السؤال، لأن رواية الشعر من أهم الأمور التي يعتمد عليها الشاعر بعد أن ينضج وبعد أن يصبح شاعرا كبيرا، لأن رواية الشعر تقوِّم اللسان وتجعل الشعر عربيا أصيلا وبغير الرواية يستطيع الشاعر أن يكون شاعرا ولكنه يعرِّض شعره لبعض مخالفات الأسلوب العربي مما يسميه النقاد بالهلهلة أو التفكك أو عدم الارتباط بين العبارات الشعرية وبين الأبيات، كيف كانت دراسته لمقومات اللغة أعني النحو والصرف وما يتعلق بهما هل كان لديه الوقت للدراسة المفصلة لهذه الأمور؟ أم أنه اكتفى بدراسته المدرسية؟ لا أقول هذا لأن نزاراً غير متقن للغته بل على العكس إن نزاراً لم يرتكب خطأً نحويا فيما أرى ولم يرتكب خطا صرفيا إلا بعض الأخطاء التي يمكن أن يخطئها الشعراء الكبار لأن الصرف لا يمكن أن يحصى.

أريد أن أسأل الاستاذ نزار ايضا: هل درس العروض؟ الذي أعتقده أن الشاعر يولد وتولد معه أذنه الوزانة فهو لايكسر البيت ولايخالف الوزن وإن كان هناك مخالفات فهي المخالفات العملية الدقيقة في القافية أو غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالعروض، هذه الأمور تدرس في العروض لدى الإنسان لأنها لا تأتي بشكل طبيعي، أما الوزن فيأتي بشكل طبيعي ولا داعي للشاعر أن يستعين بالعروض على تقويم وزن الشعر.

□ **نزار:** شكرا لأستاذنا الكبير أحمد الجندي وموقفه موقف سليم جدا، لأن موقفه أصولي وأكاديمي وأود أن أطمئن صديقنا وأستاذنا أحمد الجندي بأني أعرف قديمي جدا وأعرف العروض والصرف والنحو لأنني لا أعوم في الفراغ لأنه من لا قديم له لا جديد له، ولا يستطيع أن يبدع جديدا، إلا أنني فيما يتعلق برواية الشعر وحفظ الشعر الكثير أخالفه ١٠٠٪ فحفظ الشعر هو ضد الشعر، الذي يحفظ في رأسه ٥٠ ألف بيت من الشعر لا يترك ثقبا واحدا يدخل منه الهواء وضوء الشمس على الشاعر الذي يريد أن يكون جديدا أن ينسى لا أن يتذكر، وربما كانت وجهة الأستاذ أحمد صحيحة ولكنني وجدت جميع من يحفظون الشعر كثيرا يتوقفون عند

حدود معينة ويلوكون ما يحفظونه. وأنا لا أريد أن أكون متنبيا ثانيا، ولا أبو تمام، ولا بحترى، ولا حطيئة، ولا ابن الرومى.. ولكن أريد أن أشق طريقى كنزار قبانى.

أنا أعرف كمـا قلت قديمى جيـدا، اطلعت على كل شىء يكفى أن يكون أستاذى فى الشعر والعروض خليل مردم بك ونحن جميعا نعرف رهافة ذوقه ونعرف حساسيته الشعرية الرائعة، إذاً لابد من معرفة القديم هذا كلام أقوله للشعراء الجدد. لا جديد بدون معرفة القديم، فهناك أسس وقواعد يجب أن يحفظها كل شاعر ثم يستطيع أى شاعر أن يفتح طريقه ويجدد بأسلوبه الخاص.

■ **رياض: وهذا يذكرنا بإجابة أبى نواس: احفظ ألف بيت ثم اذهب فانسها.**

نأتى مرة أخرى إلى صديقنا الدكتور عبد النبى صطيف.

□ **عبد النبى صطيف:** تفرغ نزار قبانى لفنه وإخلاصه له يغرى بمقارنته بأمير الشعراء فى العصر الحديث (أحمد شوقى) كلاهما تفرغ لفنه وكلاهما بلغ جهودا كبيرة لصقل هذا الفن، شوقى جعله ينضوى بشكل أو بآخر تحت ظل حماية المؤسسة الحاكمة، نزار من جهة أخرى فضل أن يبقى بعيدا ولهذا نجده فى فترة من فترات حياته، ابتعد عن العمل الوظيفى وفضل أن يستقل ماديا. لماذا المقارنة لأن شوقى الذى أُمِّر على الشعر العربى فى فترة ما، استطاع أن يرقى أو يطوع اللغة السائدة فى عصره لتصبح لغة شعرية من خلال توظيفه لها التوظيف الشعرى الذى حدثنا عنه (رومان جاكسون) كذلك نزار استطاع أن يوظف لغة الحياة اليومية التى نسمعها كل يوم نتبادلها كل يوم التوظيف الشعرى الحقيقى، أى استطاع أن يرقى بلغة الحياة اليومية إلى لغة الشعر، شوقى كان يؤرقه نموذج قديم يحاول أن يحاكيه وأن يتفوق عليه، نزار من جهة أخرى لم يكن هذا النموذج القديم يؤرقه بالطريقة نفسها لأنه كان يريد أن يخرج عليه ليس فقط من الناحية الفنية وإنما من الناحية الاجتماعية، ولنتذكر أن مسألة اللغة فى شعر نزار، مسألة هامة يمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال قصيدته (ترصيع من ذهب على سيف دمشق ـ حوار مع أعرابى أضاع فرسه) انشغاله باللغة يكاد يكون ملحوظا من خلال شعره كله.

□ **نزار:** أستغرب أن يقارننى الدكتور مع شوقى، والحقيقة أنه ليس هناك وجه للشبه بينى وبين شوقى، فشوقى هو محصول طبقى فى حين أنا محصول شعبى وطنى، شوقى كان صدى للآخرين وأذنا للشعراء القدامى مثل المتنبى، البحترى، أبو نواس، أما أنا فلم يكن لى آباء فى الشعر، ما تتلمذت على شعر المعرى ولم أقرأ تعاليم سليمان الحكيم، إننى فى الشعر لا آباء لى، فلقد ألقيت آبائى فى الجحيم، من هو الشاعر ياسيدى من هو الشاعر ياسيدتى إن مشى فوق الصراط المستقيم ؟!

■ **رياض: هناك تعليق للدكتــور حســام الخطيب عن خصوصيات هامة فى شعرك.**

□ **الدكتور حسام :** لنحاول أن نتلمس بعض مفاتيح شعره. ولا أقصد فى الغزل فقط، ولكن مفاتيح شعره فى رأيى أن المفتاح الأول فى شعر نزار هو الموسيقى الموسيقية (النغم والموسيقى اللفظية) أى الكلمة الحلوة وفى كل ما قاله من شعر غرامى أو وصفى أو سياسى تعلق بهذه القيم وأبدع فيها، ولذلك قد لا أتفق معه فى كثير من شعره ولكننا لا ننكر شعره من الناحية الإحساسية الخالصة، دائما وقع شعره جميل، وصحيح أن شعره الآن يمكن أن يقرأ على طريقة الشعر العمودى، ولكننا نتذكر تلك الحيلة التى احتيل بها على الشعر العمودى ليبدو غير عمودى وهى حيلة التفعيلة. قالوا شعر التفعيلة فكانوا يضعون التفعيلتين أو التفعيلة الواحدة بطريقة عمودية لا أفقية وينوعون بالتفعيلات، وكان نزار معتدلا جدا فى هذا المجال ولكن هذه الحصيلة يمكن أن تقرأ بطريقة الشعر العمودى بسهولة شديدة، ونزار نفسه كأنما كان يتقيد بعدد التفعيلات بأغلب الأحيان. فى مجال الإبداع الفنى يمكن أن نتحدث عن القافية.

قلنا الموسيقى هاهنا تفعيلات متوازنة ومعها دائما قافية ويخطر لى أن أنتقل من نزار إلى قضية الشعر العربى الحديث لأقول إن تمسك نزار بالموسيقى الموسيقية أتاح له أن يظل قريبا من القلوب، خروج شعراء الحداثة على هذه الموسيقى الموسيقية الظاهرية أبعدهم نسبيا عن الجمهور الذى يحب الطرب، ولا أدرى فى أى نظرية شعرية للأدب العربى هل نستطيع استبعاد قضية الإطراب الموسيقى الحسى... يخيل لى أن التعلق بالوزن والقافية مع كل ما يتبعه من تنويعات، هذا شىء أصيل فى طبيعة الشعر العربى وفى طبيعة التجربة الفنية العربية التاريخية ولذلك سنظل نصبو الى هذا الأمر والشاعر العظيم هو الذى يستطيع أن يبقى على هذه القيم دون أن تتملكه كما هو عند الشعراء الضعاف فتسيطر عليه وتأخذ مكانه التجربة الإنسانية، ومن هذه الناحية فإننى أشهد لنزار أنه استطاع أن يوفر دائما الجانب الجمالى الحسى الموسيقى كما يقولون الجمال الظاهرى للموسيقى، فيما يتعلق بالكلمات كان نزار سيدا من سادات الكلمة وهو دائما بغريزته ولا أعتقد أنه هامد ينتقى الكلمة الموسيقية الموحية الهامسة،

أخشى أن أقول إن تجربته فى الشامية ساعدته على ذلك لطافة اللهجة الشامية فى الكلام ربما ساعدته، وهو يتكىء على المصطلح العام فى لهجة الشام، وتبقى كلمات كثيرة مماهو دارج فى كلام أهل الشام. وسواء عن وعى أو غير وعى هناك كلمات كثيرة تتردد عنده لأغراض موسيقية ولأغراض فنية.

يطول بنا الحديث إن نحن وقفنا عند هذه الأغراض ولكننا نستطيع أن نختار كلمتين أو ثلاثا على وجه التمثيل، فى رأيى أن الكلمة المفتاحية المطلقة فى شعر نزار هى «نهد»، النهد يطارد نزارا فى كل مكان: فى الشعر السياسى كما هو فى الشعر الغرامى، والنهد عنده قضية، والنهد عنده رمز، أو ربما يوصل ماهو حسى بما هو غير حسى، يوصل المحدود بالمطلق بالخروج بالتجربة الإنسانية من أبعاد أسوارها الخاصة إلى الأبعاد المترامية غير المفهومة. هل ينجح نزار فى الخروج من هذه القضية ثانيا، لكن استحضار النهد دائما بمناسبة أو غير مناسبة يمكن أن ينبىء عن هذه الرغبة وهو عادة يحاول أن يربط بين النهد وبين المطلق (وشجعت نهديك فاستكبرا على الله حتى فلم يسجدا) طبعا لا يقصد هذا الكلام حرفيا وإنما يقصد أن هذا النهد يتطلع إلى أبعد من البعيد، وفى مجال شعره السياسى دائما يخترق النهد جمود الشعر السياسى ويبعث فيه إشعاعا جديدا من الكلمات الأخرى المهمة عند نزار الشاعر، فدائما الأشياء فى سفر وصاحبها فى سفر، والحقيقة أن تجربة نزار الشخصية هى تجربة سفر وتنقل من مكان لآخر كأنما الوقوف يعنى التجمد، والانتقال الشعرى الدائم يعنى التجدد، وهذا طبعا ليس جديدا وإنما مذكور منذ القديم ونحن نذكر أبيات أبى تمام (فاغترب تجدد...) ولكن فى موضوع نزار الشعر هو قضية: قضية حياة، قضية خروج كامل عن مألوفية الحياة وقواعدها وقوامها، مع أن الشعر هناك العصفور - العصفور هو البشارة - هو دمشق - هو النعومة - إذاً العصفور هو الأمل الذى يحمل لبنى الإنسان ويقترب العصفور بالألفاظ الدمشقية المختلفة.

□ **نزار:** يستمر صديقنا الدكتور حسام فى أن يكون رائعا والحقيقة أن اللقطات الأخيرة التى اكتشفها هى أنا (نزار) يعنى المفاتيح التى وضع يده عليها هى مفاتيحى، طبعا لن أناقشه، لن أعلّق على ما قاله عن الموسيقى لأن الشعر عندى هو الموسيقى كما كان عند (فاليرى) أما أن يكتشف الرمز الحقيقى للنهد لكلمة النهد الذى أسىء تفسيره جدا. دكتور حسام وقف كما تعهدنا منه الموقف الحضارى. الحقيقة النهد عندى ليس ينبوعا من ينابيع اللذة، إنه طموح دائم للأعلى للتفوق، للتمرد، للغضب، للثورة، وقد سبق أن قلت فى إحدى قصائدى وقبل ذلك فالنهد مرة عندى ديك، ومرة سيف، ومرة حصان، كما قلت فى قصائدى (كان نهداك حصانين بلا سرج وكانا يشربان الماء من قعر المرايا وأنا من أمة تحترم الخيل وما للخيل من طبع كريم وسجايا) فهذه اللقطة لدى الدكتور حسام أذهلتنى الحقيقة. اللقطة الثانية هى العصفور فالعصفور هو المغامر أنا لا أحب الأشياء التالفة أحب الأشياء التى تغير عناوينها، لا أحب مثلا الشجرة، العصفور عندى هو الرحيل، البحث عن المجهول، عن التحليق فى الفضاءات الخارجية، لذلك تعليقاً على ما قاله الدكتور حسام قصيدة (حزب المطر) أقول فيها:

أنا لا أسكن فى أى مكان
إن عنوانى هو اللا منتظر
مبحرا كالسمك الوحشى فى هذا المدى
فى دمى نار وفى عنقى شرر
ذاهبا أبحث عن حرية الريح الذى يتقنها كل الغجر
راكضا خلف غمام أخضر
شاربا بالعين آلاف الصور
ذاهبا حتى نهايات السفر
مبحرا نحو قضاء آخر
ناقضا عنى غبارى
ناسيا اسمى وأسماء النباتات وتاريخ الشجر
هاربا عن هذه الشمس التى تجلدنى بكرابيج الضجر
هاربا من مدن نامت قرونا تحت أقدام القمر
تاركا خلفى عيونا من زجاج وسماء من ضجر
ومضافات تميم ومضر
لا تقولى عد إلى الشمس
فإنى أنتمى إلى حزب المطر

■ **رياض: طبعا الأستاذ نزار.. عندى رغبة كبيرة بأن أستمر معك ولكنى مازلت أخشى أننى اتعبك بهذه الجلسة الطويلة لابد لى أن أسألك: هل كتبت شيئا جديدا.**

□ **نزار:** لا أعرف الحقيقة كما قلت القصيدة عندى مداهمة أو مباغتة أو زلزال لا أعرف، كتبت أشياء متناثرة ولكنها لم تكتمل بعد.

■ **رياض: فى حوارك الرائع جدا مع مجلة (الكرمل) سألوك سؤالا ذكيا وأجبت جوابا طريفا، السؤال: لأنك كنت فى الشاشة فتى الشعر وأنك ربما ستسلم المفاتيح، مفاتيح الشعر، هذه حقائق الدنيا، هل ثمة من سيعتلى المسرح قريبا؟ هل هناك تلميذ من تلاميذ نزار قبانى فى الشعر العربى ؟**

لا أقصد فى أية بقعة محددة.. هل ترى أن ثمة شاعرا محددا قادم وقد استطاع أن ينهج الظاهرة التى أحدثها نزار قبانى؟

□ **نزار:** هذا سؤال صعب أن أجيب عنه ولكن أنا أؤمن أن الأرض ليست عاقرا، وأن التراب لابد أن ينشق عن أزهار جديدة وأعشاب جديدة هذه هى طبيعة الحياة، وأنا رجل أعرف قدر نفسى وأعرف حدودى وأقول دائما إننى أبحث عن شاعر جديد (طالع) لأسلمه المفاتيح فأنا لست متمسكا فى الحقيقة لا بالأزلية أو الأبدية، ليس هناك شىء أزلى على الأطلاق، ولا أؤمن بالبقاء الفرعونى يعنى أن الشاعر يحمل أكله وخبزه إلى العالم الآخر، كل شاعر له مرحلة وأنا يسألوننى متى أستقيل من الشعر ؟ فأجيب حين يطفئون علىَّ الأنوار فى المسرح وحين الجمهور لا يريدنى، ليس هناك شعر بالاغتصاب، أنا لا أغتصب قارئا ولا أفرض عليه أن يقرأنى أو يأتى إلى أمسيتى الشعرية، حين أشعر أن الجمهور لا يريدنى، ألبس معطفى وأنسحب من الباب الخلفى.

■ **رياض: يسعدنا ويسعدنا بشعور كبيرة بالنشوة أنك مازلت فتى الشعر الأول وأنت استخدمت هذه الكلمة فى شعرك. الحقيقة أننى أقول هذا وليعذرنى الجمهور لأننى أطلقت بعض التعابير الدعابية لأننى أنطلق من محبتى الكبيرة لشاعرنا القدير.**

□ أنطلق من تقديرى الكبير لدوره فى حركة الشعر العربى المعاصر لأنه استطاع أن ينقل الشعر من دواوين المعلقات إلى الشوارع، استطاع أن يجعل تلك الدواوين الصغيرة التى أصدرها فى حقائب النساء، واستطاع أن يرتفع من سوية الجمهور عامة، استطاع أن يعطى للشعر هيبة وطقسا احتفاليا جميلاً، أقول مرة أخرى إن الناس لبسوا أجمل ماعندهم وكأنهم ذاهبون إلى عرس. ولكننى أريد أن أختم الحوار بقصيدة من قصائدك الجميلة تختارها أنت تكون خاتمة لحديثنا.

□ **نزار:** سأقرأ مقطعا (حوار مع امرأة غير ملتزمة) لاثبت موقفى الجديد من المرأة:

غيِّرى الموضوع ياسيدتى.
ليس عندى الوقت والأعصاب
كى أمضى فى هذا الحوار
إننى فى ورطة كبرى مع التاريخ
وإحساسى بعينيك كإحساس الجدار
قهوتى فيها غبار، لغتى فيها غبار، شهوتى للحب يعلوها الغبار
أنا آت من زمان الوجع القومى.
آت من زمان القبح، آت من زمان الانكسار
إننى أكتب مثل الطائر المذعور
ما بين انفجار وانفجار
هل تظنين بأنَّا وحدنا
إن هذا الوطن المذبوح واقف خلف الستار
فاشرحى لى كيف استنشق عطر امرأة وأنا تحت الدمار
اشرحى لى كيف آتيك بورد أحمر بعد ما مات زمان الجُلنار

غيِّرى الحديث ياسيدتى.. غير هذا الحديث اللا أبالى فمايقتلنى إلا الغباء.

■ **رياض: إذن فقد غيَّرت أنت الحديث، وأعتقد أن نزار قبانى هو الآن يعتلى ذروة نضجه الفنى وهو أمر نعتز به ونفتخر به.. أستاذ نزار لا يمل المرء من شعر نزار وأنا لا أقول هذا كياسة أو مجاملة، أنا أحد الناس الذين يحبون الشعر أقرأ نزاراً بمتعة أو بنهم، وإذا كان نزار قبانى قد استطاع أن يحبب الشعر للناس، أن يجعله قريبا للناس كما قال الأستاذ شوقى بغدادى فحسبه أنه أدى رسالة شوقى بغدادى فحسبه أنه أدى رسالة كبيرة، لكن سؤالى الأخير، هل هناك دور تهذيبى عام لشعرك هل تلمسه ؟**

□ **نزار:** طبعا، التهذيب يكون بمعنى الارتفاع بذوق الناس، أنا أعتقد أن الكلمة التى أكتبها على الورق لا تذهب فى الهواء وإنما تحاول دائماً أن تحرض الإنسان على أن يتفوق دائما على نفسه وأن يدخل عصره وأنا أحرضه على أن يكون دائما مثل النخلة مليئة بالكبرياء مليئة بالجمال.. فهذه هى هذا الدور التهذيبى ليس معنى التهذيب التوجيه، هذا شىء يتم بصورة غير مباشرة، مجرد أن تكتب قصيدة فأنت تفتح طريقا وتحرض الناس على أن يكونوا على مستوى إنسانيتهم.

■ **رياض: أستاذ نزار فى ذهنى الكثير من الأسئلة ولكننى اتعبتك.**

□ **نزار:** فى الواقع هذا الحوار كان جميلا جدا لأننا طرحنا فيه أشياء كثيرة جدا.

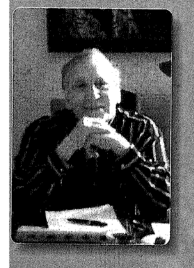
■ **رياض: أنت قلت فى الأمسية أن الشعر فى آخر الأمر هو وقفة كبرياء وأنت تقفها وتقفها معك الجماهير العربية التى أحبتك، لا أعتقد أن الناس عندما يقولون إننا نحب شعر نزار يقولونها مجانا. هذا الحب له ما يعادله موضوعيا، نزار الذى يعبر عن وجدان الأمة العربية، يعبر عن تطلعاتها، والذى نصب نفسه لسانا للجماهير.. بودى أن يكون آخر سؤال: كيف ترى مستقبل هذه الجماهير؟**

□ **نزار:** أنا مؤمن جدا بأن هذه الجماهير لن تنطفىء نارها ستتقدم وستثور وستعصف ستتقدم مثل حصان شديد الكبرياء وأن الأرض تنبت نباتات جديدة وأعشاباً جديدة، وأن الحياة لن تتوقف، والجمهور العربى والشعب العربى هو شعب عريق وأصيل وسوف يكتب اسمه مرة أخرى فى كتاب التاريخ.

■ **رياض:** مرة أخرى أشكر الشاعر الكبير الشاعر العربى ونحن نعتز بأنه سورى، والآن نعتز أكثر فأكثر لأنه أصبح الآن الشاعر العربى لأنه استطاع أن يحمل دمشق أى سوريا فى حقائبه، استطاع أن يحملها إلى رحم الأمة العربية. استطاع أن يخرج من هذه المدينة لكى يكون صوت الأمة كلها والمعبر عن وجدانها، وأن يكون رمزا من رموز الشعر العربى عبر تاريخه.



٥



نزار قبانى :

أنا مثل أم كلثوم لا أغنى إلا وحدى !

ليلى الاطرش

التقيت الشاعر الكبير نزار قباني مرتين وأجريت معه لقاءين في الدوحة كل منهما امتد ساعة ونصف الساعة.

المرة الأولى كانت بداية الثمانينيات حين جاء بدعوة من وزارة الإعلام ليقيم امسية شعرية، وكانت مجلة «الدوحة» في ذلك الوقت منبرا ثقافيا قطريا يستقطب كبار الكتاب واصحاب القلم، فقدمت سهرة معه.

اما اللقاء الثاني فكان في ربيع عام ١٩٩٥ حين جاء الشاعر الكبير ايضا ليقيم امسية شعرية بدعوة من نادي الجسرة الثقافي فاجريت حوارا لبرنامج «فكر وفن».. وهو برنامج شارف عمره على العشرين عاما، واتخذ مسميات مختلفة كلقاء مع فنان - وعلى ضفاف النيل.

استضاف البرنامج رموز الفكر والأدب والفن في الوطن العربي.. وقام بجولات عديدة إلى مصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب واليمن فالتقى كبار الشخصيات فيها يصعب حصرها.

واذكر منها الآن الأساتذة نجيب محفوظ د. يوسف إدريس - مصطفى امين، عبدالكريم غلاب، احمد فؤاد نجم، محمد خان - سميح القاسم - انيس منصور - احمد حمروش - كمال الطويل - صلاح ابوسيف - فاتن حمامة - منصور الرحباني - د.عبدالعزيز المقالح - عبدالله البردوني - محمود درويش - محمد حسن الزيات - بليغ حمدي - فريد شوقي - فاتن حمامة - حسن الإمام - وغيرهم كثيرين.

كما اعد البرنامج حلقات تسجيلية عديدة في البلدان العربية التي زارها كالاطفال الصغير، وامير الشعراء احمد شوقي.. والعقاد وسيد درويش وفريد الأطرش ومحمد عبدالوهاب وعبدالحليم حافظ.

وكانت الحلقة التسجيلية الخاصة بعميد الأدب العربي «طه حسين» التي قدمت ضمن «على ضفاف النيل» بعنوان «بقعة ضوء» قد نالت الجائزة التقديرية في مهرجان البحرين لعام ١٩٩٧.

ما بين اللقاء الاول مع الشاعر الكبير نزار قباني والثاني سنوات طويلة.. وتغيير طال كلينا..

طلب نزار قباني في اللقاء الأول ان يعرف الأسئلة مسبقاً ومع انني لم اقدم اسئلة لأي من ضيوفي مسبقاً طوال عملي الصحفي المكتوب او المرئي.. إلاّ مرتين.. للسيدة فاتن حمامة.. ثم للشاعر الكبير نزار قباني.

وقد برر طلبه الأسئلة آنذاك بانه يريد ان يختار القصائد المناسبة لها..

ولكن اللقاءات التي يعرف فيها الضيف محاور الحديث تفقد وهج المفاجأة والمباغتة.. وإن كان يظل هناك بعض المرونة حين تتلقف مايقول لتستنبط اسئلة اخرى من كلامه وإجاباته ومهما كانت مدروسة او معدة.. فيصير اللقاء محاورة ليس إلاّ.

سجلنا اللقاء كاملاً متضمناً قراءات شعرية عديدة.. وكان نزار سعيداً بما يقول، يتكلم الفصحى منتقياً ألفاظه وجمله كما اختار قصائد محددة لتناسب الجو العام للمكان واذكر انه قال لي «لابد من انتقاء قصائدي لأن بعضها لا يقال هنا»، وكانت محاور اللقاء الأول تتناول قضايا اللغة والحداثة.. والخروج على المألوف شعرياً وفكرياً.. وعن اثر المدن التي زارها وعمل فيها عليه شخصياً وعلى إبداعه.. وعن علاقته بمن غنى له.

وقد أذيع البرنامج ليلة التسجيل في ساعة الذروة وبعد الأخبار مباشرة، فقد كان شاعرنا سيغادر الدوحة صباح اليوم التالي.. وكان سعيداً باللقاء كثيراً، حتى قال لي:

هذه المقابلة ستصبح مثل.. مايطلبه المستمعون ؟ وسترين ذلك إنها مقابلة مهمة جداً ؟!

ولم يدر شاعرنا الكبير ان تلك المقابلة لم تذع إلا في تلك المرة الوحيدة التي شاهدها، وأنها حفظت في شريطها بأمر من وزير الإعلام لايفرج عنها.. بل وجه لمخرجها.. وهو احد أهم مخرجي التليفزيون في وطننا العربي الفنان «إبراهيم الصباغ» لفت نظر ذلك لانه استخدم تمثالاً لفينوس عاري الصدر.. وأسدل عليه غلالات شفافة.. وكان ديكوراً رائعاً..



ولكن بعض أصوليى التفكير اتصلوا بالوزير مطالبين بإيقاف الحلقة وعلى الهواء .. ولكنه صبر حتى انتهت .. ومنعت من إعادتها مرة أخرى أو حتى التصرف فيها إلا بأمر من وزير الإعلام !

ولكن نص المقابلة الحرفي نشر في أحد أعداد مجلة «الدوحة» ويطلب من رئيس تحريرها المفكر العربى البارز رجاء النقاش ـ فانتشرت من هناك ! مابين المقابلة والأمسية قضى نزار قبانى عدة أيام فى الدوحة .

وقد رافقته وفى سيارتي مرات إلى الأسواق .. كان يبحث عن هدايا لعائلته .. يبحث عن «فستان» لبلقيس .. ولكنه خرج من الدوحة دون أن يشترى شيئاً واحداً .. وللأمانة .. كانت الدوحة تفتقر إلى محلات الأزياء الراقية والكثير التى تنتشر فيها الآن ، وكان نزار قبانى متجهاً إلى أوروبا .

فى إحدى جولاتنا فى الأسواق قال لى :

تحيرنى هذه الدوحة .. ليست خضراء وليست يابسة .. ليست نظيفة جداً ولكنها ليست قذرة .. لا أستطيع أن أصنعها .

ورغم الحضور الزاحف لأمسيته الشعرية .. رسمياً وشعبياً فإنه كان غير مكتمل السعادة وقال لى ..

تصورى !! كيف أقرأ شعراً والمرأة غائبة عن الأمسية ؟!

عندما تستضيف شخصية عامة شاغلة للناس فأول إشكالية تواجهها هى كيف تقول وإياها شيئاً مختلفاً ؟ كيف .. واللقاءات والحوارات معها تملأ الصفحات والشاشات ! كما أن نزار قبانى ـ كما غيره ـ يكتب فى الصحف أيضاً ؟!

هذه إشكالية واجهتنى مع شخصيات عديدة .. كالأساتذة نجيب محفوظ ـ مصطفى أمين .. أنيس منصور ، وغيرهم .

لعل أفضل تكتيك للتميز والاختلاف هو أن تناقشهم فيما كتبوا أو قالوا .. ويتطلب هذا الجهد الكبير .. ولكنه يعطى أكله تميزاً واختلافاً وجدة !

عندما تحدثت إليه تليفونياً كان سعيداً وأبدى اندهاشاً فرحاً بالتطور الكبير فى الدوحة ، شكلاً ومضموناً .. بل لقد أشار فى بداية أمسيته إلى هذا التطور .. وأبدى سعادته الفائقة بالحضور الكبير للنساء .. جاء بعضهن سافراً .. وكان الحضور خارج أكبر قاعة فى الدوحة يفوق كثيراً الجلوس فيها .. مما اضطر القائمين على وضع شاشات ومقاعد خارجها .. وبقى كثيرون يستمعون إلى الصوت خارج المبنى .

أشار نزار قبانى فى بداية الأمسية إلى لقائه الأول مع الدوحة ، وأبدى سروره البالغ بالحضور النسائى الكثيف وهو يرى ثلاثة أجيال من النساء فى القاعة .

وحين انتهت الأمسية تحلقت المعجبات حوله ولم يمنع هذا الإعجاب والانبهار حادثة بسيطة انتشرت حين تقدمت منه سيدة محجبة لتسلم عليه وتبدى إعجابها وكانت قد نمطت وجهها بخمار أسود ، فلم يسلم أو يمد يده وقال لها .. أنا شاعر الوضوح .. ولن أسلم حتى تكشفى وجهك وقد فعلت .

تحدث نزار قبانى فى لقائى التليفزيونى الثانى معه بالعامية .. كما أنه لم يطلب أسئلة وكنت قد انتويت لو طلبها أن أبدى رغبتى بعدم ذلك .. حتى حين وصل إلى مبنى التليفزيون وجلسنا نحتسى القهوة مرحبين به ، لم يشر إلى محاور أو إلى الحديث الذى سيكون من قريب أو بعيد ..

ودهشت حين سألت بداية بالفصحى فإذا به يصر على الحديث بالعامية ، ولعلها صبغة الاعلام فى السنوات الأخيرة التى نحت بالأحاديث هذا المنحى الذى يعتبره الكثيرون هجمة شرسة على اللغة العربية فكل قناة فضائية تتحدث بلهجتها دون مراعاة لدور الإعلام فى نشر اللغة العربية والمحافظة عليها . وفاجأنى نزار قبانى الشاعر الكبير وهو يجرى اللقاء كله بالعامية .

كان الكثير مما دار فى الحديث مفاجأة لنزار قبانى ، ولم يكن بالإمكان رفضه لأنه اعتمد أصلاً على مقولات له وردت فى كتبه وقد وصلت ذروة افتراض سوء النية إذا جاز التعبير حينما سألته عن العرب والسلام التى جاءت فى قصيدته «متى يعلنون وفاة العرب» وأدرك بذكائه الحاد وتمرسه أننى حينما سألته عن قصيدة «هوامش على دفتر النكسة» أننى أحاول جره للحديث عن واقعة ماكتب حولها فى الصحف حتى منع من دخول مصر ، فأرسل برسالة إلى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر .. فأجازها ودخل الشاعر الكبير أرض الكنانة .. ولهذا أغلق الطريق دونى بقوله «إنه يرفض ذكر الأسماء» ولكن الأسماء جاءت فى شعره .. وهو يعلم هذا جيداً بل لقد فكر بالانسحاب من اللقاء عند نقطة معينة وكاد يقف .. ولكن أخلاقه الكريمة وثقته ودبلوماسيته جعلته يتراجع .. وحينما انتهى اللقاء وذهبنا لشرب القهوة مرة أخرى لم يشر أبداً إلى هذه الموضوعات ولكنه طلب فقط أن أحذف السؤال الذى أبدى فيه استنكارى لأنه تغزَّل بمضيفة طيران فى قصيدة غزل بعد وفاة بلقيس بمدة قصيرة ، ولم نكن قد نسينا الشهيدة بعد . وقال لى ..

ستثيرين الناس عليك بسؤال كهذا .. إنه لايخدم اللقاء ولايليق بك أن تسأليه .

وليغفر لى شاعرنا الكبير «رحمه الله» فأنا لم أفعل وتركت للمشاهد ثم للقارىء الآن أن يحكم على السؤال وعلى الإجابة ..



وقد تحلَّى نزار قبانى .. الشاعر الكبير بالصبر والأناة ونحن نطرق مواضيع صعبة ومؤلمة وتركت آثارها جروحاً عميقة فيه بدت على وجهه رغم مرور السنوات الطوال عليها .

أما بعد إذاعة اللقاء فقد اتصل بى كثيرون وعدد لابأس به من طلاب الجامعة وأبدوا دهشتهم مما قال فيه .. وإنهم لم يصدقوا آذانهم .

فهل يختلف قول الشعر عن فكر صاحبه ؟!

اترك لكم اللقاء كما دار .. حرفياً .. التغيير الوحيد فيه هو كلمات تكررت كثيراً لأنها عامية وهى «يالى» بمعنى الذى أو الذين حسب الموقع .. كما حذفت كلمة «يعنى» وقد استعملها كثيراً فى بدايات الجمل .. وأصلحت إعراب بعض الكلمات التى تختلف مابين استعمال الفصحى والعامية .

المقابلة موجودة فى تليفزيون قطر .. وقد اذاعتها محطة دبى الفضائية يوم وفاة الشاعر الكبير !

وهذا هو نص المقابلة .

نزار قبانى الذى فجر الكلام ! هو شاعر ملأ الأسماع والقلوب !

شاعر خرج على كل القوالب التقليدية والرموز التى لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها ... بل إنها ظلت مسلمات فى منأى عن كل محاولة للاقتراب قبله !

نزار قبانى الذى قال عنه أحد النقاد الكبار .. إذا سقطت ورقة عليها شعر او كتابة لنزار قبانى والتقطها احدهم فى الأوتوبيس دون أن يكون عليها أى توقيع فإنه بلاشك سيحملها إلى بيت نزار !

كيف أقدم نزار قبانى .. إسمه يكفى ...

قلت لنزار لى وانا ابتدىء حوارى معه : الواقع انك انت من فجرت الكلمات وفجرت الحروف والرموز وكثيرا من المسلمات فى فن القول الشعرى قبلك ، بل لم يستطع احد ان يقترب منها ، بل إنهم إن راودوها - فقد ظلت مجرد محاولات بريئة وعلى استحياء .. انت جئت ثائرا عليها كلها . الآن وبعد خمسين عاما من كتابة الشعر والحديث عن المرأة .. انت الآن .. وكما تعرف ففى مرحلة من مراحل العمر يبدأ الإنسان بمحاسبة ذاته وتقييم مسيرته .. هل احسست ولو للحظة انك ندمت لانك تكلمت فقط عن المرأة .. وان قضية المرأة ظلت شاغلك والمسيطرة عليك ؟



□ اولا انا كنت ارفض دائما أن اوضع فى قوالب أو أطر ، فيقال هذا شاعر المرأة او شاعر الجمال او الأنوثة ... انا اعتقد اننى تجاوزت هذا منذ مدة طويلة - انا شاعر الإنسان !

ولا اخفى اننى اعطيت المرأة حيزا كبيرا من حياتى حوالى ربع قرن قاتلت من اجلها ، دافعت عنها - وضعتها فى أهدابى ووضعتها على اكتافى وسرت بها مسافات طويلة جدا إلى جزيرة الحرية .

لكننى .. فى البداية كانت المرأة شغلى الشاغل بدون شك من الأربعينيات حتى اواخر الستينيات كانت المرأة أرضا اقاتل فوقها .. انا لم اتغزل فى المرأة كهيكل أو كجسد جميل ! تغزلت بالمرأة كقضية !.. يعنى كنت اشعر منذ طفولتى ان المرأة لم تأخذ مكانها فى المجتمع العربى ، ولاتزال مقموعة ومرعوبة وخائفة .. ولم تكن ابدا .. وربما لاتزال .. **لم تكن ابدا مواطنة من الدرجة الأولى .. وانا قاتلت فى سبيل ان اجعلها مواطنة من الدرجة الأولى** ... وقد نجحت إلى حد بعيد ... ولكن طريق الحرية طويل جدا - ربما لاتزال بعض النسوة ، لم يأخذن حقهن من الحرية - ولكن هذا الحق ليس على انا - الحق على المرأة نفسها !

انا أعرف بعض النساء « مستريحات » .. وقضية الحرية حمل ثقيل على الأكتاف ، الحرية ليست سهلة .. تتحدث عن الحريات ، ولكن بالأخير الحرية لها ثمن ، ويجب على حامل الحرية ان تكون اكتافه قوية حتى يتتبعها ...

■ **ولكن المتتبع لشعر الشاعر الكبير نزار قبانى . يلاحظ ان الحرية التى طالبت بها هى الحرية المتحضرة فى الحرية الجنسية والتسلوى .**

□ لا ارجوك ... لا ... هذا كلام غير دقيق ... الجنس جزء من الحرية بدون شك .. ان يكون الإنسان سيد جسده .. هذا الشىء مفهوم !

■ **نعم**

□ وكل إنسان مطلوب منه أن يحترم جسده وأن يعطيه الحرية ولكن انا طالبت بحرية الفكر للمرأة .. التعادل مع الرجل ... لا أن تجلس المرأة مع الرجل فى مجلس وهى ممنوعة من الكلام لايتكلم إلا زوجها ... هذا غلط !.. المساواة التى طالبت بها ليست مساواة جنسية .. لا .. كانت مساواة عقلية وذهنية .. حتى انا اقول الآن إننى لا ابحث عن المرأة الجسد ! انا ابحث عن المرأة الفكر .. اريد أن اقيم حوارا ثقافيا مع امرأة احبها .. تعرفين .. « الجنس ابو ثوانى او دقائق » .. كل هذه الأشياء التى تشتعل بسرعة وتنطفىء بسرعة .. انا لا اريدها ..

■ **إذن شاعرنا الكبير .. انت بدأت بتحرر المرأة من القيود والتقاليد ؟**

□ نعم

■ **ثم انتقلت إلى الوطن بعد ذلك بفترة طويلة جدا .. هل نعتبر ان شاعرنا الكبير غير « جواز السفر » - كما تحب انت ان تسمى تلك المتغيرات فى حياتك وتلك المراحل ، أم انك تؤمن بان الخاص يسبق العام ؟ وان تحرر المرأة من هذا المنطلق سيؤدى إلى تحرر الوطن وإلى تحرر الرجل ؟**

□ هذا الكلام صحيح الذى قلته فى الأخير ..

يعنى انا لا اقيم حدا جغرافيا فاصلا بين المرأة وبين الوطن انا .. المرأة اعتبرها وطنى .. لذلك قاتلت من اجلها .. والمرأة العربية أرض مستعمرة فلا بد من تحريرها كما نطلب تحرير الأرض .. نطلب تحريرها فكريا .. نطلب تحريرها ثقافيا .. نطلب تحريرها وجوديا .. إراديا .. هذه مطالب ضرورية جدا .. لذلك انا وقت بقولك الوطن !!

انا لى بيتان من الشعر اقول .

كلما غنيت باسم امرأة
أسقطوا قوميتى عنى
وقالوا كيف لاتكتب شعرا للوطن !
وهل المرأة شىء آخر غير الوطن ؟
آه لويدرك من يقرأنى
أن ما أكتبه فى الحب
مكتوب لتحرير الوطن !

« يعنى انا بأعتبر هالوطن يا اللى المرأة فيه عبده ! هو وطن مستعمر »

■ **فى ظل المتغيرات التى يعيشها هذا الوطن العربى . وفى ظل السلام الذى كتبت عنه بعض القصائد .. وفى ظل المتغيرات والمتلاحقات التى تكاد تعصف بنا .. بل تكاد تهدد وجودنا ... بل هى تهدد وجودنا وكياننا ... هل يمكن ان نقف لنخدم قضية المرأة وتحرر المرأة ، ثم نلتفت بعدها لتحرر الأوطان ؟**

- وليش نقف ؟!.. هذه رسالة كان يجب أن نبدأها من زمان : نحن المقصرون .. لا أن نهمل قضية المرأة ! هى انتصار لنا ايضا .. « يعنى عم بتقولى » هذا عصر المتغيرات متغيرات بدون امرأة إلى جانبنا تكون ثورتنا فى الهواء !.. كل الثورات التى لاتشارك فيها المرأة ، ولاتكون قرينة الرجل فيها ثورات هوائية !

■ **قلت إنك ساهمت فى تحرر المرأة**

□ طبعا !!

■ **مع ان نسبة غير المتعلمات بل الأميات حتى على امتداد الوطن العربى عالية جدا .. هناك نسبة كبيرة جدا من ..**

□ وفيه أميون !

■ **نعم**

□ ثم قضية التحرير .. هذا رأيى .. يجب أن نبدأ بتحرير الرجل ! انا اقول دائما ... أعطنى رجلا حرا وخذ امرأة حرة ! فطالما أن الرجل يفكر بعقلية الجاهلية الأولى فلا تحرير للمرأة ! أنا اقول دائما هذا ... « المطلوب منا تحرير الرجل أولا » لأنه حين يتحرر الرجل يستطيع أن يقيم حوارا حضاريا مع المرأة .. سواء أكانت زوجته أم حبيبته أو ابنته « ماف فرق » المهم أن نصل إلى مرحلة الرجل الذى يخلع عنه ثياب اهل الكهف .. ويخلع عنه الغبار الجاهلى ، ثم يتعامل مع المرأة كانسانة ورفيقة ..

■ **إذن كيف تفسر وصول عدد كبير من النساء العربيات إلى مراكز مرموقة .. وإلى التعليم و ..**

□ هذا لايحل المشكلة .. الوصول .. سأعطى لك مثلا .. أنا قلت دائما .. المرأة تصبح محامية .. طبيبة .. وتصير أستاذة جامعية وإذا راحت مرة ، اضطرت أن تسافر ، وتذهب إلى وزارة الداخلية لتأخذ جواز سفر فى أية مدينة عربية يقال لها « أحضرى والدك .. ولىّ أمرك ، زوجك حتى يوقع عنك !.. « طب شو هالسخافة »!

انا ارى هناك تناقضا .. المرأة المتعلمة عندنا وربما فى الواجهة او ظاهريا تحمل شهادة دكتوراة أو ليسانس ، ولكن حرية الحياة ! حرية السلوك ! حرية التصرف .. حرية كسر كل هذه القوانين التى تجعلها هامشا او امرأة ثانوية : إرادتها لاتزال معتقلة « ياأخوها » وأنا اسميتها السلطة الأبوية ـ « ياأبوها .. يا أخوها .. يازوجها .. خلصينا من هالمشكلة »! ..

■ **إذن نعود الى محاسبة الذات .. انت لم تجبنى على هذا الشق من السؤال**

□ أى واحد ؟

■ **هل تحس بالندم احيانا لأنك تدرك نفسك ..**

□ مقاطعا .. أبدا .. أنا فخور وسعيد وأشعر بالكبرياء لأنى دخلت معركة من اجل المرأة ! الثوار لايندمون !! هل هناك رجل يحمل بندقية فى الدنيا ويدافع عن قضية « وبعدين بيروح على التقاعد ؟!!.. لا .. انا ارفض ان اتقاعد من مواضيع ثورة خضتها ! لكن .. ساعدونى انتم .. المرأة .. أنا اتكلم الآن من أعماق قلبى .. المرأة لاتريد ان تصل شيئا بذاتها .. يعنى انا اعرف أن الضغوط الاجتماعية قوية جدا عليها .. والضغوط التاريخية قوية عليها جدا ! لكن هى من ذاتها يجب أن تقف على أقدامها وتستعمل كلمة لا .. كلمة الرفض ! يجب أن تتعود المرأة انه « مو » إيه سيدى .. نعم سيدى »

■ **الهذا إذن كان اختيارك « لا » كعنوان لأحد دواوينك !!**

□ إيه إيه .. أحد دواوينى اسمه « لا » انا كل شعرى عبارة عن محاولات رفض ! لأنه أنا ولدت فى دولة من دول العالم الثالث !

يعنى فى هذه المنطقة من العالم المتخلف ! وحين ولدت وترعرعت قليلا ، وجدت حولى مئات من التشوهات النفسية ! مئات الاشياء الغلط ! لهذا قلت .. أنا شاعر ! وإذا انحنيت لهذه التقاليد او العادات .. اكون عاديا .. امر فى هذه الحياة بدون أى أثر .. ولكن انا وظيفتى كشاعر ان اكسر !!

■ **نعم**

□ التكسير جزء من التعمير .. لابد أن تكسرى شيئا لتعمرى مكانه شيئا آخر !

■ **ومن هنا كسرت القوالب .. قوالب الشعر و ..**

□ قوالب الشعر ـ قوالب الحياة كلها .. لاقوالب .. أنا استعمل كلمة « القوالب » على كل الأشياء .. اللغة والشعر والصورة .. الجراة فى استعمال الكلمة الشعرية ..

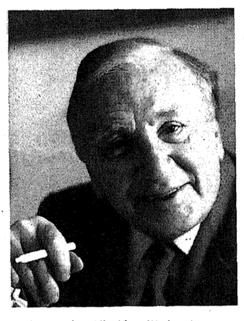
يعنى .. إذا جاءت امامى كلمتان « وأنا عم بافكر » !! هذه أشد عنفا وأشد جرحا .. والأخرى بين بين !! اختار الأعنف !!.. دائما !

■ **هل تؤمن بما قاله ادونيس « بان القوالب هى القبر ؟ انت سبقته ..**

● انا قلت هذا ..
وبعض القصائد قبر
وبعض اللغات كَفَنْ !

انا قلت فى الأمسية الشعرية فى الدوحة امس .. فعلا .. « انا مش مفروض إنه اليوم اتكلم على طريقة امرىء القيس » ! ولا على طريقة ابى تمام .. ولا على طريقة المتنبى .. هؤلاء كانت لهم عصورهم اللغوية .. عصورهم الإبداعية والتعبيرية .. أنا الآن أعيش فى مطالع القرن الواحد والعشرين .. وعلىّ أن اخترع لغتى .. وقد اخترعت هذه اللغة .. قد تكون اهم إنجازاتى أننى اخترعت لغة .. وأنت تحدثت عنها فى المقدمة حين قال احد أساتذة نقد اللغة العربية فى جامعة دمشق « لو سقطت ورقة من نزار قبانى فى الأوتوبيس وغير موقعة منه وعليها كتابة منه لأخذها أول راكب الى بيته »
هذه شهادة بمنتهى الأهمية فى حياتى انا !

■ **لكن كثيرا من الشعراء الذين خرجوا من كم شاعرنا نزار قبانى ، والذين جاءوا بما يسمى بالقصيدة الحديثة .. تقرأ شعرهم فتحس انك تقرأ قصيدة واحدة . وشاعرا واحدا .. تكاد لاتميز بينهم ! دعنا من شاعرنا نزار قبانى .. هذا علامة فارقة فى تاريخنا الشعرى .. ولكن حين ناخذ الآخرين لانكاد نميز بين شاعر وآخر فى الماضى نهجوا قصيدة البيت وبحورا معروفة ولكنهم اختلفوا وتميزوا رغم ذلك !!**



□ كلامك صحيح جدا .. فى الماضى كان لكل شاعر بصمات شخصية إذا اخذت شعر المتنبى ! هناك المتنبى حتى ولو لم يوقع شعره !
عمر بن ابى ربيعة .. بشار بن برد .. امرؤ القيس .. النابغة الذبيانى حتى احمد شوقى فى عصر النهضة .. بتحسى انه هؤلاء إذا قرأتهم تعرفن ملامح ادبهم من لغتهم ..

اما الآن تقرأين مئة قصيدة وتختلط الأمور عليك !

فالأسماء متشابهة ـ المعانى كلها متشابهة .. الصياغات متشابهة ! لذلك ؟ قضية الحداثة واقعة فى دوامة ! **ليس هناك شعر حديث يستطيع ان يخاطب الجمهور العربى** .. الجمهور العربى فى كوكب آخر أو الشعراء هم الذين فى كوكب آخر .. نحن شعرنا شعر وضوح .. شعر إيجاز .. شعر إبداع فعلا !

لكن .. الآن فيه خيانات شعرية ـ خيانة للتراث . وهذا سببه عدم اطلاع على الشعر العربى .. يعنى .. بيجيك واحد مابيعرف لغة .. وما بيعرف عروض .. ولا قارىء شعر ، ولا يعرف المتنبى من أى شاعر آخر .. ويقول .. « انا اريد أن أكسر التراث ! أن أهدم التراث ! هذا شىء منقرض .. « إنت اللى منقرض !! مافيه شىء اسمه منقرض فى الشعر .. المتنبى مازال عايش بعد ١١٠٠ سنة :

■ **ويبيع اكثر من شعراء اليوم !**

□ « برافوا عليك » ـ بل انا اعتبره شاعر حداثة اكثر من كل شعراء الحداثة .. لانه كان رجلا عملاقا .. وكان فنه قائما على اسس اما الآن **فالشعر الذى نقراه كله « غزل بنات »**

لا لون ولا طعم ولا رائحة .. لذلك قضية الحداثة هذه قضية ملتبسة جدا .. غامضة جدا ! ... واصلا « ماحدا حاسس بيهم » الذى تقراه فى الصحف والمجلات كلام على صيغة شعر .. ولكن لاهو شعر ولا نثر !

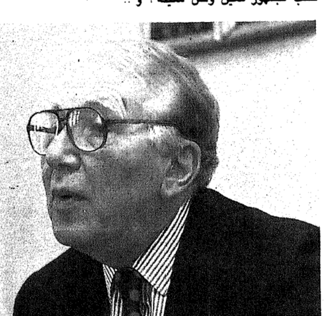
■ **إذن يحضرنى ويلح علىّ سؤال الآن ! لماذا رشح ادونيس عدة مرات لنوبل ولم يرشح نزار قبانى !!**

□ لاتصور أن ادونيس رشح !! لان الترشيح يتطلب ان ترشح نفسك شخصيا .. ولكن تعرفين .. « فيه ناس كتير من ها اللى بتحب الثرثرة .. وفيه الصحافة كذلك لعبت فى هالموضوع !! ولكن انا اعتقد انه مافى شيء حقيقى !!

ثم انا .. وفيما يتعلق بى ، فانا لااحلم بنوبل ! انا نوبلى العظمى هو هذا الجمهور العربى الذى يلتف حولى فى كل مكان !

هذا هو جائزتى .. الجمهور .. « اللى بده شهادة ! بده يروح ستكهولم ، شيء ثانى !

■ **الهذا يتهمك بعض النقاد ايها الشاعر الكبير ، بانك حينما تكتب فإنما تكتب لجمهور معين وسن معينة ؟ و ..**



□ مقاطعا بحدة لامعين ! .. شوف .. انا اكتب لمئتى مليون عربى .. وانا اقاتل وقاتلت لالقى القبض عليهم جميعا .. رجالا ونساء وشيوخا واطفالا .

■ **لكن انت قلت « انا جمهورى من الطلاب » فى كتابك قصتى مع الشعر !**

□ لا .. جمهورى من الطلاب .. الجمهور الذى احتضننى فى بداياتى الشعرية كنت بحاجة إلى الجمهور فعلا .. من يفهمنى !

- كانت هذه الطبقة .. التى تملك ان تذهب إلى المكتبة وتشترى الاشعار !

الآن بعد وسائل الاتصال الخطيرة .. انا ماعدت بحاجة لان اطبع كتابى فى مطبعة واوزعه .. « انا بقدر اطلع فى التليفزيون واحكى فى اى مكان » ! فى الاقمار الصناعية ليسمع صوتى فصار جمهورى من الطلاب وغير الطلاب .. يعنى انا فى امسية شعرية سواء فى بيروت او القيروان كما كنت قبل حوالى شهر .. وهنا فى الدوحة شعرت ان جمهورى يتالف من ثلاثة اجيال .. جيل ١٣ ـ ١٤ جيل الأمهات ٤٥ وجيل الجدات ٦٥ ، وحين تجتمع هذه الاجيال الثلاثة على شاعر فمعناه انه تكرس !

■ **شاعرنا الكبير .. الجمهور الذى استقبلك استقبالا غير متوقع حتى لك فى القيروان .. وامتد خارج القاعات فى الدوحة .. طبعا مع اعتبار اختلاف نسبة السكان بينهما .. هذا الجمهور يحب شعرك ويقدره بينما يقول النقاد إن مفردات نزار التى يكتب بها مفردات قليلة ومعدودة .. ولكنك بشهادة الجميع اشتققت من هذه المفردات القليلة صورا جديدة .. فانت سيد الصورة .. ومن مفرداتك القليلة تشكل تلك النمنمات الجميلة فهل يضايقك ان يقال ان مفرداتك قليلة ـ وإن بعض مصطلحاتك وصورك كمنفضة السجائر مثلا .. سبقك إلى استعمالها امير الشعراء شوقى ؟!**

□ لا .. اذكرك ان النقاد قالوا عن الشاعر الانجليزى الكبير شكسبير بأنه لم يستعمل من المفردات خلال كل مسرحياته أكثر من ٢٠٠ كلمة انجليزية .. ليس القضية عدد المفردات . القضية كيف نصوغ هذه المفردات ؟ كيف « نولفها » مع بعضها .. هذه طريقة العرض ! القماش متوافر !! انت تعرفين كسيدة ، هناك الوان من الاقمشة المتعددة .. قطن وحرير وتفتاه « مش القماش » !! أى إنسان قادر ان يشترى القماش .. لكن غير قادر على تفصيل القماش .. التفصيل فى القماش هو نفس قص الشعر ! ترتيب اللغة مافعلته انا مختلف عن كل الشعراء الذين سبقونى ..

انا حين استعملت « السجائر » و« الجرائد » فى شعرى استغرب الناس فى البداية .

محمد عبدالوهاب « هذى قصة ماحدا بيعرفها » اعطيته مرة قصيدة اسمها « ماذا اقول له » فيها

على المقاعد بعض من سجائره
وفى الزوايا بقايا من بقاياه

دخل عليه شخص ـ وهو كان يحب الاستشارة ـ من القدامى المخضرمين الذين يحترمهم عبدالوهاب ، فسمعه يدندن على العود بهذا المقطع .. فقال له « إيه ده ياأستاذ يعنى من تلفتت ظبية الوادى بتاعة شوقى ، ومن جارة الوادى ومجنون ليلى الى نزار قبانى وسجائره !

قال له :

ـ وماله ؟

قال له :

ـ ياأخى سجائر وجرائد .. « دى مش شاعرية » !!

« يعنى شوقى عبدالوهاب قديش كان »

■ **ذكى جدا**

□ ذكى جدا .. قال له ، انا لحنت هذه القصيدة لان نزار قبانى يصور فيها الحب المعاصر .. هل هناك حبيبان اليوم .. وإذا كانا طالبين فى الجامعة لايدخنان السجائر .. الا يكون الطالب او العاشق حاملا لجريدة الصباح تحت إبطه .

□ بالعكس .. « لازم يحملها علشان يتمنظر » اريد أن اصل بك الى ان العصر يجب أن يكون موجودا فى الشعر ! ريم على القاع بين البان والعلم .. ليست قصيدتى .. لاانتمى إليها ! الريم .. الغزال ، والبان والعلم منطقتان فى الصحراء .. « مالى علاقة بها لمواضيع »

■ **ولا بالاثر الدارس**

□ الفتاة المعاصرة تلبس المينى جيب ، وانا يجب ان ارصدها وارض جمالها المتطور ، وهكذا حصل !

■ **شاعرنا الكبير ـ لماذا إذن خان الذكاء الموسيقار الكبير فى « اسالك الرحيلا » ، ولم تصل إلى ادنى مستويات ماوصلت إليه القصائد التى غناها عبدالحليم حافظ ؟**

□ اتعرفين لماذا

■ **لماذا ؟**

□ لسبب بسيط .. لان هذه الاغنية ولدت ميتة ! « طلعوها بعد ان ظلوا صابرين عليها سنتين او ثلاثة وطلعوها فى حرب عاصفة الصحراء .. الخليج .. وفى نفس الاسبوع الاول حين كان العالم العربى كله يختلج غضبا فانزلوها .. « مين بيسمع أسالك الرحيلا ؟ مين .. دولة تحتل دولة دولة عربية أخرى .. ونحن طالعين بأسالك الرحيلا ؟

انا ثبت لى ان القصيدة او الاغنية لها حظوظ !! فيه حظ أن تطلع القصيدة فى الوقت المناسب .. الموسم المناسب مثل قصيدة (ايظن) .. فى بداية الستينات طلعت « ايظن » ثم (قارئة الفنجان) .. (ورسالة من تحت الماء) ..

هذا كله شغل وتعب !.. هناك سيكولوجية لإنزال الأغنية الم يتغير الشعب ؟ الم يتغير الجمهور ؟.. أنت لاحظت في امسيتين اخيرتين في القيروان والدوحة ان هناك إقبالا على الشعر .. ولكن ليس هناك إقبال على القصائد المغناة ! مثل القصائد التى غنتها ماجدة الرومى مؤخرا او اصالة .. هذه لم تلق الصدى .. وحين تقولها انت لازالت تلقى الصدى !

ياسيدتي !.. العصر كله تغير .. خذى مثلا الأغنية الشبابية الطالعة .. ليس فيها شيء غير هز خصر .. آلات تضرب على الأعصاب .. كلمات تافهة اولا كلمات .. وبعدين يريدون أن يفرضوا علينا مثلها .. يعنى يمكن نحن نعتبر رجعيين في ذوقنا - أن نصغى الى عبدالحليم حافظ او إلى فيروز !! فيروز صارت خارج !! قديمة ! أو رجعية .. خذى أولادك أو أولادى بتسمعيهم فيروز ؟

■ **إنما عبدالحليم ! يحبونه**

□ لانك انت اورثتهم حبه

□عفوا أستاذ نزار : مبيعات عبدالحليم هى من أعلى المبيعات الآن في **الوطن العربى وتُشاهدَ افلامه وفعلاً القصائد التي غناها لك تحقق اعلى المبيعات .. رايت هذا في شركة صوت الفن ..**

□ ايه .. مازال هناك ناس عندها عقل !

■ **ومن الجيل الجديد !**

يهز كتفيه بازدراء ونفى ..

□ يعنى انا الجيل الجديد «غاسل ايدى منه» هذا بتاع مايكل جاكسون ومادونا .. طيب .. ماانا مضطر !!

■ **إذن تقول (اسالك الرحيلا) ولدت ميته لانها خرجن في حرب الخليج - عاصفة الصحراء .**

□ ظرف سياسى سيىء !

■ **ياسيد الكلام ! الأستاذ نزار .. يُتَّهم دائماً بانه في شعره السياسى له موقف معين .. عندما يهاجمه فهو يهاجم كل الرؤساء دون تسمية .. وعندما يتحدث عن زعيم فهو يتحدث عن اى زعيم والذى علقت صوره دون تحديد للزمان او المكان .. فهل تعلمت ذلك من الدبلوماسية ؟!**

□ لا .. هذا غلط .. «هاللى عم بتقوليه غلط فنياً» التسمية في الشعر ! انا لااكتب إعلانات مبوَّبة .. انا اكتب الشعر والشعر إيحاء ورموز .. «يعلق صوره على الجدران وفى الساحات العامة ؟» هذه ظاهرة وليس من الضرورى أن نسمى ، لأن جميعهم يفعلون ذلك ! لهذا يمكن أن يكون شعرى قد اخترق - لانه من المفروض ان تتركى للناس الخيار .

■ **يخمنوا .**

□ يحدسوا .. انا لااستطيع أن أقول لهم «فلان مش كويس» لا .. هذا ليس شعراً «بتعود شتيمة» **انا ارصد العاهات والاخطاء واتحدث عنها ، وهذا هو الشعر الحقيقى .**

اما ان اكتب بياناً انتخابياً او اسمِّى او ان اطرح الاسماء ! انا لااحب ان اطرح الأسماء في كل الظروف والمناسبات ، لان الاسم لايعنى شيئاً .. احياناً وكما في المسرحيات عند موليير وشكسبير .. يعطيك صفات الشخص وأنتِ تعرفين !

■ **في «قصتي مع الشعر» قلت إنني ساكتب قصتى قبل ان يكتبها غيرى لأنني اقدر على تصوير نفسي ورؤيتها من غيرى ..**

هل تتسم كتابه المذاكرات بالصدق ؟ وهل انت فعلاً اقدر على رؤية نفسك من الآخرين ؟

□ طبعاً !!

■ **لكن ؟ الم تعطنا عن نفسك الصورة التى تريدها انت ؟ وانت سيد الكلام - وتستطيع ان تتحكم في رسمها .. ترسمها كما تريد لنا ان نراها .. ومادور النقاد والباحثين .. الشخصية العامة مثلك تحتاج إلى الآخرين ليروها من زاويتهم ويحللوها .. فلماذا سددت هذا الطريق على الآخرين وقدمت نفسك كما تراها ؟**

□ اولاً .. انا اعتبر ان كتابة الشاعر اوالمسرحى او الروائى عن نفسه شىء مفيد جداً .. لان كل واحد منا يحمل في داخله مخزوناً من الذكريات والاحداث تساعد على إضاءة الطريق امام الآخرين ! انا الذى قلته إذا كنت قد قرأت «قصتى مع الشعر»

■ **طبعاً**

□ في الكتاب نوع من البوح لايستطيع اى ناقد او باحث ان يعرف .. مثلاً .. قضية انتحار أختى !

■ **هذه كانت مفاجاة ..**

□ إيه .. انتحار اختى ! ماحدا كان بيعرف إنه اختى انتحرت لانها احبت وأرادت أن تتزوج من تحب فمنعتها الأسرة من ذلك فقتلت نفسها ؟ طيب .. هذه كانت مفتاح من المفاتيح التى جعلتنى ادخل المعركة مع المراة ضد النظام السلطوى والأبوى الذى يخيِّم فوق رؤوسنا !

انا كنت ضد الدكتاتورية .. كنت ادافع عن اختى .. اختى كانت حمامة بيضاء .. «ليش تقتل نفسها» ؟! ليش هالمجتمع العربي مابيتسامح مع الحب؟! «الحب ماهو غلط» !



■ **لفوارق اجتماعية ؟**

□ لا لا .. لا .. موفوارق .. مجرد .. ! انتِ انتقيت هذا الشخص لا ..

انا اقول حادثة صغيرة لأريك انه لابد للشاعر او الكاتب أن يقول المكونات الصغيرة هذه .. قصة عبدالوهاب التى حكيتها لك «ماحدا بيعرفها في العالم العربى» - انا مفروض أن اكتبها في الجزء الثانى .. (علاقتي مع المغنين مع الملحنين» .. بثمر أشياء ماحدا بيعرفها .. اشياء سرية .

ذكرت قصة اختك .. الحقيقة ان الانتحار كما اشرت في كتاب «قصتى مع الشعر» قد اثر كثيراً في نفسيتك ..فنذرت نفسك لقضية المراة ودافعت عنها بمرارة مطالباً تحررها - الا تعتقد ان المحلل النفسى يستطيع ان يبين اثرها عليك اكثر مما فعلت حين اوردتها في سطور قليلة ؟

□ لا .. لا .. اى محلل ؟ كلهم مرتزقة !

في دهشة ؟

■ **كلهم مرتزقة ؟**

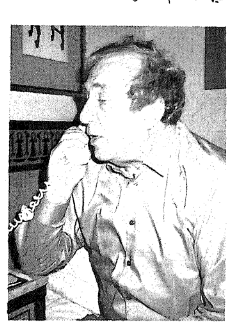
□ لاطبعاً .. «شغلة من هالشغلات» !

■ **شاعرنا الكبير .. «كان ابي يصنع الحلوى ويصنع الثورة ! وكنت اعجب بهذه اللازدواجية فيه .. واهش كيف يستطيع ان يجمع بين الحلاوة وبين الضراوة ! اذكر هذه الاقوال لان الازدواجية في شخصية ابى انتقلت إلى شعري بشكل واضح !**

□ صحيح .. هذا صحيح جداً ،إذا بتشوفيني كيف بأكتب شعر الحب» . فهو حلاوة ! وكيف انتقلت بعد ٦٧ إلى مرحلة العنف والرفض هذا المجتمع العربي تقولين هذه هي الضراوة هذا الميراث الذى اخذته فيه حلاوة وفيه ضراوة . انا اعترف الآن بأن شعري ملىء بالمرارة .. وملىء بالاحزان !
طبعاً يجب على الشاعر ان لايستسلم لليأس او الانكسار ولكن أن يؤمن دائماً بأن بعد هذا الظلام هناك نجمة ستبزغ ! انا اؤمن بهذا .. انا اؤمن بأنه لايمكن للوطن العربي ان يظل غارقاً فى ظلماته ، وفى انهياراته ، وفى هزائمه .. لابد ان ياتى اليوم حين يطلع فيه النهار علينا ، واعتقد أن هذا قادم !

■ حزيران (يونيو) الذى كسر مشاعرنا واثر فى نفوسنا وشعرنا ، المرحلة الحزيرانية إذا جاز التعبير فى شعرك جعلتك ترفض ولكنها كسرت غيرك كثيرين (يهز راسه موافقاً) فى هذه المرحلة اعلنت رفضك فى قصيدة هوامش على دفتر النكسة القصيدة التى سرت كالنار فى الهشيم بين العرب من المحيط إلى الخليج .. هذه القصيدة سببت لك المشاكل .. وكان فيها اتهام للزعيم جمال عبدالناصر ..

□ لا .. ارجوك .. لاتسمّى .. الآن كنا نتحدث عن الأسماء وقلت انك لاتجدين فيها لا اسم هذا ولاذاك انا كنت اتحدث عن العنتريات !



■ آه ..
□ اتحدث عن الكلام حين يكون اكبر من حناجرنا ..
■ لكن فى رسالتك و..
(يسخر دون أن يلتفت للمقاطعة او يعطى مجالاً)
□ وعن سيوفنا حين تكون اطول من قاماتنا «أناما سُميّت حداً» .
■ نعم ولكن
□ بس انا كنت ضد أن نصرخ على الفراغ . ندق طبول البطولة ولابطولة ـ وهذا مع الأسف مستمر !
■ نعم ..
□ يعني لم نتعلم من حزيران (يونيو) شيئاً .. لأننا نكرر الأخطاء وبشكل منتظم .
■ نعم .. ولكن الزعيم الراحل جمال عبدالناصر هو الذى سمح بإدخال القصيدة إلى ..
يشيح بوجهه غاضباً ومقاطعاً ومقطباً ..
□ أنت ليش عم بتحاولي تدخلي اسماء .. قلت لك لااسماء فى الشعر واصر على ذلك .. ايوه
■ وانا احترم ذلك ..

□ ايوه .
■ إذن شاعرنا الكبير انت ايضاً متهم بانه لم يكن لك موقف فى حرب تحرير الكويت وان موقفك تاخر .
□ ليه ؟
■ لانك لم تقل شعراً
□ انا كتبت قصيدة «بس انتو ماقراتوها» .
■ نعم
□ اسمها (هوامش على دفتر الهزيمة) .. الجزء الثانى من (هوامش على دفتر النكسة) .. صدرت واعلنت فيها رايى وقلت فيها أننا لم نتعلم شيئاً من الماضى ولا من التاريخ .. الهزائم نرددها كأنها صورة مسحوبة على الآلة الناسخة ، لا نقرا ولانستفيد او نتعظ .. هذا هو رايى «أما كمان» لم اسم .. ولن اسمّى !
■ قلت .. إن الشعراء وليس اللغويون ولاالنحاة ولامعلمو الانشاء هم الذين يحركون اللغة ويطورونها ويعطونها لغة العصر ـ شاعرنا ماعلاقتك بالنقد و ..
□ النقد ؟!
■ نعم .. النقد والتراث القديم ومعلمو اللغة ؟
□ لا .. لا .. «انا عن باقول إنه مش اللغويين الى بيغيروا اللغة» .. اعضاء المجمع اللغوى وكما تعلمين يهدرون مثلاً خمسة شهور .. خمس سنوات ليناقشوا كلمة صغيرة معاصرة ! وكيف يمكن ان يوجدوا كلمة مشابهة لها فى القاموس .. واحياناً يتوصلون واحياناً لا .. مثلاً .. اجتمع أعضاء مجمع اللغة العربية وقرروا أن يسمّوا التليفزيون «مرناة» والراديو مذياع لاهذى مشيت ولاهذى مشيت وبقيت الكلمات الراديو والتليفزيون هى الكلمات الشائعة .
خذى التليفون مثلاً «ماحدا بيستعمل هاتف» بالعكس نقول «بتلفن لك» بدانا نشتق فعلاً وفاعلاً من التلفون . بل أنا ارى أن لغتنا قابلة جداً للاشتقاق و«موعيب» ابداً أن ناخذ كلمات اجنبية معاصرة ونستعملها لأن هذا لايشكل نقيصة بالنسبة بنا .
■ نعم .
□ لذلك قلت اللغة يصنعها شعراء انا شخصياً اضفت عشرات الألفاظ ، اخذت مانيكور .. باديكور .. المايوه .. لم اسمّ المايوه لباس استحمام لأنها لايمكن ان تستعمل شعرياً ، لذلك انا اجيز لنفسى فى كثير من الأحيان أن اتجرأ على اللغة ، وذلك من حقي كشاعر «ويحق للشاعر مالايحق لغيره» . وانا اعتقد انه لغوياً لدى (كارت بلانش) .. عندى مرسوم أن اغير .. وقد فعلت !
■ شاعرنا الكبير ، عندما صدر ديوان «قالت لي السمراء» وكنت ماتزال طالبا .
□ نعم .. كنت فى كلية الحقوق .
■ مجلة الرسالة المصرية .. إذا كنت تذكر .. كتب فيها الشيخ على الطنطاوى يقول «طبع فى دمشق كتاب صغير زاهي ـ غلافة ناعم وملفوف بالورق الشفاف» واتهمك بان هذا الديوان ليس كتاباً و .. محتجا .
□ مش ضرورى
■ طيب مش ضرورى .. والعقاد ايضا قال الشاعر نزار قبانى دخل . مقاطعا
□ دخل مخدع المراة ولم يخرج منه ..
■ نعم .. نقف هنا مع دور النقد .. ولكنك أنُصفتَ فى مجلة الرسالة بعد ذلك .
□ طبعاً
■ وفى مجلات عربية كثيرة كان لك كثير من المنصفين وكثير من الرافضين .. بحيث يمكنني القول بان الشاعر نزار قبانى هو «الإشكالية» للنقاد لانه القادر على ان يقسمهم قسمين .. الأكبر معه او ربما ضده .
■ ماعلاقتك بالنقد ..

□ شوفى .. انا لااتعاطف مع النقد والنقاد .. لانه طول عمرهم النقاد ماصنعوا شاعرا .. وانا شخصياً ليس هناك ناقد استفدت منه بكلمة واحدة .. أو .. لو أننى أصغيت لكلام النقاد لما كنت نزار قبانى .. نعم ..

الإبداع لايحتاج إلى أحد .. الإبداع نار .. والنار تستطيع ان تغذى نفسها داخلياً .. تلقائياً ذاتياً وهذا مافعلته .. وأعتقد أن النقاد بصورة عامة يؤخذون على الهواء قد يحبك أو «يستذوقك» كما يقولون .. وقد لايحدث وليس في نقد الشعر نزوات شخصية أن يحب أولايحب .. لا أنت يجب ان تقبل على قراءة قصيدة وديوان شعر بكل المسئولية المطلوبة كأنك تقف في معبد للعبادة .. لاحد يخرب .. أما أن يقول احد النقاد «والله طلع كتاب لفلات الفلاني .. خلاص سأذبحه حتى قبل ان يقرأ الكتاب !

■ صحيح !

□ هو يدين شعر الشاعر قبل أن يقراه ثم .. الحياة الشخصية تتدخل فيها .. هكذا عمل .. وهذا كذا .. هذا ليس له علاقة .. السيرة الذاتية للشاعر ليس لها علاقة به .. امامك نص وأنت تدرس مافيه من جمال او قبح فهذا مقبول ..

والحقيقة انني لم استفد من النقد .. ليس هناك ناقد واريده إلى واعطاني زر ورد .. ابداً .. انا مشيت وانا وصلت بجهدى الخاص ..

تتذكرين الكلمة الشائعة بأن النقاد لايمكن أن يحبوا شاعراً لانهم في الاصل كانوا شعراء فاشلين وتحولوا إلى نقاد من فشلهم .. لذلك لايستطيع ان يبلع شاعراً مبدعاً أو مشهوراً لان عنده عقدة نقص ماضية .. هو شاعر فاشل ادركته مهنته النقد .

■ يقال إنك تقول الشعر واقفاً والنثر جالساً ؟

□ حتى لايجلس الشعر ! إذا قعد الشاعر يقعد شعره معه ! (ضحك من الاثنين) .

لذلك البارحة في الدوحة قرأت النثر جالساً وقرأت الشعر واقفاً .. لأن النثر لايتطلب الاقناع - بينما في الشعر من المفروض أن أصابعك تقنع .. صوتك يقنع .. إلقاؤك يقنع !

■ يقولون إنه عصر الرواية .. ألم ينحدر الشعر الآن أمام الرواية كما يقال ؟

□ لاينحدر شيء .. لو أتيت بروائى بالأمس إلى القاعة فلن يحضر عشرة اشخاص .. ولو انهم في القيروان احضروا الروائيين الموجودين في العالم العربى لما جاءهم عشرة أشخاص !

الشعر «يعنى شعر بدى اقول لك» .. رئاتنا معبأة بالشعر !

■ الطبيعة العربية !

□ طبعاً طبعاً - أتعرفين ماصار في القيروان ! جاءني ١٢ الف .. قعدوا .. كان هناك شعراء فرنسيون ذهلوا .. كانوا يتفرجون علينا .. على وانا القى الشعر وعلى الجمهور ويقولون «مش معقول» !! اهناك ارتباط في العالم مابين الجمهور والشاعر كما في العالم العربى ؟ وقالوا لى .. لو اننا في باريس نادينا الجمهور ليسمع اكبر الشعراء من فيكتور هوجو إلى لامارتين إلى دوموسيه إلى بودلير .. رامبو .. لماجاء ٢٥ شخصياً ..

واصلاً .. الامسية الشعرية غير معروفة في أوروبا في الغرب ليس هناك دعوة تسمى امسية شعرية .. نحن العرب مشهورون بالشعر مخدرون بالشعر .. نأكل الشعر صباحاً ونأكله مساء ونأكل الشعر ظهراً ، ننام شعراً ونتنفس شعراً ، لذلك فكل المواطنين العرب يولدون شعراء حتى إشعار آخر .. أنا اراقب المجلات وباب بريد القراء «وبشوف تلاميذ المدارس» .. إذا وقع في حالة عشق يكتب لحبيبته الشعر ، ولايكتب رسالة حب عادية .. «وياما عشاق صغار سرقوا شعرى وحطوا عليه أسماءهم» .

(ضحك من الاثنين) !

لصوص صغار!

□ وأنا أسامحهم .. هم اعترفوا لى بذلك .. فأقول إذا كنتم سعداء أسامحكم .

(ويضحك مكملاً)

■ ناقد كبير يقول إنه ليس هناك محب في مساحة الوطن العربى لم يرسل لحبيبته شعر نزار قبانى .

□ صحيح .

(وافق بسعادة ويستمر ضاحكاً)

□ قالوا لى لاتؤاخذنا ياأستاذ .. إحنا «استعملناك» ! قلت لهم مبروك عليكم - إذا كان في سبيل قضية رائعة مثل الحب - مبروك عليكم .

■ أيها الشاعر كيف تتولد الكلمات وكيف تتفجر فيك هذه الطاقة كيف تصوغ كلماتك وكيف تثرى الصور الجميلة - شفافة منمقة فتحرك القلوب ! كيف ؟

□ ليس في الشعر كيف ولالماذا ! الشعر تعريفه بالنسبة لى - وأنا اكره التعريف - انه زلزال داخلى ينفجر من دون توقيت ! «ماحدا بيعرف» ليس هناك إمكانية لتوقيت الزلازل .. «فانا اكون قاعد بسلام الله» فإذا بى وكل شيء في يتحرك ! الكرسى والسجادة .. الجدران .. اللغة .. كله يتحرك .. وتأتى القصيدة دون أن تستشيرنى .. لست أنا الذى اكتب القصيدة وإنما القصيدة هى التى تكتبنى .. وهى الآمرة الناهية التى لااعصى لها امراً .

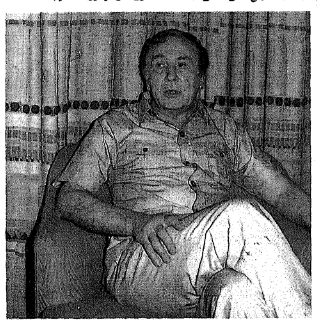
■ هل لك طقوس لكتابة القصيدة !

□ أبداً .. اكتب في أى مكان ! لااجلس على طاولة لاكتب احياناً اكتب في الشارع .. في الأوتوبيس - في السيارة .

■ بل إنك لاتؤمن بالطقوس !

□ لا .. لأن الشعر لايحتمل الطقوس .. الرواية قد تحتمل !

عندى أبطال احركهم في أدوارهم .. في الشعر لا .. انت منجرف انت في بحر ، والأمواج هى التى تتخاطفك دون أن يكون لك إرادة في ذلك .



■ أيضاً في حديثك قلت - لاتسمى أسماء - لاتقولى أسماء فهل هذا من أثر الدبلوماسية عليك ؟ مع انك قلت في قصتك مع الشعر «وبعد أن مارست الدبلوماسية من عام ١٩٤٥ ولمدة عشرين عاماً مللت واكتشفت انك لم تعد راغباً فيها .

□ لا .. اكتشفت التزوير الحاصل !

■ لكن هل تستغرق عشرين عاماً لتكتشف التزوير ؟!

□ إيه .. لا .. ليش ؟

■ ليش ؟!

لأن الدبلوماسية لم تكن كلها سوءاً .. يعنى .. انا من الدبلوماسية ربحت اشياء كثيرة أهمها الرحيل - السفر ، تعلمت اللغات - مقابلة الناس ، اكتشاف البلاد الأخرى .. العادات والطقوس - مثلاً عملى في الصين لسنتين .. هونج كونج .. إسبانيا لاربع سنوات مثلاً في هذا الجو العربى الإسبانى بين رائحة الأجداد والتراث العطر العربى هناك .. يعنى الدبلوماسية أعطتنى .. لذلك قضية الصبر كان مفروضاً «لانى اناعم أخذ» لكن في داخلى كان هناك التململ الذى تحدثين عنه «إنه انا مش بتاع دبلوماسية انا بتاع أقعد واكتب بوضوح» .. لااتكلم إلا لغة واحدة هى لغتى .. أما ان اتكلم بلغة دبلوماسية مزيفة وتعبر عن رأى الحكومة فهذا كان مرفوضاً .

■ **الم تعتمد على الحصانة الدبلوماسية فى تحرير اشعارك او على الاقل فى حمايتك من النقاد او الضرب بالبذور مثلاً !**
□ وماعلاقة الحصانة الدبلوماسية ؟ «اى انا لعنوا ابى فى الزمانات حين كتبت قصيدة «خبز وحشيش وقمر» وانا دبلوماسى فى لندن ..
«ضحك من الاثنين»
وفجروا الأرض من تحتى !
(يستمر فى الضحك)
■ **لكن** (خبز وحشيش وقمر) كانت سنة ١٩٥٤ .. وانت بدات الشعر فى عام ١٩٤٤ .
ـ ٤٤ صحيح ..
■ اى اخذتك عشر سنوات لتكتب (خبز وحشيش وقمر) اى لتنتقل إلى الشعر السياسى ، الآن بعد ان كتبت عن العرب والسلام و..
□ من الذى كتب عن العرب والسلام
■ **قصيدتك إذ ..**
□ «لاأومن بهيك» سلام !
■ **إذن نسمع رايك فى السلام !**
□ لا لا .. مش قضية ..

■ **مالى راى ؟!**
قال كمن يحدث نفسه
□ لا .. خلاص .. هذا سياسة .. ولااريد ان ادخل فى مثل هذه المتاهات .

وضع يديه على الكرسى كمن يهم بالخروج ولكنه تراجع وصمت غاضباً .. فحاولت إنقاذ الموقف بقصيدته !

وفتافيت كرامةْ
وينامون على الخوفِ
ويصحون على الخوفِ
فماذا فعلت أنظمة القمع بنا !

تنبه وانفرجت اساريره وهو يستمع حتى ارتاحت مع نهاية الابيات

ويقول معاتباً

□ **باعينى عليك انت .. «عم بتحوّل الامور إلى مصلحتك»**
(اصرخ مصححة)

■ **انا .. مصلحتى اللقاء ..**
□ عرب اليوم يلمون فتافيت سلام
وفتافيت كرامة
فيه أوجه من هذا الكلام ؟!

■ **ابوه كان هذا هو السؤال !**
□ انا لم اكن رجلاً مسالماً !
■ **انت لم تكن مسالماً .. انا لم اقل هذا .. ولكن اردت رؤيتك بالنسبة لحجة السلام !**
□ كتبت «متى يعلنون وفاة العرب» وحتى اشعار آخر هذا هو رأيى ولااتخلى عنه .
■ **ولن تكون لك رؤية مختلفة !**
□ لاأعرف
■ **لاتعرف**
ينظر فى ساعته .. فكان لابد من تفادى الموقف فأدرت الحديث إلى دفة أخرى .

■ **المدن التى عشت فيها حملت لك الذكريات والتجارب واوحت لك بقصائد ، لكنى لاحظت فى كتابتك عن تجربة الصين بعض التناقض .. فانت كتبت قصيدة وقلت اوحت بها إليك امراة تركت مذكراتها لك .**
□ آه .. (مذكرات امراة لامبالية) .

■ **نعم .. لكن فى «قصتى مع الشعر» قلت إن لبكين نمطا معينا من** الحياة .. ومغلقة حتى عندما نذهب لاكتشاف الاماكن كان لابد ان يذهب معنا احد الصينيين ـ فكيف استطعت اختراق الجدار لتصور معاناة امراة .
□ لم اخترق .. الصين كانت عبارة عن سجن كبير

■ **والمراة التى إعطتك المذكرات**
□ لا .. هذا تصوّر

■ **خيال يعنى**
□ لم يحدث فى الحقيقة

■ **إذن السؤال هو .. هل يعيش الشاعر نزار قبانى فى كل تجربة قبل ان يكتب عنها ؟**

□ طبعا .. انا رجل لااخترع الاشياء .. وإذا كان شعرى بهذا الدفء وهذه الحرارة وهذه الواقعية الجارحة فى بعض الأحيان فلأننى أصدره عن واقع .. إذا عشقت اكتب عن العشق .. لااكذب ولااقول انا عاشق ..
■ **وهل ينطبق هذا على كل شعراء العرب**
□ انا «مليش دعوة» بشعراء العرب .. إسألهم
(يضحك)

■ **اسال عمر بن ابى ربيعة مثلاً**
□ عمر بن ابى ربيعة كان قمة الواقعية . وكتب عن النساء العربيات بشكل كانه شاعر معاصر تصويري عاش فيىء الاسلام .. فى بدايات الاسلام .. كان شجاعاً بحيث كانا يتغزل بالحاجات اللواتى يأتين إلى مكة ، لهذا فهو شاعر احترمه لانه كان شجاعاً وواقعياً و«مش خايف» من النظام الذى كان يحيط به .

■ **تقول : إن امراة تخرج من حقيبتها ورقة كلينكس وتمسح بها جبينى وانا اسوق سيارتى تمتلكنى .. كما انك تطالب المراة التى تحب ان تكون امك .. فلماذا ؟ هل انت ذلك الطفل المدلل ؟ هل ..**
يهز رأسه مقاطعاً ومؤكداً

□ نعم ولازال .. لازال بعد خمسين عاماً من كتابة الشعر اطلب من كل إمراة أن تكون امى ! وهذا صعب لان كل امراة كنت اتعرف إليها وفى النهاية كنت ابحث فيها عن امى ، بسلوكها وحنانها برحمتها .. لتشفق على .. ترعانى لكن النساء اللواتى تعرفت عليهن وفى المئة خمسون او سبعون منهن «ماكانوا بدهن يشتغلوا هالشغلة» «ويضحك» يعنى «ماحدا بدو يعمل نيرس Nerse معى» ..

■ **وهل الزوجة هى Nerse او ممرضة .**
نعم وإلى حد كبير .. تقدم خدمات .. لانريد ان ندخل فى متاهات الزواج والحب .. شىء فى الحقيقة .. والزواج شىء آخر .. نقلة نوعية يجب ان يعترف كل الناس بها ولكن النساء لايعترفن .. المراة بعد اربعين سنة من الزواج تقول له «إنت ماعدت تكلمنى وتتغزل فىّ مثل ماتغزلت ايام الخطبة» هذا كلام غير واقعى .

■ **يصبح الزواج مؤسسة**
□ الزواج مؤسسة .. نعم .. من غير المعقول أن يكون عندنا أولاد تخرجوا فى البكالوريا ، وبنات تزوجن وانجبن ولاتزال المراة تصر على الكلام الذى قاله زوجها ايام الخطوبة !

■ شاعرنا الكبير اعترف بأن من اكثر القصائد التى اثرت فى شخصياً هى «بلقيس» .
□ نعم

■ تلك الشهيدة .. واذكر لك الآن ان ابنتى التى كانت صغيرة حينذاك ، وحين عرفت اننى ساقابلك فى يومنا هذا قالت لى «ماما لن انسى منظرك ابداً وانت تقرأين قصيدة بلقيس وتبكين» فعلاً ابكتنا هذه القصيدة .. فهل كان فى تلك الشهيدة كل تلك الصفات التى قلت ؟ هل كانت اماً لك ؟

□ واكثر .. (ويحلق فى البعيد مضيفاً)
انا لم ابالغ .. هذه السيدة كانت عظيمة وبكل معانى العظمة ! وماقلته عنها ينطبق مئة بالمئة عليها .. ولم يكن ماقلت قصيدة من زوج يريد أن «يضخم» زوجته الميتة .. لا .. لا .. هذه المرأة كانت هامة لسبب بسيط ـ لأنها كانت صديقة شعرى !

يعنى فى بعض الأوقات تضار المرأة من الورقة التى تكتب عليها تلطم وتسأل هل القصيدة لها أم لا .. بلقيس لم يكن يعنيها إلا أن اكتب قصيدة جديدة .. ولم تكن تسأل ـ طبعاً هى كانت شقراء إذا كانت القصيدة لسمراء أو شقراء ، ومعها كنت أشكل وحدة شعرية .

حتى فى الامسيات الشعرية فى بيروت وعندما أصعد إلى المنبر وبعده .. حين تجتمع حولى مئات البنات ولأوقع على الأوتوجرافات ويتصورن بجانبى .. كانت تنسحب وتجلس بعيداً فأسألها «يابلقيس ليش تركت» تقول «عينى» «وعينى» هذه كانت كلمتها ـ هذا مكانك وزمانك فأنا لن أتدخل فى هذه المواضيع ، ولكننى انتظرك لنعود معاً .. وقد سألتها إحدى الصحفيات إن كانت تغار من المعجبات فأجابت «ليش بغار ! هدول المعجبات بيشكلوا مجدنا الشعرى» .. مجدنا .. مومجد نزار الشعرى ، يعنى ان مجدها الشعرى هو ان يكون لى انا معجبات .. وهذا يتطلب رقياً ذهنياً كبيراً وتجرداً اكبر ..

■ نعم .. ولكن هل تسمح وتغفر لى هذا السؤال إذا قلت إننى وبعد هذه القصيدة التى ابكتنا فجعت حين وجدت قصيدة غزل فى مضيفة طائرة بعد موت بلقيس بفترة قصيرة جداً
□ لا .. «إنت بدّك تدفنيني !!
■ لا .. بعد الشر عليك !

□ لا .. لا .. الحياة اقوى من الموت .. ومن غير المعقول أن استسلم للموت ولااكتب قصيدة غزل .. انا أجدك مخطئة جداً بطرح هذا السؤال ! انا اكتب

مطلقة .. لاننى حين حلت بنا الكارثة غطيتها كأحسن ماتكون التغطية .. ولكن انت لاتستطيعين ان ..
■ ان اوقف الحياة

□ ان توقفى الحياة .. وأن تقولى تغزلت بواحدة بعدها ، بل هى ستكون سعيدة فى قبرها لاننى .
■ تجاوزت المحنة ؟!

□ لاننى استمررت فى معركة الإبداع !
■ والواقع انك رجل شجاع .. ففى حياتك الكثير من المآسى التى مرت بك ـ نتركها وننتقل إلى شئ جديد ..
أحسن !

■ شاعرنا .. ماذا يميز عبدالحليم حافظ عن الذين غنوا لشاعرنا الكبير !
□ عبدالحليم مطرب استثنائى ومطرب لن يموت .. أولاً لانه مات شاباً ، وكان يمكن أن يعطى الكثير للموسيقى العربية وللاداء العربى . كان افضل مؤد .. هو مؤد جيد .. واهم نقطة فيه انه شاعر فى اعماق شاعر يبحث دائماً عن الجديد .. لايعنيه أن يغنى قصيدة لاحمد شوقى او أبوفراس الحمدانى بل مثل إيمانى أنا .. إيمانى بالشعر انه انقلابى أن يكون صورة للعصر .
لذلك حين اطلع عبدالحليم على (قارئة الفنجان) وقال إعطنى إياها قلت «ياعبدالحليم هذه لاتغنى» .

قال «مالكش دعوة» أنا أعرف مايقول .. وفعلاً قصيدة (قارئة الفنجان) قصيدة صعبة جداً جداً . وحين تبناها .. والحمد لله . نجحت نجاحاً منقطع النظير !

فى لقاء لى معك سابق وعندما زرت الدوحة اذكر انك قلت لى الذين يقرأون الدواوين فى عالمنا عدد محدود وقليل بينما الذين يسمعون عبدالحليم حافظ هم بالملايين ولذلك فالغناء يساعد القصيدة على الانتشار ، هل مازلت تؤمن بالغناء لنشر الشعر ؟

□ طبعاً .. طبعاً .. القصيدة الملحنة التى تتحول إلى صوت جميل ومؤد عظيم تأخذ حياة أخرى ! نحن شعبنا العربى شعب ترانزستور نقرأ بأذنينا .. والنخبة فقط هى التى تدخل المكتبة وتشترى ديوان شعر ـ النخبة وهى لاتتجاوز ٥٪ فقط .. أما من يسمع التليفزيون أو الراديو فهم بالملايين !
■ مافائدة أن يكون لشاعرنا الكبير دار نشر خاصة ؟!

□ أن يحمى نفسه من التزوير ! وأن يشرف على نوعية الورق وعلى الأخطاء الغلط اى غلطة فى ديوان الشعر بمثابة الكفر ! وطوال عمرى لم اثق بمطبعة .. بل اسهر فى المطابع أطارد الحرف الهمزات والفتحات والضمات حتى يخرج الكتاب كما اريد .. وأنا لاأختار ورقاً عادياً .. لهذا كانت دار النشر الخاصة مع انها ليست مهنتى .. انا «شغلتى» أن اكتب وليس النشر ولكننى أردت حماية كتبى وحماية .. مقاطعة

■ حقوقك مثلاً !
□ فى العالم العربى مافى حقوق ! شائعة حمد كما يقولون كله ياويلى ! يقول .. سارق ومسروق»

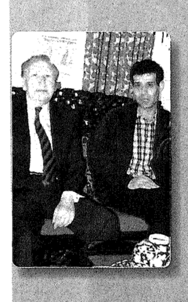
■ سؤال اخير : شاعرنا الكبير نزار قبانى وانت ضيفنا فى الدوحة فى امسية اقيمت لك هناك مهرجانات لأسواق عربية مافائدة الأسواق العربية التى



□ سوق ايش ؟
■ سوق عربية شعرية .. المربد الجنادرية ـ وهل تشترك فيها ؟
□ ماعدت أؤمن بهيك تجمعات .. أسميها سيركات شعرية .. سيرك ؟!
□ نعم فأنت لاتستطيع ان تقدم عشرين شاعراً فى ليلة واحدة كل منهم له لغته الخاصة ورؤيته الشعرية أحدهم من العصر الجاهلى والثانى من الأموى والثالث عباسى أما الرابع فهو من عصر النهضة والخامس من لاعصر !! فتشعر بالدوار معهم .. فى يوم كهذا تسمعين شاعر قصيدة عمودية تقليدية ثم عشر دقائق ليصعد احدهم فتسمعين قصيدة نثر .. أشبهه بشخص يركب البراشوت ثم يقصون خيوطه فيقع على الأرض وتتكسر اضلاعه ! لذلك فأنا أؤمن بالصوت المفرد .. ولهذا قلت حين يدعوننى إلى مهرجانات مماثلة فأرفض .. إننى مثل أم كلثوم لاأغنى إلا وحدى .. وفعلاً أم كلثوم لاتغنى إلا وحدها هل سمعت انها غنت مع غيرها .
■ نعم .. فى حفلات الثورة ولهذا كانت ازمتها مع عبدالحليم ولكنها تختتم ..
يقاطع ..

□ يعنى مرات قليلة ولكن أم كلثوم تغنى من أربع إلى خمس ساعات وحدها .. وانا لاأريد أن يختلط صوتى بأصوات الآخرين ! أريد امسية لى وحدى ـ ولست مضطراً لحضور أكبر .. اللى بدو يسمعنى .. واللى مابدو مع السلامة .
■ إذن انت لن تشترك فى مهرجانات !
□ لا لا .. إذا كنت وحدى نعم لكن مهرجاناً بمعنى التجمعات لا !

٦



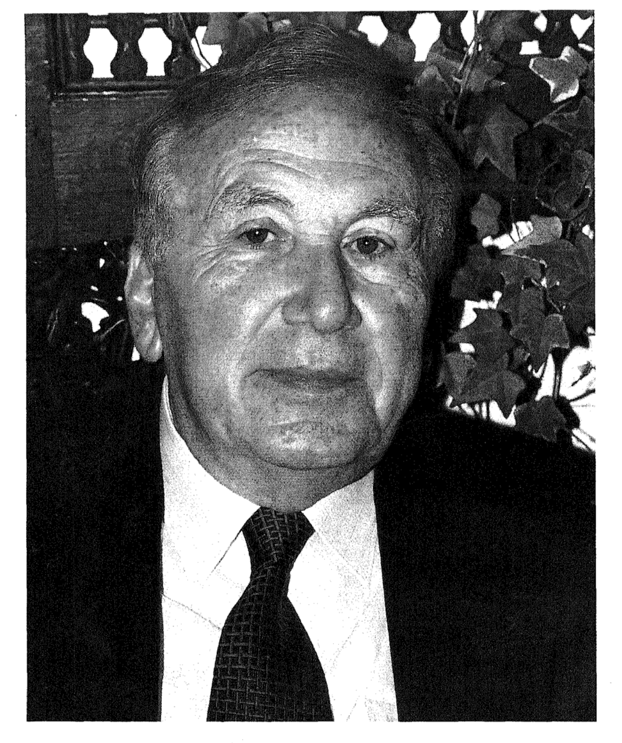
الحوار الأخير لنزار قباني :

نصف الشعراء العرب مرتزقة يقبضون من خزينة السلطان

نـــوري الجــــراح

لم يكن محمد عبد الوهاب مغنيًا عظيمًا فحسب ، وإنما كان متكلّمًا ومحاوراً كمحاوري الإغريق . عرفته في القاهرة عام ١٩٤٥ حين كنت دبلوماسيا فيها ، ولم أقترب منه شعريا ، لعلمي أنه لا يزال يدور في فلك أحمد شوقي . وحين لحّن قصيدتي (أيظُن) لنجاة الصغيرة ، شعر عبد الوهاب أنه بحاجة إلى كلام من نوع جديد ، وصياغات جديدة ، وصور جديدة .

نزار قباني



الشاعر نزار قبانى محجم منذ سنوات عن إعطاء الأحاديث الصحافية، ويبدو مكتفيا بقصيدته، فهى صوته، كل صوته. لكن المفاجأة أنه قال نعم لنورى الجراح، والمفاجأة أيضا أن اللقاء معه تم فى نهار مشمس حار، على غير عادة النهارات اللندنية ذات الطقس الكئيب، وقد تجاوزت حرارة الحديث حرارة الشمس كثيرا، وأذاب نزار قبانى حواجز «الممنوع» وتعدى كثيرا من الخطوط الحمراء فى السياسة والأدب، والفن، والصحافة، والحب وغيرها من الموضوعات التى تطرق إليها الشاعر، الأجرأ بين الشعراء العرب، فى أجوبته عن أسئلة الشاعر السورى الذى يعيش فى لندن وفى الوقت ذاته كان صديقا شخصيا (مشاكسا) لنزار قبانى..

■ **قبل عشر سنوات قلت لى إن الشعراء فاتحو طرق، وأنهم الأجدر فى قيادة الثورات. ما الذى طرأ على تصورك لصورة الشاعر بفعل التطورات والأحداث والوقائع المختلفة التى حدثت فى عالم الشاعر منذ أن أطلقت هذا الوصف؟**

□ **نزار قبانى:** قبل عشر سنوات كانت أحلامى الطفولية أكبر منى. وكنت أتصور أن الشعر سلطة لا تقهر. وأنه يستطيع أن ينفخ على الأشياء فيحولها إلى جبال من اللؤلؤ والياقوت.

بعد عشر سنوات من الإحباطات، والتراجعات، والهزائم تكسر الحلم إلى مليون قطعة. ولم يعد الشاعر يجلس إلى يمين الخليفة، كما كان يحدث فى العصرين الأموى والعباسى، وإنما صار يجلس تحت نعل الخليفة.

فى الماضى الجميل، كان الشاعر وزيرا للثقافة، ووزيرا للتربية والتعليم، ووزيرا للدفاع، ووزيرا للإعلام ينطق بلسان القبيلة شعرا.

أما شاعر اليوم فهو عاطل عن العمل. ينتقل من مقهى إلى مقهى. ومن خمارة إلى خمارة. ومن منفى إلى منفى، ومن عصفورية إلى عصفورية.

إن عظمة الشعر مرتبطة بعظمة الدولة، فإذا ارتفعت رايات الدولة ارتفعت رايات الشعر. لذلك لا أحلم بأن يكون لدينا شعر عظيم مادامت حالتنا القومية هى زفت وقطران.

وإذا كان قواد المنظمات الثورية قد داروا على كعوبهم ١٨٠ درجة مئوية. فماذا بوسع الشاعر العربى أن يفعل وليس في يده سوى بندقية عثمانية قديمة و٢٨ طلقة رصاص هى كل حروفه الأبجدية. والحروف لاتكفى لقتل دجاجة.

يؤسفنى أن أقول: إن نصف الشعراء العرب أصبحوا من (المرتزقة).. أو (الأنكشاريين). الذين يقاتلون فى صفوف السلطة ضد شعوبهم. ويقبضون رواتبهم من خزينة السلطان.

لذلك أعتذر عن أحلامى القديمة فى (عسكرة) الشعر، لأن السلطات الحاكمة فى الوطن العربى، قد نزعت أوسمة الشعراء وقلعت النجوم عن أكتافهم. وقلعت ألسنتهم.

مدينتى الشعرية

■ **هل يمكن تقسيم كتاباتك إلى محطات كبرى يمكن إضاءتها من خلال محطات محددة؟ (طفولة نهد) و(قالت لى السمراء) و(هوامش على دفتر النكسة) و(أبو جهل يشترى فليت ستريت) مثلا هكذا، ومن قبل ومن بعد، ولو كنا سنحتكم إلى ذائقتك وعلاقتك الخاصة بشعرك، فهل إن (أحلى قصائدى) وهى مختاراتك أنت هى مساحة نهائية للاختيار، أم أن فكرة الاختيار الشخصى تتطلب إعادة نظر تشمل جديدا، لئلا تصبح سقفا للقارئ؟**

□ **نزار قبانى:** المحطات الانتحارية في شعرى هى حسب تصورى القصائد التالية:

١ ـ خبز وحشيش وقمر. ٢ ـ هوامش على دفتر النكسة. ٣ ـ بكائية لجمال عبد الناصر. ٤ ـ متى يعلنون وفاة العرب. ٥ ـ المهرولون. ٦ ـ أنا ياصديقة متعب بعروبتى. وأخيرا (أنا مع الإرهاب).

أما (أحلى قصائدى) فهو ليس أكثر من دليل سياحى يعطيك أسماء الفنادق، والمطاعم، والمسارح، والكافتريات.

وسبب إصدار هذه المختارات هم الناس أنفسهم فقد كانوا يسألوننى فى معارضى الشعرية (أستاذ.. بين خمسين مجموعة شعرية لك نحن حائرون. ماذا ننتقى. فانتقِ لنا، اعمل معروف، كتابا يكون على ذوقك. علما بأن موازنتنا لا تسمح لنا بشراء أكثر من مجموعة واحدة).

وهكذا كان. وجمعت القصائد الأكثر جماهيرية وشعبية فى شعرى وطبعتها فى كتاب واحد اسمه (أحلى قصائدى).

(أحلى قصائدى) كان اختيارا وقتيا وعمليا، ودليلا سياحيا، كان صالحا قبل عشرين عاما.

أما اليوم فإن مدينتى الشعرية تغيرت كثيرا. وصار فيها



اوتوسترادات كثيرة، وفنادق كثيرة، وحدائق كثيرة، ومطارات كثيرة، وطائرات جامبو، وكونكورد، وأقنية فضائية.

لذلك لابد من إصدار (الدليل المفيد، إلى شعر نزار قباني الجديد).

نقاد هيروغليفيون!

■ فى ثقافتنا العربية تتميز علاقة الشعراء بالنقاد بالتوتر، وباللامسئولية، وسوء الفهم، ما الذى يجعل الصورة هكذا؟

■ **نزار قباني:** العلاقة بين الشعراء والنقاد ليست متوترة فقط، ولكنها (مبهدلة) وعدوانية كعلاقة الزلاقط بالزلاقط، والزنانير بالزنانير.

السبب فى نظرى ناشىء عن تقارب المهن بين الشاعر والناقد، وغيرة فطرية لدى النقاد تجعلهم يعتبرون القصيدة (ضرُة) لهم.

العمل الشعرى هو عمل حضارى بالدرجة الأولى، لذلك لابد أن يقرأ بحضارة من قبل الناقد، وإلا تحولت القضية إلى حرب بالسلاح الأبيض، يجرى فيه دم القصائد بلا سبب.

أنا من الشعراء الذين استبيح دمهم مئات المرات، ولكننى فى كل مرة كنت أمسح دمى وأضع قطعة (بلاستر) على جرحى، وأجلس على مكتبى لأكتب قصيدة جديدة.

ودعنى أعترف لك أن النقاد لم ينفعونى بشىء، لم يستطيعوا أن يقدموا لى أى خدمة لغوية، أو عروضية، أو بلاغية، أو جمالية.

لذلك أدرت لهم ظهرى، وشققت طريقى بأظفارى، وقررت أن أتعلم من الجماهير كيف يُكتب الشعر.

■ حملت إلينا تفاسيرنا الخاصة للمناهج النقدية الحديثة آفة الناقد النرجسى الذى يقدم نقده على الشعر الذى يقرأ أو يدرس، بما جعل النقد يغرق فى مصطلحاته وأوهامه ويعطل الممارسة التى تجعل من النقد كشفا ومن الناقد صاحب كشوف، بصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع منهج الناقد.. ما تصورك لدور الناقد وعمله؟

□ **نزار قباني:** أنا معك أن نرجسية نقادنا هى الحائط الذى يفصل بين الناقد وبين النص الذى ينقده، لقد قرأت عشرات المقالات لنقاد عرب من مصر ومن المغرب العربى حاولوا فيها إضاءة وجه الحداثة فى الشعر، ولكننى عجزت عن فهم اللغة الهيروغليفية التى بها يكتبون، والواقع أنهم كانوا يحاولون إضاءة وجوههم هم لا وجه القصيدة، والتعتيم الكامل على النص المنقود.

ليس هناك إذن كشوف فى النقد ولا من «يكشفون، بل هناك تشويش ظاهر على إنجازات القصيدة الحديثة.

ورأيى أنه لابد للناقد من أن يمتلك حدا أدنى من المحبة والتعاطف مع النص الذى يقرأه، فلا يمكن لناقد أن يقترب من القصيدة وهو مدجج بكل أسلحة الدمار الشامل، وبكل غرائز الحيوانات الأفريقية.

وبانتظار الناقد الحضارى الذى يقترب من النص بسلوك (الجنتلمان)، لا بسلوك قطّاع الطرق، سوف تقوم جبال من الملح بين النقاد والشعراء.

كشكول المسحر

■ هناك فوضى كتابة شعرية تسود الوطن العربى، الإعلام بأولوياته غير الثقافية ترك للجميع الحبل على الغارب، والنقد مضى إلى التمترس فى حصنه الأكاديمى، أو إلى تحالفاته مع الأكثر قدرة على (الهيمنة) والحضور (بحق أو بغير حق) من أشكال إبداعية وأسماء أدبية وأصوات (واصلة).

□ **نزار قباني:** الجرائد اليومية لاتكترث كثيرا بالشأن الثقافى، وليست الصفحات الثقافية فيها سوى ديكور متنافر ومتناقض أشبه بكشكول المسحِّر، ومن هنا هذه الفوضى التى تمد فيها خنفساء رجلها إلى الصفحة الثقافية لتستعرض فتنتها.

وربما لعبت الوجاهات ومراكز القوى، دورا كبيرا فى نشر قصائد لا علاقة لها بالقصائد، وكلمات متقاطعة لا علاقة لها باللغة العربية أو باللغة السنسكريتية.

إن (الأمن الثقافى) لا يقل أهمية عن (الأمن القومى)، ومادام الحبل فالتا، والحدود مفتوحة إلى كوبنهاجن وغير كوبنهاجن، فقد يأتى يوم تصبح اللغة العبرية اللغة الأولى فى جامعاتنا ومدارسنا.

جاهلية ثانية

■ لو كنا سنحتكم إلى وعينا المعرفى وضمائرنا كمبدعين، هل يبدو الصمت هو الجواب الأمثل، إن قول الكلمة الصادقة هو الضرورة النبيلة بصرف النظر عما يمكن أن تجرُّه على صاحبها؟

□ **نزار قباني:** المبدعون يصرخون كل واحد بطريقته، الشاعر بشعره، والرسام بألوانه، والمثّال بكتلة الحجر، والموسيقى بأوتاره، ولذلك يستحيل أن أتصور مبدعا مصابا بالخرس، حتى الطبيعة لا تتوقف عن الكلام، فالريح تتكلم، والرعد تصرخ بعصبية، وعالم الحيوان هو الآخر لا يتوقف عن الهديل، والصهيل، والنباح، والمواء، والزمجرة، فكيف يمكننا أن نطلب من الكاتب العربى أن يبلع لسانه ويتحول إلى حائط، أو إلى جبل من الجليد.

الثمن الذى يدفعه الكاتب هو ثمن تافه جدا، والمبدعون

خلقوا ليزرعوا القنابل تحت هذا القطار العثمانى العجوز الذى ينقلنا من محطة الجاهلية الأولى إلى محطة الجاهلية الثانية.

أما الكتاب الذين يتكومون تحت الشراشف، بانتظار رحيل العاصفة الثلجية، فسوف يبقون معزولين عن قضايا مجتمعاتهم كالدبب القطبية!!

■ هناك عقدة فى الثقافة العربية، لدى الأجيال الجديدة، والذين يريدون أن يريحوا ضمائرهم من نتائجها يستنجدون بفرويد. ما نظرتك إلى هذه المسألة. وبالمقابل هل تظن أن استمرار هذه العقدة خلق عقدة قتل موازية أخرى؟

تأسيسا على هذا التشخيص، هل تساوى بين العقدتين، أم أن روح التمرد الشعرى لديك تسمح بتفهم دوافع الأولى، وتستدعى منك الوقوف أطول عند الثانية بما يهدد به الفن من سلوك مضاد لما هو يافع أو طالع أو مستقبلى لو شئت؟

□ **نزار قبانى:** بكل صراحة أقول لك إن كل هذه التفسيرات بوليسية، ولو كان القائل بها فرويد. لماذا تتصورون أن الاجيال لابد من أن تقتل بعضها حتى تعيش الأجيال (اليافعة). أو (الطالعة). أو المستقبلية؟

لا أحد يستطيع قتل المتنبى، أو أبى تمام، أو أبى نواس، أو أبى فراس الحمدانى. وسيوف الحداثيين قصيرة جدا حتى



تستطيع أن تطال رقبة المتنبى!!

واسمح لى أن أتخذ من نفسى مثالا، فأنا شاعر لا يزال يقف على منبر الشعر منذ خمسين عاما، ولكننى لا أشعر أن هناك أى شاعر حداثى يهددنى، ويستطيع تقويض سلطتى الشعرية.

إننى بعد نصف قرن من الكتابة الشعرية، أشعر أن جمهوريتى لاتزال رافعة أعلامها، وأن جمهورى يمتد على مدى ثلاثة أجيال. منذ الأربعينيات حتى التسعينيات، فلماذا لم يقتلنى فتى فى السابعة عشرة أو فتاة فى الخامسة عشرة حتى اليوم.

لأنهم تربوا شعريا على يدى. فى حين أن شعراء الحداثة لم يربوا دجاجة، أو عصفورا. أو أرنبا!

من الماء إلى الماء

■ يخيل إلىّ أنك واسطة العقد بين شعراء ٥٠ سنة من الشعر العربى الحديث، لغتك الخاصة، الحارة، النافرة، بين اللغات الشعرية الأخرى، المتألقة فى ريادتها للبساطة جماليات شعرية سائرة على الألسن. وفى ذائقة الأجيال، هى التى أهلتك لذلك. ما مصادرك ومن هم آباؤك الشعريون وكذلك من هم الاحب إليك بين الشعراء العرب الحديثين؟

□ **نزار قبانى:** كل شعراء العالم من عرب، وفرنسيين، وإنجليز وأسبان هم آبائى، قرأتهم جميعا.. ونسيتهم جميعا. فحتى تكتب شعرا جميلا وباهرا يجب أن تلغى ذاكرتك.

منذ عام ١٩٤٤، عام صدور (قالت لى السمراء)، قررت أن تكون لى لغتى الخاصة. وبصماتى الخاصة، وأزيائى الخاصة كمصممى الأزياء العالميين: فالنتينو. وشانيل. وبيار كاردان. وايف سان لوران.

كنت أريد أن أكون شاعرا له (ماركته المسجلة)، فأنا لا أحب الألبسة الجاهزة. ولا القصائد الجاهزة. لذلك صنعت لكل امرأة ثوبا خاصا بها. ولكل رجل عباءة خاصة به.

منذ خمسين عاما قررت أن ألقى القبض على ٢٠٠ مليون عربى. بالشعر وحده، بالحب وحده، بالبساطة وحدها، بالديمقراطية وحدها.

وها أنذا بعد خمسين عاما أشعر أن قصائدى تسافر من الماء إلى الماء، وأن لى ركنا فى كل بيت عربى من المحيط إلى الخليج أشرب فيه قهوتى. وآخذ قيلولتى.

من بين جميع الشعراء العرب الحديثين لا أرى إلا وجه محمود درويش.

استنساخ الشيطان

■ ما تعريفك الخاص للريادة فى الشعر والفن: أهى مثلا

علاقة زمنية ثابتة لأن الزمن وضعها، أم أنها حركة جمالية في النص، وبالتالي لا تقتصر على جيل من دون آخر؟

□ **نزار قباني:** الريادة هي خروج على المألوف اللغوي، والزمني، والاجتماعي. هي حالة كهربائية تكهرب مدينة من المدن، أو بلدا من البلدان، أو طبقة من الناس، في مرحلة زمنية محددة. ثم تنتهي الصعقة الكهربائية ويرجع الناس إلى حالتهم الحجرية. وهذا ما جرى في عصر النهضة الأوروبية فجاءت الكلاسيكية. وبعدها الرومانسية، وبعدها الرمزية، وبعدها التكعيبية، والسريالية، وما بعد السريالية. والدادائية. وحصل الشيء ذاته في مصر في عصر النهضة. وفي سوريا ولبنان والعراق، فبدأ الشعراء، والمفكرون والرسامون، والموسيقيون بالخروج من سلطة الماضي، والبحث عن آفاق جديدة للتعبير.

ليس للريادة توقيت معلوم، ولا قانون معلوم. إنها برق لا يعرف أحد متى يأتي. ومتى ينطفيء.

لقد أنتجت اوروبا بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر أجمل أعمالها الموسيقية والشعرية والتشكيلية على يد بيتهوفن وبرامز وليست، ورحمانينوف، وشوبير، وتشايكوفسكي، ورفائيل، وميكيل أنجلو، وماتيس، ورينوار، وبول فاليرى، وبودلير، ورامبو، وشكسبير، وشيللي، وبايرون، وتشيكوف، ومايا كوفسكي.

وحصل الشيء نفسه في العصرين الأموي والعباسي. ومع دخول الحكم العثماني سقط الشعر ودخلنا في عصر الانحطاط.

وانقطع التيار الكهربائي عن أوروبا المبدعة في بداية القرن العشرين ودخلنا في صراع موسيقي وشعري وتشكيلي. وأصبح من مشاريع العلماء استنساخ كل شيء. بما في ذلك الشيطان.

■ **تحتل بيروت مكانة خاصة في نفسك وشعرك، وهي تتأهب الآن لتكريمك من خلال رموز ثقافية فيها. لو كانت المدن تضيف فما الذي أضافته بيروت على ما أعطتك من قبل دمشق؟**

□ **نزار قباني:** بيروت لا تتكرر بسهولة بالنسبة إليّ، ولو كان بأمكاني أن (أستنسخ) بيروت الخمسينيات مرة ثانية. لما ترددت لحظة واحدة مهما كانت كلفة الاستنساخ.

بيروت أعطتني جرعة من الحرية دوختني، ولا أزال دائخا وأنا جالس في بيتي في لندن.

اعطتني بيروت كل ما يحتاج إليه العصفور ليطير، وكل ما يحتاج إليه المركب ليبحر. وكل ما تحتاج إليه السمكة لتسبح. وكل ما تحتاج إليه الأصابع لتصبح بيانو.

كنت أذهب إلى كورنيش بيروت الساعة الخامسة صباحا وأعود في السابعة.. ومعي (خمس قصائد) تنبض في سلتي كما تنبض الأسماك في سلال الصيادين.

بيروت كانت تيار كهرباء بقوة عشرة آلاف فولت وفيها كتبت من عام ١٩٦٦ إلى ١٩٨٢ أجمل ما كتبت من شعر في تاريخي الشعري.

أما دمشق فقد علمتني أبجدية الجمال الأولى، ولعب بيتنا الدمشقي الجميل في حي (مئذنة الشحم) دورا عظيما في صنع ذائقتي وتثقيف عيني.

مؤامرة

■ **نحن الآن في زمن (العولمة) حسب مصطلحات السياسة والفكر، أي أننا في أمية واقعية بعد الأمية المتخيلة التي تهاوت عمارتها مع انهيار الاتحاد السوفياتي، تلك كانت كلمات (السياسي) وتوصيفاته للعالم، بأي كلمات يصف الشاعر عالمه المنظور والمصير الذي آل إليه إنسانه، وماذا في وسع الشعر أن يفعله لهذا الإنسان؟**

□ **نزار قباني:** كل ما يجري في العالم الحالي مؤامرة على الشعر. فالعلم أصبح مغرورا إلى درجة أصبح فيها ربا.. يلعب بالجينات والهندسة الوراثية، وقوانين الطبيعة، بحيث صار إنتاج البشر لا يحتاج إلى رجل وأنثى لإتمام مهمة التوالد.

وهذا يعني أن قصائد الغزل لن يكون لها نفع. ومواعيد الحب لن تكون لها جدوى، ودواوين الشعر لن تكون لها فائدة. والسهر في ضوء القمر سوف يكون إضاعة للوقت.

العلم سوف يقتل كل شيء. ثم يقتل نفسه.

الكومبيوتر وحش. والأقنية الفضائية وحش. والموسيقى الحديثة وحش. والأزياء الحديثة وحش. والأطعمة السريعة وحش. والرسم الحديث وحش.

لذلك لن يبقى في مقهى (العولمة) كرسي واحد يجلس عليه الشعر. ولن تكون في الحدائق العامة مقاعد يجلس عليها العشاق. ولن تكون في الصيدليات حبوب لمنع الحمل. لأنه لن تكون هناك نساء ولا رجال يعرفون ما هي الأبوة!!

مع قدوم القرن الواحد والعشرين. سيحمل الشعر حقائبه، ويسافر إلى جزيرة في عرض البحر. لا توجد فيها تكنولوجيا متقدمة. ولا أقمار صناعية. ولا تليفونات موبايل.. ولا أنترنت.

■ **ما الذي يتجول في نفسك اليوم، وينتمي إلى تلك اليافعة التي كنتها في جوار الجامع الأموي؟**

□ **نزار قباني:** كل شيء في نفسي ينتمي إلى هناك. إلى الطفولة، والبراءة، وعريشة الياسمين، وسجادة صلاة أمي.

وقهوة أبى فى الصباحات الدمشقية، وأسراب السنونو، ونافورة الماء الزرقاء.

هذه هى (الزوادة) التى حملتها منذ خمسين عاما على كتفى، والتى حمتنى، من الجوع والعطش والعرى الثقافى.

طفولتى هى المضاد الحيوى Anti Biotic الذى أحمى به نفسى من الديناصورات الأمريكية الجديدة التى تريد افتراس العالم.

خيانة عظمى

■ **مرة كنت فى أرض الشعر الصافى، فى خالص فكرة الفن للفن ومرة اخرى فى قلب حماة الشعور العام للناس حيث تهيمن على العربى الآثار الفادحة لأفعال السياسة والساسة فيه إلى درجة استعارة لغة الهجاء من تراث آبائك، وأجدادك، ومرة تخرج معلنا إعراضك عن القصيدة التى تهجو القسوة والبشاعة والانحطاط، وميلك إلى قول الحب، وتصويره، والانتصار له. كيف تبنى قرارك الشعرى، وكيف يتحدد ميلك التعبيرى نحو العالم والاشياء؟**

□ **نزار قبانى:** أنا لا أحدد. ولا أقرر.. ولا أبرمج قراراتى الشعرية. كل يوم يدخل فى خاصرتى سيف فأصرخ من الوجع، وكل يوم يزداد هوان الأمة العربية، فألجأ إلى البكاء، وكل يوم أرى كيف (يتشرشح) أجدادى على طاولة المفاوضات مع إسرائيل. فألعن (سنسفيل أجدادى)!!.

ذهب (زمان الوصل فى الأندلس)، وأنتهت مرحلة (طفولة نهد)، و (قالت لى السمراء)، و (أشهد أن لا امرأة إلا أنت)، و (أحبك، أحبك، والبقية تأتى).

أنا لا أستطيع أن أرقص على جثة أمة تقترب من الانقراض. لا أستطيع أن أكون شاعرا من البلاستيك، يشتغل على البطاريات. لا أستطيع أن أتغنى بأمجاد النهدين، وأمجاد أمتى تسحق بالبولدوزرات.

الناس كفروا بالعشق وبـ (مجنون ليلى). وبـ (طوق الحمامة)، وبمرحلة (الحب العذرى) الذى هو أشبه بعلك اللبان. بعد قصيدتى الأخيرة (أنا.. مع الإرهاب)، وبعد آلاف المكالمات الهاتفية والفاكسات التى تلقيتها من الوطن العربى ومن المغتربين فى كل مكان، تبين لى أن كل العرب يريدون أن يكونوا إرهابيين ويريدون أن يحملوا السلاح ضد التخلف والغيبوبة والاندثار، ويريدون أن يقرأوا شعرا يشبههم.

اليوم اكتشف أن نظرية الفن للفن، فى زمن الكوليرا، هى خيانة عظمى، وأن الشعر الذى لا يشتبك بهموم الناس، ودموعهم، وقضاياهم المصيرية، سيذهب إلى سلة النفايات.

لا أفترى على الموهوبين!

■ **قدمت مرارا هجاء لقصيدة النثر، وأنت أحد شعرائها. هل أسمى لك قصائدك النثرية؟ ما الذى حملك على ذلك؟ ولماذا تبدى نفورا من كلمة «الحداثة» وأنت عمليا أحد كبار شعراء الحداثة العرب؟**

■ **نزار قبانى:** أنا لا أحقد إلا على الردىء من الكتابة، سواء كانت قديمة أو حديثة. إن ما يسمى نفسه شعرا من دون أن يكون شعرا يهيننى، ويهين ذوقى وثقافتى.

إننى لا أطلق الكلام على عواهنه. ولا أفترى على الموهوبين من شعراء قصيدة النثر، لأننى أعرف أننى واحد منهم.

ولكن (سفراءكم) إلى العالم، كانوا مبهدلين، وأميين. و (يتفركشون) بالفتحات، والضمات، والكسرات، والفاعل، والمفعول به، ويخلطون ما بين أبى الطيب المتنبى، وما بين صاحب (مطعم مروش).

■ **هناك دعاء للنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) يخاطب فيه الله بقوله: «يامقلب القلوب ثبت قلبى على إيمانك». ما الإيمان الذى يجعل من الشاعر الرقيق والحساس والمقاتل معا شخصا متقلبا؟**

■ **نزار قبانى:** التقلب لدى الشاعر هو أساس عبقريته. فهو ليس مسمارا مدقوقا فى حائط. ولا صحن (بالوظة) مصنوعا من النشاء. ثم إن ما يقصده الرسول فى دعائه إلى الله، يعنى أن يهبه الشجاعة.

وأنا أدعى أننى من أكثر الشعراء شجاعة.

السياسى قبيح أصلا

■ **ما الذى يجعل السياسى يغار من الشاعر إلى درجة التمثل بقابيل؟ أهو الجمال الذى اجتذب دم هابيل إلى ساعة المصرع؟ أم القدر المساوى لـ «قابيل» المرفوع إلى درجة اللفتة، أم هو شيء آخر؟**

□ **نزار قبانى:** نعم.. الجمال كان دائما دافعا إلى القتل. وجمال الشاعر والكاريزما الشعبية التى يتمتع بها، تجعله كسيدنا يوسف هدفا للغيرة حتى من قبل إخوته. وبما أن (السياسى) هو قبيح أصلا. فلابد له أن يقتل كل ماهو جميل حوله. ليبقى محتفظا بكرسى السلطة.

■ **أفهم من خطابك الشخصى نثرا وشعرا أنك مع السلام وضد «عملية السلام» أهو موقف أخلاقى حسب تعبير ادوارد سعيد، أو شخصى تاريخى، أو هو تعبير عن عدم القدرة على الأخذ بـ «أسباب العصر» بما يجعلك واحدا من رجال عصر قديم؟**

■ **نزار قبانى:** إذا كان (التوقيع على شهادة موتى) يعنى أننى من رجال العصر القديم، فأنا قديم جدا.

وإذا كنت أرفض الدخول فى المزاد المفتوح، لبيع مئذنة

الجامع الأموى، وقبر محيى الدين بن عربى، وبرج بابل، وأهرامات مصر، وقصائد أبى الطيب المتنبى. ولغة ابن المقفع. فهذا لا يعنى أننى لا افهم فى الواقعية والبراجماتية والديبلوماسية.

إننى ضد أى براجماتية تغتالنى، وتصادر تاريخى، ولغتى، وثقافتى، وتمحونى من خارطة العالم.

أن موقفى ليس أخلاقيا، أو شخصيا، أو انتقائيا، أو طوباويا، أو شعريا، إنه موقف وجودى. والمسألة بكل بساطة هى أن أكون، أو لا أكون. إننى أعتقد أن السلام مع إسرائيل مستحيل. ولو بعد عشرة آلاف سنة. فهذه الأرض لا تتسع لنا ولهـا أبدا. فهى تريد أن تقطع سلالاتنا عن آخرها. ونحن متمسكون بسلالاتنا حتى آخر طفل من الخليل، ويافا، ونابلس، وبيرزيت.

قضيتنا مع إسرائيل لا علاقة لها بالفلسفة والتنظير، وعلم النفس، والمواويل، والقصائد.

إنها قضية تتعلق بحياتنا أو موتنا. ولا مفاوضات أبدا مع الموت.

■ **عشرون سنة مرت على غياب عبد الحليم حافظ، وصوته باق فى المقدمة. وبين أجمل أغنياته قصائدك التي غنى. هل قامت بينكما علاقة صداقة؟**

□ **نزار قبانى:** عبد الحليم حافظ يختصر تاريخ الغناء والمغنين منذ إسحق الموصلى حتى اليوم. ولو أن الله كتب لهذا المبدع أن يعيش خمسين سنة أخرى، لقلب تاريخ الغناء العربى من اساسه. إنه مغن ثورى وانقلابى ومغامر من طراز نادر، وحين أعطيته قصيدتى (رسالة من تحت الماء) و (قارئة الفنجان). التمعت فى عينيه آلاف النجوم وقال:شكرا يانزار. هذا هو الشعر الذى أريد أن أغنيه.

عبد الحليم كان صديقى، وأملى فى إنهاء عصر التلوث الموسيقى الذى نعيشه. لقد أعطت السيدة أم كلثوم كل ما عندها، وذهبت. وأعطى الموسيقار محمد عبد الوهاب كل ماعنده، وذهب.

ولكن عبد الحليم كان وردة الحداثة التى جفت قبل أن تعطى كل عبيرها. وكان قمر الحب الذى غاب قبل أن يملأ سماءنا بأمطار الياسمين.

■ **ثلاث سيدات غنين قصائدك: أم كلثوم، ونجاة الصغيرة، وماجدة الرومى، وغيرهن، ربما. مَنْ مِنْ بين هذه الأصوات أعطى قصيدتك ما لم تكن تتوقع؟**

□ **نزار قبانى:** لا أحد ينطق قصيدة الشعر مثل السيدة أم كلثوم، ولا أحد يستطيع أن يتقمص القصيدة الأنثى مثل نجاة. ولا أحد يستطيع أن يلبس القصيدة ثوبا حضاريا، مثل ماجدة الرومى.

■ **لكل قصيدة يكتبها الشاعر خبرة خاصة غير مستعادة لا جماليا ولا زمنيا. ومع ذلك أسأل: كيف تبنى قصيدة؟ كيف تتلمس الخيط الرفيع بين ما نسميه الإلهام، وبين الصناعة، والشعر لدى العرب إحدى صناعتين؟**

□ **نزار قبانى:** ليس فى الشعر كيف؟ ومتى؟ وماذا؟

فمن المستحيل إلقاء القبض على قصيدة وهى تغزل قميصها الحريرى.

لو كان الشعر صناعة. لكان حرفيُّو (خان الخليلى) أمراء الشعر. ولو كان وحيا لكان السحرة والمنجمون، والراقصون فى حلقات الذكر، من كبار الشعراء.

الشعر زلزال داخلى يضربنا من حيث لا ننتظر.

وعندما نخرج من تحت الأنقاض، نجد القصيدة إلى جانبنا فى سيارة الإسعاف.

الشاعر هو آخر من يعرف جنس المولود الذى وضعه صبى؟. أم بنت؟ أم وردة؟. أم حمامة.

القصيدة هى ذلك الطفل الجميل الذى يأتينا بعد خمسة آلاف سنة من الحمل!!

■ **بمناسبة عنوان ديوانك (أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء) كيف يكون أنطباعك الأول الحر، وأنت تقرأ مثلا ديوانا شعريا لامرأة تحت عنوان «أنا امرأة واحدة وأنت قبيلة من الرجال»؟؟**

□ **نزار قبانى:** ليس عندى تفرقة عنصرية، أو ثقافية، أو



جنسية. بين رجل وامرأة. فعندما تصدر امرأة ديوانا شعريا تحت عنوان: «أنا امرأة واحدة. وأنت قبيلة من الرجال». سوف أذهب إليها حاملا باقة ورد، وأقبل يديها من الوجه والقفا.

رائحة الياسمين

■ **كيف تقضى يومك، وأين تتمشى فى لندن، حيث لا بحر، ولكن هناك نهر قاتم، وسماء واطئة صلبة كالرصاص، هل لديك ياسمينة فى البيت، أم أن المكان الوحيد الباقى للياسمين هو القصائد؟**

□ **نزار قبانى:** يوم وصلت إلى لندن فى شتاء ١٩٥٢ لأعمل ديبلوماسيا فيها، ذهبت صباح اليوم التالى إلى حديقة هايد بارك. وعندما بدأت السماء الرمادية تمطر على رأسى وعلى جريدتى، شعرت أننى أغتسل من غبارى الصحراوى.

منذ ذلك اليوم قامت علاقة عشق بينى وبين السماء اللندنية، وكانت أسعد لحظاتى هى اللحظات التى كنت أضيع فيها تحت الضباب بين بيتى ومركز عملى.

البط الإنجليزى. والسنجاب الإنجليزى. والديمقراطية الإنجليزية. هم أصدقائى. لذلك أجلس على ورقة الكتابة ملكا. وأتجول بين حروفى ملكا. وأنام على صدر قصائدى نوما عميقا. (ويسهر الخلق حرّاها ويختصم).

حملت معى من دمشق ثلاث شتول ياسمين. ولكنهن لم يقاومن من فراق تراب الشام. وماء الشام، وصحبة أهل الشام. فمتن حزنا وحنينا إلى أرض الأندلس.

جسد الياسمينة الرقيق لا يتحمل صقيع الشمال، وقسوة المنفى.

لذلك لا تشمون رائحة الياسمين الدمشقى إلا فى دواوين شعرى.

حصان الكلمات

■ **صوتك نافذ ومؤثر فى ملايين القراء العرب، له القدرة على التسلل إلى رسائل العاشقات، وهمس العاشقين، تكاد سلطة الجمال التعبيرى فى كلماتك أن تبز بتأثيرها سلطة أى زعيم أو حاكم عربى.**

هل يقلقك هذا السلطان لك على ذائقة الناس، هل تخاف على هذه «السلطة» من تبدل الذائقة؟

□ **نزار قبانى** : الحمد لله الذى كرمنى خلال حياتى، وأتاح لى أن أرى وجهى مرسوما فى عيون مئتى مليون عربى من الماء إلى الماء..

بعد خمسين عاما أشعر أن المنتصر الكبير هو الشعر، وأن الرابح هو حصان الكلمات الجميلة، والصادقة.

راهنت على ديمقراطية الشعر.. فنجحت.

وراهنت على بساطة اللغة.. فنجحت.

وراهنت على بساطة الجماهير.. فنجحت.

وراهنت على حرية المرأة، وحرية الوطن. فنجحت.

بعد خمسين عاما أقمت (جمهورية للشعر) لا تزال ترفع أعلامها.. وأسست حزبا للشعر هو حزب الأكثرية.

فمن أى شئ أخاف؟

إننى لا أزال أغطى الذائقة الشعرية العربية منذ عام ١٩٤٤ حتى اليوم.

وعندما تتغير هذه الذائقة.. بيفرجها ربك.

■ **أنت أب طبيعى وبالضرورة لكثيرين من الشعراء العرب. بعضهم كمحمود درويش اعترف لك بهذه الأبوة. وبعضهم يمر عليها متكتما. كيف تنظر إلى فكرة (اعتراف) الشاعر بأثر شاعر آخر فيه، أو بخشيته من هذا (الأثر) وذاك الاعتراف؟**

□ **نزار قبانى:** لا أعلق على قضية الاعتراف أهمية كبيرة. فهناك شعراء طبيعيون. وهناك شعراء لديهم عقدة النقص التى لا تسمح لهم بأن يعترفوا بأن الشعر كان موجودا قبلهم.

الأمر لا يعنينى كثيرا. ولا أريد أن أتحول إلى وكيل نيابة مهمته أن يجمع إفادات الشعراء، واعترافاتهم.

«المشاهد السياسى»: ما رأيك بفكرة أن يسقط الشاعر بعض شعره بعد زمن طويل على نشر هذا الشعر، لأسباب تتعلق بزوال رضاه عن المستوى الفنى لبعض قصائده؟

هناك شعراء فعلوا هذا أو بدلوا فيما سبق وكتبوا ونشروا



الشاعر السورى نورى الجرّاح الذى يعيش فى لندن أجرى الحوار الأخير فى حياة نزار قبّانى وكانت تربطهما علاقة صداقة متميزة

من قصائد بحيث أصابوا رضى عن فنيتها.

هل فعلت الشيء نفسه؟ أم أنك تعتبر أن مستوى القصيدة مرتبط بزمنه ويتطور رؤية الشاعر وأدواته الفنية. ومن الجرم إحداث أي تبديل في القصيدة بعد نشرها في كتاب؟؟

□ **نزار قباني:** الشاعر الذي يعمد بعد ثلاثين أو خمسين عاما إلى إعادة كتابة شعره، يذكرني بالغانيات اللواتي إذا تقدمت بهن السن يعمدن إلى شد وجوههن، لاستعادة شباب القصيدة مرة أخرى.

وهذا في رأيي من أعمال الغش والتزوير والتصابي. لأن وجه القصيدة غير قابل (للشد) والتعرض إلى الجراحات التجميلية.

إنني سوف أكون معتوها لو خطر في بالي الآن أن أعيد كتابة ديواني (طفولة نهد ١٩٤٨) من جديد.

فلا النهد بقي على حجمه، وتماسكه، وعنفوانه. ولا أسناني اليوم قادرة على عض السفرجل الدمشقي.. ولو ارتكبت هذه الحماقة لأنكسرت جميع أسناني. وسقطت مقتولا تحت أشجار السفرجل!!

في التسعينيات أستطيع بكل سهولة أن أكتب (تنويعات نزارية على مقام العشق).. ولكنني لا أستطيع أن أكتب (قصائد متوحشة). و (الرسم بالكلمات) ١٩٦٦:

فصَّلتُ من جلد النساء عباءة.
وبنيت أهراما من الحلمات..
لم يبق نهد أبيض.. أو أسود..
إلا زرعت بأرضه راياتي.
هذا كلام دخل في التاريخ.

ولم يعد بإمكاني أبدا استنساخه. على طريقة النعجة الأسكتلندية (دوللي)!!

«المشاهد السياسي»: كيف تنظر إلى عقدة «التناكر» بين الاجيال الشعرية العربية، وأين يكمن الخلل في رأيك؟

□ **نزار قباني:** الخلل خلل أخلاقي بالدرجة الأولى. لأن المبدع الذي يحاول تحطيم كلّ شاعر وُلِدَ بعده بخمس دقائق، ويزدري كل شاعر ولد قبله بخمس دقائق. هو بولدوزر شعر.

ثم إنني لا أفهم هذه الخطوط الحمراء التي ترسمونها بين شعراء خمسينيات وستينيات. وسبعينيات. وثمانينيات. وتسعينيات. هل تكفي عشر سنوات لتكوين ملامح شاعر، وتحديد هويته؟

إن تعبير (التناكر) يدل على خوف من الآخرين. وعدم الثقة بالذات. فإنكار الشمس لا يعني توقفها عن الشروق. وإنكار شكسبير لا يعني إلغاءه من الأدب الإنجليزي.

وصايا قصائدي

■ **لماذا عندما يدور الكلام، وتدور الاحكام حول الشعر الحديث. يجرى في كل مرة الاحتكام بين الشعراء والنقاد إلى القاعدة التي تهيمن عليها الرداءة، وليس إلى الندرة الجميلة التي تعطي الجديد والجميل في الشعر؟**

□ **نزار قباني:** (الندرة الجميلة) مختبئة. أما الرديئون، فهم الذين يعرضون ملابسهم الداخلية علينا، ويعكرون مزاجنا ونحن نقرأ جريدتنا الصباحية.

هؤلاء الشعراء هم بالتأكيد بحاجة إلى حجر صحي.. فلماذا لا تقدمون بلاغا عنهم إلى السلطات التي تعنى بالنظافة العامة والمحافظة على البيئة؟

■ **الناس عندما يكبرون يهدأون. لماذا تزداد صخبا وتوترا كلما كبرت؟**

■ **نزار قباني:** لا أوافق على هذا الطرح. فهناك ألغام أرضية مزروعة منذ الحرب العالمية الثانية لاتزال تنفجر بالناس بعد خمسين عاما من زرعها.

وهل سمعت عن سمكة قرش، قدمت استقالتها إلى البحر؟

■ **ما الذي تريد من قبل ومن بعد، من كل شيء. من الشعر، من الحياة، من المرأة؟**

□ **نزار قباني:** من الشعر أريده أن يكون مطرا يغمر كل الناس. وخبزا يكفي لإطعامهم جميعا.

ومن الحياة أريدها أن تكون واحة سلام وتسامح وحب. ومن المرأة أريدها أن تتخلى عن وصايا أجدادها، وتطبق وصايا قصائدي:

إني خيرتك فاختاري
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري..
اختاري الحب.. أو اللاحب..
فجبن أن لا تختاري..
لا توجد منطقة وسطى
ما بين الجنة والنار!!

اسأل سائق التاكسي!

■ **ما أهم المفردات التي أدخلتها على اللغة، وباتت مرجعا لدى جهتين: المجمع اللغوي. والناس؟**

□ **نزار قباني:** المجمع اللغوي. لا علاقة له بشعري، ولا المعاجم. الناس هم قاموسي الكبير. وإذا أردت أن تعرف عدد المفردات الجديدة في شعري، فاسأل تلاميذ المدارس الابتدائية. اسأل أولاد الحارة. اسأل سائق التاكسي، والممرضة، ومضيفة الطيران، ونادل المقهي، ومعلمة المدرسة،

وبائعة الورد، ومذيعة التليفزيون.

إنك ستجدني في كل مكان، من نواكشوط، إلى عدن، ومن الدار البيضاء، إلى الاسكندرية، ومن قرطاج، إلى بيروت، وباختصار أقول إن كل فتوحاتي كانت فتوحات لغوية.

■ **حول التجربة التي جمعتك بعبد الوهاب، الذي أعلن مرة، وهو الذي ارتبط بشوقي ومن ثم بك، أنك أدخلته عصر الحداثة عن طريق قصيدتك (ماذا أقول له). كيف كانت العلاقة بينكما؟**

□ **نزار قباني:** لم يكن محمد عبد الوهاب مغنيا عظيما فحسب، وإنما كان متكلما عظيما ومحاورا كمحاوري الإغريق.

عرفته في القاهرة عام ١٩٤٥ حين كنت ديبلوماسيا فيها، ولم أقترب منه شعريا، لعلمي أنه لايزال يدور في فلك أحمد شوقي، وحين لحن قصيدتي الأولى (أيظن) لنجاة الصغيرة، التي ضربت الآفاق في الستينيات، شعر عبد الوهاب أنه بحاجة إلى كلام من نوع جديد، وصياغات جديدة، وصور جديدة، وعندما كان في طور تلحين قصيدتي (ماذا أقول له؟) التي أقول فيها:

هنا جريدته.. في الركن مهملة
هنا كتاب معا.. كنا قرأناه..
على المقاعد بعض من سجائره
وفي الزوايا بقايا من بقاياه..

قال له أحد الأصدقاء الذين يترددون عليه: إيه ده يا أستاذ؟ أنت بعد ما غنيت (ياجارة الوادي) و (مجنون ليلى) لأمير الشعراء.. بتلحن كلام عن السجائر.. والجرانيل؟

فتوقف عبد الوهاب عن العزف، وقال لضيفه: «اسمع ياسيدي.. أنا ألحن هذه القصيدة لنزار قباني لأنها قصيدة تتحدث عن الحب المعاصر.. وكلمة (سجائر) بالذات.. والجرائد.. هي التي جذبتني، فهل هناك عاشقات في العصر الحديث يلتقيان في كافتيريا، ولا يكون بينهما جريدة، وفناجين قهوة، ومنفضة سجائر؟

هكذا كان يفكر محمد عبد الوهاب، وهكذا كان يبحث عن الجديد والمتطور، وقد قال يوما لأحد الصحافيين في لبنان: «صحيح إنني ارتبطت طويلا بشعر أحمد شوقي، ولكن نزار قباني أدخلني بشعره عصر الحداثة.

نزار وفيروز

■ **لماذا لم تقم علاقة بينك وبين صوت فيروز، وأنت الأقرب إلى هذا الصوت؟**

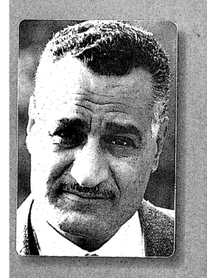
□ **نزار قباني:** فيروز كانت من حيث الشعر، مكتفية اكتفاء ذاتيا، فزوجها الراحل عاصي الرحباني كان شاعرا كبيرا، وسلفها منصور كان شاعرا بارزا.

ولكن هذا لم يمنع فيروز من أن تغني لي قصيدتين من ديواني (أنت لي) وهما: (لا تسألوني ما اسمه حبيبي).. و (وشاية).

كما غنت لي في السبعينيات في معرض دمشق الدولي قصيدة تقول بعض أبياتها:

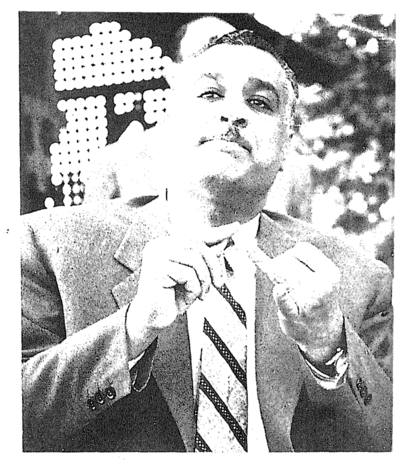
لقد كتبنا.. وأرسلنا المراسيلا..
وقد بكينا وبلّلنا المناديلا
قل للذين بأرض الشام قد نزلوا
قتيلكم لم يزل بالعشق مقتولا..
ياشام، ياشامة الدنيا ووردتها
يامن بحسنك أوجعت الأزاميلا
وددتُ لو زرعوني فيك مئذنة
أو علقوني على الأبواب قنديلا..
يابلدة السبعة الأنهار.. يابلدي
وياقميصا بزهر الخوخ مشغولا..
هواك يابردى، كالسيف يسكنني
وما ملكت لأمر الحب تبديلا ..

٧



قضية نزار مع عبد الناصر ومقالاته عن مصر





هوامش .. على دفتر النكسة

١

انعى لكم ، يا اصدقائى ، اللغة القديمة
والكتب القديمة
انعى لكم :
كلامنا المثقوب كالاحذية القديمة
ومفردات العهر ، والهجاء ، والشتيمة ..
انعى لكم ..
انعى لكم ..
نهاية الفكر الذى قاد الى الهزيمة

٢

مالحة فى فمنا القصائد
مالحة ضفائر النساء
والليل ، والاستار ، والمقاعد
مالحة امامنا الأشياء ..

٣

يا وطنى الحزين
حولتنى بلحظة
من شاعر يكتب شعر الحب والحنين
لشاعر يكتب بالسكين ..

٤

لأن ما نحسه
اكبر من اوراقنا ..
لابد أن نخجل من اشعارنا

٥

إذا خسرنا الحرب ، لا غرابة
لأننا ندخلها
بكل ما يملكه الشرقى من مواهب الخطابة
بالعنتريات التى ما قتلت ذبابة
لأننا ندخلها
بمنطق الطبلة والربابة ..

٦

السر فى ماساتنا
صراخنا اضخم من اصواتنا
وسيفنا ..
اطول من قاماتنا ..

٧

خلاصة القضية
توجز فى عبارة
لقد لبسنا قشرة الحضارة
والروح جاهلية ...

٨

بالناى والمزمار
لا يحدث انتصار ...

٩

كلفنا ارتجالنا
خمسين الف خيمة جديدة ..

١٠

لا تلعنوا السماء
إذا تخلت عنكم
لا تلعنوا الظروف
فالله يؤتى النصر من يشاء
وليس حدادا لديكم ..
يصنع السيوف ..

١١

يوجعنى ان اسمع الانباء فى الصباح
يوجعنى ..
أن اسمع النباح ...

١٢

ما دخل اليهود من حدودنا
وإنما ..
تسربوا كالنمل من عيوبنا ..

١٣

خمسة آلاف سنة ..
ونحن فى السرداب
ذقوننا طويلة
نقودنا مجهولة
عيوننا مرافىء الذباب ..



يا اصدقائى :
جربوا ان تكسروا الابواب
ان تغسلوا افكاركم
وتغسلوا الاثواب
يا اصدقائى :
جربوا ان تقراوا كتاب ..
ان تكتبوا كتاب ..

ان تزرعوا الحروف ..
والرُمّان ..
والاعناب ..
ان تبحروا إلى بلاد الثلج والضباب
فالناس يجعلونكم ..
فى خارج السرداب
الناس يحسبونكم
نوعا من الذئاب ...

١٤

جلودنا ميتة الإحساس
ارواحنا تشكو من الإفلاس
ايامنا تدور بين الزار ..
والشطرنج ..
والنعاس ..
هل (نحن خير امه قد اخرجت للناس) ؟؟

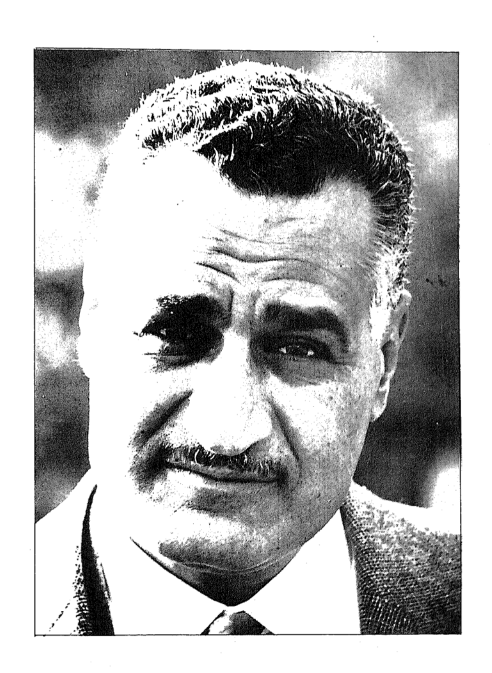
١٥

كان بوسع نفطنا الدافق فى الصحارى ان
يستحيل خنجرا ..
من لهب ونار
لكنه ..
واخجلة الاشراف من قريش
وخجلة الاحرار من اوس ومن نزار
يراق تحت ارجل الجوارى ...

١٦

نركض فى الشوارع
نحمل تحت إبطنا الحبالا
نمارس السحل بلا تبصر
نحطم الزجاج والاقفالا
نمدح كالضفادع
نشتم كالضفادع

نجعل من اقزامنا ابطالا
نجعل من اشرافنا انذالا
نرتجل البطولة ارتجالا
نقعد فى الجوامع
تنابلا ، كسالى
نشطر الابيات ، او نؤلف الامثال
ونشحذ النصر على عدونا
من عنده تعالى ...



١٧

لو أحَدٌ يمنحني الأمَانْ
لو كنت استطيعُ ان اقابلَ السُلْطَانْ
قلتُ لَهُ :
ياسيِّدى السُلْطَانْ
كِلابُكَ المفترِسَاتُ مَزَّقتْ ردائي
ومُخبِرُوكَ دائماً ورائي ..
عُيونُهُمْ ورائي ..
أنوفُهُمْ ورائي ..
أقدامُهُمْ ورائي ..

يستجوبونَ زوجتى ..
ويكْتُبُونَ عندهُمْ اسماء اصدقائي ..
ياحضرةَ السُلْطَانْ
لانني اقتربتُ من اسوارِكَ الصَمَّاءِ ..
لانني حاولتُ ان اكشفَ عن حُزْني وعن بلائي
ضُرِبتُ بالحذاء ..
أرْغَمني جُنْدُكَ ان آكُلَ من حِذَائي ..
ياسيِّدى .. ياسيِّدى السلطانْ
لقد خسرتَ الحربَ مرتَّيْنْ لأنَّ نصف شعبنا ليس له
لسانْ



ماقيمةُ الشعب الذي ليس له لسَانْ ؟
لأنَّ نصفَ شعبنا محاصرٌ كالنَمْل والجُرْذانْ
في داخل الجدرانْ ..

لو احَدٌ يمنحُني الأمانْ
من عسكر السُلْطَانْ
قلتُ لهُ : ياحضرةَ السُلْطَانْ
لقد خسرتَ الحربَ مرتَّينْ
لأنَّك انفصلتَ عن قضيَّة الإنسانْ

[١٨]

لو أنَّنا لم ندفن الوحدةَ في التُرابْ
لو لم نُمزِّقْ جسمَها الطريَّ بالحِرابْ
لو بَقِيَتْ في داخل العيون والأهدابْ
لما استباحتْ لحمنَا الكِلابْ ..

[١٩]

نُريدُ جيلاً غاضباً
نُريدُ جيلاً يفلحُ الآفاقْ
وينكُشُ التاريخَ من جُذُورِهِ

وينكمش الفكر من الأعماقْ
نريدُ جيلاً قادماً مختلف الملامحْ
لايغفر الأخطاء .. لايُسامِحْ
لاينحني .. لايعرفُ النفاقْ ..
نريدُ جيلاً ، رائداً ، عملاقْ ..

٢٠

ياأيُّها الأطفالْ :
من المحيطِ للخليجِ ، انتُمْ سنابلُ الآمالْ
وانتُمْ الجيلُ الذي سيكسرُ الأغلالْ
ويقتُلُ الأفيونَ في رؤوسنا
ويقتُلُ الخيالْ ..

ياأيُّها الأطفالُ :
أنتُمْ ـ بعد ـ طيبون
وطاهرون ، كالندى والثلج ، طاهرونْ
لاتقرأوا عن جيلنا المهزومِ ، ياأطفالْ
فنحنُ خائبونْ
ونحنُ ، مِثْلَ قشرة البطيخ ، تافهونْ
ونحن مُنْخُورنْ ..
مُنَخُورونْ ..
منخُورون كالنِعَالْ ..

لاتقرأوا أخبارَنا
لاتقبلوا أفكارَنا
لاتقتفوا آثارَنا
فنحنُ جيلُ القيءِ .. والزُهريِّ .. والسُعالْ ..
ونحنُ جيلُ الدجْلِ ، والرقْصِ على الحبالْ
ياأيُّها الأطفالْ :
يامَطَر الربيع ، ياسنابلَ الآمالْ
أنتُمْ بذورُ الخصْبِ في حياتنا العقيمَة
وانتُمْ الجيلُ الذي سيهزِمُ الهزيمَة ..□

١٩٦٧

دعوة اصطياف للخامس من حزيران بعد مرور خمس سنوات على الهزيمة

١

سنة خامسة تاتى إلينا ..
حاملاً كيسك فوق الظهر .. حافى القدمين ..
وعلى وجهك احزان السماوات ..
واوجاع الحسين ..
سنلاقيك على كل المطارات بباقات الزهور .
وسنحسو ـ نخب تشريفك ـ انهار الخمور .
سنغنيك اغانينا .. ونلقى .
اكذب الأشعار ما بين يديك .
وستعتاد علينا ..
مثلما اعتدنا عليك ...

٢

نحن ندعوك لتصطاف لدينا .
مثل كل السائحين .
وسنعطيك جناحاً ملكياً .
لك جهزناه من خمس سنين .
سوف تستمتع بالليل .. واضواء النيون .
وبرقص (الجيرك) و(الجاز) وافلام الشذوذ ..
فهنا ..
لا نعرف الحزن ، ولا من يحزنون ..
سوف تلقى في بلادى ما يسرك .
شققاً مفروشة للعاشقين .
وكؤوساً نُضِّدَتْ للشاربين .
وحريماً لأمير المؤمنين !! .
فلماذا انت مكسور الجناح ؟
ايها الزائر ذو الوجه الحزين .
ولدينا الماء ..
والخضرة ..
والبيض الملاح ..
فلماذا تتردد ؟
سوف ننسيك فلسطين ..
ونستاصل من عينيك اشجار الدموع .
وسنلغى سورة (الرحمن) ..
و(الفتح) .
ونغتال يسوع .
وسنعطيك جوازاً عربياً .
شطبت منه إشارات الرجوع ..

٣

سنة خامسة ..
سادسة ..
سابعة ..
ثامنة ..
تاسعة ..
عاشرة ..
ما تهم السنوات ؟
إن كل المدن الكبرى من النيل إلى شط الفرات .
كل من سافر في التيه ، نسيناه ..
ومن قد مات مات ..
ما تهم السنوات ؟
نحن اعددنا الأكاليل ، وهيانا المناديا .
والفنا جميع الكلمات .
ونحتنا قبل اسبوع رخام الشاهدات .
ايها الشرق الذى ياكل أوراق البلاغات .
ويمشي ـ الشرق الذى يكتب اسماء ضحاياه .
على وجه المرايا ..
وبطون الراقصات ..
ما تهم السنوات ؟
ما تهم السنوات ؟ □





علاقتي مع الرئيس عبدالناصر ليست علاقة شخصية

من شحوب حزيران وُلِدَ شيء يدعونه الأدب الحزيراني .
من تحت خرائبنا النفسية خرج ..
من حناجرنا الممتلئة بالملح والخيبة خرج ..
من عظامنا المطحونة ، وأحلامنا المطحونة ، وشفاهنا التى شققها العطش .. خرج ..

لم يكن احد بانتظاره على رصيف المحطة ، نزل وحده من سلّم القطار ، لم يصافح احدا ، ولم يكلّم احدا .. كان يحمل حقيبة واحدة مليئة بالمتفجرات .. فجرها فى جميع المدن العربية ، وفجّر نفسه معها ..

هذا الأدب الحزيرانى ـ شعرا ومسرحا ورواية ـ كان الحصيلة الطبيعية لتراكم الفجيعة فى نفس الإنسان العربى منذ كربلاء حتى اليوم .

الهزيمة العسكرية لم تكن وحدها وراء الأدب الحزيرانى ، فوراء هذا الأدب عصور من القهر ، والكبت ، والتخلّف ، تراكمت وتجمّعت سنة بعد سنة ، ويوما بعد يوم ، حتى انفجرت بركانا من الغضب صبيحة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

قبل هذا التاريخ ، كان الإنسان العربى مأخوذا برومانسية سياسية مفرطة تجاوزها العصر ، ومرتبطا بقناعات ثابتة ، وأقوال مأثورة ترى أن ليس بالإمكان ابدع مما كان ..

كان الزمن العربى قد انفصل نهائيا عن زمن الآخرين ، وأصبح يدور حول نفسه ، وكان العقل العربى قد تعب من التقصّى والكشف والبحث عن الحقيقة ، فقدم استقالته ، وجلس فى المقهى يمارس الخطابة ، والثرثرة ، وتشطير القصائد وتربيعها ، وتدويرها ..

لذلك كان أول ما فعله الشاعر العربى بعد حزيران هو البحث عن زمن آخر ..

اهمّ ما فعله حزيران هو أنه رمانا جميعا من خلف مكاتبنا .. وقلب مقاعدنا .. وقذف كتبنا وأوراقنا وأقلامنا إلى الشارع ..

حزيران غرز دبّوسا حادا فى عقلنا ، كسر كلّ طواحين الهواء التى تدور فى داخلنا ولا تطحن شيئا ، ثقب كلّ اكياس الغرور والعنتريّات التى كانت تملأ جماجمنا .

حزيران كَنَسَ مستعمرات العنكبوت فى رؤوسنا ، واغتال جميع الخرافات من أبى زيد الهلالى ، إلى الزير ، إلى الشاطر حسن ، إلى السندباد ، إلى كلّ الأبطال المصنوعين من مادة الحُلْم والتمنيات ، والذين اختبأنا وراءهم قرونا لنخفى جبننا وعجزنا عن أن نكون أبطالا لحسابنا الخاص .

كان الخامس من حزيران الجنين الميّت الذى حملناه إلى المقبرة ليلاً حتى لا يرانا المارّة .

لا احد يستطيع أن يبرىء نفسه من دم هذا الطفل الذى قُتل فى يومه السادس . كلنا بما فى ذلك الجدران ، والأبواب ، والأشجار ، ومصابيح الطرقات ، غارقون فى التهمة حتى الرُّكَب .

وحتى لا يموت لنا أولاد آخرون ، وحتى لا يتكرّر حزيران مرة أخرى ، كان لابد من عملية غسيل كاملة لأدمغتنا ولشعرنا ولنثرنا وكلامنا ...

ولقد كنت فى قصيدتى (هوامش على دفتر النكسة) أول من غسل نفسه بنفسه ، أول من سكب الزيت الحارق على جلده .. وجلد قصائده ...

كنت أول من طبق الطريقة البوذية فى حرق نفسه فى منتصف الشارع مطلوب من كل الادباء العرب أن يحرقوا أنفسهم على الطريقة البوذية فى الساحات العامة ... فمنذ عصور طويلة لم تطهر النيران ادبنا وأدباءنا.

اين المفكرون الشهداء فى العالم العربى ؟ اين هم المشنوقون على حبال كلماتهم ؟ اين هم اللابسون اكفانهم بانتظار سيف الذابح ؟

من منا استشهد على بياض ورقة ... سقط على بياض ورقة .... على طريقة الحلاج أو سقراط أو لوركا ...

كانت قصائدنا موظفة عند الحكومة . تأكل ... وتشرب ... وتقبض مرتبها ... وتدعو للسلطان بطول العمر ...

كانت قصائدنا قططا منزلية اليفة فقدت شهية القتال ، وأضاعت رهافة أنيابها .

كانت قصائدنا فصيلة من الدواجن ترقد كلّ عام اثنى عشر شهراً على بيوضها ، ثم تكتشف أن بيضَها فارغ ، وحملها كاذب ..

الشعر بعد حزيران ، يكون قطعةَ سلاح أو لا يكون . يكون بندقية ، خندقا .. لغماً أو لا يكون .

لم تعد الكتابة لعبة كيمياء ولغة ، لم تعد نزهة داخل التشابيه والاستعارات والقواميس .

الشعر بعد حزيران ، هجومٌ على الموت فى حجرة نومه ، هجوم على كلّ أوكار السحر والشعوذة والتنبلة والاتكال فى تاريخنا ..

هجوم على كلّ المغارات التى يتناسل فيها الخفافيش والدراويش .

الشعر بعد حزيران ، هجومٌ على صانعى الحجابات ، وضاربى المندل ، وقارئى الكف ، والزوايا ، والتكت ، والأضرحة ، وطبول الزار ، والفية ابن مالك ، ومقامات الحريرى .. وعلى كلّ البيوت السرية التى تتعاطى دعارةَ الفكر ، ودعارةَ السياسة فى مجتمعنا العربى .

كلُّ كلمة لا تأخذ فى هذه المرحلة شكلَ البندقية ، تسقط فى سلة المهملات ، وتصير علفا للحيوانات ..

كلُّ كتابة عربية معاصرة لا ترتفع إلى مرتبة إطلاق النار ، تتحول إلى نقش هيروغليفى على قبر فرعونى قديم .

كلُّ العبادات فى شرقنا العربى افلست ، كلُّ اصنام القش والتبن تساقطت ، صارت البندقية خلاصة كل المعابد ، وخلاصة كل العبادات ..

لم تبقَ بعد حزيران عصمةٌ لأحد ، لم تعد هناك أشياء تُقال وأشياء لا تُقال .. ولا أصنامٌ غير قابلة للرجم .

انكشف المسرح كلُّه ، وتعرّى الممثلون كلُّهم وصار بوسع الشاعر أن يصرخ من مقعده : لا .

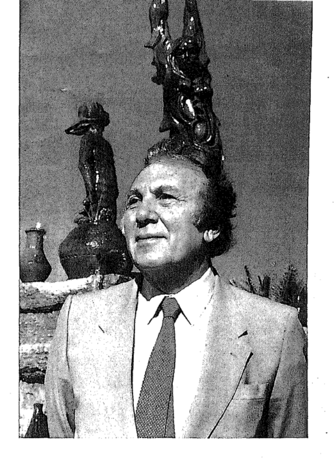
لم تعد القصائد العربية الحديثة حماما داجِلاً يحطّ على كتف أمير المؤمنين .. وينقر القمح من راحة أمير المؤمنين ، صارت القصائد فوجا من الذئاب الجائعة لا يردُها شيء ..

ليس من وظيفة الشعر أن يتحولَ إلى ذئب .. ولكن حين يدخل رمح إسرائيل إلى هذا المدى من كبريائنا .. وحين يسافر فى أنسجتنا وأعصابنا ، ولا أحد يسأله إلى أين .. يصبح الشعر هجمةً انتحارية .. على الطريقة اليابانية تدمّر الأرض والسماء جميعا .

كثيرا ماسألنى أصدقائى : إلى متى ستستمر فى عملية الجَلْد العلنية التى بدأتَها بـ (هوامش على دفتر النكسة) وأكدتها فى (الممثلون) و (الاستجواب) و (الخطاب) و (الوصية) و (حوار مع اعرابى اضاع فرسه) و (بانتظار غودو) .أليس هناك اسلوب آخر لتأريخ حزيران ؟

وأنا أسأل بدورى : وماذا نغيِّر من الواقع العربى حتى يستريح غضبى ؟ إن فلسطين لا تزال أرملة ، والفرسان فى إجازة طويلة .. وعصر ملوك الطوائف لا يزال مستمرا .. وسماسرة الكلام لا يزالون فى دكاكينهم .. يبيعون ويشترون فى السوق السوداء ..

كيف اكتب إذن ، وماذا اكتب ، اذا كان حزيران بدأ يأخذ شكل العادة



والإدمان .. ويتحوَّل إلى يوم من أيام السنة .. كعيد الأم .. وعيد الشجرة ..

آه .. لو كان العالم العربي على طائرة الهليكوبتر التي نقلت الفدائيين العرب مع رهائنهم إلى مطار ميونيخ .

آه .. لو كان العالم العربي مع هؤلاء الأنبياء الخمسة الذين دخلوا إلى طائرة الهليكوبتر كجذوع أشجار السنديان .. وخرجوا على نقّالات الإسعاف .. وعلى اجسادهم كتابة سماوية لا نعرف ان نقراها .. لاننا نسينا قواعد الكتابة والقراءة ..

ولكننا صفّقنا ونحن جالسون في صالوناتنا المكيّفة الهواء للمغامرة وانتهى الأمر .. شاهدنا الفيلم البوليسي على التلفزيون .. ونمنا .

لذلك اعتبر الجَلْد عن طريق الشعر من أخف العقوبات بالنسبة لعالم عربي ، ما زال منذ حزيران ١٩٦٧ يتفرج على المسلسلات التليفزيونية ، ويتعاطى حبوب النوم ، ونشرات الأخبار ، ومورفين (ما يطلبه المستمعون) ..

هذا هو العالم الذى أكتب عنه .. إنه عالم مصاب بالشلل النصفي ، وفقدان الذاكرة .

فإذا كنتُ قد صرختُ بوجهه ، هذا الصراخ الذى وصل إلى حد الهمجيَّة ، فلأن الإنسان لا يصرخ عادة إلَّا حين تكون مساحة الجرح أكبر من مساحة الطعنة ، وكميَّة دموعه اكبر من مساحة عينيه .

ولكي يكتمل هذا الفصل عن حزيران ، وعمّا نالني بسببه من صلب ، ورجم ، وتشهير ، وتخوين ، أجد أن الأمانة التاريخية تقتضيني ان اسجل للرئيس الراحل جمال عبدالناصر ، موقفا لا يقفه عادةً إلَّا عظماء النفوس ، واللمَّاحون ، والموهوبون الذين انكشفت بصيرتهم ، وشفّت رؤيتهم ، فارتفعوا بقيادتهم وتصرفاتهم إلى أعلى مراتب الإنسانية والسموّ الروحى .

فلقد وقف الرئيس عبدالناصر إلى جانبي ، يوم كانت الدنيا تُرعد وتُمطر على قصيدتى (هوامش على دفتر النكسة) ، **وكسر الحصار الرسمي الذى كان يحاول أن يعزلني عن مصر** ، بتحريض وإيحاء من بعض (الزملاء) الذين كانوا غير سعداء لاتساع قاعدتى الشعبية فى مصر .. فرأوا أن أفضل طريقة لإيقاف مدِّى الشعريّ ، وقطع جسورى مع شعب مصر ، هى استعداء السلطة عليَّ ، حتى أن احدهم طالب وزارة الإعلام بمقال نشره فى إحدى المجلات القاهرية بحرق كتبى ، والامتناع عن إذاعة قصائدى المغنَّاة من إذاعات القاهرة ، ووضع اسمى على قائمة الممنوعين من دخول مصر ..

وحين شعرتُ أن الحملة خرجت من نطاق النقد والحوار الحضاريّ ، ودخلت نطاق الوشاية الرسمية ، قرّرت أن أتوجه مباشرةً إلى الرئيس جمال عبدالناصر ، وبالفعل بعثت إليه بالرسالة التالية :

سيادة الرئيس جمال عبدالناصر

فى هذه الأيام التى أصبحت فيها أعصابنا رماداً ، وطوقتنا الأحزان من كل مكان ، يكتب إليك شاعر عربى يتعرض اليوم من قبل السلطات الرسمية فى الجمهورية العربية المتحدة لنوع من الظلم لا مثيل له فى تاريخ الظلم .

وتفصيل القصة ، أننى نشرت فى أعقاب نكسة الخامس من حزيران قصيدة عنوانها (هوامش على دفتر النكسة) أودعتها خلاصة ألمي وتمزقى ، وكشفت فيها عن مناطق الوجع فى جسد أمتى العربية ، لاقتناعى أن ما انتهينا إليه لا يعالج بالتوارى والهروب ، وانما بالمواجهة الكاملة لعيوبنا وسيئاتنا .

وإذا كانت صرختى حادة وجارحة ، وانا أعترف سلفا بأنها كذلك ، فلأن الصرخة تكون بحجم الطعنة ، ولأن النزيف يكون بمساحة الجرح .

من منا يا سيادة الرئيس لم يصرخ بعد ٥ من حزيران ؟

من منا لم يخدش السماء بأظافره ؟

من منا لم يكره نفسه وثيابه وظله على الأرض ؟

إن قصيدتى كانت محاولة لإعادة تقييم انفسنا كما نحن ، بعيدا عن التبجح والمغالاة والانفعال ، وبالتالى كانت محاولة لبناء فكر عربى جديد يختلف بملامحه وتكوينه عن فكر ما قبل ٥ حزيران .

إننى لم اقل اكثر مما قاله غيرى ، ولم أغضب اكثر مما غضب غيرى ، وكل ما فعلته أننى صغت بأسلوب شعرى ما صاغه غيرى بأسلوب سياسى او صحفى .

وإذا سمحت لى يا سيادة الرئيس أن أكون أكثر وضوحا وصراحة ، قلت إنى لم أتجاوز فى قصيدتى نطاق أفكارك فى النقد الذاتى ، يوم وقفت بعد النكسة تكشف بشرف وأمانة حساب المعركة ، وتعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

إننى لم أخترع شيئا من عندى ، فأخطاء العرب النفسية والسياسية والسلوكية ، مكشوفة كالكتاب المفتوح .

وماذا تكون قيمة الأديب يوم يجبن عن مواجهة الحياة بوجهها الأبيض ووجهها الأسود معا ؟ ومن يكون الشاعر يوم يتحول إلى مهرج يمسح أذيال المجتمع وينافق له ؟

لذلك اوجعنى يا سيادة الرئيس ان تُمنع قصيدتى من دخول مصر ، وأن يفرض حصار رسمى على اسمى وشعرى فى إذاعة الجمهورية العربية المتحدة وصحافتها .

والقضية ليست قضية مصادرة قصيدة أو مصادرة شاعر لكن القضية أعمق وأبعد .

القضية هى أن نحدد موقفنا من الفكر العربى ، كيف نريده حراً أم نصف حر ؟ شجاعاً أم جبانا ؟ نبيا أم مهرجا ؟

القضية هى أن يسقط أى شاعر تحت حوافر الفكر الغوغائى لأنه تفوه بالحقيقة .

والقضية أخيرا ، هى أن نعرف ما إذا كان تاريخ ٥ حزيران سيكون تاريخا نولد فيه من جديد ، بجلود جديدة ، وأفكار جديدة ، ومنطق جديد .

قصيدتى أمامك يا سيادة الرئيس ، ارجو أن تقرأها بكل ما عرفناه عنك من سعة أفق ، وبُعْد رؤية ، ولسوف تقتنع ، برغم ملوحة الكلمات ومرارتها ، بأننى كنت انقل عن الواقع بأمانة وصدق ، وأرسم ورة طبق الأصل ، لوجوهنا الشاحبة والمرهقة .

لم يكن بإمكانى ، وبلادى تحترق ، الوقوف على الحياد ، فحياد الأدب موت له .

لم يكن بوسعى أن اقف امام جسد أمتى المريض ، أعالجه بالأدعية والحجابات والضراعات .

فالذى يحب أمته ، يا سيادة الرئيس ، يطهر جراحها بالكحول ، ويكوى - إذا لزم الأمر - المناطق المصابة بالنار .

سيادة الرئيس ، إننى أشكو لك الموقف العدائى الذى تقفه منى السلطات الرسمية فى مصر ، متأثرة بأقوال بعض مرتزقة الكلمة والمتاجرين بها ، وأنا لا اطلب شيئا أكثر من سماع صوتى ، فمن ابسط قواعد العدالة أن يسمح للكاتب أن يفسر ما كتبه ، وللمصلوب أن يسأل عن سبب صلبه - لا أطالب يا سيادة

الرئيس ، إلا بحرية الحوار ، فأنا أُشتَم فى مصر ولا أحد يعرف لماذا اشتم ، وانا أُطعن بوطنيتى وكرامتى لأننى كتبت قصيدة ، ولا احد قرا حرفا من هذه القصيدة .

لقد دخلت قصيدتى كل مدينة عربية وأثارت جدلا كبيرا بين المثقفين العرب إيجابا وسلبا ، فلماذا أحرم من هذا الحق فى مصر وحدها ؟ **ومتى كانت مصر تغلق ابوابها فى وجه الكلمة** وتضيق بها .

يا سيدى الرئيس ..

لا أريد أن أصدق أن مثلك يعاقب النازف على نزيفه ، والمجروح على جراحه ، ويسمح باضطهاد شاعر عربى أراد أن يكون شرفا وشجاعا فى مواجهة نفسه وامته ، فدفع ثمن صدقه وشجاعته .

يا سيدى الرئيس ..

لا اصدق ان يحدث هذا فى عصرك .

بيروت فى ٣٠ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٦٧

نزار قبانى

ولم يطل صمت عبدالناصر ، ولم تمنعه مشاكله الكبيرة ، وهمومه التى تجاوزت هموم البشر ، من الاهتمام برسالتى ، فقد روى لى أحد المقربين منه ، أنه وضع خطوطا تحت أكثر مقاطع الرسالة وكتب بخط يده التعليمات الحاسمة التالية :

١ ـ لم أقرأ قصيدة نزار قبانى إلا فى النسخة التى أرسلها إلىَّ ، وانا لا أجد أى وجه من وجوه الاعتراض عليها .

ـ تلغى كل التدابير التى قد تكون اتخذت خطأ بحق الشاعر ومؤلفاته ، ويطلب إلى وزارة الإعلام السماح بتداول القصيدة .

٣ ـ يدخل الشاعر نزار قبانى إلى الجمهورية العربية المتحدة متى أراد ، ويكرَّم فيها كما كان فى السابق .

التوقيع : جمال عبدالناصر

بعد كلمات جمال عبدالناصر ، تغير الطقس ، وتغير اتجاه الرياح .. وتفرق المشاغبون وانكسرت طبولهم ، ودخلت (الهوامش) إلى مصر بحماية عبدالناصر ، ورجعت أنا إلى القاهرة مرة بعد مرة .. لأجد شمس مصر أشد بريقا ، ونيلها أكثر اتساعا ، ونجومها أكثر عددا .

إننى أروى هذه الحادثة التى لا يعرفها إلا القلة من أصدقائى ، لأنها تتجاوز دائرة الأسرار الخصوصية ، لتأخذ شكل القضية العامة

فقضيتى مع الرئيس عبدالناصر ليست قضية شخصية ، أى علاقة بين قصيدة ممنوعة ورقيب يمنعها ، إنها تتخطى هذا المفهوم الضيق ، لتناقش من الأساس طبيعة العلاقة بين من يكتب ومن يحكم . بين الفكر وبين السلطة .

فالعلاقة بين الكتابة وبين الحكم علاقة غير سعيدة ، لأنها علاقة قائمة فى الأصل على سوء الفهم وانعدام الثقة .

لا الكاتب يستطيع أن يتخلى عن غريزة الكلام ، ولا الحاكم يقبل أن يسمع صوتا غير صوته ، وإذا قبل أن يستمع فلا يطربه إلا صوت الكورس الرسمى .

ومنذ القديم كان الكلام يقف فى جهة ، والمقصلة تقف فى الجهة المقابلة . ومع هذا لم يتوقف الكلام ، ولم تتعب المقصلة .

وفيما يتعلق بالحاكم العربى ، فقد تعود ـ وراثيا ـ أن ينام على سرير من قصائد المديح والإطراء ، وأن تُحمل إليه أشعار الشعراء على صوانى الفضة .

إنه مقتنع ـ بحكم العادة ـ أنه شمس .. وأنه كوكب .. وأنه ممطر كالسحاب ، وكريم كالبحر ، (فليتق الله سائلُهُ)

والحاكم العربى الحديث ، هو ابن آبائه ، يحمل ملامحهم النفسية ، ونقاط ضعفهم ، وقناعاتهم بالتفرد والعصمة . ولا يتصور ان فى قاموس الحكم كلمة (لا) ، لان اذنه ادمنت كلمة (نعم) ورنينها السحرى .

لقد كسر الرئيس عبدالناصر بموقفه الكبير جدار الخوف القائم بين الفن وبين السلطة ، بين الإبداع وبين الثورة ، واستطاع أن يكتشف ـ بما أوتى من حَدْس وشمول فى الرؤية ـ أن الفن والثورة توأم سيامى ملتصق ، وحصانان يجران عربةً واحدة .. وأن كل محاولة لفصلهما سيحطم العربة ، ويقتل الحصانين .

هوامش .. على دفتر النكسة

لن اتكلم هنا عن حزيران العسكري ، او الحربي ، فهذا شان من شئون المؤرخين وجامعي الوثائق .

حزيران الذى ساتكلم عنه هو حزيران النفسى الذى تفوق آثاره فى نظرى حزيران العسكري ..

كل الأشياء المكسورة فى الحرب تعوض . الطائرات ، والدبابات ، والرادارات ، وناقلات الجنود .. قابلة للتعويض .

وحدها النفس المكسورة .. لايمكن جبرها او تلصيقُها . وحده القلب لايمكن ترقيعه .

إن حزيران كان ثمرة شديدة المرارة . بعضنا اعتاد تدريجياً على مذاقها .. وبعضنا تقيأها فوراً .

انا كنت من الفئة الأخيرة التى اضربت عن الطعام .. ورفضت الاعتراف بالجنين المشوم الذى طرحه رَحِمُ حزيران .

قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) كانت المانيفستو الذى ضمنته احتجاجي ومعارضي .

كيف جاءت القصيدة ، ومن اين جاءت ؟

لم أعد اتذكر الآن تفاصيل الولادة العسيرة . كل من اذكره ان اوراقي ، وشراشف سريرى ، كانت غارقة فى الدم .. وان زجاجات المصل التى كانت مثبتة فوق ذراعي لم تكن تكفي لتعويض الدم المهدور .

كتبت (الهوامش) فى مناخ المرض والهذيان . وفقدان الرقابة على اصابعي . لذلك جاءت بشكل شحنات متقطعة ، وصدمات كهربائية متلاحقة ، تشبه صدمات التيار العالي التوتر . كما انها من حيث الشكل لم تكن تشبه أياً من قصائدى الماضية . كانت مثل مبعثرة ومتناثرة كبقايا طائر الفينيق .

إننى لاأذكر انني كتبت فى كل حياتي الشعرية قصيدة بمثل هذه الحالة العصبية والتهيج .

التهيج هو ضد الشعر ، انا اعرف ذلك . ولكننى اعترف لكم ان هذا قد حدث ، وانني للمرة الأولى إخالف تقاليدى الكتابية الصارمة ، واتعامل مع الانفعال تعاملاً مباشراً .

هل كان عليَّ ياترى ـ انسجاماً مع منطقى الفنّى ـ ان انتظر انحسار مياه الطوفان حتى اكتب عن الطوفان ؟ وبالتالى هل كان على الأدب العربى ، شعراً ، ورواية ، ومسرحية ، ان يضع اعصابه فى ثلاجة ، حتي ترحل العاصفة ، وتنحسر الغيوم الرمادية ، وينبت للشجر المحترق أوراق جديدة ..

إن كثيرين من الكتاب العرب كانوا يدافعون عن منطق الاعتذار ، والتريث ، بإعتبار ان الفن الحقيقي لايكتب على ضوء الحرائق ، وتحت تاثير ارتفاع درجات الحرارة المبالغة ، إنهم يعتقدون انه لابد من الابتعاد عن وجه حزيران الملطخ بالدم والوحل . حتى نستطيع ان نراه .

هذا المنطق هو منطق صحيح من الوجهة النظرية ، لو أن اعصاب الفنان مصنوعة من القطن .. ولو أن الجرح المفتوح فى لحم كبريائنا يقتنع بالانتظار .

غير أن حزيران كان شهراً بلا منطق . لذلك فإن الكتابة عنه ، هى الأخرى يجب أن تكون بلا منطق .

وهذا ماحدث فى فرنسا يوم سقطت باريس خلال الحرب العالمية الثانية امام آلة الحرب النازية . فى هذه الحرب السوداء من تاريخ فرنسا ، ولُد ادب المقاومة فى اقبية البيوت الباريسية القديمة ودهاليز المترو ، واستطاعت قصائد إيلوار واراغون وكتابات سارتر وكامو أن تخرج من بين اكياس الرمل والأسلاك الشائكة كزهور نبتت فى غير اوانها .

إذن فالغضب ليس مرتبطاً ارتباطاً قدرياً بنظريات الفن ، كما يرتبط النبات بنوع التربة ، والمناخ والفصول . إن الغضب نبات متوحش من فصيلة الكاكتوس التي تنبت فى اقسى ظروف الملوحة والعطش .

نُشرت القصيدة اول مانشرت فى مجلة (الآداب) اللبنانية . ولم اكن متاكداً حين دفعت القصيدة إلى الصديق سهيل إدريس انه سينشرها . فخط سهيل إدريس القومي خط متفائل ، واحلامه العربية مشربة دائماً باللون الوردي ، لكن حين جاء سهيل إدريس إلى مكتبى ذات صباح ، وقرأت له القصيدة صرخ كطائر ينزف :

انشرهُا .. انشرهُا ..

قلت لسهيل : إن القصيدة من نوع العبوات الناسفة التى قد تحرق مجلته ، او تعرضها للإغلاق او المصادرة .. واننى لااريد ان اورطه وأكون سبباً فى تدمير المجلة ..

نظر إلى سهيل بعينين حزينتين تجمعت فيهما كل امطار الدنيا ، وكل اشجار الخريف المتكسرة ،وقال بنبرة يمتزج فيها الألم الكبير بالصدق الكبير :

«إذا كان حزيران قد دمَّر كل احلامنا الجميلة .. واحرق الاخضر واليابس ، فلماذا تبقى (الآداب) خارج منطقة الدمار والحرائق ؟ هات القصيدة ..

واعطيته القصيدة .. وصدقت توقعاتي وتوقعاته .. إذا صودرت المجلة ، واحرقت اعدادها في اكثر من مدينة عربية .. وجلسنا في بيروت .. سهيل وانا ، نتفرج على السنة النار ، ونرثي لهذا الوطن الذى لم تعلمه الهزيمة ان يفتح ابوابه للشمس وللحقيقة .

لكن (هوامش على دفتر النكسة) لم تستسلم للقمع والمطاردة .. بل اخذت تتناسل كما تتناسل الارانب بشكل خرافي ..

كل نسخة كانت تلد عشر نسخ .. وازدهرت عمليات النسخ والطبع على آلات الرونيو .. ولم يعد للموظفين في مكاتبهم الرسمية وللطلاب في جامعاتهم ، وللجنود في وحداتهم ، من عمل سوى طبع القصيدة بشكل مناشير ، وتوزيعها على الباحثين عن الحقيقة ، والمعذبين في الارض .

وابتدأت ردود الفعل تأتي من كل مكان في الوطن العربي قبلات من هنا .. وشتائم من هناك .. أزهار من هذا .. واشواك من ذاك .. غزلٌ من صوب .. وطلقات رصاص من صوب آخر .. تقديس من فئة .. وتكفيرٌ من فئة أخرى ..

واستمرت القصيدة ـ الازمة تتفاعل في الوجدان العربي إيجاباً وسلباً ، واستمرت رسائل القراء وتعليقاتهم تتدفق على الصحف والمجلات قرابة ستة اشهر ، حتى اضطر اصحاب هذه الصحف والمجلات إلى إغلاق باب المناقشة باعتبارها خرجت عن نطاق المعقول .

ويكاد يكون من المستحيل ان استعيد الآن جميع ماقيل عن (هوامش على دفتر النكسة) ، فهو معروف لدى كل من تابع وقائع المعركة في حينها .

إلا انه يمكن تلخيص عناصرها الرئيسية بالنقاط التالية:

١ ـ انا شاعر وهبتُ روحي للشيطان وللمرأة . وللغزل الفاحش . فلايحق لي ، بالتالي ان أكتب شعر الوطنية .

٢ ـ انا المسئول الأول عن هزيمة حزيران ، بما كتبته ونشرته خلال عشرين عاماً ، من شعر عاطفي ساعد على انحلال اخلاق الجيل الجديد .

٣ ـ أنا في (هوامش على دفتر النكسة) سادي .. اعذب امتي ، وارقص فوق جراحها .

٤ ـ انا اثبط الهمم ، واقتل الامل . وبالتالي فانا عميل اخدم بكلامي مصلحة العدو .. ولذا يجب شطب اسمي من قائمة العرب .

٥ ـ انا لست وطنياً ولكنني أركب موجة الوطنية وولادتي بعد حزيران ـ كشاعر ثوري ـ ولادة غير طبيعية .

كل هذه النعوت والأوصاف والإدانات لم ترمني على الارض ، بل على العكس كنت اشعر ان قامتي تزداد طولاً ، وانني استطعت بقصيدتي ان احرك الجهاز العصبي للأمة العربية وأخرج العقل العربي من غرفة التخدير .

كنت اتفرج على الحجارة المتساقطة على شبابيكي ، بهدوء عجيب ، واستمع إلى لعنات اللاعنين ، وصراخ الصارخين .. بابتسامة عريضة بل كنت احاول ان اجد العذر لهم ، مستلهماً كلمات السيد المسيح :

«رب اغفر لهم فإنهم لايعلمون» .

والواقع ان لأحد من المخدوعين كان يعلم انه لايعلم . فالجاهلية كانت مستمرة في فكرهم وفي سلوكهم ، وقصائد عمرو بن كلثوم النحاسية ، و(ديوان الحماسة) كانت نائمة نوماً عميقاً في عقلهم الباطن .

كان يصعب عليهم تاريخياً ووراثياً ـ ان يقتنعوا ان (ديوان الحماسة) لم يعد ذا موضوع بعد ان دخلت حربة اسرائيل في نخاعنا الشوكي .

لم يكن في نيتي عندما كتبتُ (الهوامش) ان أمارس تعذيب النفس ، او تعذيب الآخرين ، ولان اسرق اضواء الكاميرا .. واكسر مزراب العين حتى أشتهر ، ففي ساعات الحزن الكبير تتكسر كل الكاميرات .. ويصبح المجدُ باطل الاباطيل .

ثم .. ماهو هذا المجد الذي ياكل من جثة التاريخ .. ويترعرع في ظل الموت والخرائب ؟

كل مافعلته هو انني استقلت من وظيفة مغن في الكورس الجماعي ، ورفضت نصوص الاناشيد التي كانت تجترها الجوقة بشكل غريزي .

استقالتي لن تقبلها القبيلة . إذ ليس من عادات القبائل ان تسمح لاولادها بالخروج على طاعتها ومناقشة آرائها بشكل علني .

ليس من عادة القبيلة ـ اية قبيلة ـ ان تقبل بمبدأ (النقد الذاتي) . فالصحراء شديدة الغرور . وشمسها سيف نحاسي لايقتنع باى جدل او حوار .

النقد الذاتي شيء مخالف للطبيعة العربية . وقناعة العربي بتفوقه ، وتميزه وسوبر مانيته ، قناعةٌ لاتُقهر .

فهو من طينة وبقية البشر من طينة . وهو من معدن الماس وسائر الكائنات من فحم .. هو التاريخ والآخرون هوامش غير مرئية على جانبيه .

وهكذا كانت هزيمة حزيران بالنسبة للعربي اشبه بمسرح اللامعقول . قرأ عنها في الصحف . ونشرات وكالات الأنباء . ورأى مشاهدها على شاشات التليفزيون ولكنه لم يصدقها ..

ولذلك لم يصدق اكثر العرب قصيدتي لدى نشرها للمرة الأولى . صدمتهم صيغتُها ، ولغتُها ، وأفكارُها ونبرتُها القاسية ..

كانوا قد أدمنوا (ديوان الحماسة) واستلقوا على وسائده المريحة . وكانوا واثقين من انهم وحدهم يشربون الماء صرفاً (ويشربُ غيرهم كدراً وطينا) .

وهنا حدث الانكسار الكبير بين ذاكرتهم وواقعهم بين الحلم وبين التطبيق .

ولم تكن الشظايا التي انغرزت في لحمي بعد نشر (الهوامش) سوى نتيجة طبيعية لتحطيم الزجاج الملون في نفس الإنسان العربي ، وسقوط مفهوم الوطنية بمعناه الديماغوجي والعشائري . هذه الوطنية التى كانت لاترى ولاتسمع ولاتحفظ سوى بيت واحد من الشعر يمثل التعصب القبلي في أعلى درجاته .

وماأنا إلا من غُزَيَّة .. إن غوتْ
غويتُ وإن ترشُدْ غزيةُ أرشُد ..

إنني بكل تاكيد انتمي لغُزَيَّة .. بالولادة ، واللغة ، والميراث .. ولكن انتمائي إليها لايعني بصورة من الصور إلغاء عقلي وبصيرتي ، وسكوتي على حماقات غزَيَّة ، وحماقات من يحكمونها .. ربما كان خطاي الكبير انني لاأملك غريزة القطيع ، وتفكير القطيع ، وانصياع القطيع ، وهذه هي مشكلة الفنان في كل العصور ، فهو بطبيعة تكوينه ، وبطبيعة عملية الإبداع نفسها ، مضطر إلى تغيير العلاقات التاريخية والعضوية بين الأشياء التى لاتريد ان تتغير . إنه الصدام القديم الأزلي بين المطرقة وبين الحجر ، بين المسمار وبين الخشبة ، بين الخنجر وبين الجرح .

لاقيمة لفن لايحدث ارتجاجاً في قشرة الكرة الأرضية .. ولاقيمة لقصيدة لاتشعل الحرائق في الوجدان العام ..

وفي المرحلة التاريخية التى نعيشها ، لاقيمة لشعر يحترف التبخير والخوف والتستر والتقية ..

يكون الشعر كشفاً وإضاءة وتعرية للزيف والزائفين أو لايكون . وكل قصيدة عربية معاصرة تجامل وتنافق وتتستر على رداءة التمثيلية وتفاهة الممثلين ، تتحول إلى ممسحة على اقدام سيف الدولة ..

لم يبق بعد حزيران للشاعر سوى حصان واحد يمتطيه هو الغضب ..

ولكن اين يبدأ حدود هذا الغضب واين ينتهي ؟

صعب عليَّ كثيراً ان أرسم حدود غضبي . فطالما ان هناك سنتمتراً واحداً من أرضي تحتله اسرائيل ، وتُذله ، وتقيم عليه مستعمراتها ، فإن غضبي بحر لاساحل له .

وربما يسالني سائل : لماذا ارفض ؟ وانا اسال بدوري : لماذا اقبل ؟ وماذا اقبل ؟

هل أرفع قبعتي لهذه الدويلات العربيات المتناحرة كالديكة ، الغارقة حتى الرقبة في أنانياتها ، وفرديتها ، ونرجسيتها ، وعبادة ذاتها ؟

هل من المفترض أن ابتهج للبيارق ، والمخافر ، واكياس الرمل التى تصطدم بها وأنت تعبر الحدود بين قطر عربي وقطر آخر ؟

لغيري أن يستعمل المنظار الوردي ، ولغيري أن يعمر القصور في إسبانيا ، اما انا فسوف ابقى ساحباً سيفي في وجه الخرافة حتى أقتلها .. او تقتلني ..

انا لااستطيع أن اتحدث على طريقة عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الفطام لنا صبي
تخر له الجبابرُ ساجدينا

إن الاطفال في عصر عمرو بن كلثوم كانوا بخير ، وكان لهم وطن وقبيلة . أما اطفال القدس ، وحيفا ، ويافا ، ونابلس ، والناصرة ، فلا زالوا يبحثون عن وطن .. ويبحثون عن قبيلة .

ووظيفة الشعر ان يصرخ في وجه هذه القبائل التى تذبح بعضها ، وتشرب دم بعضها .. علّها تعرف ان احفاد عمرو بن كلثوم أصبحوا يحفظون الشعر العربي في مدارس الأرض المحتلة .

وظيفة الشعر ان يقتل الوحش الذى استوطن كلَّ مدينة عربية منذ القرن العاشر ولازال ياكل اطفالها ، ويسبى نساءها ، ويملأ بالرعب لياليها .

وما (هوامش على دفتر النكسة) سوى محاولة لاصطياد الوحش الكبير، وقص انيابه، قبل أن يفترس كل شيء.
الناس يعرفونني عاشقاً كبيراً .. ولايريدون ان يعرفوني غاضباً كبيراً. يعرفون وجه العملة الأمامي، ولايهتمون بوجهها الخلفي.
يقبلون نزار قباني قبل ٥ حزيران .. ويرفضون نزار قباني بعد ٥ حزيران ..
يطبقون عليَّ معلوماتهم الجغرافية، ويعتبرون شعري العاطفي قارة .. وشعري الثوري قارة .. وبينهما بحرُ الخامس من حزيران ..
يضعونني في زجاجة الحب .. ويختمونها بالشمع الأحمر.
هذا تحديد ساذج للحب .. وتحديد ساذج لي .. فالذي يُحب امراة يحب وطناً .. والذي يُحبُ وجهاً جميلاً يحب العالم.
ولكن بلادي لاترى الحبَّ من ثقب إبرة. لا تراه إلا من خلال جغرافية جسد المرأة.
إن كتابتي عن المرأة لاتعني بشكل من الاشكال انني وقعتُ معاهدة ابدية مع جسدها. فالحب عندي عناق للكون، وعناق للإنسان. والوطن قد يصبح في مرحلة من المراحل عشيقة اجمل من كل العشيقات، واغلى من كل العشيقات.
لذلك رفضت ولا أزال ارفض هذا الاسلوب الجراحي في تقسيم الشاعر. كما ارفض اعتباري مادة كيماوية محدودة اللون والطعم والرائحة.
ارفض أنْ اكون مثلثاً .. او مربعاً .. او دائرة .. فالشاعر ليس شكلاً هندسياً لايستطيع تجاوز نفسه، ولاتمثالاً من البرونز في حديقة عامة لايستطيع ان يترك قاعدته.
إن مثل هذه النظرية التجزيئية إلى الشاعر لاتوجد إلا لدينا. فنحن مولعون ولعاً مفرطاً في وضع شعرائنا في زجاجات - كما يفعل الصيادلة - وإلصاق اوراق عليها تبين محتوياتها.
الشاعر حالة وليس شجرة ولاوتد خيمة.
والحالة تنتقل في كل ثانية إلى حالة اخرى. والشاعر كموج البحر في انقلاب مستمر على نفسه.
ولذا فإن تحولي بعد الخامس من حزيران ليس معجزة ولانصف معجزة .. إنه رد فعل إنساني. عمل تدافع به الحياة عن نفسها.
ولكن هل (الهوامش) هي وثيقة التكفير عن ذنوبي القديمة؟ هل هي صوت التوبة؟
إنني بصراحة لااشعر بالحاجة للتكفير عن جريمة وهمية لم ارتكبها ..
وإذا كان المقصود من التوبة هو انكار شعر الحب الذي كتبته قبل ٥ حزيران ١٩٦٧، فإنني اعتذر عن تقديم اية تنازلات في هذا الموضوع.
إنني على غير استعداد لشطب تاريخي الشعري قبل ٥ حزيران بضربة قلم، ولاانا على استعداد لإضرام النار في كتبي ودفاتري واثاث بيتي .. والاعتذار عن كلام خزنتُ فيه عواطف جيل كامل من ابناء وبنات بلادي.
لستُ انا الذي اخترع الحب حتى اعدم بسببه، ولست انا الذي ادار النهد حتى اصلب على رخامه، ولست انا الذي ضفر ضفائر النساء حتى اشنق بها ..
كل هذه الأشياء كانت موجودة قبل ولادتي، فإذا كتبتُ عنها فلأنها حقيقة كاهرامات مصر واعمدة بعلبك.
ماكتبته قبل ٥ حزيران لم يكن مكتوباً لسكّان المريخ، وساكناته، فانا لااكتب لسكان الكواكب الأخرى وإنما اكتب للإنسان الذي يعاصرني، وله عواطف تشبه عواطفي وجسد يشبه جسدي، ودموع تشبه دموعي.
انا لااخترع الإنسان في شعري. إنني اسجل صوته وافكاره على شريط تسجيل.
وانا بعملي هذا، كنتُ شاهد عصري، ولمْ اكن متطفلاً ولاشاهد زور.
إنني لاابرز هنا وثيقة دفاع عن النفس، فانا لا اشعر بضرورة كتابة دفاع عن جناية لم تحدث اصلاً .. كما لااجد نفسي مضطراً لتقديم حساب إلى اية سلطة كانت. سماوية كانت .. أم ارضية ..
كل ماأريد ان اوضحه، ان النقطتين التاريخيتين التي يفصل بينهما الخامس من حزيران، هما في تصوري نقطتان افتراضيتان ..
فبالنسبة لشعري لايوجد قبل ولايوجد بعد .. لايوجد أمام ولايوجد وراء .. وإنما يوجد الشعرُ نفسُه. الشعر المنفعل بالعصر وبالأرض وبالإنسان.
إنني لااسمح بتحويلي إلى (سوبر ماركت) تُعرض البضائع فيه حسب حاجات المستهلكين، ورغبات ربات البيوت.
على من يريد أن يقرأني ان يدخل إلى عالمي الشعري دخولاً كاملاً وشمولياً. اما الذي يكتفي بدخول غرفة واحدة من غرف البيت الكبير، وينسى بقية الغرف، فلا أريد ان يزورني مرة اخرى .. فانا لستُ بحاجة



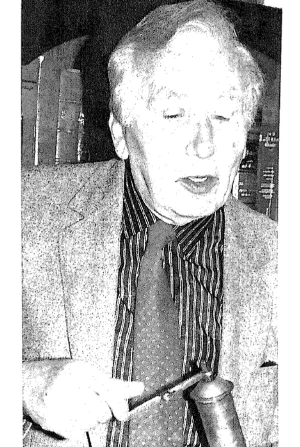
إلى قراء يحملون كاميرات السُياح .. ولايستعملونها ..
إنني اكتب عن المرأة، وعن القضية العربية بحبر واحد .. واقاتل من اجل تحرير المرأة من رسوبات العصر الجاهلي، كما يقاتل من اجل تحرير الأرض من حوافر الخيول الإسرائيلية ..
اصابعي هي هي .. وصوتي هو هو .. وانا موجود في عيون الجميلات، كما انا موجود في فوهات البنادق ..
والذين اذهلهم صوتي الحزيراني وفاجأهم، هم الذين ينظرون إلى الاعمال الادبية بمنطق العطارين، دون أن يعرفوا أن الشاعر بمجرد أن يحمل صفة الشاعر. يصبح كالبحر والسماوات، غير قابل للتجزئة.

الشعراء العرب يجتمعون في ميدان التحرير

جمهورية الحب العربية المتحدة

المقدمة التي افتتح بها الشاعر امسيته الشعرية في معرض القاهرة الدولي للكتاب الدولي بتاريخ ١٩٨٧/١/٢٩.

يدخل الشعراءُ العربُ إلى مصر، ليعلنوا قيام جمهورية الحب العربية في وجه جمهوريات الحقد، والقبح، والبغضاء.
يدخلونها، من بوابة الشعر، ليؤسسوا وطن القصائد، بعدما فشل السياسيون العرب في تاسيس وطن بحجم البعوضة .. او بحجم قرص الأسبرين ..
يدخلونها من بابها العربي المرصع باسماء الله الحسنى، ليؤكدوا استحالة التاريخ العربي بغير مصر، واستحالة مصر بغير تاريخها العربي، كما يستحيل الغناءُ بغير المغني، والكتابةُ بغير الكاتب، والوردةُ بغير عطرها، والقبلةُ بغير الشفتين ..
يدخلونها مجموعة من العصافير النادرة، ليناموا تحت شجر عينيها الأخضر .. وليصلوا صلاة الفجر تحت مآذن الأزهر، حيث صوت الشيخ محمد رفعت، لايزال يتسلق على الاعمدة الرخامية كنبات سماوي.
يدخلونها من وجهها القبلي أو من وجهها البحري، لافرق، فكل الدروب في مصر، توصلك إلى سمفونية الماء .. يمزقون الخريطة التي رسمها ملوك الطوائف، ويكتشفون ان الشعب العربي هو امتداد موسيقي ولغوي واحد من حنجرة ابي الطيب المتنبي، إلى حنجرة بدر شاكر السياب، إلى حنجرة بيرم التونسي وصلاح جاهين.
يتجمع الشعراء العرب في ساحة التحرير، نقطة فوق نقطة، وحرفاً فوق حرف، وفاصلة فوق فاصلة، ليعلنوا قيام جمهورية الشعر العربية المتحدة، في وجه الجمهوريات الشعوبية غير المتحدة.
يتجمعون غابة من البروق، واقواس قزح، ليعلنوا انتصار القصيدة



على الزمن العربى المالح ، وسقوط خيام المشعوذين والمهرجين ، والمصابين بمرض (إيدز) الثقافي والقومي ، والأميين بالوراثة ، والبوليسيين بالوراثة ، والمحترفين قتل شعوبهم بالوراثة .

يتراكض الشعراء في ازقة حي سيدنا الحسين ، أولاداً يبحثون عن طفولتهم ، وعن احلامهم القديمة ، والعابهم القديمة ، وفوانيسهم القديمة ، بعدما تسكعوا طويلاً على ارصفة مدن الملح .. التي تسلخ جلد الاطفال ، وتغتال احلامهم .

يقفون مبهورين امام القمر المصرى ، فيحسبه بعضُهم فطيرة عسل . ويحسبه بعضهم فطيرة حرية .. والرواية الثانية هي الاصدق . والله اعلم .

تناديتا السيدة زينب : ياأولادى .. فتتساقط دموعنا وقصائدنا على غطاء رأسها الأبيض ، ازهار ياسمين ..

نطالبها بحقنا في امومتها ، وبتعويضنا عن آلاف الاكواب من الحليب السكري الذى فطمونا عنه منذ السبعينات ، فتناهشتنا الأمراض ، بدءاً من نقص الكالسيوم ، إلى نقص المناعة ، إلى شلل الاطفال ، إلى شلل الشعور القومي .

نتكيء على صوت سيد درويش ، المكتظ بنار التحولات ، ونار النبوءات ، وبذور الثورات الآتية ، لنعلن استمرار النشيد ، وحتمية انتصار الاغنية البيضاء ، رغم هذا الكورس السياسي الرديء ، الذي يحتل المسرح بقوة السلام ، ويفرض على الشعب العربي سماع بلاغاته الديماجوجية بقوة السلاح .

وبعدُ .. وبعدُ .. فهذه هي مصرُ مرةً اخرى .

ندخلها بغير تصريح ، ولاإذن ولافرمان اميري . لان الدخول إلى القلب ، لايحتاج إلى تذاكر دخول ، ولان العودة إلى رحم الام لاتخضع لإجراءات الامن والجمارك .

إن نهر النيل لم يكن في يوم من الايام ضابط بوليس ، يتولى مصادرة الافكار والكلمات ، والكُتب .

كما ان ابا الهول لم يشتغل على امتداد تاريخه رقيباً على المطبوعات .

وإني لأشهد ان القمع لم يكن ابداً تراثاً او فولكلوراً مصرياً .

ولذا فإن كل نخلة صادفناها في صعيد مصر ، كانت تقول لنا : (ادخلوها بسلام آمنين) .

على صدر أحمد شوقي نضع رؤوسنا المتعبة

القاهرة

★ ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٧
الكلمة التي القاها الشاعر في منزل امير الشعراء احمد شوقي (كرمة ابن هانيء) بمناسبة تحويله إلى متحف .

نحن مدعوون هذه الليلة إلى بيت شاعر عظيم .

مدعوون للخروج من دائرة الحجر والأسمنت التى تحاصرنا ، والدخول في مملكة الحلم .

مدعوون للتعرف على أنفسنا ، والإلتقاء بإنسانيتنا ..

فالإنسان يحتاج من حين إلى حين إلى أن يتذكر أنه إنسان .

نحن مدعوون هذه الليلة إلى بيت أحمد شوقي
الشاعر ليس هنا ..
إنه مسافر منذ خمسة وأربعين عاما ..
مسافر في أيامنا ..
مسافر في ضمائرنا ..
مسافر في لغتنا ..
مسافر في فرحنا وبكائنا ..
مسافر في حريتنا ..
مسافر في كتاب حبنا .. وعيون حبيباتنا ..

نحن في منزل الوحى ..
ولكن من كان يوحى إليه ليس هنا ..
إن مواعيده في السماء انسته مواعيده على الأرض .

غير أنه قبل سفره ، أعطى مفاتيح بيته إلى وزارة الثقافة المصرية ، وكلفها أن ترعى ضيوفه ، وتكون سيدة البيت في غياب سيد البيت .

تنفتح أمامنا بوابات القصر المسحور ..

وتبتدئ الرحلة في بلاد الدهشة ...

تخرج قصائد أحمد شوقي بالفساتين البيضاء ، والخضراء ، والزرقاء ، والوردية لاستقبالنا ، وهى تحمل أوانى العطر ، ومراوح الريش ، وعقود الياسمين ، وعلى أكمامها كتب بماء الذهب .

« أدخلوها بسلام آمنين .. »

تخرج قصائد أحمد شوقي بعد خمسة وأربعين عاما من مخادعها كما تخرج العصافير الى الحرية ..

نلاحظ أنها لا تزال صبية .. فلا جعدة على الجبين .. ولا ذبول في الشفاه .. ولا ترهل في الجسد .. ولا تراجع في طموح النهدين ..

القصيدة امرأة جميلة لا تكبر .. ولا تشيخ .. وليس لها تاريخ ميلاد معروف ..

إنها تولد كلما قرأناها .. وتتوهج ـ كخاتم سليمان ـ كلما فركناها ..

تستيقظ (كرمة ابن هانيء بعد رقاد طويل ..

تعود الى العناقيد دورتها الدموية .

وتمتلئ الكؤوس بالنار والعقيق ..

تستيقظ ليلى العامرية ، وتستيقظ تحت قفطانها حمامتان ... بريتان ... مذعورتان ..

الم اقل لكم إن الحمام البرى هو المسؤول عن جنون قيس بن الملوح .. وأن قيسا مات بضربة نهد .. ولم يمت بضربة شمس .

تسحب كليوبترا المصرية سيف العشق في وجه روما ، وتتحدى أساطيل قيصر .. ألم أقل لكم إن الحب هو قيصر القياصرة ؟

تستعيد (كرمة ابن هانيء) ذاكرتها الضائعة

يتذكر الفم تاريخه حين كان وردة ..

وتتذكر الوردة أصلها حين كانت فما ..

ويبتدىء مهرجان الضوء والصوت فى العيون الكبيرة التى لا أتذكر اولها .. ولا اتذكر آخرها ..

الليل فى عيون المصريات إيقاع أسود .. مطر أسود .. كتابة سوداء قضيت عمرى كله فى فك رموزها .. ولم أجد الحل الصحيح ، ولا اتمنى ان اجده ...

فى طفولتنا الشعرية الأولى ، كانت (كرمة ابن هانىء) فى خيالنا مدينة خرافية اعمدتها من ذهب .. وقبابها من ذهب .. واشجارها وازهارها ، وسلالمها ، واحواض مائها ، واجساد نسائها من ذهب ..

خمسة واربعين عاما ، ونحن نطوف حول المغارة المسحورة ، نشم رائحة البخور المنبعثة من المقاصير الجوانية ، ونسمع إيقاعات الشعر تأتى من البعيد البعيد ..

ولكن البروتوكول الشعرى فى تلك الايام ، لم يكن يسمح لنا باجتياز باب المغارة ، واختراق الخط الذى يفصل الشاعر عمن يكتب لهم .. ولا يسمح برفع الكلفة بين العابد وبين المعبود ..

كانت (كرمة ابن هانىء) فردوسنا المفقود ..

وكان وجه احمد شوقى بالنسبة إلينا وجها مستحيلا ليست له ملامح محددة .. او خطوط محددة .. أو ألوان محددة ..

لذلك كنا نشكله فى مخيلتنا كما نريد . فمرة كنا نتصوره طاووسا إفريقيا .. او غزالا عربيا ..

ومرة كنا نتصوره زرافة طويلة العنق تأكل العشب من مراعى القمر ..

ومرة كنا نتصوره سمكة قزحية الألوان ، تخرج من البحر كل ليلة لتقرأ لنا قصيدة زرقاء ...

بعد خمسة واربعين عاما .. تغيرت الصورة تماما .. وسقط نظام التشريفات فى الشعر ..

والغيت كل البروتوكولات التى كانت تعتبر الشاعر وثنا .. او ملكا لا نستطيع ان نقابله إلا بربطة العنق السوداء .. والحذاء اللماع . والقبعة العالية ..

اليوم .. تغير الشعر والشاعر والموقف الشعرى وصار بإمكاننا أن ندخل إلى بيت الشاعر ، نتجول فى باحاته وحجراته ، نتلمس أبوابه وجدرانه ، نفتش عن الكنز المخبوء فى دهاليزه ، ونلاحق انفاس الشاعر ، وضربات قلبه فى كل زاوية من زوايا البيت الذى يكاد من شدة عنفوانه أن يطير ...

اليوم ندخل إلى بيت أحمد شوقى بملابسنا العادية .. والدعوة عامة .

الشعر فى أساسه هو من الأملاك العامة التى يستطيع كل إنسان أن يدعى أنها له .. أو أن له حصة فيها ..

الشعر والشاعر معا .. هما أملاك قومية لا يستطيع احد ان يتصرف بها بيعا .. أو شراء .. أو رهنا .. أو مصادرة ..

لا بوابة للشعر ، ولا جدران حجرية له ..

إنه مسرح فى الهواء الطلق ، يدخل إليه الكبار والصغار .. فى كل ساعات الليل والنهار .. مسرح ليس له شباك تذاكر .. وليس فيه بنوارات .. ولا مقصورات ملكية ..

فى هذا المسرح القديم القديم الذى هو الشعر ، يجلس الناس فى حضرة الكلمة متساوين ، متعادلين ، متشابهين .. وسيوفهم .. ودفاتر شيكاتهم .. وفروقهم الطبقية ..

لا طبقة فى الشعر ..

ولا طبقية فى كتابته ..

ولا طبقية فى تذوقه ..

هذا ما بشرت به ، وقاتلت من أجله ثلاثين عاما ..

فلقد كنت احلم بديمقراطية شعرية ، لا يبيع فيها الشاعر جلده لأمير المؤمنين ، ليصنع منه طبلة يقرعها إرضاء لغروره ونرجسيته ..

كنت أريد أن انقذ الشاعر من هواية السلاطين فى تربية الحيوانات الشعرية الأليفة ، ومن ضغط الدنانير على صدره .. وأصابعه .. ووجدانه ..

كنت أحلم بديمقراطية شعرية ، يصبح فيها الشعر قماشا شعبيا يلبسه كل الناس ، وحديقة عامة يتمدد على عشبها الاخضر ملايين المتعبين ..

واخيرا .. كنت أحلم بديمقراطية شعرية لا فرق فيها بين من يملكون ومن لا يملكون ، وبين من يحكمون ولا يحكمون .. وبين من تخرجوا من اكسفورد ، وهارفارد ، وبرنستون .. وبين من تخرجوا من حقول القصب والذرة على ضفاف الترع الحزينة .. واخذوا شهاداتهم من جامعة الدموع ...

(كرمة ابن هانىء) تفتح لنا ذراعيها ..

نضع رؤوسنا المتعبة على صدر احمد شوقى ونبكى ..

نشكو إليه سقوط دولة الشعر امام دولة المقاولين ، والمرابين ، والسماسرة ، وتجار السلاح ..

نشكو إليه هذا الزمن العربى الذى انفصل نهائيا عن الشعر .. وتحول إلى نثر ردىء ..

نشكو إليه قسوة هذه الصحارى العربية التى تحدها العصبيات القبلية من شرقها ، وتحدها جبال الانانية من غربها ،وتحدها الأورام النفطية من جنوبها .. والكلاب البوليسية من شمالها ..

نشكو إليه هذه السماء المعدنية الممتدة من المحيط إلى الخليج .. والتى تمطرنا ملوحة وقرفا وطاعونا وجنونا ..

نشكو إليه كثافة الملح على شفاهنا .. وتراكم البشاعة فى نفوسنا ، وجفاف الينابيع فى داخلنا ..

نشكو إليه موت جميع عصافير الحب العربية .. مقتولة برصاص عربى ..

نشكو إليه حياتنا التى اصبحت رحلة مرعبة بين حبة فاليوم اخذناها .. وحبة فاليوم سوف نأخذها ..

نحن فى منزل الوحى ..

ولكن الوحى الذى كان يطيب له السكنى فى اجفان احمد شوقى ، صار يخاف النزل علينا .. صار يخاف منا ..

صار يفكر ألف مرة قبل أن يلمس بجناحيه الذهبيين ارضنا ..

صار يخاف الدخول إلى منازلنا .. حتى لا نذبحه وهو نائم ..

صار يخشى الهبوط فى مطاراتنا حتى لا يلقى عليه القبض بتهمة تعاطى الشعر بصورة سرية ..

آه يا أرض الكتب المقدسة التى لا قداسة فيها لكتاب ..

ويا أرض النبوءات التى اكلت جميع أنبيائها ... إلى قناديل احمد شوقى نلتجىء ..

إلى حنان عينيه نلتجىء ..

إلى دفء كلماته نلتجىء .. بعد خمسة واربعين عاما قضيناها فى الزمهرير ..

لعل نار الشعر تخرجنا من العصر الجليدى الذى نحن فيه ، وتحولنا من أسماك متجمدة إلى خيول تجرح بحوافرها وجه المستحيل ..

على صدر أحمد شوقى نضع رؤوسنا المتعبة .. ونسترد طفولتنا .. ونقرا صلاتنا .. علنا بالشعر نقترب قليلا من ملكوت الله ...

القاهرة ١٩٧٧/٦/١٥



فى ضيافة عمرو بن العاص

عندما اعلن مذيع الطائرة إننا سنهبط بعد خمس دقائق فى مطار القاهرة .. وثب قلبى فى صدرى كفراشة .

هكذا يحدث لى دائما عندما اجد نفسى فجاة فى مواجهة امراة احبها او مدينة احبها .

فى مثل هذه اللحظات المصرية يشتعل التاريخ بكل تفاصيله واجزائه وتنفجر البحار والمسافات وتنكسر الازمنة وتدوس الايام على بعضها .

ولايبقى للمؤرخين من عمل سوى ان يؤرخوا وجه المراة التى نحبها هكذا يحدث فى كل حب كبير ومصر هى حب كبير وامراة استثنائية ..

وامام النساء الاستثنائيات يصبح المنطق عاطلاً عن العمل .. وتصبح الحسابات كلها خطا وتختل كل المعادلات .. ويصبح العشق مولانا وسيدنا ..

تحط الطائرة فى مطار القاهرة كما يحط عصفور على سنبلة قمح . تمد مصر يدها السمراء .. لتصافحنى ..

تتبلل يدى باللون الاخضر .. تتبلل ثيابى .. وحقائبى .. وجواز سفرى باللون الأخضر .. تتبلل لغتى باللون الاخضر .. تسالنى مصر «ازيك يانزار» فيتحول دمى إلى سائل اخضر .. واشعر بطمانينة طفل ينام على ركبة السيدة زينب ..

تغطينى مصر بشعرها الطويل .. فاتحول إلى غمامة ياسمين وقرفة فى سوق العطارين واصبح جملة موسيقية على فم السيد درويش .

«انا فى مصر بمهمة عشق !!» هكذا قلت للصحفيين عندما نزلت من الطائرة .

وهل تتوقع النجاح فى مهمتك سالونى

بكل تاكيد سوف انجح فسفراء العشق لايفشلون ..

وماذا تحمل فى حقائبك ؟

- قصائد عشق ..

وماذا تنوى ان تاخذ معك من مصر ؟

- جلابية .. وزهرة قطن .. واغنية لسيد درويش ..

واين ستقيم ؟

فى عيون مصر كما تعودت فانا لا اغير فندقى ابدا ..

ولكن مصر .. لم تعد مصر

- مصر هى دائماً مصر .. انتم لاتعرفون كيف يفكر النيل .. ولاتسمعون كلام الارض .

اى لغة تتكلم ارض مصر ؟

الارض (بتتكلم عربى) ..

من ستزور خلال إقامتك فى القاهرة ؟

- سازور قبرين قبر جمال عبدالناصر .. وقبر عبدالحليم حافظ .

ولكن عبدالناصر كان قائدا

وعبدالحليم كان مغنيا ..

عبدالناصر كان مغنى الجماهير

وعبدالحليم قاد بصوته شعباً .

ماهى احلامك ؟

- ان اجلس على شاطىء النيل ..

واتفرغ للحب والحرية ..

□ لماذا النيل بالذات ؟

- لانه عصفور الحرية ..

□ ولماذا تحب السكنى على ضفاف الانهار ؟

- لان الانهار مخلوقات متحضرة لاتضيق بالحوار ..

□ هل وجدت بيتا جميلا ؟

- وجدت مصر ..

□ وهل وجدت حبيبة على مستوى الشعر ؟

وجدت فاطمة ..

تدخل فاطمة على بجلابية صفراء .. عليها ازهار من الذهب .. وعصافير من الذهب .. وسنابل من الذهب ..

ادوخ من روعة المفاجاة .. هذه اول مرة تلبس فيها حبيبتى قصيدة «مشغولة» بالذهب ..

عينا فاطمة مرآتان سوداوان .. منعكس عليهما فى الليل كل «كبارى» القاهرة .. وكل فوانيسها الزرقاء والحمراء .. والبنفسجية ..

قبل عينيها كان نهر النيل ينبع من بحيرة فيكتوريا .. ويصب فى البحر الابيض المتوسط ..

بعد عينى فاطمة تغيرت الجغرافيا وصار نهر النيل ينبع من احزانى ويصب فى احزانى ..

إفطار الصباح على شرفة هيلتون النيل .. شىء خرافى .. لم اعرف نهرا فى حياتى يترك مجراه .. يقاسمنى نصف . فنجان قهوتى .. ويسرق كوب العصير من يد فاطمة .. إلا نهر النيل .

ذهبت إلى القاهرة فى مهمة عشق .. بعدما احترقت اعصابى فى غابة السياسة والسياسيين .. وقرفت من سخف التمثيلية .. ورداءة الممثلين .

الا يحق لى إجازة عاطفية قصيرة .. فى هذا الوطن الذى الغى كل إجازات الغرام .. وسحب كل جوازات السفر وحكم على اهل العشق بالأشغال الشاقة المؤبدة ..

الا يحق لى ان اختبىء فى شعر حبيبتى - الذى يسافر فى كل الدنيا - دون ان افكر بالسلفادور ونيكاراجوا وحرب المالوين .. ومارجريت تاتشر - ابوزيد الهلالى سابقا -

الا يحق لى ان استقيل من الكتابة السياسية .. واتفرغ لعيد اللؤلؤ الاسود من عينى فاطمة .

لماذا لااعود إلى جزيرة الحب التى حكمتها طوال ثلاثين عاما بعدل وكفاءة وديمقراطية .. وعلمت فيها الاشجار . والاسماك والعصافير والازهار البرية كيف تكتب رسائل الغرام .

لماذا لااترك هذا البازار السياسى العربى .. واتبع فاطمة إلى ممالك الدهشة والحلم ..

إن اقصى ماأتمناه ان انام خمسة عشر يوما .. او خمس عشرة دقيقة فى عيون حبيبتى .. دون ان يوقظنى احد ..

لم يعد عندى شهية لتصحيح هذا العالم ..

ولم اعد متحمسا لمناقشة مصير المنطقة .. او مصير العرب .. او مصير الكون .. او مصير الجنس البشرى .

إننى بحاجة إلى من يحدد لى مصيرى ككاتب .. وشاعر .. وحيوان ناطق .

كلما وضعت راسى على كتف فاطمة اشعر ان وطنا جديدا يتشكل .

ليس لى عند فاطمة مطالب مستحيلة كل مارجوه منها .. أن تكون وطنى ..

تعطينى فاطمة ورقة من اوراق البردى لاكتب عليها قصيدة حب .

اطلب إليها ان تاتينى بكل اوراق البردى المصرية .

لان حبى لها .. لاتكفيه ورقة واحدة

من هى فاطمة

لاضرورة للتفاصيل .. فالتفاصيل ضد فاطمة ..

ولاضرورة للإضاءة لمقارنتها مع الشعر فالشعر هو فاطمة ..

كل مااستطيع ان اقوله ..

إن فاطمة كانت فى الأصل شجرة

- تمر حنة -

وتحولت إلى امراة ..

وكانت عصفورة تستوطن بلاد النوبة

وصارت عصفورة تستوطن صدرى

انا كشاعر عربى اعتبر نفسى فى ضيافة عمرو بن العاص .. وفى ضيافة النهر الكبير .. والتاريخ الكبير .. حيث يجلس فى صالون واحد . احمد عرابى ومصطفى كامل وجمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورفاعة الطهطاوى واحمد شوقى وخليل مطران وطه حسين وعباس محمود العقاد وجميع المفكرين والمبدعين والثائرين الذين علمونا اول درس من دروس الحرية .

علاقتى مع مصر هى مثل القضاء والقدر لايمكن لاحد ان يغيرها او يشوهها .. وانا فى كتاباتى افرق بين النظام وبين الشعب . فالانظمة كلها قابلة للنقاش والجدل والمعارضة والسقوط ..

اما الشعوب فهى متجذرة فى الارض وثابتة فى الزمان والمكان لاإنفصال بين مصر وبين قدرها العربى كما لاتستطيع العين ان تنفصل عن اهدابها .. والقمر عن ضوئه .. والوردة عن عطرها .

مصر هى بيتى ..

وانا ادخلها بالحب وحده .. دون ان يطلب مفاتيحها من احد .. فالشعب المصرى وحده يملك مفاتيح مصر .

مصر العربية هى ملكنا جميعا .. ولاتستطيع اية شركة للمقاولات او اية جمعية للمنتفعين .. او اى تجمع للوصوليين والمرتزقة .. ان يتحدثوا بلسان مصر . او يوصدوا سماواتها فى وجه اى عصفور عربى يفكر ان يحط على ارضها الطيبة ..

مصر هى الحرية .. ولااستطيع ان اتصورها على شكل مشنقة ..

ومصر هى الحوار الحضارى .. ولااستطيع ان اتصورها على شكل مسدس .

ومصر هى الكلمة الجميلة .. ولااستطيع ان اتصورها على شكل معسكر اعتقال ..

ومصر .. تعرف جيدا اسماء من يحبونها .. كما تعرف اسماء من يركبون كل يوم حصانا .. ويعبدون كل يوم ربا .. ويغيرون كل يوم ولاءهم كما يغيرون احذيتهم □

١٠ يونيو ١٩٨٢

رسالة حب .. إلى بهية

هذه هى الرسالة التى أرسلها من لندن نزار قبانى إلى الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب فى أوائل عام ١٩٩٥ ونشرها وقتذاك فى جريدة الحياة، كما نشرتها مجلتا: روز اليوسف والقاهرة.

وقد كتبها نزار لما رأى أنه لن يستطيع أن يشارك فى فعاليات معرض القاهرة الدولى للكتاب، خاصة أن إجماعا من مثقفى مصر أنئذ لدعوته في المعرض كرد على مهاجميه بعد نشره قصيدة «متى يعلنون وفاة العرب».

ياأحبائى على أرض الكنانة :

لا أستطيع أن أكتب عن مصر بحياد.. ولا أن أعشقها بحياد..

ولا أن أتغزل بعينيها.. السوداوين بحياد.

لأن الحياد ليس مهنتى. والوقوف على شاطىء الحب، ليس إحدى هواياتى.

فالعشق العظيم لا يعرف الحياد.

والشعر العظيم هو فضيحتنا الجميلة التى لا نختجل أبداً من رائحتها الطيبة.

العشق والشعر حصانان مجنونان يقفزان فوق حواجز التاريخ.. ولا يكترثان بنظام السير، ولا بإشارات المرور..

وليس هناك فى تاريخ الشعر قصيدة ناجحة قرأتْ مستقبلها فى فنجان القهوة، أو أمنت على أصابعها إحدى شركات التأمين.

أو راجعت كتاب الوصايا العشر...

●

إذن، أنا ومصر توءمان من توائم العشق، والشعر، والحرية. وكل محاولة للفصل بينى وبينها محاولة مستحيلة.

هكذا كانت مصر منذ أن خلقها الله، جسدا معجونا بالورد، والنار، والياقوت، والتوابل، والأمطار الاستوائية.

وهكذا كنت منذ أن خلقنى الله، خنجرا مغروسا فى خامدة القبح، ولغما مزروعا تحت وسائد أهل الكهف، وعربة تتدحرج من هاوية إلى هاوية، وولدا مشاغبا ينكش فى تراب النجوم، ويحرق أصابعه بجمر الكلمات، ولا يتوب..

مصر، ليست كأية أنثى عبرت سماء حياتى.

مصر هى أمى.. ومن راحتها أكلت قمح الثقافة، وشربت من ينابيعها، وتعلمت كيف أحبو، وكيف أقيس خطواتى، وكيف أنطق كلماتى الأولى.

عندما وصلت إلى القاهرة فى منتصف الأربعينيات، كنت فتى فى مقتبل العمر يبحث عن أم، وحاضنة، ورحم ثقافى يتكوم فيه.

وأشهد أن القاهرة أرضعتنى من ثديها، وغذتنى بحليبها الثقافى، وظلت تغنى فوق سريرى، حتى تعلمت كيف أدوّن كلماتى، إلى أن تمكنت عام ١٩٤٨ من إصدار مجموعتى الشعرية الجريئة (طفولة نهد)...

كما أشهد أن مصر لم تفرق بينى وبين أولادها الآخرين، بل كانت فى بعض الأحيان تنحاز إلى قصائدى، وتحتفل بها، دون أن تناقش أصولى الدمشقية و لهجتى الشامية.

لقد احتضنت مصر جدى «أبو خليل القبانى،» ورحبت به مسرحيا طليعيا فى نهاية القرن التاسع عشر.. وهاهى ذى تحتضن قصائدى فى نهايات القرن العشرين، تاكيدا لتراثها العريق فى الدفاع عن الحريات وحماية الإبداع والمبدعين.

●

إن الدعوة التى تلقيتها من الهيئة المصرية العامة للكتاب لزيارة القاهرة ليست كأية دعوة أتلقاها، وإنما هى دعوة تحمل رائحة مصر، وحنان مصر، وأمومة مصر، وتعلقها الأبدى بأولادها..

وأنا واحد من هؤلاء الأولاد الذين لم تتركهم مصر فى وسط العاصفة، يواجهون الريح والمطر، وصقيع المنفى..

ففى أوج الطوفان الذى أثارته قصيدتى الأخيرة، امتدت إلىّ يد مصر من خلال الأمواج العالية مضيئة كسبيكة الذهب، وناعمة كمروحة حرير، لتسحبنى من تحت الماء.. وتخبئنى في ليل ضفائرها.

ولا بد لى أن أعترف أن مصر حين حمتنى بصدرها من طيور البحر، وأسماك القرش، لم تكن تقوم بعمل استعراضى، وإنما كانت تدافع عن أمومتها..

●

ثم إن مصر، بموقفها الحضارى الكبير، لم تكن تدافع عنى بقدر ما كانت تدافع عن الشعر.. وعن حق كل شاعر بأن يتكلم بصوت عال، بعيدا عن همجية السكاكين، وسلطة المسدسات الكاتمة للصوت...

كانت مصر، تدافع عن حق العصافير فى أن تطير..

وحق النجوم فى أن تضىء..

وحق السنابل فى أن ترتفع..

وحق الأزهار فى أن تتفتح..

وحق الإنسان فى أن يكون إنسانا..

هذا هو قدر مصر منذ أن كانت مصر.

ولا يمكن لمصر فى أية مرحلة من تاريخها، أن تكون مع القاتل ضد القتيل، ومع الظالم ضد المظلوم، ومع السجان ضد المسجون.. ومع الأميين ضد الحروف الأبجدية.

●

أيها الأحباء:

إن هذا العرس الثقافى الذى تقيمه القاهرة لكتاب كل عام، هو انتصار للذين يقرءون على الذين يقتلون، وللذين يعلمون على الذين لا يعلمون.. وللذين يصنعون الكلمة الجميلة على الذين يصنعون الأكفان.

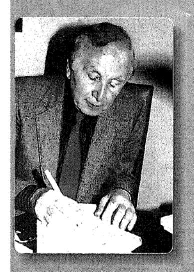
فمع كل كتاب يطبع، تزداد مساحة اللون الأخضر فى العالم وتتناقص مساحة التصحر.. ويتضاعف عدد النجوم، ويتقهقر الظلام، وتتسع بساتين الورد، وتقفل مصانع السلاح.

ومع كل قصيدة يقولها شاعر، يصبح البحر أكثر زرقة، والأشجار أكثر ورقا، والقمر أكثر بياضا، والعيون السود أشد سوادا، والمرأة أكثر أنوثة، والحرية أكثر حرية..

مع كل نقطة حبر نسفحها على الورق، نعمر ألف مدينة للحب، لا يدخل إليها إلا الشعراء، والأطفال، وكبار العشاق.. وكبار المجانين..

●

لندن فى ١٩٩٥



٨

قصائد نزار إلى جمال عبد الناصر

سامحيني يامصرُ .. إنْ جَمَحَ الشِّعْرُ فَطَعْمُ الحريقِ تحت لساني سامحيني ..
فأنتِ أمُّ المروءاتِ وأمُّ السماحِ والغفرانِ .. مِصْرُ يامِصْرُ .. إنَّ عشقي خطيرٌ
فاغفري لي إذا أضعْتُ اتزاني .

نزار قباني



حمائم الأزهر، يا حبيبنا، تهدى لك السلام.
معديات النيل، يا حبيبنا، تهدى لك السلام.

رسالة إلى جمال عبدالناصر

١

هذا خطاب عاجل إليك .
من ارض مصر الطيبة .
من ليلها المشغول بالفيروز والجواهر .
ومن مقاهي سيدى الحسين ، من حدائق القناطر .
من ترع النيل التي تركتها .. حزينة الضفائر .
هذا خطاب عاجل إليك .
من الملايين التي قد ادمنت هواك .
من الملايين التي تريد ان تراك .
عندى خطاب كله اشجان .
لكنني .. لكنني يا سيدى .
لا اعرف العنوان ..

٢

الزرع في الغيطان ، والأولاد في البلد .
ومولد النبي .
والمآذن الزرقاء .
والأجراس في يوم الأحد .
وهذه القاهرة التي غفت .
كزهرة بيضاء في شعر الأبد .
يسلمون كلهم عليك .
يقبلون كلهم يديك .
ويسألون عنك كل قادم إلى البلد .
متى تعود للبلد ؟ ..

٣

حمائم الأزهر ، يا حبيبنا ، تهدى لك السلام .
معديات النيل ، يا حبيبنا ، تهدى لك السلام .
والقطن في الحقول ، والنخيل ، والغمام .
جميعها .. جميعها .. تهدى لك السلام .
كرسيك المهجور في (منشية البكرى) يبكى فارس الأحلام .
والصبر لا صبر له ..
والنوم لا ينام ..
وساعة الجدار ، من ذهولها ، ضيعت الأيام .
يا من سكنت الوقت ، والتاريخ ، والأيام ..
عندى خطاب عاجل إليك ..
لكنني يا سيدى .. لا أجد الكلام .

٤

الحزن مرسوم على الغيوم ، والأشجار ، والستائر .
وانت سافرت .. ولم تسافر ..
فانت في رائحة الأرض ، وفي تفتح الأزاهر ..
في صوت كل موجة ، وصوت كل طائر ..
في كتب الأطفال ، في الحروف ، في الدفاتر .
في خضرة العيون ، وارتعاشة الأساور ..
في صدر كل مؤمن ، وسيف كل ثائر .
عندى خطاب عاجل ..
لكنني .. لكنني يا سيدى .
تسحقني مشاعرى ..

٥

يا أيها المعلم الكبير .
كم حزننا كبير .
كم جرحنا كبير .
لكننا ..
نقسم بالله العلي القدير .
ان نحبس الدموع في الأحداق .
ونخنق العبرة ..
نقسم بالله العلي القدير .
ان نحفظ الميثاق .
ونحفظ الثورة ..

٦

وعندما يسألنا اولادنا .
من انتم ؟
في أى عصر عشتم ؟
في عصر اى ملهم ؟
في عصر اى ساحر ؟
نجيبهم : في عصر عبدالناصر .
الله .. ما اروعها شهادة .
ان يوجد الإنسان في زمان عبدالناصر .

١٩٧٠/١٠/٢٥

القيت فى كانون الثانى (يناير) ١٩٧١

فى ذكرى ميلاد القائد جمال عبد الناصر



زمانك بستان .. وعصرك أخضر
وذكراك ، عصفور من القلب ينقر

ملأنا لك الاقداح ، يامن بحبه
سكرنا ، كما الصوفى بالله يسكر

دخلت على تاريخنا ذات ليلة
فرائحة التاريخ مسك وعنبر

وكنت ، فكانت فى الحقول سنابل
وكانت عصافير .. وكان صنوبر

لمست أمانينا ، فصارت جداولا
وامطرتنا حبا ، ولازلت تمطر

تأخرت عن وعد الهوى ياحبيبنا
وما كنت عن وعد الهوى تتأخر

سهدنا .. وفكرنا .. وشاخت دموعنا
وشابت ليالينا . وما كنت تحضر

تعاودنى ذكراك كل عشية
ويورق فكرى حين فيك افكر ..

وتأبى جراحى أن تضم شفاهها
كأن جراح الحب لا تتخثر

احبك . لا تفسير عندى لصبوتى
افسر ماذا ؟ والهوى لايفسر

تأخرت ياأغلى الرجال ، فليلنا
طويل ، واضواء القناديل تسهر

تأخرت .. فالساعات تأكل نفسها
وأيامنا فى بعضها تتعثر

اتسأل عن أعمارنا ؟ انت عمرنا
وانت لنا المهدى .. انت المحرر

وانت أبو الثورات ، انت وقودها
وانت انبعاث الارض ، انت التغير

تضيق قبور الميتين بمن بها
وفى كل يوم انت فى القبر تكبر

تأخرت عنا .. فالجياد حزينة
وسيفك من اشواقه ، كاد يكفر

حصانك فى سيناء يشرب دمعه
ويا لعذاب الخيل ، إذ تتذكر

وراياتك الخضراء تمضغ دربها
وفوقك آلاف الأكاليل تضفر

تأخرت عنا .. فالمسيح معذب
هناك ، وجرح المجدلية أحمر ..

نساء فلسطين تكحلن بالأسى
وفى بيت لحم قاصرات .. وقصر

وليمون يافا يابس فى حقوله
وهل شجر فى قبضة الظلم يزهر ؟

رفيق صلاح الدين .. هل لك عودة فإن جيوش
الروم تنهى وتأمر

رفاقك فى الاغوار شدوا سروجهم
وجندك فى حطين ، صلوا .. وكبروا ..

تغنى بك الدنيا .. كأنك طارق
على بركات الله ، يرسو .. ويبحر

تناديك من شوق مآذن مكة
وتبكيك بدر ، ياحبيبى ، وخيبر

ويبكيك صفصاف الشام ووردها
ويبكيك زهر الغوطتين ، ودُمَّر

تعال إلينا .. فالمروءات اطرقت
وموطن آبائى زجاج مكسر ..

هزمنا .. وما زلنا شتات قبائل
تعيش على الحقد الدفين وتثأر

رفيق صلاح الدين .. هل لك عودة
فإن جيوش الروم تنهى ، وتأمر

يحاصرنا كالموت الف خليفة
ففى الشرق هولاكو .. وفى الغرب قيصر

ابا خالد أشكو إليك مواجعى
ومثلى له عذر .. ومثلك يعذر

أنا شجر الأحزان ، انزف دائما
وفى الثلج والأنواء .. أعطى واثمر

يثير حزيران جنونى ونقمتى
فأعتال أوثانى .. وأبكى .. واكفر

واذبح أهل الكهف فوق فراشهم
جميعا ، ومن بوابة الموت اعبر

واترك خلفى ناقتى وعباءتى
وأمشى .. أنا فى رقبة الشمس خنجر

واصرخ : ياأرض الخرافات .. إحبلى
لعل مسيحا ثانيا .. سوف يظهر ..



الرسالة الثالثة

١٩٥٦/١٠/٣١

.. الآن .. افنينا فلول الهابطين
ابتاه ،
لو شاهدتهم يتساقطون
كثمار مشمشة عجوز .. يتساقطون .. .
يتارجحون ..
تحت المظلات الطعينة
مثل مشنوق تدلى فى سكون ..
وبنادق الشعب العظيم ، تصيدهم
زرق العيون
لم يبق فلاح على محراثه ، إلا وجاء ..
لم يبق طفل ، يا ابى ، إلا وجاء ..
لم يبق سكين .. ولا فاس .. ولا حجر على كتف الطريق
إلا وجاء ..
ليرد قطاع الطريق
ليخط حرفا واحدا ..
حرفا بمعركة البقاء ..

رسالة جندى فى جبهة السويس

الرسالة الأولى

١٩٥٦/١٠/٢٩

يا ولدى !
هذى الحروف الثائرة
تاتى اليك من السويس
تاتى إليك من السويس الصابرة
إنى اراها يا ابى ، من خندقى ، سفن اللصوص
محشودة عند المضيق
هل عاد قطاع الطريق ؟
يتسلقون جدارنا ..
ويهددون بقاءنا ..
فبلاد ابائى حريق ..
إنى اراهم ..
يا ابى ، زرق العيون ..
سود الضمائر ..
يا ابى ، زرق العيون
قرصانهم ، عين من البللور ، جامدة الجفون
والجند فى سطح السفينة ..
يسكرون .. ويشتمون ..
فرغت براميل النبيذ .. ولا يزال الساقطون
يتوعدون ..

الرسالة الثانية

٣٠ /١٠/ ١٩٥٦

هذى الرسالة يا ابى ..
من بور سعيد
أمر جديد
لكتيبتى الأولى ، ببدء المعركة

هبط المظليون خلف خطوطنا ..
امر جديد ..
هبطوا كارتال الجراد ،
كسرب غربان مبيد ..
النصف بعد الواحده ..
وعلى ان انهى الرسالة
انا ذاهب لمهمتى ..
لأرد قطاع الطريق ، وسالبى حريتى ..
لك ..
للجميع ..
تحيتى ...

الرسالة الرابعة

١٩٥٦/١١/١

مات الجراد ..
ابتاه ، ماتت كل اسراب الجراد
لم تبق سيدة ..
ولا طفل ..
ولا شيخ قعيد
فى الريف ، فى المدن الكبيرة ،
فى الصعيد ..
إلا وشارك يا ابى
فى حرق أسراب الجراد
فى سحقه ،
فى ذبحه حتى الوريد
هذى الرسالة ، يا ابى ، من بورسعيد
من حيث تمتزج البطولة بالجراح وبالحديد
من مصنع الأبطال اكتب يا أبى ..
من بورسعيد ..

خاتم مصر

١

تجمع مصر حروف اسمها الجميل ...
وتعيد تطريزه على حواشى منديلها المبلل بالدموع
تكتبه بالخط الكوفى العريض، على جدار النهار ..
تسترده من قاع البحر ..
واسنان سمك القرش ...
وحطام المراكب الغارقة ..
تلصق الميم الى جانب الصاد ..
وتلصق الصاد الى جانب الراء ..
وفجاة ...
تتدلى من سقف العالم نجفة من الزمرد الاخضر اسمها : مصر

٢

تستعيد مصر خاتمها من تحت الماء ...
وتعيد تركيب الفيروزات الثلاث ..
التى سقطت من خاتمها وهى تغسل يديها بماء قناة السويس
فى صيف عام ١٩٦٧ ..
تمسح ماتراكم عليه من صدأ وحشائش بحرية ..
وتعيده إلى مكانه فى المتحف المصرى
فيطمئن التاريخ على نفسه ..
وتطفو على مياه القمر ...
زهرة لوتس اسمها مصر ..

٣

ست سنوات .. ومصر تبحث عن خاتمها المسروق
لجات إلى الكهنة، والعرافين، وقارئى الغيب ...
فاخبرها رئيس الكهنة ان خاتمها موجود فى بطن حوت كبير .. كبير ... راسه عند شواطىء فلوريدا .. وذيله فى مياه إسرائيل
ذهبت إلى الوسطاء، واصحاب الكرامات، وصانعى الحجابات.
فاخبروها ان خاتمها موجود فى صندوق ملك الجان ... وانه لن يعيده إليها إلا إذا رهنت لديه اساورها، ورهنت اطفالها، وصامت سبعة ايام من كل اسبوع ..
وصامت مصر ٢١٩٠ يوما
وانتظرت ٢١٩٠ يوما

وشحب وجهها، ونقص وزنها، وسكنت عصافير الحزن عينيها الجميلتين ..
واشتكت مصر إلى الانتربول، وإلى محمكة العدل، وإلى القضاة ذوى البروكات البيضاء والمطارق الخشبية، فاكتشفت ان القضاة واللصوص يؤلفون شركة واحدة لسرقة المجوهرات ...

٤

تتعرف مصر على وجهها فى مرايا سيناء ...
تقرا اسمها فى كتاب الشهادة ... ومزامير العبور ..
تقرؤه فى فرح المغامرة، وابجدية الاقتحام ..
تقرؤه على معاطف الجنود المسافرين إلى الضفة الثانية للكبرياء ..
تقرؤه فى جراحهم المتلألئة تحت الشمس كاحجار الياقوت .. وحقول شقائق النعمان ..
وتكتشف مصر صوتها فى رصاص مقاتليها ... لا فى حناجر مغنيها

٥

تضع مصر خاتمها الفاطمى فى اصبع يدها اليسرى ..
وتصبح عروسا ...
يقطع القمر إجازته .. ويرقص كزوربا اليونانى فى ساحة التحرير .. تتبرع اشجار القطن فى الدلتا بكل ازهارها البيضاء لغزل طرحة العروس. تركب ماذن الأزهر القطار السريع المتجه إلى الإسماعيلية لتبرم عقود الزواج يخرج الفراعنة نساء ورجالا واطفالا من غرف نومهم فى الاقصر واسوان والكرنك ووادى الملوك ويرشون مصر بماء الورد ..
يبيع التلاميذ كتبهم الجامعية .. ويدفعون مهر العروس ...
ينزل عمرو بن العاص عن حصانه، ويقدم للعروس عباءته وسيفه ... ويقرا لها سورة الفتح ..

٦

يا مصر ..
بطاقة عرسك بيدى
فهل تسمحين لى أن امشط شعرك القادم من غابات الحزن ...
والثم يديك المحترقتين بالنار ..
واشيل ثوبك المثقوب برصاص البطولة
هل تسمحين لى أن اكون شاهد الزفاف □

أكتوبر ١٩٧٦

جمال عبدالناصر

١

قتلناك .. يا آخر الانبياء
قتلناك ..
ليس جديدا علينا
اغتيال الصحابة والاولياء
فكم من رسول قتلنا ..
وكم من إمام ذبحناه وهو يصلى صلاة العشاء ..
فتاريخنا كله محنة ..
وايامنا كلها كربلاء ...

٢

نزلت علينا كتابا جميلا
ولكننا لا نجيد القراءة ..
وسافرت فينا لارض البراء ..
ولكننا ما قبلنا الرحيلا
تركناك فى شمس سيناء وحدك ..
تكلم ربك فى الطور وحدك ..
وتعرى .. وتشقى .. وتعطش وحدك ..
ونحن هنا .. نجلس القرفصاء
نبيع الشعارات للاغبياء
ونحشو الجماهير تبنا .. وقشا ..
ونتركهم يعلكون الهواء

٣

قتلناك .. يا جبل الكبرياء
وآخر قنديل زيت
يضىء لنا ، فى ليالى الشتاء
وآخر سيف من القادسية
قتلناك نحن بكلتا يدينا ..
وقلنا : المنية
لماذا قبلت المجىء إلينا ؟
فمثلك كان كثيرا علينا ..

سقيناك سم العروبة ، حتى شبعت ..
رميناك فى نار عمان ، حتى احترقت
اريناك غدر العروبة ، حتى كفرت
لماذا ظهرت بارض النفاق ..
لماذا ظهرت ؟
فنحن شعوب من الجاهلية
ونحن التقلب ..
نحن التذبذب ..
والباطنية ..
نبايع اربابنا فى الصباح ..
وناكلهم .. حين تاتى العشية ..

٤

قتلناك ..
يا حبنا وهوانا
وكنت الصديق ، وكنت الصدوق ،
وكنت ابانا ..
وحين غسلنا يدينا ..
اكتشفنا ..
بانا قتلنا مُنانا ..
وان دماءك فوق الوسادة ..
كانت دمانا ..

نفضت غبار الدراويش عنا
اعدت إلينا صبانا
وسافرت فينا إلى المستحيل
وعلمتنا الزهو والعنفوان ..
ولكننا ..
حين طال المسير علينا
وطالت اظافرنا .. ولحانا ..
قتلنا الحصانا ..
فتبت يدانا ..
فتبت يدانا ..

اتينا إليك بعاهاتنا
واحقادنا .. وانحرافاتنا
إلى ان ذبحناك ذبحا
بسيف اسانا
فليتك فى ارضنا ما ظهرت ..
وليتك كنت نبى سوانا ..

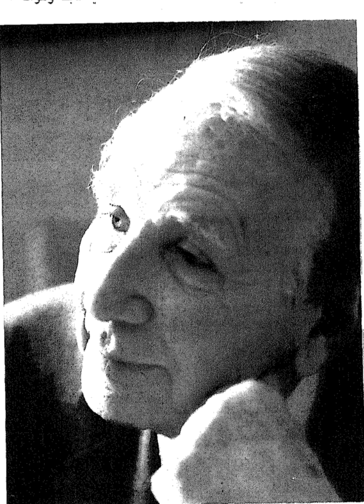
٥

ابا خالد .. يا قصيدة شعر
تقال ،
فيخضر منها المداد ..
إلى اين ؟
يا فارس الحلم تمضى ..
وما الشوط .. حين يموت الجواد ؟
إلى اين ؟
كل الأساطير ماتت
بموتك ، وانتحرت شهر زاد ..

وراء الجنازة .. سارت قريش
فهذا هشام ..
وهذا زياد ..
وهذا ، يريق الدموع عليك
وخنجره ، تحت ثوب الحداد
وهذا يجاهد فى نومه ،
وفى الصحو ، يبكى عليه الجهاد ..
وهذا يحاول بعدك ملكا ..
وبعدك ..
كل الملوك رماد .

وفود الخوارج ..جاءت جميعا لتنظم فيك
ملاحم عشق ..
فمن كفروك ..
ومن خونوك ..
ومن صلبوك بباب دمشق ..

انادى عليك .. ابا خالد
واعرف انى انادى بواد
واعرف انك لن تستجيب
وان الخوارق ليست تعاد ..



الهرم الرابع

[١]

السيد نام ..
السيد نام ..
السيد نام كنوم السيف العائد من إحدى الغزوات
السيد يرقد مثل الطفل الغافي في حضن الغابات
السيد نام
وكيف أصدق ان الهرم الرابع مات ؟
القائد لم يذهب أبداً
بل دخل الغرفة كي يرتاح
وسيصحو حين تُطل الشمسُ
كما يصحو عطر التفاح
الخبزُ سيأكله معَنَا ..
وسيشربُ قهوتهُ معَنَا ..
ونقولُ لهُ ..
ويقولُ لنا ..
القائد يشعر بالإرهاق
فخلوه يغفو ساعات ..

[٢]

يامن تبكون على ناصر
السيد كان صديق الشمس
فكفوا عن سكب العبرات
السيد مازال هنا ..
يتمشى فوق جسور النيل
ويجلس في ظل النخلات
ويزور الجيزة عند الفجر
ليلثم حجر الأهرامات
يسأل عن مصر .. ومن في مصر ..
ويسقى ازهار الشرفات
ويصلى الجمعة .. والعيدين ..
ويقضى للناس الحاجاتْ
مازال هُنا عبدُ الناصرْ
في طمي النيل ، وزهر القطن .
وفي أطواق الفلاحات ..
في فرح الشعب ..
وحُزْن الشعب ..
وفي الأمثال وفي الكلمات
مازال هنا عبدُالناصرْ
من قال الهرمُ الرابعُ ماتُ ؟

[٣]

يامَنْ يتساءل : اين مضى عبدالناصر ؟
يامَنْ يتساءل
هل يأتى عبدُالناصرْ ؟
السيدُ موجودٌ فينا ..
موجود في ارغفة الخبزْ
وفي أزهار اوانينا
مرسومٌ فوق نجوم الصيف
وفوق رمال شواطينا ..

موجودٌ في اوراقِ المُصْحف
في صَلَوات مُصَلِّينا ..
موجودٌ في كَلِمَات الحُبِّ
موجود في عَرَق العُمَّال
وفي أسوان . وفي سينا
مكتوبٌ فوق بنادقنا ..
مكتوبٌ فوق تحدينا
السيدُ نامَ .. وإن رجَعَتْ
أسرابُ الطير
سيَأتينا ..□

حوار شورى مع طه حسين

ضوء عينيك .. أم هما نجمتان ؟
كلهم لايرى .. وأنت ترانى

لست أدرى من أين ابدأ بَوْحِى
شجر الدمع شاخ فى أجفانى

كُتب العشق ، ياحبيبى ، علينا
فهو أبكاك مثلما ابكانى

عمر جرحى .. مليون عام وعام
هل ترى الجرح من خلال الدخان ؟

نقش الحب فى دفاتر قلبى
كل اسمائه .. وما سمانى

قال : لابد أن تموت شهيدا
مثل كل العشاق ، قلت عسانى

وطويت الدجى أسائل نفسى
أبسيف .. أم وردة قد رمانى؟

كيف يأتى الهوا .. ومن اين يأتى ؟
يعرف الحب دائما عنوانى ..

صدق الموعد الجميل .. اخيرا
ياحبيبى ، ويا حبيب البيان

ماعلينا إذا جلسنا بركن
وفتحنا حقائب الأحزان

وقرانا ابا العلاء قليلا
وقرانا (رسالة الغفران)

انا فى حضرة العصور جميعا
فزمان الأديب .. كل الزمان ..

ضوء عينيك .. أم حوار المرايا
أم هما طائران يحترقان ؟

هل عيون الأديب نهر لهيب
أم عيون الأديب نهر اغانى ؟

آه ياسيدى الذى جعل الليل
نهارا .. والارض كالمهرجان ..

إرم نظارتيك كى اتملى
كيف تبكى شواطىء المرجان ..

إرم نظارتيك .. ما انت أعمى
إنما نحن جوقة العميان ..

أيها الفارس الذى اقتحم الشمس
وألقى رداءه الأرجوانى

فعلى الفجر موجة من صهيل
وعلى النجم حافر لحصان ..

ازهر البرق فى انامك الخمس
وطارت للغرب عصفورتان

إنك النهر .. كم سقانا كؤوسا
وكسانا بالورد والاقحوان

لم يزل ما كتبته يسكر الكون
ويجرى كالشهد تحت لسانى

فى كتاب (الأيام) نوع من الرسم
وفيه التفكير بالألوان ..

إن تلك الأوراق حقل من القمح
فمن اين تبدأ الشفتان ؟

وحدك المبصر الذى كشف النفس
واسرى فى عتمة الوجدان

ليس صعبا لقاؤنا بإله ..
بل لقاء الإنسان .. بالإنسان ..

أيها الأزهرى .. ياسارق النار
ويا كاسرا حدود الثوانى

عد إلينا .. فإن عصرك عصر
ذهبى .. ونحن عصر ثانى

سقط الفكر فى النفاق السياسى
وصار الأديب كالبهلوان

يتعاطى التبخير .. يحترف الرقص ..
ويدعو بالنصر للسلطان ..

عد إلينا .. فإن مايكتب اليوم
صغير الرؤى .. صغير المعانى

ذبح الشعر .. والقصيدة صارت
قينة تشترى ككل القيان

جردوها من كل شىء .. وادموا
قدميها .. باللف والدوران

لاتسل عن روائع المتنبى
والشريف الرضى ، أو حسان ..

ماهو الشعر ؟ لن تلاقى مجيبا
هو بين الجنون والهذيان

عد إلينا ، ياسيدى ، عد إلينا
وانتشلنا من قبضة الطوفان

انت أرضعتنا حليب التحدى
فطحنا النجوم بالأسنان ..

واقتلعنا جلودنا بيدينا
وفككنا حجارة الاكوان

ورفضنا كل السلاطين فى الأرض
رفضنا عبادة الأوثان

أيها الغاضب الكبير .. تأمل
كيف صار الكتاب كالخرفان

قنعوا بالحياة شمسا .. ومرعى
واطمأنوا للماء والغدران

إن أقسى الأشياء للنفس ظلما ..
قلم فى يد الجبان الجبان ..

يا أمير الحروف .. هاهى مصر
وردة تستحم فى شريانى

إننى فى حمى الحسين ، وفى الليل
بقايا من سورة الرحمن ..

تستبد الأحزان بى .. فأنادى
آه يامصر من بنى قحطان ..

تاجروا فيك .. ساوموك .. استباحوك ..
وباعوك كاذبات الأمانى

حبسوا الماء عن شفاه اليتامى
وأراقوه فى شفاه الغوانى

تركوا السيف والحصان حزينين
وباعوا التاريخ للشيطان

يشترون القصور .. هل ثمّ شار
لقبور الأبطال فى الجولان ؟

يشترون النساء .. هل ثم شار
لدموع الأطفال فى بيسان ؟

يشترون الزوجات باللحم والعظم
أيشرى الجمال بالميزان ؟

يشترون الدنيا .. وأهل بلادى
ينكشون التراب كالديدان ..

آه يامصر .. كم تعانين منهم
والكبير الكبير .. دوما يعانى ..

لمن الأحمر المراق بسيناء
يحاكى شقائق النعمان ؟



أكلت مصر كبدها .. وسواها
رافل بالحرير والطيلسان ..

ياهوان الهوان .. هل أصبح النفط
لدينا .. أغلى من الإنسان ؟

أيها الغارقون فى نعم الله ..
ونعمى المربربات الحسان ..

قد رددنا جحافل الروم عنكم
ورددنا .. كسرى أنوشروان

وحمينا محمدا .. وعليا
وحفظنا كرامة القرآن ..

فادفعوا جزية السيوف عليكم
لاتعيش السيوف بالإحسان ..

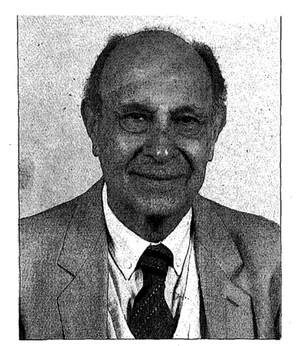
سامحينى يامصر .. إن جمح الشعر
فطعم الحريق تحت لسانى

سامحينى .. فأنت أم المروءات
وأم السماح والغفران ..

سامحينى .. إذا احترقت وأحرقت
فليس الحياد فى إمكانى

مصر .. يامصر .. إن عشقى خطير
فاغفرى لى إذا أضعت اتزانى ..


نزار قباني
أنشودة حب مصرية



وديع فلسطين

وديع فلسطين : أنا أول من كتب عن نزار قبانى فى مصر : لماذا لم يكتب عنه سيد قطب والعقاد

عادة مايختلف الناس على اول من اكتشف النجم . واول من قدمه وكتب عنه !
خاصة إذا كان هذا النجم ساطعا . وبالذات إذا تالق لدرجة « نزار قبانى » !

ونزار قبانى « درجة » تستحق الخلاف والجدال والتسابق وذلك لان الموت اختطفه من بين نجوم السماء ، وكان قد صنع لنفسه مجد الشعراء العظام فتشابه مع قوة وعذوبة الخيام ، وجراة ابى نواس ، وجسارة المتنبى وهروبه ، وفى النهاية كان يقف بينهم قامة لقامة ، والقا بالق ، ونجما يضوى بومضات كتب لها الخلود .

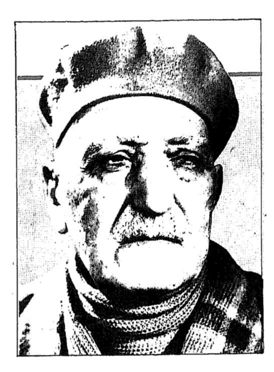
ولهذا سيظل « نزار » درجة تثير النزاع فمن اكتشف ؟ ومن قدم ؟ ومن كتب ؟ سؤال قديم يبحث دائما عن إجابته .

يقول الناس اكتشفه فلان ، وقدمه آخر ، ومن كتب عنه لاول مرة فى سوريا ، ومن فى مصر ، حتى نزار نفسه قال إن « انور المعداوى » هو اول من كتب عنه فى مجلة « الرسالة » المصرية والتى كان يراس تحريرها « محمد حسن الزيات »

لكن عندنا هنا رجل آخر ، هو الكاتب الصحفى « وديع فلسطين » الذى نسيه الجميع ، حتى ممن عاصروه ، وكانه لعبة متفق عليها ، بداها معه نزار ، لعبة النسيان ، وإن كان غير مقصود ، إلا انها فى النهاية تكون تغييرا للحقيقة . وموجعة .

المهم . « وديع فلسطين » يجزم على نحو قاطع ـ ودون مزاحمة ـ انه اول من كتب عن نزار قبانى فى مصر ، وأن ماكتبه انور المعداوى كان لاحقا على ماكتبه هو .

وكان صوت « وديع فلسطين » يعبر عن حالة « بقدر الحب يكون العتاب » ، ولكنه الآن أصبح اكثر تسامحا . خاصة بعد موت نزار ، ولا يحمل له فى قلبه سوى بالغ الإعزاز ، وتقديره كشاعر له قامته السامقة ، ولكن هذا لم يمنعه من حكى تفاصيل البداية بنبرة شفيقة وحميمة . « عام ١٩٤٨ دعانى الصديقان السوريان الدكتور زكى المحاسنى وزوجته وداد سكاكينى ـ وكانا وقتها يقيمان فى القاهرة ـ لحضور حفل شاى اقاماه لزميلهما نزار قبانى الذى عين فى المفوضية السورية بالقاهرة كديبلوماسى ناشىء ، ودعى الى نفس الحفل عدد من الأدباء والشعراء ، اذكر منهم « محمد عبدالغنى حسن » وعادل الغضبان » ، وكان ذلك



اللقاء بداية تعارف لم يلبث ان اصبح صداقة وثيقة بيني وبين نزار ، وكنا نلتقي كثيرا ، وبعد ذلك قرر ان يطبع ديوانه الثاني في القاهرة ، بعدما كان قد اصدر ديوانه الأول « قالت لى السمراء » في دمشق قبل قدومه بقليل ، وكان قد نشر قصيدة عنوانها « خبز وحشيش وقمر » ، واثيرت القضية حتى وصلت الى البرلمان ، وقيل كيف لايحترم نزار قلمه وهو الموظف بالخارجية السورية ، ويبتعد عن الموضوعات النسائية والنقد الاجتماعي ، وما إلى ذلك ، ولكى تهدأ العاصفة تقرر نقله إلى القاهرة ليكون بعيدا عن حملات النواب .

اما ديوانه الثاني فكان عنوانه جديدا وجريئا ، وغريبا على الاسماع « طفولة نهد » ، وطبع طباعة فاخرة ، ورسم لوحاته الفنان بيكار ، واهدانى نسخة منه ، وسألنى ماالسبيل لإهداء هذا الديوان للشعراء والنقاد المصريين ، وكنت بحكم عملى كصحفى في ذلك الوقت اعرف عددا كبيرا منهم ، ودعوته إلى دار « المقتطف والمقطم » التى كنت اعمل فيها ، لاننا كنا نقيم - في كل يوم جمعة - ندوة ادبية يتردد عليها الكثير من الادباء والشعراء المصريين والعرب ، وفي هذه الزيارة اهدى نزار ديوانه للعديد منهم .

ولأن سيد قطب كان يعد من اكبر النقاد في مصر وقتذاك وكان يشار إليه على انه ناقد مجلة الرسالة فقد رغب نزار في ان نزوره ليقدم له الديوان ، وزرناه فعلا في بيته بحلوان ، وعرفته على نزار ، وقدم إليه ديوانه ، ولكن سيد قطب لم يكتب عنه شيئا ، وهذا في ظنى لانه كان محافظا ، وشعر نزار كان جريئا جدا ، وترد به كلمات لم يعتدها المجتمع وقتئذ ، ولم تستسغها لاعين النقاد ولا اذن القارىء .

وايضا اخذته وذهبنا الى بيت العقاد ، واهدى إليه نسخة من الديوان ، والأرجح انه بدوره لم يكتب عنه لموقفه من الشعر الحر كما كان يسمى وقتذاك .

الخلاصة - يقول وديع فلسطين - ان جميع الذين اهدى إليهم الديوان تجاهلوه تماما ، ولم يكتب عنه احد غيرى ، وكنت بهذا اول من كتب عن « نزار قبانى في مصر » ، واتفق ان تلقيت في التوقيت نفسه ديوانا آخر من الشاعر ، حسن كامل الصيرفي ، فكتبت مقالا واحدا عن الديوانين معا ، ولما نشر عاتبنى « الصيرفي » بقوله « من نزار قبانى هذا الذى تقدمه على » ، وكان دفاعى - وهو دفاع ضعيف - اننى كتبت عن الديوانين حسب ورودهما إلى .

وبعدما كتبت انا كتب انور المعداوى - وكان مشاغبا ومغرورا بنفسه - في مجلة الرسالة ، وعندما تكلم نزار عن تلك الفترة ذكر المعداوى ونسينى ، رغم ان علاقتى به بقيت طوال فترة وجوده في القاهرة وكنا نلتقى دائما ، حتى عندما نقل إلى انقرة ظل يكاتبنى من هناك واهدانى ديوانيه « سامبا » و« انت لى » وكان يكتب دائما في إهداءاته « حبيب العمر » ، وظل هكذا الى ان انتقل الى مدريد ، وكان اخى الفنان لويس فلسطين ، يقيم هناك فعرفته عليه ، وكاتبنى من هناك ايضا واهدانى بعض كتبه ، وربطتنى عنق ، وتردد بعد ذلك على القاهرة كثيرا ، وكان قد بدا ينال شهرة كبيرة ، خصوصا بين الفنانين بعدما غنيت له بعض القصائد ، فتغير إلى حد كبير ، ولم يتصل بى سوى مرة واحدة ، ومن ناحيتى لم احاول ان اتملق رجلا اصبح ذا شهرة واسعة وعاتبته ببيت قصيدة له قال فيه « كاللص يبحث على طريق نجاة » ، خاصة ان « نجاة » كانت قد غنت له قصيدة « ايظن » فقلت له ماقاله في قصيدته .

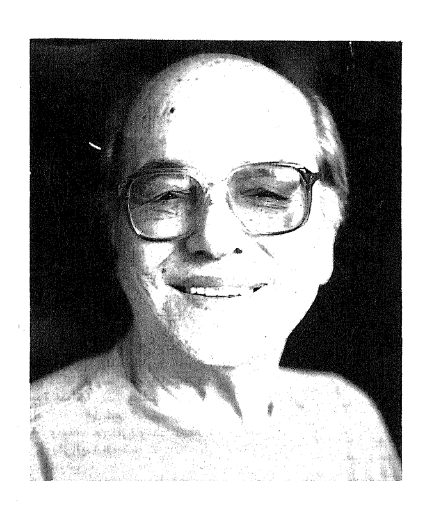
ومن الطرائف التى يذكرها وديع فلسطين بخصوص نزار قبانى انه ذهب الى مهرجان المربد سنة ١٩٦٩ والقى هناك قصيدة استوقفه منها بيتان قال فيهما :

وإذا اصبح المفكر بوقا
يستوى الفكر عندها والحذاء
وانا حريتى فإن سلبوها
تسقط الارض دونها والسماء

واعجبنى جدا هذا المعنى - يقول وديع فلسطين - وقررت ان اجعل العرب من الخليج إلى المحيط يحفظون هذين البيتين لان فيهما كل معانى الكرامة والحرية والاستقلال ، فكتبت مقالا في مجلة الاديب اللبنانية كان عنوانه « الادب والاحذية » ، وطبعا استوحيت العنوان من البيت الاول في قصيدة نزار ، ورويت في هذا المقال عددا من الحكايات الادبية واقوال الشعراء التى ورد فيها لفظ الحذاء بمرادفاته المختلفة (النعال ، الخف) وبمجرد نشر هذا المقال فوجئت بطوفان من التعليقات ارسل بعضها للمجلة مباشرة وبعضها إلى ، مما جعلنى اكتب في هذا الموضوع لمدة ست سنوات متصلة فقط في « الادب والاحذية » ، وكنت دائما اكرر « وإذا اصبح المفكر بوقا .. » حتى يحفظه الناس جميعا .

ايضا يذكر طرفة القدم قليلا حين كتب انور المعداوى عن نزار في الرسالة حين اضطر الى تغيير عنوان الديوان من « طفولة نهد » إلى « طفولة نهر » ، ويقال إن احمد حسن الزيات - صاحب الرسالة - تدخل بنفسه في تغييره وذلك لانها كانت مجلة محافظة ونزار كان جديدا ومتدفقا وهادرا في شعره وكلماته مما صدم المجتمع والنقاد ، ويجوز ان يكون هذا سر عدم الاحتفاء به في فترة وجوده بمصر .

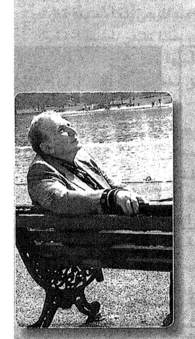
أسامة الرحيمى



بيكار : هذه هى تفاصيل لقائى الوحيد بنزار قبانى

وكان لابد أن نلتفت لإشارة وديع فلسطين إلى الفنان حسين بيكار بأنه أول من رسم ديوان « طفولة نهد » حين أصدره نزار قبانى فى القاهرة ، وكان صوت الفنان بيكار هادئا حنونا وهو يؤكد أن الحكاية كلها سطور قليلة بدأت فى سنة ٤٣ ، أو ١٩٤٤ ، وكانت فى ميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة حيث كان يسكن ، وكانت الشقة بالدور الأول من العمارة ، وكان الفنان بيكار قد اعتاد أن يترك الأبواب مفتوحة طلبا للهواء ، وذات يوم كان يجلس بالصالة وفجأة وجد شخصا طويلا ووسيما يقف بجواره مباشرة ، وقال بلهجة شامية « أنا نزار قبانى » ، ولم أكن قد سمعت هذا الاسم من قبل ، وأكمل « أستاذ بيكار .. سمعت عنك .. وبدّى تعمل لى أول ديوان » ، وكان وقتها يعمل ملحقا بالسفارة السورية ، وقلت له : « أهلا وسهلا » ، وكان هذا أول تعامل لى مع نزار بالطبع ، وصممت له الغلاف وبعض الموتيفات داخل الديوان . ولم أره بعد ذلك إطلاقا ، وإن كنت قد تابعته وقرأت له ، هذه هى كل تفاصيل لقائى الوحيد بنزار قبانى .

والحقيقة أننى للآن حين أرى ذلك الغلاف أشعر بالإحباط لأننى أرى فيه سذاجة المبتدئين ، وقد يرجع هذا لأننى كنت ما أزال فى بداية المشوار .



٩

القصائد المغناة

واختلف طعم كلام نزار قبانى بصوت هؤلاء

هشام الشامى


صباح


محمد الموجى

لم يعرف التاريخ الحديث شاعرا غنى له كبار المطربين والمطربات في الوطن العربي مثل نزار قباني فقد استحوذ بإحساسه المرهف وإدراكه العميق لنفسية ومشاعر المرأة على إعجاب وتقدير واحترام قمم الغناء العربى بداية من أم كلثوم ومرورا بعبد الحليم حافظ وفيروز ونجاة ونهاية بجيل الشباب ماجدة الرومى وكاظم الساهر كما لحن قصائده أساطين الموسيقى فى الوطن العربى أمثال الموسيقار العظيم رياض السنباطى وموسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب ورائد الرحبانية عاصى الرحبانى.

ورغم إنتاج أسطورة الشعر العربى الغزير فإن القصائد المغناة منها لم يتجاوز عددها عشرين قصيدة فقط، وربما يرجع السبب الرئسى لقلة هذه الأعمال إلى جرأته الشديدة فى تناول مشكلة الجنس واستخدام الكلمات الجسدية الصريحة إذ تحتوى بمنظورنا ومنظور القائمين على الرقابة العامة على المصنفات الفنية ممنوعات عديدة ومحظورات كثيرة ولا تقف عند حدود الضوء الأحمر.

ووصل الأمر إلى أن وصفه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد ذات يوم «بأنه شاعر دخل مخدع المرأة ولم يخرج منه»، ولم يغضب نزار وسار فى طريق الأشواك الذى اختاره لنفسه وأعلن التحدى فى قصائده قائلا:

لا تبكِ عليَّ إذا أدانونى .. وقالوا عن كتاباتى إباحية
فكل محاكم العشاق فى وطنى .. محاكم غير شرعية

وأضاف قائلا «لا أؤمن بشعر لا يحدث ارتجاجا فى قشرة الكرة الأرضية ولا يحدث انقلابا فى الأفكار السائدة والقناعات السابقة.. القصيدة عندى هى قنبلة موقوتة لابد أن تنفجر فى مدينة ما.. فى شارع ما.. فى امرأة ما.. لا أؤمن بالقصائد التى تمشى على الصراط المستقيم.. لأن الصراط المستقيم قد يوصلك إلى المدينة الفاضلة.. ولكنه لا يوصلك إلى مدينة الشعر.

وبداية طريق نزار قبانى مع الأغنية اكتشفه الموسيقار الكبير محمد عبدو الوهاب الذى كان دائم السفر إلى بيروت وكان نزار قبانى يعمل ملحقا سياسيا لسوريا فى بيروت وكان عبد الوهاب يدعوه للعشاء أو الغداء دائما، وفى إحدى المرات طلب عبد الوهاب من نزار أن يكتب له قصيدة لكى يلحنها ويغنيها، وبالفعل كتب نزار قصيدة «أيظن» التى أعجب بها عبد الوهاب للغاية وبدأ على الفور فى تلحينها وعندما انتهى من وضع اللحن طلب من (نجاة) أن تسمعها فانبهرت بها وألحت على غنائها لكن كان هناك عقبة تقف فى طريق غنائها لهذه القصيدة حيث إن عقد عبد الوهاب مع شركة «صوت الفن» يقضى باحتكار جميع أعماله الموسيقية سواء لنفسه أو للآخرين وكانت نجاة فى ذلك الوقت موقعة عقدا لصالح شركة «مصرفون» باحتكار صوتها لمدة معينة لكن نجاة الصغيرة ذهبت إلى المطرب محمد فوزى صاحب شركة «مصرفون» وطلبت منها استثناء هذه القصيدة «أيظن» من العقد المبرم بينهما لكى تغنيها لصالح شركة «صوت الفن» ولأن محمد فوزى كان فنانا حقيقيا يدرك معنى رسالة الفن ويعلم جيدا معنى أن تتمسك مطربة بأغنية معينة فقد وافق على الفور وكتب إقرارا بذلك يفيد موافقته على غناء نجاة الصغيرة لقصيدة «أيظن» فى شركة «صوت الفن» بصفة استثنائية.

وبالفعل سجلت نجاة «أيظن» بصوتها الدافىء قوى الإحساس كما لو كانت هذه القصيدة قد كتبت لتغنيها نجاة ملكة الأحاسيس الصادقة وهو ما عبرت عنه باقتدار كلمات القصيدة وصوت نجاة فنجحت نجاحا منقطع النظير ودوى هذا النجاح فى كل أرجاء الوطن العربى معلنا عن مولد شاعر رقيق فى عالم الأغنية العربية ونقلة فنية كبيرة فى مشوار نجاة التى سعت بدورها إلى نزار قبانى لكى يرسل لها أية قصيدة تناسبها فكتب لها.. «إلى حبيبى»، ثم «متى ستعرف» و«ماذا أقول» وأخيرا «أسألك الرحيلا». والطريف أن القصائد الأربع كانت من ألحان الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب والأطرف من ذلك أن نجاح «أيظن» المذهل أغرى صاحبة شركة «كايرو» على استثمار هذا النجاح بأن تطرح اسطوانات مسجلة بصوت عبد الوهاب لهذه القصيدة ولكن اعتذر بلباقة قائلا : كيف أغنى قصيدة تقول «حتى فساتينى التى أهملتها» فقالت له بجدية: نغير كلماتها حتى تصبح..

حتى بناطيلى التى أهملتها فضحك عبد الوهاب واعتذر بشدة.

ورغم الهجوم الذى وجه إلى هذه القصيدة بسبب هذا البيت.. حتى فساتينى التى أهملتها.. فرحت به.. رقصت على قدميه.. ووصفه البعض بأن يحتوى على تلميحات جنسية إلا أن الأغنية نجحت نجاحا غير مسبوق ورددتها الجماهير العربية.

من هذا النجاح الكبير أدرك محمد عبد الوهاب أهمية وقيمة شعر نزار قبانى فكان اللقاء الثانى عندما طلبت الإذاعة من بعض الشعراء مجموعة من النصوص التى تناسب الأحداث فى ذلك الوقت بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وبالتحديد كان عام ١٩٦٩ لكن عبد الوهاب رفض هذه النصوص جميعا وفوجىء المسئولون بالإذاعة بصوت كوكب الشرق أم كلثوم تعانق موسيقى محمد عبد الوهاب فى قصيدة رائعة للشاعر نزار قبانى يقول مطلعها:

أيها الثوار فى القدس، فى الخليل... فى بيسان فى الأغوار فى بيت لحم حيث كنتم... أيها الأحرار تقدموا تقدموا

انتقل نزار قبانى بعد ذلك إلى مساحة أكبر من الانتشار والنجومية عندما عانقت كلماته صوت عبدالحليم حافظ فى قصيدة «رسالة من تحت الماء» وأحدث نجاحها صدى كبيرا فى كل أنحاء مصر والوطن العربى ولأول مرة تتردد مقاطع من القصيدة بين الأطفال والبنات والرجال والشيوخ.

ونشأت علاقة عبدالحليم حافظ بالشاعر نزار قبانى عن طريق قصائده التى كان يحرص حليم على اقتنائها وقراءتها جيداً وكانت دواوينه تحتل ركناً كبيراً من مكتبة حليم.. كان حليم يقرأ فى أحد تلك الدواوين حتى وقع بصره على قصيدة بعنوان «رسالة من تحت الماء» قرأها أكثر من مرة وأعجب بها جداً فاتصل على الفور برفيق عمره محمد الموجى وطلب منه أن يحضر إليه فوراً لكن الموجى طلب الانتظار حتى الصباح بينما أصَّر حليم على حضور الموجى على الفور وأمام هذا الإصرار لم يجد الموجى سوى الذهاب إلى حليم فى منزله وبمجرد أن قرأ القصيدة انبهر وأمسك بالعود وهو يقول لحليم «معك حق فهذه القصيدة لا تنتظر للصباح»، وبكل حماس بدأ الموجى فى تلحين الأغنية إلى أن حدث خلاف بينهما بسبب أغانى فيلم «يوم من عمرى».

وظلت العلاقة شبه مقطوعة بين حليم والموجى لمدة ست سنوات والقصيدة واللحن لا يعرف عنهما أحد شيئا.. وفى إحدى زيارات حليم للمملكة المغربية بدعوة من الملك محمد الخامس كان حليم ينزل في نفس الفندق مع محمد الموجى وعلم مجدى العمروسى شريك كفاح عبد الحليم حافظ مصادفة بأن الموجى وضع لحنا خطيرا ومذهلا لقصيدة «رسالة من تحت الماء» فابتكر حيلة لتقريب حليم من الموجى بأن ادعى أن الموجى يشعر ببعض التعب والإرهاق ولا يغادر غرفته، وقال لحليم : من الواجب أن نزوره فذهب إليه حليم على الفور وكان موقفا جميلا وصعبا فى الوقت نفسه خرج منه الموجى بذكاء عندما قال له حليم : «حمداً لله على سلامتك.. بماذا تشعر يامحمد؟» فأدرك الموجى الحيلة التى حضر من أجلها فقال «أبدا.. شوية تعب» فرد حليم: أتصل بطبيب الفندق فضحك الموجى وقال ملطفا الجو: لما رأيتك شعرت بالراحة.

استغل مجدى العمروسى حالة الصفاء والود التى عادت إليهما فبادر الموجى قائلا : سمعت أنك لحنت قصيدة «رسالة من تحت الماء» لحنا جميلا ورفضت كل العروض والإغراءات من المطربين ورفضت أن يغنيها أحد غير عبد الحليم حافظ.. ابتسم الموجى مصدقا لكلام العمروسى وقام وأحضر آلة العود وبدأ يدندنها وسط إعجاب وانبهار عبد الحليم حافظ الذى سارع يقول له: عظيمة جدا.. أول ما نصل مصر نبدأ فورا البروفات لكى نسجلها وأغنيها فى حفل شم النسيم القادم، وعلى الفور اتصل حليم بالشاعر نزار قبانى واستأذنه فى غناء قصيدة «رسالة من تحت الماء» فطلب أن يستمع إلى اللحن فأرسل محمد الموجى نسخة من اللحن إلى نزار قبانى الذى انبهر باللحن ووافق على الفور مما جعله يرشح الموجى أيضا لتلحين قصيدة «قارئة الفنجان» في ثانى لقاء له مع عبد الحليم حافظ وتعود قصة هذه القصيدة إلى النجاح الكبير الذى حققته قصيدة «رسالة من تحت الماء» مما عجل بزيارة نزار قبانى إلى عبد الحليم حافظ فى منزله بالزمالك، كما زار محمد الموجى فى مكتبه ليعلن لهما عن سعادته الكبيرة بهذا التعاون الفنى وأهدى عبد الحليم مجموعة قصائد أخرى، وما أن قرأ من بينها «قارئة الفنجان» حتى أصر علي غنائها وكرر ما فعله مع الموجى فى المرة الأولى اتصل به وطلب حضوره على جناح السرعة، ولأن الموجى يعرف قدر إصرار حليم على شيء فلم يناقشه وهبط على الفور من منزله إلى منزل حليم وما أن انتهى من قراءة النص حتى تبلورت الفكرة الرئيسية والخطوط العريضة فى اللحن لكن عبد الحليم طلب منه تغيير بعض الكلمات مثل «فحبيبة قلبك ساكنة فى قصر مرصود.. القصر كبير وكلاب تحرسه وجنود»

وبيت آخر يقول.. قد مات شهيداً ياولدى.. من مات على دين المحبوب»

فقال حليم : ليس من المعقول ولا من الرومانسية أن أقول «إن القصر تحرسه كلاب» وليس من الممكن أننى لو أحببت فتاة من أية ديانة غير الإسلام وتوفيت أن أصبح شهيدا ولابد



محمد عبد الوهاب



أم كلثوم

أن أطرح وجهة نظرى على الأستاذ نزار لتغيير هذين البيتين. وبدأت محاولات مكثفة للعثور على نزار فى منزله بدمشق وفى بيروت وباريس ولندن والقاهرة، وظلت الاتصالات قرابة الشهر إلى أن تم التوصل إليه وكان من المعروف عن نزار أنه من المستحيل على أى مطرب أو ملحن أن يغير أحدهما حرفا فى قصائد نزار، ولكن لدى قناعة نزار ولحبه الشديد لحليم وافق واقتنع برأيه وبعد عدة أيام اتصل حليم مرة أخرى بنزار فوجده قام بتغيير البيتين إلى الأول: فحبيبة قلبك ياولدى.. نائمة فى قصر مرصود

الثانى: ياولدى قد مات شهيدا.. من مات فداء للمحبوب

ويقال إن المكالمات التليفونية التى أجراها حليم فى محاولة العثور على نزار ومحاولة إقناعه بلغت ستة آلاف جنيه عام ١٩٧٦.

نجحت «قارئة الفنجان» نجاحا كبيرا فى مصر والدول العربية، وفى لقاء تليفزيونى جمع بين حليم ونزار صباح يوم شم النسيم أعلن نزار قبانى عن الكلمات التى طلب إجراء تعديل عليها وكيف استطاع حليم أن يقنعه بوجهة نظره.. وأصبحت صداقة قوية بينهما مما جعل نزاراً يتحمس لحليم جدا وكلما وجد فى أشعاره قصائد تناسبه يرسلها إليه فورا، مثلما حدث فى قصيدة «إنى خيرتك فاختارى» التى غناها كاظم الساهر مؤخرا كان من المفترض أن يغنيها حليم لكن ظروف مرضه حالت دون تحقيق رغبة نزار ثم سفره إلى لندن فى رحلة العلاج الأخيرة حيث توفى حليم هناك.

بعد رحلة التعاون مع جيل العمالقة حليم وأم كلثوم ونجاة اقتحمت ماجدة الرومى المضمار لتصبح أول من يتعامل مع نزار من جيل الشباب بعد حليم.. وكان أول تعاون بينهما فى قصيدة «كلمات» بدأت قصة هذا التعاون بمبادرة من الشاعر الكبير بأن أرسل إلى ماجدة الرومى برقية فى بيروت يخبرها بإعجابه الشديد بصوتها وتحمسه لها وترك لها رقم هاتفه فى لندن للاتصال به وقت أن تحتاج إلى أية مشورة فنية.

هذه الرسالة كانت بداية خط التعاون بينهما فاتصلت ماجدة على الفور التى أسمعها كلمات قصيدة «كلمات» فانبهرت بها وتعجبت لقدرة هذا الرجل - نزار قبانى - فى معرفة ما يناسب كل شخصية غنائية وكيف يتمتع هذا الترشيح بالتوفيق من كل الوجوه فأعطت القصيدة للملحن اللبنانى «إحسان المنذر» وسجلت على شرائط كاسيت وأحدثت نجاحا مبهرا جعلها تتحمس فى إعادة التجربة مرة أخرى وأثمر عن نجاح قصائد «مع جريدة» و«بيروت ياست الدنيا» من ألحان الدكتور جمال سلامة.

أما عن قصيدة «اغضب» التى ظلت حائرة سنوات عديدة ورفضت كثيرات من المطربات أن يغنينها منهن أم كلثوم ونجاة الصغيرة إلى أن وصلت إلى أيدى المطربة السورية «أصالة» فطارت فرحا بها واتصلت بالشاعر الكبير لكى تستئذنه فى غنائها فوافق على الفور وسأل عن اسم الملحن فقالت له: حلمى بكر، ولم يكن قد تعامل معه من قبل.. لكنه سمع أغنياته مع عليا ووردة ونجاة فأبدى سعادته ووافق على التنازل لأصالة على غنائها بشرط أن يقوم حلمى بكر بتلحينها وكان حلمى بكر يعرف جيدا أن نزاراً يحب دائما أن يستمع إلى اللحن قبل أن يغنى فى حفل عام، وفى اتصال تليفونى بينهما شعر حلمى بكر بحرج الشاعر الكبير فى أن يطلب الاستماع إلى اللحن بعد الانتهاء منه لدرجة أن نزاراً قال لحلمى: هل من الممكن أن تؤنسنى معك باللحن بعد الانتهاء منه وعلى الفور قال حلمى بكر: طبعا ياأستاذ.. من المؤكد كنت سأفعل ذلك.. ولكن من أهم سمات نزار هو خروجه على المألوف وكل ماهو تقليدى، ففى قصيدة «اغضب» يقول المطلع :

اغضب كما تشاء.. واجرح أحاسيسى كما تشاء

فأنت كالأطفال ياحبيبى.. نحبهم مهما لنا أساءوا

كلمة (تشاء) جاءت لتنهى المعنى فى جملة مفيدة فأصبحت ساكنة وحسب المألوف لحنها حلمى بكر «ساكنة» وغير متحركة، لكن نزار قبانى طلب منه تحريكها بالضمة (تشاءُ) حتى توافق القافية فى (أساءوا).

وكانت قصيدة «اغضب» قد عرضت على الفنانة الكبيرة نجاة لكى تغنيها ضمن ألبومها «إلا فراق الأحباب» لكن نجاة طلبت من نزار تغيير الشطرات الأربع الأولى التى تقول:

اغضب كما تشاء... واجرح أحاسيسى كما تشاءُ

حطم أوانى الزهر والمرايا.. هدد بحب امرأة سوايا

وكانت وجهة نظر الفنانة نجاة نابعة من هذه الأبيات مفردات عنيفة لا تتناسب مع شخصيتها الغنائية والانطباع السائد لدى جمهورها بالرومانسية والإحساس المرهف ولم يتم التعاون بينهما فى هذه القصيدة، ومن أصالة إلى كاظم

الساهر الذى بدأ رحلة العشق لقصائد نزار قبانى وهو فى الرابعة عشرة من عمره حيث كان يهوى القراءة وتنوق الشعر والموسيقى، وبدأ إعجابه بقصيدة «إنى خيرتك فاختارى» وبدون أن يدرى كان يدندنها بينه وبين نفسه إلى أن جاءت اللحظة المناسبة فى إحدى الليالى أمسك بالعود ولحن الكوبليه الأول واكتفى خشية أن يكون فشل فى تلحينه إلى أن جاءت إحدى الحفلات الصغيرة فأراد كاظم أن يستكشف رد فعل الجمهور تجاه هذه الأغنية فغنى الكوبليه الأول فقط وكانت مفاجأة لم يتوقعها عندما طالبه الحضور بتكملة القصيدة ولكنه اعتذر لأنه لم ينته بعد من تلحينها بالكامل، المفاجأة الأكثر إثارة أن من بين الحضور عدداً من أفراد أسرة نزار قبانى الذين اتصلوا به فى لندن وأبلغوه بما حدث وكيف كان استقبال الجمهور لهذه القصيدة عظيما، وبالفعل انتشر هذا المقطع من الأغنية فى كثير من الدول العربية مما شجع كاظم على الاتصال بنزار قبانى ليستئذنه فى غناء القصيدة فكانت مفاجأة سارة جدا لكاظم عندما أخبره نزار بأنه علم بمدى نجاح المقطع الأول ولكنه يعتب عليه في عدم استئذانه، فقال له كاظم: إنه تمنى طوال حياته أن يغنى هذه القصيدة حبا فى أشعاره.

وكاظم الساهر - ككاتب أغنيات لنفسه فقط - لا يتدخل إطلاقا فى أعمال الأستاذ الكبير نزار قبانى ولكنه يجد مساعدة تلقائية من الأستاذ عندما يجد جملة يصعب تلحينها فيضيف أو يحذف وهذا ما حدث فى ألبوم كاظم الأخير - أنا وليلى - وبالتحديد فى قصيدة - إلا أنت - التى أضاف فيها نزار قبانى مقطعا جميلا يقول: يا امرأة أعطتنى الحب بمنتهى الحضارة.. وحاورتنى مثلما يحاور القيثارة

نطير كالحمامة البيضاء.. فى فكر اذا مافكرت

يقول كاظم الساهر: أحسد نفسى لأن لدى القدرة على أن أرتقى إلى نصوص نزار قبانى فهو أستاذ الكلمة الرقيقة التي تخترق القلب.. أنظر إلى كلمات «إلا أنت» بها رقى وفيها رد جميل للأم التى تعلّم وتربى.

أما ماجدة الرومى فتقول: نزار قبانى كان يعبر عن أحلام الشباب في الوطن العربى على امتداد ما يقارب نصف قرن من الزمان، ولأنه كان قلعة تدافع عن كرامة وحرية الإنسان العربى على امتداد ما يقارب نصف قرن من الزمان وعن تحرير أرضه، لم يتردد أبدا فى الدفاع عن أرض مستباحة أو أى مواطن عربى يشعر بالاضطهاد... لم يكن نزار بالنسبة لى مجرد شاعر أعجبت به وأغنى له بل أستاذ تعلمت على يديه الكثير عن الفن وعن الوطن وعن لغة القلب.. وكغيرى من بنات جيلى تأثرت بقصائده الملونة ومشاعره المرهفة، وكنت كلما أردت أن أختار إحدى قصائده الوطنية أو العاطفية أغرق فى حيرة فكلها تصلح للغناء وكلها تلمس أوتار القلوب، وقد غنيت له «كلمات» و«بيروت ياست الدنيا» «ومع جريدة» وسأظل أجد فى قصائده المنشورة ما يؤنسنى بعد غيابه بجسده عن عالمنا.

والمطربة التونسية لطيفة تقول: أحببت الشعر من قصائد نزار قبانى فهو نبض الإحساس العربى الصادق بكل معانيه وأبعاده.. هو النبض السياسى والفنى والاجتماعى.. فهو لسان حال الـ ٢٠٠ مليون عربى بأطفالهم وشيوخهم ونسائهم ورجالهم وأعتبر نفسى محظوظة لأننى حصلت منه على موافقة بغناء أربع قصائد منها قصيدة عن سورية.

وأذكر أن الشاعر الراحل الكبير بلند الحيدرى قال ذات يوم: إن سقوط شاعر يعادل سقوط دولة ويوازى سقوط الأندلس..

ورحيل نزار قبانى يعنى سقوط امبراطورية ظل متربعا على عرشها منذ احترف الهوى احترق على حرف الكلمة.. انهيار امبراطورية من دويلات الحب والمشاعر والإحساس والذكاء والعطاء والانتماء.

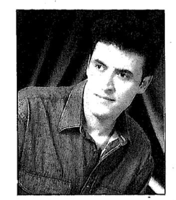
قصائد نزار المغناة

١ ـ أيظن ـ لحن محمد عبد الوهاب غناء نجاة
٢ ـ أصبح عند الآن بندقية ألحان محمد عبد الوهاب غناء أم كلثوم
٣ ـ عندى خطاب عاجل إليك ألحان رياض السنباطى غناء أم كلثوم
٤ ـ رسالة من تحت الماء ألحان محمد الموجى غناء عبد الحليم حافظ
٥ ـ قارئة الفنجان ألحان محمد الموجى غناء عبد الحليم حافظ
٦ ـ لا تسألونى ما اسمه حبيبى ألحان الأخوين رحبانى غناء فيروز
٧ ـ ماذا أقول له ألحان محمد عبد الوهاب غناء نجاة
٨ ـ إلى حبيبى ألحان محمد عبد الوهاب غناء نجاة


رياض السنباطى


محمد فوزى

٩ ـ أسألك الرحيلا ألحان محمد عبد الوهاب غناء نجاة
١٠ ـ رسالة من امرأة ألحان محمد سلطان غناء فايزة أحمد
١١ ـ اغضب ألحان حلمى بكر غناء أصالة
١٢ ـ كلمات ألحان إحسان المنذر غناء ماجدة الرومى
١٣ ـ ست الدنيا ألحان د. جمال سلامة غناء ماجدة الرومى
١٤ ـ مع جريدة ألحان د. جمال سلامة غناء ماجدة الرومى
١٥ ـ اختارى ألحان كاظم الساهر غناء كاظم الساهر
١٦ ـ مدرسة الحب ألحان كاظم الساهر غناء كاظم الساهر
١٧ ـ زيدينى عشقا ألحان كاظم الساهر غناء كاظم الساهر
١٨ ـ إلا أنت ألحان كاظم الساهر غناء كاظم الساهر



كاظم الساهر



وردة


نزار قباني
أنشودة حب مصرية



أشـــهد أن لا امــرأة إلا انت

اشهد ان لا امراة إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
اتقنت اللعبة إلا انت ..
واحتملت حماقتى عشرة اعوام كما احتملتِ ..
واضطبرت على جنونى مثلما صبرت ..
وقلمت اظافرى
ورتبت دفاترى
وادخلتنى روضة الأطفال ..
إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
تشبهنى كصورة زيتية
فى الفكر والسلوك ، إلا انتِ ..
والعقل والجنون .. إلا انت
والملل السريع .. والتعلق السريع .. إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
قد اخذت من اهتمامى نصف ما اخذتِ
واستعمرتنى مثلما فعلت ..
وحررتنى مثلما فعلتِ ..

اشهد ان لا امراة ..
تعاملت معى كطفل عمره شهران .. إلا انت ..
وقدمت لى لبن العصفور ، والأزهار ، والألعاب .. إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
كانت معى كريمة كالبحر ..
راقية كالشعر ..
ودللتنى مثلما فعلتِ ..
وافسدتنى مثلما فعلت ..
اشهد ان لا امراة ..
قد جعلت طفولتى تمتد للخمسين .. إلا انت ..

اشهد ان لا امراة ..
تقدر ان تقول إنها النساء .. إلا انت
وإن فى سُرّتها مركز، هذا الكون
اشهد ان لا امراة .
تتبعها الأشجار عندما تسير إلا انت ..
ويشرب الحمام من مياه جسمها الثلجى .. إلا انت ..
وتاكل الخراف من حشيش إبطها الصيفى .. إلا انت
اشهد ان لا امراة ..
اختصرت بكلمتين قصة الأنوثة ..
وحرضت رجولتى علىّ .. إلا انت

اشهد ان لا امراةً..
توقف الزمان عند نهدها الأيمن .. إلا انت ..
وقامت الثورات من سفوح نهدها الأيسر .. إلا انت
اشهد ان لا امراة ..
قد غيرت شرائع العالم إلا انت ..
وغيرت خريطة الحلال والحرام ..
إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
تجتاحنى فى لحظات العشق ، كالزلزال
تحرقنى .. تغرقنى ..
تشعلنى .. تطفئنى ..
تكسرنى نصفين كالهلال ..
اشهد ان لا امراة ..
تحتل نفسى اطول احتلال ..
واجمل احتلال
تزرعنى ..
وردا دمشقيا .. ونعناعا .. وبرتقال ..

يا امراة ..
اترك تحت شعرها اسئلتى ..
ولم تجب يوما على سؤال ..
ياامراة ..
هى اللغات كلها ..
لكنها ..
تُلمَس بالذهن .. ولا تقال ..

ايتهاً البحرية العينين .. والشمعية اليدين .. والرائعة الحضور
ايتها البيضاء كالفضة .. والملساء كالبللور ..
اشهد ان لا امراة ..
على محيط خصرها تجتمع العصور
والف الف كوكب يدور ..
اشهد ان لا امراة .. غيرك ياحبيبتى
على ذراعيها تربى اول الذكور ..
وآخر الذكور ..

ايتها اللماحة ، الشفافة ، العادلة ، الجميلة ..
ايتها الشهية ، البهية ، الدائمة الطفولة
اشهد ان لا امراة ..
تحررت من حكم اهل الكهف .. إلا انت .
وكسرت اصنامهم .. وبددت اوهامهم
واسقطت سلطة اهل الكهف .. إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..
استقبلت بصدرها خناجر القبيلة ..
واعتبرت حبى لها .. خلاصة الفضيلة ..
اشهد ان لا امراة ..
جاءت تماما مثلما انتظرتُ ..
وجاء طول شعرها ، اطول مما شئت او حلمت ..
وجاء شكل نهدها .. مطابقا لكل ما خططت او رسمت ..
اشهد ان لا امراة ..
تخرج لى من سحب الدخان ، إن دخُنت ..
تطير كالحمامة البيضاء فى فكرى ، إذا فكرت
ياامراة كتبت عنها كتبا بحالها
لكنها .. برغم شعرى كله ..
قد بقيت اجمل من جميع ماكتبت ..

اشهد ان لا امراة ..
مارست الحب معى بمنتهى الحضارة
واخرجتنى من غبار العالم الثالث إلا انت ..
اشهد ان لا امراة ..

قبلك .. حَلَّتْ عُقَدِى
وثَقَّفتْ لى جسدى ..
وحاورته مثلما تحاور القيثارة ..

اشهد ان لا امراة ..
تمكنت ان ترفع الحب إلى مرتبة الصلاة ..
إلا انت ..
إلا انت ..
إلا انتِ ..

اختارى

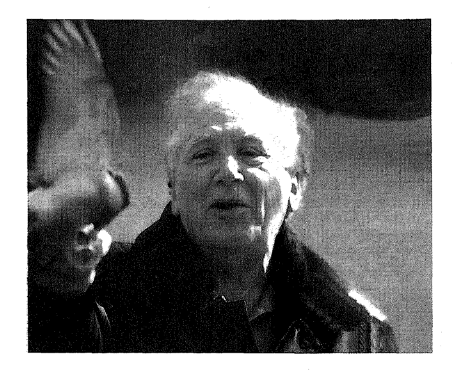
إنى خيرتك .. فاختارى
مابين الموت على صدرى
او فوق دفاتر اشعارى
إختارى الحب .. او اللا حب
فجبن أن لاتختارى ..
لاتوجد منطقة وسطى
مابين الجنة والنار ..

إرمى اوراقك كاملة ..
وسارضى عن اى قرار
قولى .. إنفعلى .. إنفجرى
لاتقفى مثل المسمار
لايمكن ان ابقى ابدا
كالقشة تحت الأمطار ..
إختارى قدرا بين اثنين
وما اعنفها اقدارى ..

مرهقة انت .. وخائفة
وطويل جدا .. مشوارى
غوصى فى البحر .. او ابتعدى
لا بحر .. من غير دوار ..
الحب .. مواجهة كبرى
إبحار ضد التيار ..
صلب ، وعذاب ، ودموع
ورحيل بين الاقمار ..

يقتلنى جبنك .. ياامراة
تتسلى من خلف ستار
إنى لا أؤمن فى حب
لايحمل مزق الثوار ..
لايكسر كل الأسوار
لايضرب مثل الإعصار
آه .. لو حبك يبلعنى
يقلعنى مثل الإعصار ..

إنى خيرتك .. فاختارى
مابين الموت على صدرى



او فوق دفاتر اشعارى
لاتوجد منطقة وسطى
مابين الجنة والنار ..

رسالة من تحت الماء

إن كنت صديقى ..
ساعدنى .. كى ارحل عنك
او كنت حبيبى ..
ساعدنى .. كى اشفى منك ..
لو انى اعرف ..
أن الحب خطير جدا .. ما احببت .
لو انى اعرف ..
أن البحر عميق جدا .. ما ابحرت ..
لو انى اعرف خاتمتى ..
ما كنت بدات ..
إشتقت إليك .. فعلمنى
ان لا اشتاق ..
علمنى ..
كيف اقص جذور هواك من الاعماق
علمنى ..
كيف تموت الدمعة فى الإحداق ..
علمنى .. كيف يموت القلب ..
وتنتحر الأشواق ..



عبد الحليم حافظ

إن كنت نبيا ..
خلصنى من هذا السحر ..
من هذا الكفر ..
حبك كالكفر .. فطهرنى
من هذا الكفر ..
إن كنت قويا ..
اخرجنى من هذا اليم
فانا لا اعرف فن العوم ..

الموج الأزرق .. فى عينيك ..
يجرجرنى .. نحو الأعمق ..
أزرق ..
أزرق ..
لاشىء سوى اللون الأزرق
وأنا ماعندى تجربة
فى الحب .. ولا عندى زورق
إن كنت أعز عليك ..
فخذ بيدى ..
فأنا عاشقة .. من رأسى
حتى قدمى ..
إنى أتنفس تحت الماء
إنى أغرق ..
أغرق ..
أغرق ..

إلـى رجـل ...

متى ستعرف كم أهواك .. يا رجلا
أبيع من أجله الدنيا .. وما فيها
يا من تحديت فى حبى له .. مدنا
بحالها .. وسامضى فى تحديها
لو تطلب البحر .. فى عينيك اسكبه
أو تطلب الشمس .. فى كفيك أرميها
أنا أحبك . فوق الغيم أكتبها
وللعصافير . والأشجار .. أحكيها
أنا أحبك . فوق الماء أنقشها
وللعناقيد .. والأقداح .. أسقيها
أنا أحبك ، يا سيفا أسال دمى
يا قصة لست أدرى .. ما أسمّيها
أنا أحبك ، حاول أن تساعدنى
فإن من بدأ المأساة .. ينهيها
وإن من فتح الأبواب .. يغلقها
وإن من أشعل النيران .. يطفيها
يا من يدخن فى صمت .. ويتركنى
فى البحر .. أرفع مرساتى وألقيها
ألا ترانى ببحر الحب .. غارقة
والموج يمضغ آمالى ويرميها
إنزل قليلا عن الأهداب .. يا رجلا
مازال يقتل أحلامى .. ويحييها
كفاك .. تلعب دور العاشقين معى
وتنتقى كلمات .. لست تعنيها
كم اخترعت مكاتيبا .. سترسلها
وأسعدتنى ورود .. سوف تهديها
وكم ذهبت لوعد .. لا وجود له
وكم حلمت بأثواب سأشريها
وكم تمنيتُ لو للرقص تطلبنى ..
وحيرتنى ذراعى .. أين ألقيها ؟
إرجع إلى .. فإن الأرض واقفة
كأنما الأرض فرت من ثوانيها ..
إرجع .. فبعدك لا عِقدُ أعلقه
ولا لمست عطورى فى أوانيها ..
لمن جمالى ؟ لمن شال الحرير ؟ لمن ؟
ضفائرى منذ أعوام أربيها ؟
إرجع كما أنت . صحوا كنت أم مطرا
فما حياتى أنا .. إن لم تكن فيها ؟



نجاة

قارئـة الفنجـان

جلست .. والخوف بعينيها
تتأمل فنجانى المقلوب
قالت : يا ولدى . لا تحزن
فالحب عليك هو المكتوب
يا ولدى ، قد مات شهيدا ..
من مات على دين المحبوب ..
فنجانك .. دنيا مرعبة
وحياتك أسفار .. وحروب
ستحب كثيرا وكثيرا
وتموت كثيرا وكثيرا
وستعشق كل نساء الأرض ..
وترجع .. كالملك المغلوب ..

بحياتك ، يا ولدى ، امرأة
عيناها .. سبحان المعبود
فمها .. مرسوم كالعنقود
ضحكتها .. موسيقى وورود
لكن سماءك ممطرة
وطريقك .. مسدود .. مسدود

فحبيبة قلبك .. يا ولدى
نائمة .. فى قصر مرصود
والقصر كبير .. يا ولدى
وكلاب تحرسه وجنود
وأميرة قلبك .. نائمة
من يدخل حجرتها مفقود ..
من يطلب يدها .. من يدنو ..
من سور حديقتها مفقود
من حاول فك ضفائرها
يا ولدى .. مفقود .. مفقود ..

بصَرتُ .. ونجَّمتُ كثيرا ..
لكنى .. لم أقرأ أبدا ..
فنجانا يشبه فنجانك
لم أعرف أبدا .. يا ولدى
أحزانا .. تشبه أحزانك ..
مقدورك أن تمشى أبدا
فى الحب .. على حد الخنجر ..
وتظل وحيدا كالأصداف
وتظل حزينا كالصفصاف
مقدورك أن تمضى أبدا
فى بحر الحب بغير قلوع
وتحب ملايين المرات
وترجع .. كالملك المخلوع

جسمك خارطتى

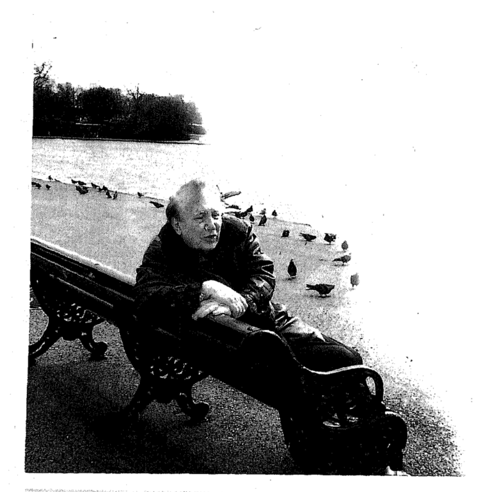
زيدينى عشقا .. زيدينى
يا احلى نوبات جنونى
يا سفر الخنجر .. فى انسجتى
يا غلغلة السكين ..
زيدينى غرقا يا سيدتى
إن البحر ينادينى
زيدينى موتا ..
عل الموت ، إذا يقتلنى ، يحيينى ..
جسمك خارطتى .. ما عادت
خارطة العالم تعنينى ..
انا اقدم عاصمة للحزن ..
وجرحى نقش فرعونى
وجعى .. يمتد كبقعة زيت
من بيروت .. إلى الصين ..
وجعى قافلة .. ارسلها
خلفاء الشام .. إلى الصين
فى القرن السابع للميلاد ..
وضاعت فى فم تنين ..
عصفورة قلبى . نيسانى
يا رمل البحر ، ويا غابات الزيتون
يا طعم الثلج ، وطعم النار ..
ونكهة كفرى ، ويقينى
اشعر بالخوف من المجهول .. فآوينى
اشعر بالخوف من الظلماء .. فضمينى
اشعر بالبرد .. فغطينى
إحكى لى قصصا للأطفال ..
اضطجعى قربى ..
غنّينى ..
فانا من بدء التكوين
ابحث عن وطن لجبينى ..
عن شعر امراة ..
يكتبنى فوق الجدران .. ويمحونى
عن حب امراة .. ياخذنى
لحدود الشمس .. ويرمينى
عن شفة امراة .. تجعلنى
كغبار الذهب المطحون ..
نوارة عمرى . مروحتى
قنديلى . بوح بساتينى
مدّىَ لى جسرا من رائحة الليمون ..
وضعينى مشطا عاجيا ..
فى عتمة شعرك .. وانسينى
انا نقطة ماء .. حائرة
بقيت فى دفتر تشرين
يدهسنى حبك .. مثل حصان قوقازى مجنون
يرمينى تحت حوافره ..
يتغرغر فى ماء عيونى ..
زيدينى عنفا .. زيدينى
يا احلى نوبات جنونى
من اجلك اعتقت نسائى
وشطبت شهادة ميلادى
وقطعت جميع شراييني ..

حبيبى



فيروز

لا تسالونى .. ما اسمه حبيبى
اخشى عليكم ضوعه الطيوب
زق العبير إن حطتموه
غرقتم بعاطر سكيب
والله . لو بحت باى حرف
تكدس الليلك فى الدروب
لا تبحثوا عنه هنا بصدرى
تركته يجرى مع الغروب
ترونه فى ضحكة السواقى
فى رفة الفراشة اللعوب
فى البحر ، فى تنفس المراعى
وفى غناء كل عندليب
فى ادمع الشتاء حين يبكى
وفى عطاء الديمة السكوب
لا تسالوا عن ثغره .. فهلا
رايتم اناقة المغيب
ومقلتاه شاطئا نقاء
وخصره تهزهز القضيب
محاسن .. لا ضمها كتاب
ولا ادّعتها ريشة الأديب
وصدره .. ونحره .. كفاكم
فلن ابوح باسمه حبيبى

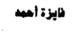


مع جريدة

اخرج من معطفه الجريده ..
وعلبة الثقاب
ودون ان يلاحظ اضطرابى ..
ودونما اهتمام
تناول السكر من امامى ..
ذوّب فى الفنجان قطعتين
ذوبنى .. ذوب قطعتين
وبعد لحظتين
ودون ان يرانى
ويعرف الشوق الذى اعترانى ..
تناول المعطف من امامى
وغاب فى الزحام
مخلفا وراءه .. الجريدة
وحيدة
مثلى انا .. وحيدة □

رسالة من سيدة حاقدة ..

« لا تدخل .. »
وسددتَ فى وجهى الطريق بمرفقيك
وزعمت لى ..
ان الرفاق اتوا إليك ..
اهم الرفاق اتو إليك ؟
ام ان سيدة لديك
تحتل بعدى ساعديك ؟
وصرخت محتدما : قفى !
والريح تمضغ معطفى
والذل يكسو موقفى
لا تعتذر يا نذل . لا تتاسف ..
انا لست آسفة عليك
لكن على قلبى الوفى
قلبى الذى لم تعرف ..
ماذا ؟ لو انك يا دنى ..
اخبرتنى
انى انتهى امرى لديك ..
فجميع ما وشوشتنى
ايام كنت تحبنى
من اننى ..
بيت الفراشة مسكنى
وغدى انفراط السوسن ..
انكرته اصلا كما انكرتنى ..


فايزة أحمد

لا تعتذر ..
فالإثم يحصد حاجبيك
وخطوط احمرها . تصيح بوجنتيك
ورباطك المشدوه .. يفضح
ما لديك .. ومن لديك ..
يا من وقفتُ دمى عليك
وذللتنى ، ونفضتنى
كذبابة عن عارضيك
ودعوت سيدة اليك
واهنتنى ..
من بعد ما كنت الضياء بناظريك ..



إني اراها في جوار الموقد
اخذت هنالك مقعدي ..
ففي الركن .. ذات المقعد
واراك تمنحها يدا
مثلوجة .. ذات اليد ..
ستردد القصص التي اسمعتني ..
ولسوف تخبرها بما اخبرتني ...
وسترفع الكاس التي جرعتني
كاسا بها سممتني
حتى إذا عادت إليك
لترود موعدها الهني ..
اخبرتها ان الرفاق اتوا اليك ..
واضعت رونقها كما ضيعتني ..□

يا ست الدنيا يا بيروت

١

يا سِتَّ الدنيا يا بيروتْ ...
من باع اساورك المشغولة بالياقوتْ ؟
من صادر خاتمك السحرى ،
وقص ضفائرك الذهبية ؟

من ذبح الفرح النائم في عينيك الخضراوين ؟
من شطّب وجهك بالسكين ،
والقى ماء النار على شفتيك الرائعتين
من سمَّم ماء البحر ، ورش الحقد على الشطان الوردية ؟
ها نحن اتينا .. معتذرين .. ومعترفين
انَّا اطلقنا النار عليك بروح قبليه ..
فقتلنا امراة .. كانت تُدعى (الحرية) ...

٢

ماذا نتكلم يا بيروت ..
وفي عينيك خلاصة حزن البشرية
وعلى نهديك المحترقين .. رمادُ الحرب الاهلية
ماذا نتكلم يا مروحة الصيف . ويا وردته الجوريَّة

من كان يفكر ان نتلاقى - يا بيروت - وانت خراب ؟
من كان يفكر ان تنمو للوردة آلاف الانياب ؟
من كان يفكر ان العين تقاتل في يوم ضد الاهداب ؟
ماذا نتكلم يالؤلؤتي ؟
يا سنبلتي ..
يا اقلامي ..
يا احلامي ..
يا اوراقي الشعرية ..

من اين اتتك القسوة يا بيروت
وكنت برِقَّة حورية ..
لا افهم كيف انقلب العصفور الدوريُّ
لِقِطَّة ليل وحشية ..
لا افهم ابدا يا بيروت
لا افهم كيف نسيتِ الله ..
وعدتِ لعصر الوثنية ..

٣

قومي من تحت الموج الازرق . ياعشتار
قومي كقصيدة ورد ..
او قومي كقصيدة نار
لا يوجد قبلك شيء .. بعدك شيء .. مثلك شيء .. مثلك شيء ..
انت خلاصات الاعمار ..

يا حقل اللؤلؤ ..
يا ميناء العشق ..
ويا طاووس الماء ..
قومي من اجل الحب ، ومن اجل الشعراء
قومي من اجل الخبز ، ومن اجل الفقراء
الحب يريدك .. يا احلى الملكات ..
والرب يريدك ، يا احلى الملكات
ها انت دفعت ضريبة حسنك مثل جميع الحسناوات
ودفع الجزية عن كل الكلمات ..

٤

قومي من نومك ..
يا سلطانة ، يا نَوّارةُ ، يا قنديلا مشتعلا في القلب
قومي كي يبقى العالم يا بيروت ..
ونبقى نحن ..
ويبقى الحبُّ ...

قومي ..
يا احلى لؤلؤةٍ اهداها البحر
الآن عرفنا ما معنى ..
ان نقتل عصفورا في الفجر
الآن عرفنا ما معنى ..
ان ندلق فوق سماء الصيف زجاجة حبر
الآن عرفنا ..
انا كنا ضد الله .. وضد الشعر ..

٥

يا ست الدنيا يا بيروت ..
يا حيث الوعدُ الاولُ .. والحب الاول ..
يا حيث كتبنا الشعر ..
وخَبَّئْنَاهُ باكياس المُخْمَلْ ..

نعترف الآن .. بأنَّا كنا يا بيروت ،
نحبك كالبدو الرُّحَّلْ ..
ونمارس فعل الحب .. تماما
كالبدو الرحل ...
نعترف الآن .. بانك كنت خليلتنا
ناوى لفراشك طول الليل ...
وعند الفجر ، نهاجر كالبدو الرحَّل

نعترف الآن بانا كنا اميين ..
وكنا نجهل ما نفعلْ ..
نعترف الآن ، بانا كنا من بين القتلة ..

ورأينا رأسك ..
يسقط تحت صخور الرَّوْشَةِ كالعصفور
نعترف الآن ..
بأنا كنا - ساعة نُفِّذَ فيك الحكم -
شهودَ الزور ..

٦

نعترف أمام الله الواحد ..
إنا كنا منك نغار ..
وكان جمالك يؤذينا ..
نعترف الآن ..
بأنا لم ننصفك .. ولم نعذرك .. ولم نفهمكِ ..
واهديناك مكان الوردة سكينا ..

نعترف أمام الله العادل ...
انا راودناكِ ..
وعاشرناك ..
وضاجعناك ..
وحمَّلناك معاصينا ..
يا ست الدنيا ، إن الدنيا بعدك ليستْ تكفينا ..
الآن عرفنا .. ان جذورك ضاربة فينا ..
الآن عرفنا .. ماذا اقترفتْ ايدينا ..

٧

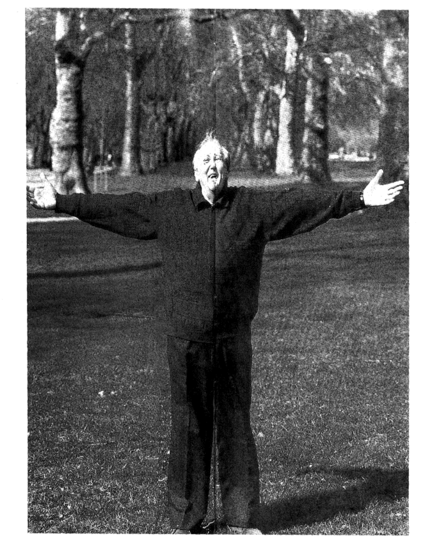
الله .. يفتش في خارطة الجنة عن لبنان
والبحر يفتش في دفتره الأزرق عن لبنان
والقمر الأخضر ..
عاد أخيرا كي يتزوج من لبنان ..

اعطيني كفك يا جوهرة الليل ، وزنبقة البلدان
نعترف الآن ..
بأنا كنا ساديين ، ودمويين ..
وكنا وكلاء الشيطان
يا ست الدنيا يا بيروت ..
قومي من تحت الردم ، كزهرة لوزٍ في نيسانْ

قومي من حزنك ..
إن الثورة تولد من رَحِم الأحزانْ
قومي إكراما للغابات ..
وللأنهار ..
وللوديان ..
قومي إكراما للإنسان ..
إنَّا أخطأنا يا بيروت ..
وجئنا نلتمس الغفران ..

٨

مازلت احبك يا بيروت المجنونه ..
يا نهر دماء وجواهر ..
مازلت احبك يا بيروت القلب الطيب ..
يا بيروت الفوضى ..



يا بيروت الجوع الكافر ... والشبع الكافر ...
مازلت احبك يا بيروت العدل ..
ويا بيروت الظلم ...
ويا بيروت السُّبي ..
ويا بيروت القاتل والشاعر ..
مازلت احبك يابيروت العشق ..
ويا بيروت الذبح من الشريان إلى الشريان ..
مازلت احبك رغم حماقات الإنسان
مازلت احبك يا بيروت ..
لماذا لا نبتدىء الآن ؟؟ □

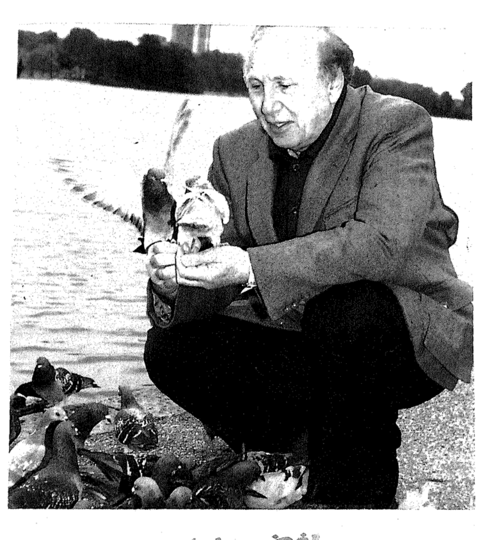
قصيدة الحزن

علَّمني حبك .. ان احزنْ
وانا محتاج منذ عصور
لامرأة ابكي فوق ذراعيها
مثل العصفور
لا مرأة .. تجمع اجزائي
كشظايا البلور المكسور
علمني حبك ، سيدتي . اسوأ عاداتْ ..
علمني .. افتح فنجاني
في الليلة ، الاف المرات ..
واجرب طِبَّ العطارين ..
واطرق باب العرّافات ..
علمني .. أخرج من بيتي ..
لامشط .. ارصفة الطرقات
واطارد وجهك ..
في الأمطار ..
وفي أضواء السيارات ..
واطارد ثوبك ..
في أثواب المجهولات
واطارد طيفك ..
حتى .. حتى ..
في أوراق الإعلانات ..
علمني حبك ..
كيف أهيم على وجهي .. ساعات
بحثا عن شعر غَجَرِيٍّ
تحسده كل الغجريات
بحثا عن وجه .. عن صوت ..
هو كل الأوجه والأصوات .

ادخلني حبك .. سيدتي
مدن الأحزان ..
وانا من قبلك لم ادخل ..
مدن الأحزان ..
لم اعرف ابدا ..
ان الدمع هو الإنسان
ان الإنسان بلا حزن
ذكرى إنسان ..
علمني حبك ..
ان اتصرف كالصبيان
ان ارسم وجهك بالطبشور
على الحيطان ..

وعلى أشرعة الصيادين
على الاجراس ، على الصلبان
علمنى حبك .. كيف الحب
يُغَيِّر خارطة الأزمان ..
علمنى .. انّى حين احب ..
تكف الارض عن الدوران
علمنى حبك أشياء ..
ما كانت ابدا فى الحسبان
فقرات اقاصيص الاطفال ..
دخلت قصور ملوك الجان
وحلمت بان تتزوجنى
بنت السلطان ..
تلك العَيْنَاهَا ..
اصفى من ماء الخلجان
تلك الشفتاها ..
اشهر من زهر الرمان
وحلمت بانى اخطفها مثل الفرسان ..
وحلمت بانى اهديها اطواقَ اللؤلؤ والمرجان
علمنى حبك . يا سيدتى . ما الهذيان
علمنى .. كيف يمر العمر ..
ولا تاتى بنت السلطان ..

علمنى حبك ..
كيف احبك فى كل الأشياء
فى الشجر العارى ، فى الأوراق اليابسة الصفراءْ
فى الجو الماطر .. فى الانواء ..
فى اصغر مقهى .. نشرب فيه ..
مساءً .. قهوتنا السوداء ..
علمنى حبك .. ان آوى ..
لفنادق ليس لها اسماء
وكنائس ليس لها اسماء
ومَقَاهٍ ليس لها اسماء
علمنى حبك .. كيف الليل
يضخّمُ احزان الغرباء ..
علمنى .. كيف ارى بيروت
امراة .. طاغية الإغراء ..
امراة .. تلبس كل مساء
أجمل ما تملك من ازياء
وترش العطر على نهديها
للبحّارة .. والامراء ..
علمنى حبك ان ابكى من غير بكاء
علمنى كيف ينام الحزن
كغلام مقطوع القدمين ..
فى طرق (الرَّوْشَةِ) و (الحمراء) ..
علمنى حبك ان احزن ..
وانا محتاج منذ عصور
لامراة .. تجعلنى احزن ..
لامراةٍ ابكى فوق ذراعيها
مثل العصور ..
لامرءة تجمع اجزائى ..
كشظايا البللور المكسور .. □



إغضب

إغضب كما تشاء ..
واجرح احاسيسى كما تشاء
حطم اوانى الزهر .. والمرايا ..
هدد بحب امراة سوايا ..
فكل ما تفعله سواء ..
وكل ما تقوله سواء ..
فانت كالاطفال يا حبيبى
نحبهم .. مهما لنا اساؤوا ..
إغضب !
فانت رائع حقا متى تثور
إغضب !
فلولا الموج ما تكونت بحور ..
كن عاصفا .. كن ممطرا ..
فإن قلبى دائما غفور
إغضب !
فلن اجيب بالتحدى
فانت طفل عابث ..
يملؤه الغرور ..
وكيف من صغارها ..
تنتقم الطيور ؟

إذهب ..
إذا يوما مللت منى ..
واتهم الاقدار واتهمنى ..
اما انا فإنى ..
ساكتفى بدمعتى وحزنى ..
فالصمت كبرياء .
والحزن كبرياء
إذهب ..
إذا اتعبك البقاء ..
فالأرض فيها العطر والنساء ..
وعندما تريد ان ترانى ..
وعندما تحتاج كالطفل إلى حنانى ..
فعد إلى قلبى متى تشاء ..
فانت فى حياتى الهواء ..
وانت .. عندى الأرض والسماء ..
إغضب كما تشاء ..
واذهب .. متى تشاء
لابد ان تعود ذات يوم
وقد عرفت ما هو الوفاء ..□

لنفترق قليلا ..
لخير هذا الحب ، ياحبيبى
وخيرنا ..
لنفترق قليلا ..
لاننى اريد ان تزيد فى محبتى
اريد ان تكرهنى قليلا ..
بحق ما لدينا ..
من ذكرى غالية كانت على كلينا ..
بحق حب رائع ..
مازال منقوشا على فمينا
مازال محفورا على يدينا ..
بحق ماكتبته .. إلىَّ من رسائل ..
ووجهك المزروع مثل وردة فى داخلى ..
وحبك الباقى على شعرى .. على اناملى
بحق ذكرياتنا
وحزننا الجميل وابتسامنا ..
وحبنا الذى غدا اكبر من كلامنا
اكبر من شفاهنا ..
بحق احلى قصة للحب فى حياتنا
اسالك الرحيلا ..
لنفترق احبابا ..
فالطير كل موسم .. تفارق الهضابا ..

كلمات

يسمعنى .. حين يراقصنى
كلمات .. ليست كالكلمات
ياخذنى من تحت ذراعى
يزرعنى فى إحدى الغيمات
والمطر الأسود فى عينى
يتساقط زخات .. زخات
يحملنى معه .. يحملنى
لماء وردى الشرفات
وانا كالطفلة فى يده
كالريشة تحملها النسمات
يحمل لى سبعة اقمار
بيديه .. وحزمة اغنيات
يهدينى شمسا .. يهدينى
صيفا .. وقطيع سنونوات
يخبرنى انى تحفته
واساوى آلاف النجمات
وبانى كنز .. وبانى
اجمل ما شاهد من لوحات
يروى اشياء .. تدوخنى
تنسينى المرقص والخطوات
كلمات .. تقلب تاريخى
تجعلنى امراة .. فى لحظات
يبنى لى قصرا من وهم
لا اسكن فيه سوى لحظات
واعود .. اعود لطاولتى
لا شئ معى .. إلا كلمات □

أسألك الرحيلا

والشمس ياحبيبى ..
تكون احلى عندما تحاول الغيابا
كن فى حياتى الشك والعذابا
كن مرة اسطورة ..
كن مرة سرابا ..
وكن سؤالا فى فمى
لايعرف الجوابا ..
من اجل حب رائع
يسكن منا القلب والاهدابا
وكى اكون دائما جميلة
وكى تكون اكثر اقترابا
اسالك الذهابا ..
لنفترق .. ونحن عاشقان ..
لنفترق برغم كل الحب والحنان
فمن خلال الدمع ياحبيبى
اريد ان ترانى
ومن خلال النار والدخان
اريد ان ترانى ..
لتحترق .. لنبك ياحبيبى
فقد نسينا ..
نعمة البكاء من زمان
لنفترق ..
كى لايصير حبنا اعتيادا



ماجدة الرومى

وشوقنا رمادا ..
وتذبل الأزهار فى الاوانى ..

كن مطمئن النفس ياصغيرى
فلم يزل حبك .. ملء العين والضمير
ولم ازل ماخوذة بحبك الكبير
ولم ازل احلم ان تكون لى ..
يافارسى انت .. وياأميرى
لكننى .. لكننى ..
اخاف من عاطفتى
اخاف من شعورى
اخاف ان نسام من اشواقنا
اخاف من وصالنا ..
اخاف من عناقنا ..
فباسم حب رائع
ازهر كالربيع فى اعماقنا ..
اضاء مثل الشمس فى احداقنا
وباسم احلى قصة للحب فى زماننا
اسالك الرحيلا ..
حتى يظل حبنا جميلا ..
حتى يكون عمره طويلا ..
اسالك الرحيلا .

أيظن ؟

ايظن انى لعبة بيديه ؟
انا لا افكر فى الرجوع إليه
اليوم عاد . كان شيئا لم يكن
وبراءة الاطفال فى عينيه
ليقول لى : إنى رفيقة دربه
وباننى الحب الوحيد لديه
حمل الزهور إلى .. كيف ارده
وصباى مرسوم على شفتيه
ما عدت اذكر .. والحرائق فى دمى
كيف التجات انا إلى زنديه
خبات راسى عنده . وكاننى
طفل اعادوه الى ابويه
حتى فساتينى التى اهملتها
فرحت به .. رقصت على قدميه .
سامحته .. وسالت عن اخباره
وبكيت ساعات على كتفيه
وبدون ان ادرى تركت له يدى
لتنام كالعصفور بين يديه ..
ونسيت حقدى كله فى لحظة
من قال إنى قد حقدت عليه
كم قلت إنى غير عائدة له
ورجعت .. ما احلى الرجوع إليه .. □

رسالةٌ من تحت الماء

إنْ كنتَ حبيبي ساعِدْني كي أرحلَ عنكْ
أو كُنْتَ طبيبي ساعِدْني كي أُشْفَى مِنْكْ
لو أنّي أعرِفُ أنَّ البَحْرَ عميقٌ جدّاً ما أبْحَرْتْ
لو أنّي أعرفُ أن الحُبَّ خطيرٌ جِدّاً ما أحْبَبْتْ
لو أنّي أعرفُ خاتمتي ما كُنْتُ بَدَأْتْ..

إشْتَقْتُ إليكَ فعَلِّمْني أنْ لا أشْتاقْ
عَلِّمْني كيفَ أقُصُّ جُذورَ هَواكَ مِنَ الأعْماقْ
عَلِّمْني كيفَ تموتُ الدمعةُ في الأحداقْ
عَلِّمْني كيفَ يموتُ الحُبُّ، وتنتحرُ الأشواقْ
يا مَنْ صَوَّرْتَ ليَ الدُّنيا كقصيدةِ شِعْرْ
وزَرَعْتَ جِراحَكَ في صدري، وأخذتَ الصَّبْرْ
إنْ كنتُ أعزُّ عليكَ فخُذْ بيدي
فأنا مفتونٌ من رأسي حتى قَدَمي
الموجُ الأزرقُ في عَيْنَيْكَ يُناديني نحو الأعْمَقْ
وأنا ما عندي تجْرِبَةٌ في الحُبِّ، ولا عندي زَوْرَقْ
إنّي أتنفَّسُ تحتَ الماءْ
إنّي أَغْرَقْ..
أَغْرَقْ..
أَغْرَقْ..

(٢)

يا كُلَّ الحاضِرِ والماضي، يا عُمْرَ العُمْرْ.
هل تسمعُ صَوْتي القادمَ من أعماقِ البَحْرْ؟
إنْ كنتَ قَوِيّاً أخْرِجْني من هذا اليَمّْ
فأنا لا أعرفُ فَنَّ العَوْمْ
لو أنّي أعرفُ أنَّ البحرَ عميقٌ جدّاً ما أبْحَرْتْ.
لو أنّي أعرفُ أنَّ الحبَّ خطيرٌ جداً ما أحْبَبْتْ
لو أنّي أعرفُ خاتِمتي.. ما كنتُ بدأتْ..

نزار قباني

بسم الله الرحمن الرحيم

متى ستعرفُ كم أهواكَ يا رجلاً — أبيعُ من أجلِهِ الدُّنيا وما فيها..
لو تطلبُ البحرَ في عينيكَ أسكُبُهُ — أو تطلبُ الشمسَ، في كفّيكَ أرميها
أنا أحبُّكَ.. فوقَ الغيمِ أكتُبُها — وللعصافيرِ، والأشجارِ، أحكيها
أنا أحبُّكَ.. فوقَ الماءِ أنقُشُها — وللعناقيدِ، والأقداحِ، أسقيها
أنا أحبُّكَ.. حاولْ أنْ تُساعِدَني — فإنَّ مَنْ بدأَ المأساةَ يُنهيها..
وإنَّ مَنْ فتحَ الأبوابَ.. يُغلِقُها — وإنَّ مَنْ أشعلَ النيرانَ.. يُطفيها
يا مَنْ يُدخِّنُ في صمتٍ.. ويترُكُني — في البَحْرِ، أرفعُ مرساتي، وأُلقيها
ألا تراني ببحرِ الحُبِّ غارقةً — والموجُ يمضغُ آمالي.. ويرميها..

كفاكَ تلعبُ دورَ العاشقينَ معي.. — وتنتقي كلماتٍ لستَ تعنيها
[illegible] مكاتيباً سترسِلُها — وأسعدتني ورودٌ سوفَ تُهديها
وكَمْ ذهبتُ لوعدٍ لا وجودَ لهُ — وكم حلمتُ بأثوابٍ سأشريها
وكَمْ تمنيتُ لو للرقصِ تطلبُني — وحيّرتني ذِراعي.. أينَ أُلقيها

ارجعْ إليَّ.. فإنَّ الأرضَ واقفةٌ — كأنّما الأرضُ فرّتْ من ثوانيها
ارجعْ فبعدَكَ لا عِقدٌ أُعلِّقُهُ — ولا لمستُ عطوري في أوانيها
لِمَنْ جمالي.. لِمَنْ شالُ الحريرِ.. لِمَنْ — ضفائري منذُ أعوامٍ أُربّيها
ارجعْ كما أنتَ.. صَحْواً كنتَ أم مطراً — فما حياتي أنا.. إنْ لم تكُنْ فيها؟

صكّ تنازل

أنا الموقّع أدناه الشاعر نزار قباني، أصرّح بأني تنازلتُ للفنّانة السيدة أصالة نصري عن حقوق التأليف الخاصة بقصيدتي (إغْضَبْ) من تلحين الأستاذ حلمي بكر.

كما أصرّح بأنّ قصيدتي (إغْضَبْ)، قد أصبحت بشكلٍ حصريّ من تصرّف السيدة أصالة نصري، ولا يحق لأي مغنٍّ أو مغنيةٍ أخرى، أن يتصرّف بهذه القصيدة بأي شكلٍ من أشكال التصرّف الفني أو التجاري، أو استثمارها عن طريق الإذاعة أو التلفزيون، أو الكاسيت، أو الفيديو، أو المسرح، أو الحفلات ال[illegible] أو بأيّ شكلٍ من أشكال الاستثمار.

وسوف أبقى محتفظاً ببقية حقوق الأداء العلني والميكانيكي، باعتباري عضواً في جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى S.A.C.E.M لبنان.

وقد سدّدتْ السيدة أصالة نصري التعويض اللازم لحقوق التأليف.

وللبيان وقّعتُ على هذا الصك.

لندن ٣٠ ابريل ١٩٩٤

الشاعر نزار قباني

PHONE NO. : 0062023514377

MAR. 20. 1994 4:14AM P 1
PHONE NO. : 963 11 2229192

نزار قباني

إغضَبْ...

إغضَبْ كما تشاءُ.
واجرَحْ أحاسيسي كما تشاءُ.
حَطِّمْ أواني الزَهْرِ والمرايا
هدِّدْ بحبِّ امرأةٍ سوايا
فكلُّ ما تفعلُهُ سَوَاءُ.
وكلُّ ما تقولُهُ سَوَاءُ.
فأنتَ كالأطفالِ يا حبيبي
نُحِبُّهُمْ.. مهما لنا أساؤوا...

٢

إغْضَبْ!. فأنتَ رائعٌ حقاً متى تثورُ
إغْضَبْ! فلولا الموجُ ما تكوَّنَتْ بُحورُ
كُنْ عاصِفاً... كُنْ مُمْطِراً..
فإنَّ قلبي دائماً غَفورُ.
إغْضَبْ. فلنْ أُجيبَهُ بالتحدِّي
فأنتَ طفلٌ عابثٌ يملؤهُ الغُرورُ.
وكيفَ من صِغارِها تنتقِمُ الطُيورُ؟

٣

إذْهَبْ.. إذا يوماً مَلِلْتَ منّي
واتّهِمِ الأقدارَ.. واتّهِمْني.
أما أنا فإنّي..
سأكتفي بدمعتي وحُزْني
فالصمتُ كبرياءُ.
والحزنُ كبرياءُ.

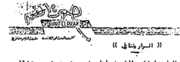
٤

إذْهَبْ.. إذا أتْعَبَكَ البَقاءُ
فالأرضُ فيها العطْرُ والنِساءُ... والأعْيُنُ الخَضْراءُ والسوداءُ
وعندما تريدُ أن تَراني..
وعندما تحتاجُ كالطفلِ الى حَناني..
فَعُدْ إلى قلبي متى تشاءُ.
فأنتَ في حياتيَ الهَواءُ.
وأنتَ عندي الأرضُ والسَماءُ.

٥

إغْضَبْ كما تشاءُ.
واذْهَبْ متى تشاءُ.
لا بُدَّ أن تعُودَ ذاتَ يومٍ
وقد عرفتَ ما هو الوفاءُ...

نزار قباني
لندن؛
0044-71-2355773



((اقرار وتنازل))

اقر انا الموقع ادناه / الشاعر نزار قباني المقيم في لبنان / بيروت صندوق بريد ٦١٥٠ انني قد بعت وتنازلت الى شركة صوت الفن ١٦ شارع عدلي بالقاهرة حق طبع ونشر واستغلال الاغاني الموضحة في هذا الاقرار استغلالا تجاريا في كافة انحاء العالم وذلك بطبعها على اسطوانات تجارية واشرطة كاسيت وخرطوش وبكافة طرق الطبع الميكانيكي المعروفة حاليا والتي تستجد مستقبلا كما اقر انه بتوقيعي على هذا الاقرار تصبح شركة صوت الفن هي الوحيدة صاحبة الحق في استغلال هذه الاغاني الموضحة بهذا الاقرار دون غيرها كما يمتنع على اعادة بيعها او التصريح بتسجيلها او اهدائها للغرض الوارد في هذا الاقرار لاي فرد او شركة او مؤسسة اخرى . كما اقر انني قد تسلمت من شركة صوت الفن كافة حقوقي المادية من هذا البيع والتنازل باعتباره بيعا قطعيا وتسلمي هذا التنازل البالغ ٣٠٠٠ (فقط ثلاثة آلاف جنيها مصريا) التي تسلمتها بالشيك رقم ٣٣٥٠٨٢ على البنك الاهلي المصري فرع ثروت في بواقع كل اغنية خمسمائة جنيها مصريا وبيان الاغاني موضوع البيع والتنازل الوارد بهذا الاقرار هي :ـ

	الأغنية	الغناء	اللحن
١)	ايظن	غناء : نجاة الصغيرة	لحن واداء : محمد عبد الوهاب
٢)	ماذا اقول له (القاهرة)	" "	لحن : " "
٣)	الى حبيبي (متى ستعرف)	" "	" "
٤)	رسالة من تحت الماء	غناء : عبد الحليم حافظ	لحن : محمد الموجي
٥)	قارئة الفنجان	" "	" "
٦)	لا.. غالي (رسالة من امرأة)	غناء : نجاة احمد	لحن : محمد سلطان

واستحق لدى الشركة خالص حقي في العائد الميكانيكي ( ) من هذه الاغاني موزعا كالآتي :ـ بالنسبة للاغاني :ـ

١) ايظن ٢) ماذا اقول له ٣) الى حبيبي ٤) رسالة من تحت الماء
٥) لا.. غالي . مقسما بالنسبة الآتية :ـ

٢٠ ٪ عشرون في المائة للاستاذ نزار قباني .
٨٠ ٪ ثمانون في المائة شركة صوت الفن من عائده كمؤلف .

أما بالنسبة للاغنية " قارئة الفنجان " تقسم النسبة كالآتي :ـ

٥٠ ٪ خمسون في المائة الاستاذ نزار قباني .
٥٠ ٪ خمسون في المائة شركة صوت الفن من عائده كمؤلف .

وتقرر الشركة ان كافة حقوق الاداء العلني العائدة من هذه الاغاني جميعها هي من حق الاستاذ نزار قباني وحده حيث لا يجوز التنازل عنها او جزء منها .

كما تقرر الشركة انها قد التزمت بسداد الضرائب المستحقة على الاستاذ نزار قباني (عن الاقرار) عن هذا الاقرار والتنازل .

واثباتا لما ذكر تحرر هذا الاقرار ووقع عليه من المقر بما فيه الاستاذ نزار قباني ومن الشركة ويمثلها في التوقيع على هذا الاقرار مستشارها القانوني الاستاذ مجدي العمروسي .

المستشار القانوني
((مجدي العمروسي))

المقر بما فيه
((نزار قباني))

القاهرة في ١٩٧٦/١٢/٢١

N. KABBANI PUBLICATIONS
P. O. BOX 6250 BEIRUT

منشورات نزار قباني
ص.ب ٦١٥٠ بيروت

ايصال وتنازل

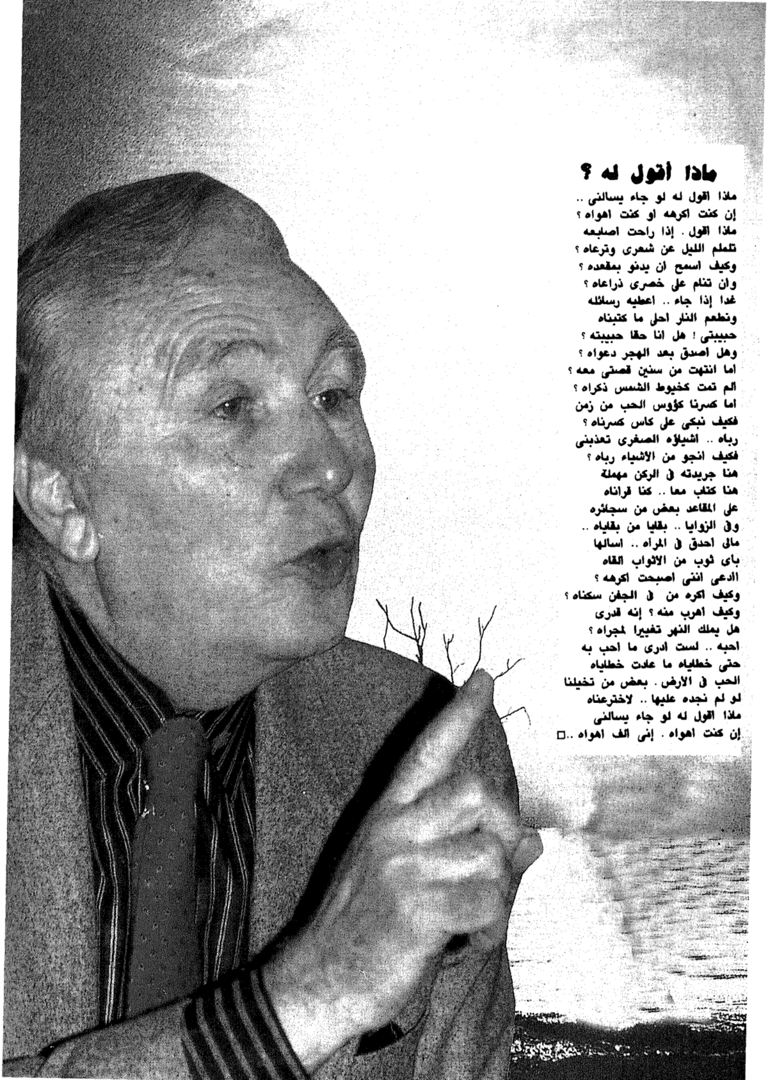
أصرح للفنانة السيدة نجاة حسني بغناء قصيدتي (أسألك الرحيلا) وهي من تأليفي وكلماتي . وأصرح لها وحدها باستغلالها بجميع أنواع الاستغلال ، وغنائها في الحفلات ، والتلفزيون ، والكاسيت ، والسينما وكليبات .

وقد تقاضيت حقي عن هذه القصيدة بالكامل من السيدة نجاة حسني ، الشهيرة (بنجاة الصغيرة) وهو مبلغ ٣٠٠٠ (فقط ثلاثة آلاف دولار أميركي لا غير) .

وقد أصبح من حق الفنانة السيدة نجاة حسني وحدها حق التصرف في غنائها واستغلالها كما تشاء ، وليس من حقي التصرف أو السماح بغنائها واستغلالها لسواها ، مع حفظ حقي في الطبع الكلاسيكي والأداء العلني .

تحريراً بيروت في ١٩٨٥/٧/١٢

الشاعر
نزار قباني



ماذا أقول له ؟

ماذا اقول له لو جاء يسالنى ..
إن كنت اكرهه او كنت اهواه ؟
ماذا اقول . إذا راحت اصابعه
تلملم الليل عن شعرى وترعاه ؟
وكيف اسمح ان يدنو بمقعده ؟
وان تنام على خصرى ذراعاه ؟
غدا إذا جاء .. اعطيه رسائله
ونطعم النار احلى ما كتبناه
حبيبتى ! هل انا حقا حبيبته ؟
وهل اصدق بعد الهجر دعواه ؟
اما انتهت من سنين قصتى معه ؟
الم تمت كخيوط الشمس ذكراه ؟
اما كسرنا كؤوس الحب من زمن
فكيف نبكى على كاس كسرناه ؟
رباه .. اشياؤه الصغرى تعذبنى
فكيف انجو من الاشياء رباه ؟
هنا جريدته فى الركن مهملة
هنا كتاب معا .. كنا قرأناه
على المقاعد بعض من سجائره
وفى الزوايا .. بقايا من بقاياه ..
مالى احدق فى المرآه .. اسالها
باى ثوب من الاثواب القاه
الدعى اننى اصبحت اكرهه ؟
وكيف اكره من فى الجفن سكناه ؟
وكيف اهرب منه ؟ إنه قدرى
هل يملك النهر تغييرا لمجراه ؟
احبه .. لست ادرى ما احب به
حتى خطاياه ما عادت خطاياه
الحب فى الارض . بعض من تخيلنا
لو لم نجده عليها .. لاخترعناه
ماذا اقول له لو جاء يسالنى
إن كنت اهواه . إنى الف اهواه ..□



نجــاة و .. نــزار

على أوتار حنجرة نجاة كان دخول نزار قبانى بكلماته ساحة الغناء العربى .. ارسل إليها قصيدة « ايظن » فلمست الابيات وجدان قيثارة الغناء العربى التى اسرعت تقرؤها لمحمد عبدالوهاب فى التليفون كنوعية جديدة من نسيج الاغنية التى تروى قصة حب فيها اللقاء والخصام والعتاب والتسامح والاحتواء ، وكان اصل عنوان القصيدة « على صدره » ، وما ان انصت عبدالوهاب للكلمات حتى خرج اللحن فى نفس اليوم للوجود ، وضربت الاغنية « ايظن » جميع الأرقام فى توزيع الشرائط ومازالت تحقق نفس نجاحاتها ايام اول لقاءات العمالقة « نزار ونجاة وعبدالوهاب » فى عام ١٩٥٩ ، واستمرت اللقاءات فغنت نجاة « ماذا اقول له » وبعدها « اسالك الرحيلا» التى بررت فيها ـ على هدى تعبير نزار ـ سؤالها له بالرحيل لان : « الشمس يا حبيبى تكون احلى عندما تغيب ، والاسطورة اكثر رومانسية من الحقيقة » ، وعندما تتدلل الانثى تطالب رجلها بالرحيل لكنها تسارع بالقول : « لا تكترث بكل ما اقوله يا حبيبى فى زمن الوحدة او وقت الضجر ، وابقى معى إذا انا سالتك الرحيلا .. » ولانها نجاة ولانه نزار صاحب الكلمات فقد كانت بينهما مراسلات ننفرد بنشر بعض منها ، وايضا بخط نزار قصائده التى غنتها نجاة ، وهى النسخة الاصلية التى لم تكن نجاة او عبدالوهاب قد تدخلا بعد فى تغيير او حذف شىء منها .



...ار قبانى إلى نجاة : سأطلبك إلى بيت الطاعة

كان الشاعر نزار قبانى قد ارسل فى ابريل عام ١٩٦٠ رسالة إلى نجاة من الصين ، حيث كان يمثل هناك سفير (الجمهورية العربية المتحدة) ، قال فيها :

« ايتها الصديقة الغالية » ،

لا ازال فى آخر الدنيا ... انتظر الشريط الذى يحمل اغنيتنا « ايظن » تعيش فى الصحف ، فى السهرات وعلى شفاة الادباء ، وفى كل زاوية من الأرض العربية ، وابقى انا محروما من الاحرف التى اكلت اعصابى .

يا لك من ام قاسية يا نجاة . اريت « المولود » الجميل لكل إنسان ، وتغنيت بجماله فى كل مكان ، وتركت اباه يشرب الشاى فى بكين ، ويحلم بطفل ازرق العينين يعيش مع امه فى القاهرة .. لا تضحكى يا نجاه إذا طلبت ممارسة ابوتى . فانا لا يمكن ان اقنع بتلقى رسائل التهنئة « بالمولود » دون ان اراه . فانهضى حالا لدى وصول رسالتى ، وضعى « المولود » فى طرد بريد صغير ، وابعثى به إلى عنوانى . إذا فعلت هذا كنت اما عن حق وحقيق . اما إذا تمردت ، فساطلبك إلى بيت الطاعة ، رغم معرفتى بانك « تكرهينه »

نزار قبانى فى رسالة إلى نجاة :
أنت جزء لا ينفصل عن شعرى وقَدَرنا هو قَدَرٌ مشترك

عزيزتى نجاة

مفاجأة حلوة كانت رسالتك .. بورقها الأزرق وخطها الصغير المنمنم الجميل . كانت اغنية على الورق . فما احلى اغانيك على الورق .. وعلى الوتر .

بقى ان اعرف لمن كتبت الخطابين الاولين .. للفضول فقط ..استغربت كثيراً ان يكون الصديق عبدالوهاب هو سبب التاخير فى ظهور الاغنية لان الذى اعلمه انه بذل مع الدكتور حاتم جهوداً كبيرة لظهورها . كما اننى اعلم ان الاغنية منتهية كلحن من سنتين . فلماذا يقف عبدالوهاب فى طريقها بعد أن طلب الىّ عندما كان فى لندن قصائد جديدة ليلحنها ؟.

صدقينى يا نجاة اننى لم اعد افهم شيئاً .. فهل يزعج الناس ان تتفوقى من جديد كما تفوقت فى (ايظن) بشكل لا مثيل له . ثم لماذا يحقد الناس على الجمال .. ويحاولون دفنه ؟.

ان الجمال يستحق الحياة .. لا القتل . ولكن البشر هم البشر ولا سبيل لتغييرهم .

أسال الله يا نجاة أن يقيك من الحاقدين فانت تدفعين ثمن نجاحك وتفوقك . كما أرجو ان ترى الأغنية الجديدة النور قريباً .. لابدا فى اعداد الأغنية الثالثة ، لانك جزء لا ينفصل عن شعرى ولان قَدَرنا كما يبدو هو قَدَر مشترك .

بانتظار اخبارك الحلوة دائماً . لك وللحبيب وليد .

اطيب الاشواق

نزار

مَتى ستعرفُ كَمْ أهواكَ يا أملاً   أبيعُ من أجلِهِ الدُّنيا وما فيها..
لو تطلبُ البَحْرَ في عَيْنَيْكَ أسكُبُهُ   أو تطلُبُ الشمسَ، في كفَّيكَ أرميها
أنا أُحِبُّكَ.. فوقَ الغَيْمِ أكتُبُها   وللعَصافيرِ، والأشجارِ، أحكيها
أنا أُحِبُّكَ.. فوقَ الماءِ أنقُشُها   وللعناقيدِ، والأقداحِ، أسقيها
أنا أُحِبُّكَ.. حاوِلْ أنْ تُساعِدَني   فإنَّ مَنْ بدأَ المأساةَ يُنهيها..
وإنَّ مَنْ فَتَحَ الأبوابَ.. يُغلِقُها   وإنَّ مَنْ أشعَلَ النيرانَ.. يُطفيها
يا مَنْ يُدَخِّنُ في صمتٍ.. ويترُكُني   في البَحْرِ، أرفَعُ مَرْسَاتي، وألقيها
ألا تراني بِبَحْرِ الحُبِّ غارقةً   والموجُ يَمْضَغُ آمالي ويَرْميها.

كفاكَ تلعبُ دَوْرَ العاشقينَ معي..   وتنتقي كلماتٍ لستَ تعنيها
كم اخترعتُ مكاتيباً سترسِلُها   وأسعَدَتْني ورودٌ سوفَ تُهديها
وكَمْ ذهبتُ لوعدٍ لا وُجودَ لهُ   وكم حلمتُ بأثوابٍ سأشريها
وكَمْ تمنَّيتُ لو للرقصِ تطلبُني   وحَيَّرَتْني ذِراعي.. أينَ أُلقيها.

إرجِعْ إليَّ.. فإنَّ الأرضَ واقفةٌ   كأنَّما الأرضُ فَرَّتْ مِنْ ثَوانيها
إرجِعْ فَبَعْدَكَ لا عِقْدٌ أُعَلِّقُهُ   ولا لَمَسْتُ عُطوري في أوانيها
لِمَنْ صِبايَ.. لِمَنْ شالُ الحريرِ.. لِمَنْ   ضَفائري منذُ أعوامٍ أُرَبِّيها
إرجِعْ كما أنتَ.. صَحْواً كنتَ أم مَطَراً
فما حياتي أنا.. إنْ لَمْ تكُنْ فيها؟

قصيدة «متى ستعرف» بخط نزار من اوراق نجاة الخاصة

على صدره ...

أيظنُّ أنّي دُمْيَةٌ بيديهِ؟
أنا لا أفكّر بالرجوع إليهِ..

اليومَ عادَ.. كأنَّ شيئاً لم يكنْ
وبراءةُ الأطفالِ في عينيهِ..

ليقولَ لي: إنّي رفيقةُ دربهِ
وبأنّني الحبُّ الوحيدُ لديهِ..

حَمَلَ الزهورَ إليَّ.. كيفَ أردُّهُ
وصِبايَ مرسومٌ على شفتيهِ..

ما عدتُ أذكرُ.. والحرائقُ في دمي
كيفَ التجأتُ أنا.. إلى زنديهِ..

خبأتُ رأسي عندَهُ.. وكأنّني
طفلٌ أعادوهُ إلى أبويهِ..

حتى فساتيني التي أهملتُها
فرحتْ بهِ.. رقصتْ على قدميهِ

...

سامحتُهُ.. وسألتُ عن أخبارِهِ..
وبكيتُ ساعاتٍ على كتفيهِ..

وبدونِ أن أدري.. تركتُ له يدي
لتنامَ كالعصفورِ بينَ يديهِ..

ونسيتُ حقدي كلَّهُ في لحظةٍ..
من قالَ إنّي قد حقدتُ عليهِ؟

كم قلتُ إنّي غيرُ عائدةٍ له
ورجعتُ.. ما أحلى الرجوعَ إليهِ..

نزار قباني   ٢٦/٧/٥٩

قصيدة ايظن بخط يد نزار وكان عنوانها «على صدره ...» وفي شطر البيت الأول كلمة «دمية» التي تغيرت في الغناء إلى «لعبة»

إغضب .. بالوثائق !

إغضب ...

نزار قباني

إغضب كما تشاء .
واجرح أحاسيسي كما تشاء .
حطم أواني الزهر والمرايا
هدد بحب امرأة سوايا
فكل ما تفعله سواء .
وكل ما تقوله سواء .
فأنت كالأطفال يا حبيبي
نحبهم .. مهما لنا أساؤوا ..

إغضب ! . فأنت رائع حقاً متى تثور
إغضب ! فلولا الموج ما تكونت بحور
كن عاصفاً ... كن ممطراً ..
فإن قلبي دائماً غفور .
إغضب . فلن أجيبك بالتحدي
فأنت طفل عابث يملؤه الغرور .
وكيف من صغارها تنتقم الطيور ؟

قصيدة إغضب بخط نزار قبانى وفى أسفل الصفحة الثانية رقم فاكسه وهاتفه وكان قد ارسلها إلى مجدى العمروسى يوم ٢٠ مارس ١٩٩٤

٣

إذْهَبْ.. إذا يوماً مَلَلْتَ منّي
واتّهِمِ الأقدارَ.. واتّهِمْني.
أما أنا فإنّني..
سأكتفي بدمْعَتي وحُزْني
فالصمتُ كبرياءُ.
والحزنُ كبرياءُ.

٤

إذْهَبْ.. إذا أتْعَبَكَ البَقاءُ
فالأرضُ فيها العطْرُ والنِساءُ... والأعْيُنُ الخَضْراءُ والسوداءُ..
وعندما تريدُ أن تراني..
وعندما تحتاجُ كالطفلِ الى حَنَاني...
فعُدْ إلى قلبي متى تشاءُ.
فأنتَ في حياتيَ الهَوَاءُ.
وأنتَ عندي الأرضُ والسَماءُ.

٥

إغْضَبْ كما تشاءُ.
واذْهَبْ متى تشاءُ
لا بُدَّ أن تَعُودَ ذاتَ يومٍ
وقد عرفتَ ما هو الوفاءُ....

نزار قباني
لندن ١
0044-71-2355773

صكّ تنازل

أنا الموقّع أدناه الشاعر نزار قباني، أصرّح بأني تنازلتُ للفنّانة السيدة أصالة نصري عن حقوق التأليف الخاصة بقصيدتي (إغْضَبْ) من تلحين الأستاذ حلمي بكر.

كما أصرح بأنّ قصيدتي (إغْضَبْ)، قد أصبحت بشكلٍ حَصْري بتصرّف السيدة أصالة نصري، ولا يحق لأي مغنٍّ أو مغنيةٍ أخرى، أن يتصرّف بهذه القصيدة بأي شكلٍ من أشكال التقديم الفني أو التجاري، أو استثمارها عن طريق الاذاعة أو التلفزيون، أو الكاسيت، أو الفيديو، أو المسرح، أو الحفلات العامة، أو بأيّ شكلٍ من أشكال الاستثمار.

ولسوف أبقى محتفظاً ببقية حقوقي الأداء العلني والطبع الميكانيكي، باعتباري عضواً في جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى S.A.C.E.M لبنان.

وقد سدّدتْ السيدة أصالة نصري التعويض الخاص بحقوق التأليف.

وللبيان وقّعتُ على هذا الصكّ.

لندن ٢٠ ابريل ١٩٩٤

الشاعر نزار قباني

نزار قباني

بعد هذا الإعلان الذي يحمل (صك تنازل).
وأقر أنا الفنانة أصالة [illegible] بأنني تنازلت
عن [illegible] أثناء استعمال القصيدة
"إغضب" [illegible] والى الأستاذ حلمي بكر كاملة
وأن كل الاستعمال وذلك تنفيذاً للعقد
المؤرخ ١٠ سبتمبر ١٩٩٢ والمعقود بدمشق -
سوريا في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٢م.

صَكُ التنازل بخط نزار وأرسل يوم ٢٠ ابريل ١٩٩٤ وتحته إقرار الفنانة السورية أصالة نصرى وكتبته يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٩٣.

NIZAR KABBANI
5 HERBERT MANSIONS
35 SLOANE STREET
LONDON SWIX 9LP
TEL (071) 2355773
FAX (071) 2456659

شخصي

لندن ١٨ أكتوبر ١٩٩٤

أخي العزيز الأستاذ مجدي العمروسي
شركة صوت الفن - القاهرة

أبعث إليك بأطيب مشاعري، راجياً لك دائماً دوام السعادة والنجاح.

لا أودّ أن أقحم نفسي في هذه الكِذْبة الكبيرة والسخيفة التي ابتدعها خيال المدعو أحمد محمود حسين عيسى. فما يقوله ليس سوى تخريف، وشعور بالنقص، يلازم كلّ فاشل في الحياة، أو في الأدب، أو في الشعر.

إن الإنذار، ليس سوى عملية نَصْب وابتزاز، لشركة صوت الفن يقصد بها صاحبها تسليط الأضواء على شخصه المجهول، والهامشي.

وما أكثر الحالات المماثلة التي يحاول فيها الهامشيّون أن يتسلقوا على أكتاف الآخرين.. طمعاً في شيءٍ من المجد.. أو الشهرة والمال..

ولمعلوماتك، يا أخي مجدي، فإن قصيدة (إغضَبْ) منشورة في ديواني (الرسم بالكلمات) الصادر في بيروت عام ١٩٦٦. وموجودة في الجزء الأول من (الأعمال الشعرية الكاملة) على الصفحات ٥٢٠ و٥٢١ و ٥٢٢. (منشورات نزار قباني - بيروت).

أي أن القصيدة نُشِرَتْ قبل خمسة عشر عاماً من نشر ديوان المدعو أحمد محمود حسين عيسى الذي كان في عام ١٩٦٦ في عالم الغيب.. فكيف أنقل قصيدتي عن نُطْفة.. أو عن كائن لم تتشكل ملامحه الجسدية والعقلية بعد؟. (يقول في إنذاره إنه مؤلف شاب عجز عن معرفة طريق الشهرة).

لا أريد أن تأخذ القضية حجماً أكبر من الحجم الذي تستحقه، لأن الرجل على ما يبدو غاوي فضائح.. ومن يدري ربما كان مدسوساً عليكم أو مدفوعاً من قبل مزاحمي (صوت الفن) أو مزاحمي المغنية الصاعدة.

هذا كل ما عندي، وأترك لك أن تتصرف بكل حزم، كما يعرف عنك. لأن أصل حكّة أدرى بشعابها.

ولك من أخيك كلّ المحبة والتقدير.

نزار قباني

رسالة نزار قبانى إلى مجدى العمروسى : كيف انقل قصيدتى عن نطفة او عن كائن لم تتشكل ملامحه الجسدية والعقلية بعد



١٠

رسائل نزار قباني إلى الأدباء

من رسائل نزار قباني

مئات هى - إن لم تكن آلاف الرسائل - التى كتبها الشاعر نزار قبانى إلى أصدقائه وزملائه ورفقائه ونقاده وعدد كبير من الشعراء العرب ومريديه ومحبيه ومعجبيه ومن تعامل معهم طوال مسيرته الشعرية التى امتدت إلى نصف قرن من الزمان.

وكلهم احتفظ برسائل نزار قباني، لقيمتها الفكرية، وقيمة كاتبها.

فرسائله دوما تحمل وجهات نظره عن الشعر والحياة ورؤيته للعالم، وكانت تتراوح في حجمها بين الصفحة الواحدة والصفحات الأربع، وحسب علمنا لم تزد رسالة له على تلك الصفحات، حتى رسالته الشهيرة الى جمال عبدالناصر كانت مكثفة وموجزة ودالة على ما يريد ان يقول، ويؤكد رايه ونظرته إلى الأوضاع العربية وقتذاك.

هذه الرسائل كتبها لـ: نجاة الصغيرة، نجيب محفوظ، محمود لطفى، نبيل خورى، علاء الديب، احمد الشهاوى، خليل رامز سركيس، كمال النجمي، عبدالهادى البكار، وغيرهم، تكشف جوانب لا نقول عنها إنها جديدة، ولكنها تعمق أفكاره حول الحب والفن والمراة والسياسة والشعر والجمهور والنقد، والسلطة، والرقابة، والحرية، والعدل، و....

فنزار قباني عبر حياته الشعرية بث أراءه ومعتقداته وافكاره في كتاباته النثرية التى تسامق قصائده، وحواراته الصحفية التى اجريت معه في الصحافة والإذاعة والتليفزيون. ومثلما استطاع ان يستقطب ملايين القراء نحو شعره، فقد عرفت هذه الملايين أراءه من وسائل الإعلام، لأن دواوينه ومجموعاته الشعرية كان لها حظ الذيوع والانتشار اكثر من كتبه النثرية والتى اعيد طبعها مرات عديدة ولكن ليس بحجم الشعر كما اسلفنا.

المحـــرِّر





رسالة حب

إلى نجيب محفوظ

نزار قباني

فوز الروائي الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، هو اول فرحة ثقافية في حياة العرب ، بعدما كسرت السياسة آمالهم ، واجهضت احلامهم ، ورمتهم في بئر من الاحزان .

الثقافة فرح ..

لانها تجمل الحياة ، وتجعل البحر اكثر زرقة ، والنجوم اكثر عددا ، والسماء اكثر اتساعا ، والانسان اكثر رقيا ..

●

اما السياسة ، فتقطع كل الاشجار ، وتلوث كل الانهار ، وتعتقل كل العصافير .. وتكذب على الناس فتقنعهم ان الوزراء كانوا في الاصل ملائكة لاياكلون .. ولايشربون .. ولايقربون النساء .. ثم غيّروا عاداتهم بعدما صدرت مراسيم تعيينهم .. كما تقنعهم ان الحصول على مقعد في الاوتوبيس ، يعادل الحصول على مقعد في الجنة .. وان رغيف الخبز الاسمر الذى ياكلونه .. كان في الاصل دينارا ذهبيا في عصر الخلفاء الراشدين ...

●

جائزة نوبل ، هى التى ربحت نجيب محفوظ ، لاالعكس .. وهذا يدفعنى إلى التساؤل : من هو الاهم ؟ من اخذ الجائزة .. ام من اعطاها ؟

●

الجائزة هى رقعة من الورق موضوعة داخل برواز ، وملفوفة بشريط حريرى .. وهذا كل شىء ..

اما الذى حصل على الجائزة ، فهو غابة مشتعلة من الانسجة المحترقة ، والشرايين المفتوحة ، والاعصاب المكهربة ، والقلق ، والغضب ، والتوتر العالى ، والجنون .. ولايمكن لاحدان يطفىء هذه الغابة المشتعلة ... اويضع الجنون في برواز ...

●

هذه الليلة نحتفل بزواج واحد من كبار مبدعينا .. العريس فتى اسمر من مصر ، اسمه نجيب محفوظ . والعروس فتاة سويدية .. شقراء .. لاتعرف من اللغة العربية الاكلمة، وحشتنى ، ومطلع اغنية، ياتخلتين في العلالى ،بلحهم دوا .. ومع هذا حصلت القسمة والنصيب .. وبدات الزوجة السويدية تتاقلم مع آداب تعاطى الشيشة في(مقهى الفيشاوى) وصارت تعرف كيف تحسم ٩٠ بالمائة من الاسعار التى يطلبها اصحاب الدكاكين في(خان الخليلى) .

●

نجيب محفوظ ملك من ملوك الرواية العربية الحديثة .

ملـك متـواضـع ، وبسيط ، وديمقـراطى ، وشعبى ، وطيب القلب ،ومثابر ، ومنظم ، ومنضبط كساعة اوميجا ..

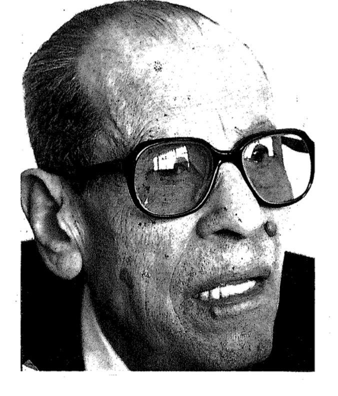
يكره النجومية .. والملابس المسرحية .. ولو استطاع ان يذهب إلى ستوكهولم ليتسلم جائزة نوبل ، وهو في البيجاما .. لذهب ..

لا استعراضية ، ولاعنطزة ، ولاتشاوف ، ولا(بوزات) مدروسة . إنه يرتبك امام(فلاشات) المصورين ، كما يرتبك العصفور امام صياديه .

●

نجيب محفوظ هو واحد من(اولاد حارتنا) ...

يقيم صداقات يومية مع بائع الجرايد .. وبائع الحليب .. وصبى المكوجى .. ويقف بالطابور امام بائع الفول .. ولديه بدلتان (سفارى) : واحدة ينام فيها .. والثانية يستحم فيها..



نجيب محفوظ تلميذ مجتهد يكتب فروضه المدرسية بانتظام ...

ناسك يؤدى الصلوات في اوقاتها .. مجاور يجلس تحت اعمدة الأزهر .. قديس . يلبس جلابية بيضاء ، ويتجول في الشوارع الخلفية ، ويسجل على دفتر صغير ، آهات المتاوهين .. وانين المسحوقين .. ودموع المعذبين في الارض ..

نجيب محفوظ ملتزم بالوجع الإنسانى . ملتزم بقضايا البشر .. لابقضايا الملائكة ..

وساقاه ، هما اقدم سيارة مرسيدس دخلت مصر ...

نجيب محفوظ راهب من رهبان الكتابة .. والادب العربى بحاجة إلى رهبان .. ونساك .. ومتعبدين .. لا إلى عصابات ادبية ، وميليشيات ثقافية ، وقاطعى طريق ..

وفي نظرى ، ان اخلاق نجيب محفوظ ، ونقاءه الروحى ، وطهارته الداخلية والخارجية .. هى التى ربحت جائزة نوبل ، قبل ان تربحها اعماله الادبية .

ياصديقى نجيب محفوظ :

مبروك عليك جائزة نوبل التى اربحتها بعرق جبينك واحتراق اعصابك ، وصهيلك الشجاع على الورق على مدى خمسين عاما .. ولم تربحها على طاولة الروليت .. او من سمسرة السلاح ..

كما اود ان اطمئن السيدة العزيزة زوجتك ، ان الجائزة المالية ، لها وحدها ..

فالمراة التى تحتمل كاتبا ينام مع ورقة الكتابة .. ويصحو معها .. وتهيىء له المناخ الحضارى والنفسى لينتج ما انتج من روائع ، وتسمح له ان ينجب من المراة الثانية ـ التى هى الرواية ـ خمسين طفلا جميلا ـ هى بلاشك قديسة من القديسات ... وفدائية من الفدائيات ..

فيامن زرعت ماذن سيدنا الحسين ، على ضفاف بحر الشمال ... ويا من جعلت حمائم الازهر تحط على ابراج الكاتدرائيات السويدية .. ويا من جعلت(الملاية اللف) زيا قوميا لعام ١٩٨٨ ترتديه جميع النساء في العالم ...

كم نحن فخورون بك ..كم نحن كبيرون بك ..

جنيف ١٩٨٨/١١/٥

اخوك نزارقبانى

نزار قبانى إلى عبدالهادى البكار :

أما صالح جودت وجوقته فهم صغيرون لدرجة أننى لا أراهم

عبدالناصر لم يترك ورثة

لن يأخذ أى هلفوت منى شيئا بعد اليوم

الانزلاق فى تمثيلية الشرق الأوسط
بيروت فى ٦٨/٤/٢٢

امل عبدالهادى

شعرت باحرفك تاتينى بعد غياب طويل . وكم كنت اتمنى لو كنت انت مكان البطاقة التى تركتها لى فى فندق شبرد . لان البطاقات لا تحمل عادة حرارة الأحياء وإنسانيتهم .

تجربة (الانزلاق) فى تمثيلية الشرق الأوسط .. درس عظيم وتجربة حارقة ، وانا لا اكره ابداً الدروس ينسحق الإنسان حتى يسمع صوت طقطقة عظامه . والاهم ان ينهض الإنسان من جديد اكبر مما كان .. واعمق مما كان .

اما صالح جودت وجوقته فهم صغيرون لدرجة اننى لا اراهم .. المهم يا عبدالهادى هو ان القصيدة اشعلت النيران فى القش اليابس ، ومزقت اقنعة النصابين ودراويش الكلمة .

وكلما صرخ صالح جودت وكومبارسه .. اعتبرت ذلك دليل عافية .. عافيتنا نحن .. وموتهم هم ..

بشان مجموع القصص التى لديك ، لا انصح ابداً بنشرها فى الوقت الحاضر ، ولان حرب حزيران اتهمت الكتاب مع ما اتهمت . إن نشر اى كتاب الآن يعنى اغتياله وانا متوقف حاليا عن إصدار اى كتاب جديد ، وكذلك اكثر الناشرين فى بيروت .

ختاما لك منى اطيب مشاعر المودة والتقدير ، واسلم للحب .

(كتبها نزار عقب حملة ضارية تعرض لها بعد نشر قيصدته ، هوامش على دفتر النكسة .)

2 عصر التماسيح
لندن ١٩٩٧/٣/١٠

الحبيب عبدالهادى

تحيات من القلب ، وارجو ان تكون بخير وعافية .

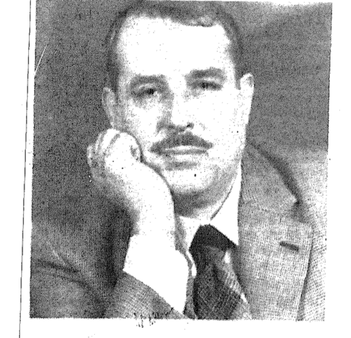
وصلنى شريطك الجميل ، فارجعنى إلى العمر الجميل ، قبل ثلاثين عاما ، حيث كانت الدنيا دنيا ، والوقت وقتا ، والقومية العربية وردة .

لا تصرخ كثيراً يا عبدالهادى ، فلم يعد الصراخ مجديا فى عصر التماسيح .. ولم تعد الكلمات قادرة على إيقاظ اهل الكهف .. ولم يعد الشعر ، ولا النثر قادرين على إخراج الزير من البير ..

الوطن العربى وصل فى بلادته إلى درجة مليون درجة تحت الصفر .. فلا تحاول ان تفتح الثلاجة لان الزمهرير سيفترسك ..

اذهب إلى ابوظبى ، حيث الشمس مشرقة ، والبحر منديل حرية .. والناس طيبون .. وتوقف عن النحيب والولولة .. فالشارع العربى اذن من طين .. واذن من عجين .. والوجدان العربى مخصى .. وقبائل بنى تميم .. وقحطان .. ديناصورات لم تنقرض .

ولا تحمل السلم بالعرض .. واهتم بنفسك .. وبصحتك .. قبل كل



عبد الهادى البكار

شىء .. لان سنة ١٩٥٨ لن تتكرر مواويلك فى ساحة النجمة لن تتكرر والزهو القومى .. لن يتكرر .. وجمال عبدالناصر لم يترك ورثة .

نحن نتعاطى مع قطعة روكفور ، عفنها منها وفيها .. فلا تناد احد لانه (ما فى حدا لا تندهى .. مافى حدا) .

اروع ما فى الشريط هو وجهه الثانى الذى قرات فيه (ترصيع بالذهب على سيف دمشقى) .

لقد دوختنى يا عبدالهادى .. بروعة ادائك .. وابعاد صوتك ، وهدو نبراتك . والواقع انك جعلت من القصيدة سيمفونية .

3 فى حماية التاريخ
لندن ١٩٩٧/٤/٢٤

عبدالهادى ايها الجميل

...

للمقال حسنة واحدة فقط .. وهى صورتى وانا اطعم البط على ضفا بحيرة الهايد بارك فى لندن ...

هذه عادة لم اتركها منذ ان ذهبت إلى لندن للمرة الاولى عام ١٩٥٢ هل اعترف لك ان نصف حضارتى اخذته عن البط الإنجليزى .. ونصفه الآخر اخذته عن الـ swan lake لتشايكوفسكى .

انا فى منفاى اللندنى ، لا اتكلم إلا مع البط .. والسنجاب الرمادى . اما الاعراب فهم من الحيوانات القارضة .. والزاحفة .. والفاتكة .. التى اخاف على اصابعى منها ..

اننى يا عبدالهادى ، لم اعد مكترثا بكل هذه النفايات ، لاننى بعد خمسين عاما من الكتابة ، اصبحت عندى مناعة ضد كل انواع الذباب الافريقى ، وما اروع قولك : (فنزار منذ سنين فى حماية التاريخ ..) .

منذ (قالت لى السمراء) ١٩٤٤ ، وانا اخطط لإلقاء القبض على ٢٠٠ مليون عربى .. بالشعر وحده .. بالحب وحده .. بالكلمة الحضارية وحدها ..

ولقد حققت حلمى الطفولى بكامله ، ودخلت إلى بيوت العرب بلا استئذان .. من الماء إلى الماء .. وحملت لاولادهم الحلوى بالعسل والقشطة .. لذلك لن ياخذ (اى هلفوت) منى شيئا بعد اليوم .

مقالتك على معلمنا الكبير ، ومثقفنا الموسوعى ، الدكتور ثروت عكاشة تقطر حنانا وشاعرية ووفاء .. وانا مستعد للتوقيع على كل كلمة كتبتها عن هذا الرجل الاستثنائى .

(جزء من رسالة كتبها عقب حملة هجوم عليه بعد نشر قصيدته ، « متى تعلنون وفاة العرب ») ..

نزار قبانى إلى كمال النجمى :

لا تخف على قصيدتى فهى تشق دربها بكبرياء النسور فى السماوات العربية

هذا خطاب ارسله نزار إلى الناقد والشاعر والكاتب الراحل كمال النجمى ، فى ٢٨ اكتوبر من عام ١٩٦٧ . وهو خطاب له اهميته الخاصة .. فهو - اولا - يعطى صورة مشرقة لما كانت عليه مراسلات الانباء فى هذا الزمن الجميل ، فالخطاب فى حد ذاته ساحة نثرية رائعة وساخنة .. ثم إن هذا الخطاب يمثل صفحة مهمة من حياة نزار عندما كتب قصيدة (هوامش على دفتر النكسة) فصودر الديوان فى مصر وهذا الخطاب - له قصته التى تدل على شجاعة الرجال الثلاثة : نزار قبانى وكمال النجمى واحمد بهاء الدين .

والقصة باختصار ، ان كمال النجمى - وكان آنذاك الناقد الادبى والفنى - كتب « للمصور » مقالا عن قصيدة نزار « هوامش على دفتر النكسة » لينشر فى سبتمبر ١٩٦٧ ، فاشاد بها من نواح متعددة ، وهاجم مصادرتها .. وكان الكاتب الكبير احمد بهاء الدين رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال ورئيسا لتحرير المصور وكانت الصحافة المصرية لازالت تعانى سلطان « الرقيب الصحفى » الذى بيده منع النشر او السماح به مفوضا من السلطة السياسية العليا .. وقام الرقيب بمنع المقال بعد ان جُمع على شكل بروفة اولى !!

ودبر احمد بهاء الدين إرسال المقال إلى نزار قبانى فى بيروت وقرأ نزار مقال صديقه كمال النجمى فبعث بهذه الرسالة :

اخى كمال :

على غير موعد ، تصلنى كلماتك الشجاعة بشكل بروفة طباعية لم يكتب لها ان ترى النور ..

نهايات حروفنا لا تهم ان تتحرك اصابعنا على الورق ، كما تتحرك الانجم فى مداراتها .. وكما يتحرك الربيع فى احشاء الارض .

المهم ان ينطلق صوتك صافيا نقيا كحناجر القديسين .. استعمل كلمة « القديسين » لاواجه بها انهر القذارة التى تتجمع حولى فى هذه الأيام . لا تخف على قصيدتى .. فهى تشق دربها بكبرياء النسور فى السماوات العربية .. كل الشرفاء معها . والله نفسه معها . لان الله ليس مزيفا او لصا .. ولا سمسارا .. انا صامد كما كنت دائما .. وساظل اشعل القناديل ، قنديلا بعد قنديل فى ليل المغارة حتى تهرب العفاريت وتموت الخرافة .

شكرى وحبى..نزار قبانى بيروت - ٢٨/١٠/٦٧ .

ووصلت رسالة نزار قبانى إلى احمد بهاء الدين مع مخصوص ، لذا فإنه لم يضع على الظرف الخارجى للخطاب اى طوابع بريد او اختام .. واعطى بهاء الخطاب إلى كمال النجمى وقال له : لست اقل حزنا منك على منع المقال .. ولكننا جميعا سنتحلى بصمود نزار قبانى العجيب !!



احمد بهاء الدين



محمد الموجى

نزار قبانى إلى محمود لطفى

محمد الموجى استلهم موسيقاه من قارئة الفنجان

إن جمعية المؤلفين والملحنين فى باريس ارسلت مبلغ ٤٠ الف جنيه لصالح كل من محمد الموجى ونزار قبانى قيمة الاداء العلنى لموسيقى اغنية قارئة الفنجان ، وانكم اقترحتم تقسيم المبلغ مناصفة بينى وبين الاستاذ الموجى إلا ان الموجى اعترض على اقتراحكم على اساس ان الموسيقى التى استخدمت فى الاغنية هى خاصة بالمقدمة فقط ، وليس بالمقاطع الغنائية .

ولقد ادهشنى كثيرا أن يقوم الاستاذ الموجى بإصدار الفتاوى الشخصية وتفسير قانون جمعية المؤلفين والملحنين على هواه .. فاصلا فى ذلك بين النص الشعرى والنص الموسيقى ، ومعتبرا انه استلهم مقدمته الموسيقية من الفراغ .. لا من قصيدة اسمها «قارئة الفنجان» ، وانا اعتبر قراركم فى هذه القضية حكيما وعادلا ومتمشيا مع روح ونصوص النظام والملحنين ارجو ان تقوموا بوصفكم مستشارا لجمعية المؤلفين بحفظ حقى الكامل فى الاداء العلنى لاغنية «قارئة الفنجان» ، وتحويل مايخصنى إلى جمعية المؤلفين والملحنين - فرع بيروت - التى انتمى إلى عضويتها .

اخوكم نزار قبانى
يناير ١٩٨٦

نزار قبانى إلى أحمد الشهاوى :

لا أؤمن كما تعرف بالفوضى والارتجال

لا أحب أن أستهلك نفسى فى الحوارات الصحفية

35 SLOANE STREET
LONDON SW1X 9LP
U.K

عزيزى الأستاذ أحمد الشهاوى

مجلة « نصف الدنيا » ـ الأهرام

ابعث إليك من لندن باطيب تحياتى راجيا لك موفور الصحة والسعادة .

حسب وعدى لك ، ، فقد انجزت كتابة اسئلة الحوار الطويل ، بعد ان عدّلت بعض الاسئلة ، واضفت بعض الاسئلة والاعترافات الجديدة (قصتى مع السيدة ام كلثوم مثلا) التى ابوح بها للمرة الاولى لمجلة (نصف الدنيا) .

بلغ عدد صفحات الحوار ٣٠ صفحة فولسكاب ، واترك للسيدة سناء ولك تقسيم المادة على الاعْداد .

صديقك المصوّر محمد فضل لم يحترم مواعيده ، بعد ان اتفقنا على ان نختار معا صورة الغلاف ، وبقية الصور التى نرى انها الافضل للنشر . إننى حريص على جمالية الحوار ، وحسن إخراجه ، وتبويبه وعنونته . ولا أؤمن كما تعرف بالفوضى والارتجال .

ارسل لك الحوار بالبريد المسجّل ، راجيا إعلامى بعودة البريد عن استلامه . كما ارجو عند صدور الحوار إرسال ثلاث نسخ من كل عدد الى عنوانى فى لندن بالبريد الجوى .

تحياتى واشواقى إلى الصديقة العزيزة السيدة سناء البيسى وارجو ان يعوضّها هذا الحوار عن حوارى مع الصديق مفيد فوزى .

مع عميق المحبة والتقدير .

نزار قبانى

اخى العزيز أحمد

شكرا على رسالتك ، وعلى المقدمة الجميلة والنبيلة التى قدّمت بها حوارنا الطويل فى لندن .

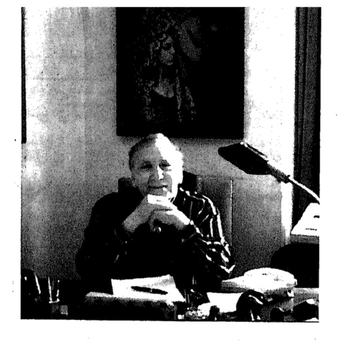
ولكننى فوجئت بان الحوار نشر فى ذات الوقت ، فى جريدة (الوطن) فى الكويت ، وجريدة (الخليج) فى دبى . فهل تم ذلك باتفاق بين (نصف الدنيا) وهاتين الجريدتين . ارجو ان توضح لى ملابسات الموضوع . لان الجريدتين لم تشيرا ابدا الى ان الحوار منقول عن (نصف الدنيا) . وهو امر لا يتفق مع القواعد والسلوكيات الصحفية .

اما قضية استكمال الحوار فى لندن فى شهر ابريل ، فاعتذر عنه لاننى اعتبر حوارنا جامعا مانعا ، وانا كما تعلم لا احب ان استهلك نفسى فى الحوارات الصحفية ، لان الشاعر يخسر كثيرا حين يتكلم اكثر من اللزوم .. ويتفلسف اكثر من اللزوم .. ويبوح اكثر من اللزوم .

تحياتى واشواقى إلى الأخت العزيزة سناء ، وإلى الاصدقاء الاعزاء فى (الأهرام) ..

وإلى أن نلتقى ، لك منى اصدق مشاعر المحبة .

نزار قبانى



نزار قبانى إلى نبيل خورى :
من حقى ككاتب أن أختار المنبر الذى أقف عليه

نبيل خورى رئيس تحرير مجلة المستقبل
تحية طيبة
وبعد ...

سبق لى ان ارسلت لكم مقالا لينشر فى صفحتى الاسبوعية تحت عنوان (الفلسطينيون هم آخر العرب) . وقد وجدتم فى هذا المقال نبرة تتجاوز الحد الاقصى المسموح به للنشر ، فرايتم إيقافه ولكم مطلق الحق فى هذا الموقف كناشر ورئيس مسئول للتحرير .

وقد رجوتكم اعادة المقال إلىّ للاحتفاظ به فى اوراقى الخاصة ولكننى فوجئت به منشورا هذا الاسبوع فى مجلة (الوطن العربى) مع مقدمة تحاول جرجرتى إلى ارض الخصومات والمزايدات بين الأنظمة ، وهى ارض لا اسمح لنفسى ان اكون حطبا فيها .

واننى لاتساءل : كيف تسمح (المستقبل) وهى المجلة التى احب واحترم بان (تجيرنى) .. او (تبيعنى) بهذه الطريقة غير المالوفة .. ؟؟

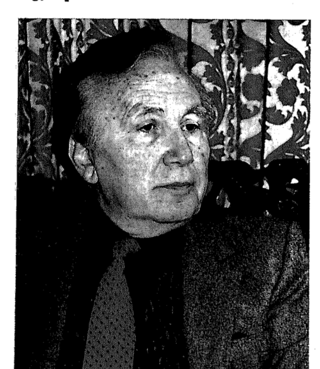
اننى لم اتعود ان اتهرب من كلماتى ، والمقال الذى كتبته يعكس فكرى ورؤيتى ، وموقفى من ماساة الفلسطينيين واذا كنت لم اسم الاشياء باسمائها ، فلان التقصير العربى يلبسنا جميعا .. ويسقط علينا كالمطر الاستوائى من رؤوسنا إلى اصابع اقدامنا .. وعلى الذين يدعون العصمة وبراءتهم من دم يوسف ان يرفعوا اصابعهم !!

إننى اطالبكم ، باعتباركم ناشرا لمجلة (المستقبل) ، ورئيسا لتحريرها ، ان تحققوا فى كيفية تسرب مقالتى الى مجلة اخرى .. لأن من حقى ككاتب ان اختار المنبر الذى اقف عليه . ولاننى لم اكن ، ولا اريد ان اكون ، جزءاً من حرب (داحس والغبراء) .. التى ادمت وجه التاريخ العربى وجعلتنا (كعصف ماكول) ..

إننى حزين جدا لفراق (المستقبل) وفراق قرائها ، ولكن ظروف الكتابة فى هذا الزمن العربى القبيح ، لا تترك لى من الخيارات إلا خيار الانسحاب .

مع محبتى وخالص تقديرى ..

نزار قبانى
ديسمبر ١٩٨٣



نزار قبانى إلى خليل رامز سركيس :
لبنان لعب دورا كبيرا فى صحتى وفى جسدى وفى مرضى وعافيتى

■ حين كان الشاعر الراحل فى المستشفى ارسل إليه الكاتب اللبنانى المقيم فى لندن خليل رامز سركيس تمنياته ورسالة تقدير ، فبعث نزار برسالة جوابية .

وفى ما يلى نصا الرسالة والجواب :

الشاعر نزار قبانى .

امسكت عن الاتصال بك حتى قراتك امس فى الحياة ، ففرحت ، واطمانننت إلى ان عناية الله ـ فضلاً عن الطب ـ قد استجابت لالوف الصلوات ، فردت العافية إلى قلبك الشاعر الكبير الذى وسعنا جميعاً ، وغنى لنا ، فاغنانا بروائع هن من اكرم الآيات حبا وخيراً فى مبتكرات جمال .

وإن انسى ، ههنا ، من شىء ، لا انسى جلالة وفائك للبنان ـ لبنان الحرب ، وقبل الحرب ، فما بعد ، ـ لبنان الذى يبقى كله معك لانك فى صميم القلب منه والعقل والوجدان .

خليل رامز سركيس
لندن فى ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٧

استاذنا الكبير خليل رامز سركيس

مع اول العام الجديد تاتينى كلماتك الرائعة حاملة إلىّ ورداً ، وحبقاً وخبزاً وكمشة من زعتر لبنان .

لبنان لعب دوراً كبيراً فى صحتى ... وفى جسدى ... وفى مرضى وعافيتى . صحته صحتى ووجعه وجعى .

وما اروعك حين اكتشفت هذه العلاقة المصيرية بينى وبينه .

حتى فى زمن ذبحة القلب جاءنى لبنان إلى مستشفى سان توماس فى لندن وزرع وردة فى قلبى فاستعدت عافية الكلمة .

الله ... ما اروع لبنان ...

الله ... ما اروع كلماتك النبيلة ، وما اسعدنى حتى اسمع صوتك فى مطلع العام .

نزار قبانى
لندن ١٩٩٨/١/١

من رسائل نزار قبانى

نزار قبانى فى إقراره وتنازله :

تقاضيت ثلاثة آلاف جنيه مصرى مقابل ست قصائد مغناة !

((اقرار وتنازل))

المستشار القانونى
((مجدى العمروسى))

المقر بما فيه
((نزار قبانى))

القاهرة فى ٢١/١٢/١٩٧١

« إقرار وتنازل »

اقر انا الموقع ادناه الشاعر نزار قبانى المقيم فى لبنان/ بيرت صندوق بريد ٦٢٥٠ اننى قد بعت وتنازلت الى شركة صوت الفن ١٦ شارع عدلى بالقاهرة . حق طبع ونشر واستغلال الاغانى الموضحة فى هذا الاقرار استغلالا تجاريا فى كافة انحاء العالم وذلك بطبعها على اسطوانات تجارية واشرطة كاسيت وخرطوش وبكافة طرق الطبع الميكانيكى المعروفة حاليا والتى تسجد مستقبلاً كما اقر انه بتوقيعى علىً هذا الإقرار تصبح شركة صوت الفن هى الوحيدة صاحبة الحق فى استغلال هذه الاغانى - الموضحة بهذا الإقرار دون غيرها كما يمتنع على اعادة بيعها او التصريح بنشرها او إهدائها للغرض الوارد فى هذا الإقرار لأى فرد أو شركة او مؤسسة اخرى ، كما اقر اننى قد تسلمت من شركة صوت الفن كافة حقوقى المادية عن هذا البيع والتنازل باعتباره بيعا قطعيا وبتسلمى هذا المقابل البالغ ٣٠٠٠ (فقط ثلاثة آلاف جنيه مصرى) التى تسلمتها بالشيك رقم ٣٣٥٤٨٢ على البنك الاهلى المصرى فرع ثروت اى بواقع كل اغنية خمسمائة جنيه مصرى وبيان الاغانى موضوع البيع والتنازل الوارد بهذا الإقرار هى : -

١ - ايظن
غناء : نجاة الصغيرة
لحن واداء : محمد عبدالوهاب

٢ - ماذا اقول له (الف اهواه)
غناء : نجاة الصغيرة
لحن : محمد عبدالوهاب

٣ - إلى حبيبى (متى ستعرف)
غناء : نجاة الصغيرة
لحن : محمد عبدالوهاب

٤ - رسالة من تحت الماء
غناء : عبدالحليم حافظ
لحن : محمد الموجى

٥ - قارئة الفنجان
غناء : عبدالحليم حافظ
لحن : محمد الموجى

٦ - لا تدخلى (رسالة من امراة)
غناء : فايزة احمد
لحن : محمد سلطان

واصبحت ذمة الشركة خالصة قبل واصبح العائد الميكانيكى عن هذه الاغانى موزعاً كالآتى بالنسبة لاغانى : -

١ - ايظن
٢ - ماذا اقول له
٣ - الى حبيبى
٤ - رسالة من تحت الماء
٥ - لا تدخلى

مقسما بالنسبة الآتية : -

٢٠ ٪ عشرون فى المائة للاستاذ نزار قبانى .

٨٠ ٪ ثمانون فى المائة شركة صوت الفن من عائده كمؤلف .

اما بالنسبة لاغنية ، قارئة الفنجان ، فتقسم النسبة كالآتى : -

٥٠٪ خمسون فى المائة للاستاذ نزار قبانى

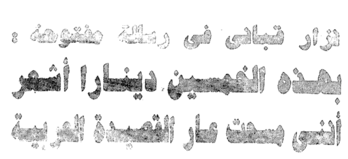
٥٠ ٪ خمسون فى المائة شركة صوت الفن من عاده كمؤلف .

وتقرر الشركة ان كافة حقوق الاداء العلنى العائدة من هذه الاغانى جميعا هى من حق الاستاذ نزار قبانى وحده حيث لا يجوز التنازل عنها او جزء منها .

كما تقرر الشركة انها قد التزمت بسداد الضرائب المستحقة على الاستاذ نزار قبانى عن الجمع الوارد فى هذا الاقرار والتنازل .

وإثباتا لما ذُكر تحرر هذا الإقرار ووقع عليه من المقر بما فيه الاستاذ نزار قبانى ومن الشركة ويمثلها فى التوقيع على هذا الاقرار مستشارها القانونى الاستاذ مجدى العمروسى .

المستشار القانونى :
مجدى العمروسى
المقر بما فيه :
« نزار قبانى »



نزار قباني في رسالة مفتوحة :

بهذه الخمسين دينارا أشعر أنني مسحت عار القصيدة العربية

حكمت عليّ محكمة الجنايات في الكويت (تاملوا كلمة جنايات) بدفع خمسين دينارا بسبب قصيدة ..

اه .. ما اروع الخبر !

فهذه اول مرة في تاريخ الشعر العربي تنقلب فيها الادوار .. فيصبح الشاعر هو الذي يدفع .. ويصير الخليفة هو الذي يقبض ..

والذي يزيد الموضوع طرافة ان الشاعر الذي سيدفع هو انا .. والجهة التي ستقبض هي الكويت .. ممثلة بمحكمة الجنايات فيها ..

اي ان البحر الكبير الذي هو الكويت يفرض على الساقية الصغيرة ان تعطيه بعض مائها ..

امنت بعدالتك يارب ..

والحكاية تتلخص في انني نشرت قبل سنتين في مجلة (اليقظة) الكويتية قصيدة عنوانها : (اسئلة الى الله) اغضبت على مايبدو إحدى الجمعيات الدينية فتقدمت بشكوى إلى وزارة الإعلام ، واحالت وزارة الإعلام الشكوى إلى النيابة العامة حتى انتهت اخيرا إلى محكمة الجنايات ..

والذي اثار دهشتي واستغرابي ان المحكمة التي نظرت في القضية ليست محكمة جنحة .. ولا محكمة بداية .. ولا محكمة مطبوعات .. وانما محكمة الجنايات اي ذات المحكمة التي تنظر في قضايا القتل والسرقة وتهريب المخدرات .

واصدرت المحكمة ـ بعد قراءة القصيدة ـ حكمها بإدانتي معتبرة ان كلمات القصيدة تتضمن تشكيكا في حتمية وجود الله ..

ولست مضطرا بالطبع للدفاع عن إيماني امام اي سلطة دنيوية ، لان الإيمان هو قضية شخصية بيني وبين الله ..

غير انني اود ان اقول إن قراءة الشعر هي فن قائم بذاته ، ومعاناة واستكشاف واضاءة .. وليس من اختصاص اي محكمة في الدنيا ان تقرا قصيدة شعر كما تقرا كتابا في الفقه الدستوري .. او في الاقتصاد السياسي .. أو في الطب الشرعي .

ان النص القانوني شيء .. والنص الشعري شيء آخر ..

والحقيقة في تصور القاضي هي غير الحقيقة في تصور الشاعر ..

القاضي يتحرك داخل حدود النص ويرى الحقائق من خلاله ، في حين يسافر الشاعر إلى الحقيقة بواسطة الحدس .. ويضيء كالبرق وجه الاشياء ..

وفي حين يرى عالم الرياضيات الله معادلة حسابية ، ويراه الطبيب حقيقة علمية ، ويراه الفيلسوف قيمة جدلية ويراه القاضي حقا وعدلا ، فإن الشاعر يراه ينبوع العشق الأول .. وسيد العشاق جميعا ..

كل الديانات تعلمنا ان الله محبة ..

فلماذا تعاقبني المحكمة بدفع خمسين دينارا لانني قلت هذا ؟..

إنني لا اعترض ابدا على الحكم .. ولا على المحاكمة ..

فانا من المؤمنين بان القصيدة التي لاتحاكم .. ولا توضع في السجن الانفرادي .. ولا تجلد منه جلدة على ظهرها (حتى تكون عبرة لمن يعتبر) هي قصيدة مسكينة (ودرويشة) لاتطمح من هذه الدنيا باكثر من السترة .. وبيت ملك .. ووظيفة في الدرجة العاشرة في احدى البلديات .. هذه القصائد (السباغيتي) متوفرة بكثرة في الوطن العربي .. وتحمل دائما في جيبها شهادة تامين على الحياة .. وهي باعتبارها من فصيلة النشويات .. فإنها لا تؤذي احدا .. ولا تغضب احدا .. ولا تحدث تلبكا في المعدة لاحد .

وهذه القصائد (النشوية) لاتغادر البيت صيفا ولا شتاء .. حتى لاتلتقط زكاما .. ولا تشتري جريدة .. ولا تقرا كتابا .. ولا تمشي في مظاهرة .. ولا تجلس في مقهى .. ولا تتكلم في التلفون خشية ان يكون الخط مراقبا ..

القصائد التي من هذا النوع تعيش اكثر من مئة عام ، دون ان يشيب شعرها ، او يتجعد وجهها ، او يستدعونها للتحقيق معها ، او تصاب بنوبة قلبية .

ولماذا تصاب بنوبة قلبية .. مادامت لاتكلم احدا .. ولا تقول شيئا؟

ليست هذه هي المرة الأولى التي احاكم فيها بسبب قصيدة ..

قصيدتي (خبز وحشيش وقمر) المنشورة عام ١٩٥٤ كانت البداية .. ثم جاءت قصيدتي (هوامش على دفتر النكسة) عام ١٩٦٧ وبعد ذلك اعتبروني من اصحاب السوابق ..

ولكن ما العمل .. إذا كانت تعجبني القصيدة ـ المشكلة ..

القصيدة التي لاتلتزم بالسير على الرصيف المخصص للمارة .. ولا تتقيد بإشارات المرور .. وتتجاهل صفارة الشرطي ..

القصيدة التي تفضل النوم في المخفر .. على النوم في فندق هوليداي ان ..

غدا .. سادفع خمسين دينارا ..

اشعر بفرح لا حدود له .. واضحك من اعماق قلبي ، حين اتصور ان الخليفة بكل ابهته ووقاره ، وحاشيته وحرسه وخيوله المطهمة يقف على بابي راجيا مني ان اسلفه خمسين دينارا ليشتري خبزا لعياله ..

كما اشعر بهزة زهو وكبرياء ، حين افكر انني ادركت عصرا تحولت فيه القصيدة من اجيرة الى ربة عمل ، ومن مدينة الى دائنة ، ومن جارية تشتغل في القصر الى سيدة تتمنى رضاها كل القصور .

لقد كانت نقطة الضعف الرئيسية في الشعر العربي هي قضية الارتزاق والتكسب بالكلمة . وظلت هذه الوصمة السوداء تلاحقه من ايام الجاهلية الى يومنا هذا .. وتسيء الى بعض شعرائنا الكبار امثال ابي الطيب المتنبي .. حتى جاءت اللحظة التي هربت فيها القصيدة من (بيت الطاعة) واخذت تتمتع بحريتها واستقلالها الاقتصادي ..

ان الاستقلال الاقتصادي هو ضروري للاديب كما هو ضروري للمراة .. فالرجل يذل المراة لانه اقوى منها اقتصاديا . والحكومة تذل الشاعر لانها اقوى منه تنفيذ وسلطويا وبيدها قطع الارزاق .. وقطع الاعناق ..

الشيك الذي سادفعه للمحكمة الكويتية هو اسعد شيك ادفعه في حياتي .. قيمة الشيك لا اهمية لها .. ولكن معناه هو الاهم ..

فبهذه الخمسين دينارا اشعر انني مسحت عار القصيدة العربية ، وانتقمت لمئات الشعراء الذين اضطرتهم ظروفهم المعاشية والاقتصادية الصعبة إلى توظيف قصائدهم حرسا في معية السلطان .. وراقصات في الحفلات الرسمية .. وبهذه الخمسين دينارا اشعر انني اقود انقلابا معاكسا يوصل الشعراء إلى السلطة بعد ان كانوا خيولا في اسطبل السلطة وبهذه الخمسين دينارا اشعر انني دفعت عن جميع الشعراء العرب مؤخر الصداق للحصول على الطلاق النهائي من هذه الزوجة الظالمة التي يسمونها (الحكومة) ..

سوف اصور الشيك قبل إرساله إلى المحكمة لانه وثيقة تاريخية .. (كالماغناكارتا) ووثيقة تحرير العبيد .. وميثاق حقوق الإنسان .. ومن يدري ، فقد يعرض هذا الشيك بعد الف سنة في المتحف البريطاني وتحته الشرح التالي : (....اول شيك دفعه شاعر عربي عام ١٩٧٥ ميلادية كفدية لتحرير رقبة الشعر العربي نهائيا من العبودية والقهر والابتزاز الرسمي ......)

نزار قباني

٢١ يونيو ١٩٧٥

نزار قباني إلى علاء الديب :

نقاد الأدب عندنا يذهبون إلى النص وهم مدججون بالعُقد ومركبات النقص

جنيف ٢١/١/٨٦

الحبيب علاء

مقالتك الجميلة عنى وصلتنى إلى جنيف قراتها وانا اجلس على مقعد امام بحيرة (ليمان) وفوجئت ان طيور النورس البيضاء كانت تترك فتات الخبز الذى يرميه لها المتنزهون وتنقر صفحات مجلة «صباح الخير» لأن حروفها كانت اشهى وادسم ..

طيور النورس السويسرية قرات مقالتك المتحضرة بحضارة .. وعندما غابت الشمس . قطعت بمناقيرها اوراق المجلة . واخذت مقالتك معها إلى البيت لتعلم اولادها كيف يكون النقد حضاريا .. لاحفلة مصارعة يابانية ولاغزوة جاهلية ولاهجمة قبلية ..

الجاهلية جاهلية الغزو والثار والسبى هل هى حقبة تاريخية منتهية ، ام ان جاهلية جديدة اخذت مكانها .. هى جاهلية الحبر والورق .

هل الجاهلية الاولى قد رحلت . لتحل محلها جاهلية ثقافية اشد ضراوة وفتكا .

إن اكثر نقاد الادب عندنا يذهبون إلى النص وهم مدججون بالعقد ومركبات النقص والفكر العدوانى المسبق .

النص لديهم ليس وردة يشمونها برفق ولكنه دجاجة مذبوحة ينتفون ريشها ويفصلون جلدها عن عظمها .

لذلك ترى ثياب القصيدة العربية ملطخة بالدم ، لان اطباء النقد الذين يجرون العمليات الجراحية للقصائد العربية .. هم اطباء بياطرة .

اعود إلى مقالتك ـ النموذج ـ لأقول لك إنك من النقاد النادرين الذين اخترقونى كسهم ذهبى دون ان يسيلوا دمى .

لم يستطع احد على مدى اربعين عاما ان يوجزنى باربع صفحات وان يكثف فكرى واعمالى وعقلى وجنونى إلا انت .

طبعا هناك كتابات كثيرة ومطولة حاولت ان تقترب منى ، وان تشرحنى او تقطعنى او تحللنى كيميائيا .. لكن صفحاتك الاربع كانت كغذاء ملكة النحل ، فيها كل البروتينات ، والمعادن ، والنشويات ، والسكريات ، والأملاح والجينات التى تدخل فى تركيب الشعر وتكوين الشاعر .

إن اهم ماق مقالتك هى (البانورامية) التى تميزت بها ، فهى قد سلطت الاضواء على كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة فى مسيرتى الشعرية ، فلم تترك سنتيمترا واحداً بلا إضاءة او زاوية بلا إنارة .. فلم تتحدث عن الحب على حساب السياسية . ولم تتحدث عن المراة على حساب الوطن . ولم تفصل ثورة اللغة عن ثورة الإنسان ، ولم تضع خطا احمر بين الموت عشقا والموت على مقصلة الحرية .

إن الذين يقصون الشاعر بالمقص إلى فتافيت .. ومراحل .. واقاليم .. إنما هم يغتالونه بنية طيبة .

وانا اشكرك ، ياأخى علاء لانك لملمتنى وجمعتنى والصقتنى ببعضى بعد ماحولنى تجار المفرق إلى سوبر ماركت .

ارجو ان تصلك هذه الرسالة ، وانت بخير ، ومصر بخير . وشمسها ، وليلها ، ونيلها ، وكباريها ، وقمرها ، ومآذنها ، ومعدياتها وسمرة رجالها وعيون نسائها .. وابتسامات اطفالها بخير ..

واسلم للمحب

نزار قبانى

فبراير ١٩٨٦

رسالة نزار قباني إلى ابتسام الأنصاري :

الإبداع يا سيدتى لا جنس له

لوحات ابتسام الانصارى قصائد حب لدمشق .. مكتوبة برائحة الياسمين ، ومدامع الحنين ونوافير الماء ، واحواض الورد والليلك ، واشتعالات الذاكرة ..

لقد اخرجت هذه الدمشقية الشاعرة مفكرتها الخاصة ورسمت عليها كل تفاصيل الزمن الجميل فى بيوت الشاعر الخرافية .

قصائد لونية ، دافئة ، وعفوية ، وحميمة ، تنتمى إلى الفن السهل الممتنع الذى يخيل إليك انه بإمكانك كتابتها ، او على الاقل نتمنى كتابتها .. ولكنها فى الواقع تستعصى على غير ذى موهبة ..

ايار (مايو) ١٩٩٦

نزار قبانى

فناننتا العزيزة ابتسام .

معرضك الجميل ، جاء مؤكدا لافكارى عن المراة ، وثورتى إلى جانبها ـ فانا منذ خمسين عاما احاول ان اكسر بالشعر هذا الحائط التاريخى الرهيب ، الذى يحاول الفصل بين إبداع الرجل ، وإبداع المراة .

الإبداع ، ياسيدتى ، لا جنس له .

فالامومة فى نظرى هى ذروة الإبداع ، والمراة هى التى اخرجت الرجل من ضلعها . لا العكس ..

فواصلى الصهيل على طريق اللون ، والجمال ، والحرية .. وإلى اللقاء مع قوس قزح ، فى معرضك القادم إن شاء الله ..

لندن ٧ اذار ١٩٩٥

نزار قبانى

ايصال وتنازل

أصرح للفنانة السيدة نجاة حسني بغناء قصيدتي (أسألك الرحيلا)
وهي من تأليفي وكلماتي. وأصرح لها وحدها باستغلالها بجميع أنواع
الاستغلال، وغنائها في الحفلات، والتلفزيون، والكاسيت، والسينما وكيفما
شاءت.

وقد تقاضيت حقي عن هذه القصيدة بالكامل من السيدة نجاة
حسني، الشهيرة (بنجاة الصغيرة) وهو مبلغ ٣٠٠٠ (فقط ثلاثة
آلاف دولار أميركي لا غير).

وقد أصبح من حق الفنانة السيدة نجاة حسني وحدها
حق التصرف في غنائها واستغلالها كما تشاء، وليس من حقي
التصرف أو السماح بغنائها واستغلالها لسواها، مع حفظ حقي
في الطبع الميكانيكي والأداء العلني.

تحريراً بيروت في ١٢/٦/١٩٨٥

الشاعر

نزار قباني (signature)

رسالة من نزار قباني إلى نجاة :

تقاضيت ثلاثة آلاف دولار مقابل غناء نجاة لـ « أسألك الرحيلا »

اصرح للفنانة السيدة نجاة حسنى بغناء قصيدتى (اسالك الرحيلا) وهى من تاليفى وكلماتى . واصرح لها وحدها باستغلالها بجميع انواع الاستغلال ، وغنائها فى الحفلات ، والتليفزيون ، والكاسيت ، والسينما ، وكيفما شاءت .

وقد تقاضيت حقى عن هذه القصيدة بالكامل من السيدة نجاة حسنى ، الشهيرة (بنجاة الصغيرة) وهو مبلغ ٣٠٠٠ (فقط ثلاثة آلاف دولار امريكى لا غير) .

وقد اصبح من حق الفنانة السيدة نجاة حسنى وحدها حق التعديل فى غنائها واستغلالها كما تشاء ، وليس من حقى التصرف او السماح بغنائها وإستغلالها لسواها ، مع حفظ حقى فى الطبع الميكانيكى والأداء العلنى .

تحريرا بيروت فى ١٩٨٥/٦/١٢

الشاعر نزار قبانى

11



قصيدتا بلقيس و ٢٥ وردة في شَعْرِ بلقيس

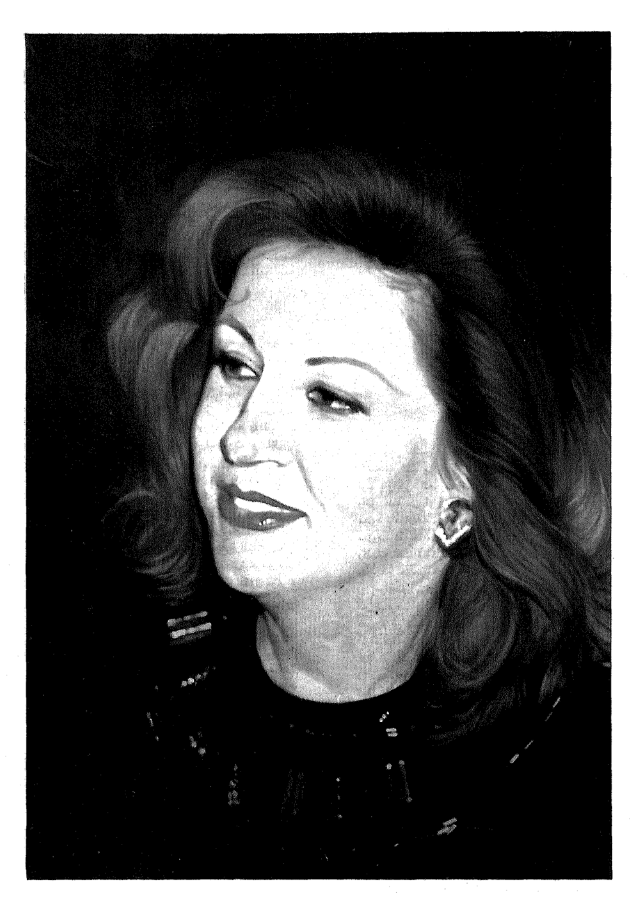
بلقيسُ .. ياوجعي

وياوجَعَ القصيدةِ تلْمَسُها الأناملْ

هل ياتُرى

من بعد شَعْرِكِ سوف ترتفعُ السنابلْ

نزار قباني



بلقيس .. الصديقة .. والرفيقة
بلقيس .. الشهيدة .. والقصيدة

« نجود وإبراهيم الراوى » شقيقا « بلقيس » :

« نزار » عَشِقَ « بلقيس » من أول نظرة وتزوجها بعد سبع سنوات من الرفض !

« بلقيس » اشهر قصيدة حب يكتبها نزار قبانى فى حياته .. قصيدة رومانسية حالمة ظلت تلح عليه سبع سنوات ، فيحاورها وتحاوره حتى تمكن منها ، قبل ان تقطف وردتها يد الغدر بعد اثنى عشر عاماً من الحلم الجميل ..

التقى نزار قبانى بزوجته الثانية « بلقيس » فى العراق عام ١٩٦٢ ، وكان مدعوا فى زيارة رسمية لإلقاء بعض قصائده فى إحدى الندوات ، وهنك تمت دعوته لزيارة اخرى غير رسمية فى بيت احد الاصدقاء ، حيث التقاها ـ بلقيس ـ لاول مرة ، وحيث بدا يكتب اول كلمة فى قصيدة حبه الأبدية .

وفى القاهرة التقينا « نجود » و« إبراهيم الراوى » ، شقيقى « بلقيس » ، شاهدين على اكثر من خمس وثلاثين سنة فى حياة شاعر العروبة « نزار » ، ولان « بلقيس » لم تكن مجرد زوجة ، فقد ظلت ترفرف روحها الجميلة على حياة « نزار قبانى » ، وتملؤها بالحب الذى يتدفق شعرا بين انامله ويوصل جسرا ـ لم يعرف الانقطاع ـ إلى قلوبنا ..

ولأنها لم تكن مجرد زوجة ، لم يتحول « نزار » إلى مجرد زوج اخت « نجود وإبراهيم » ، فظلا اقرب الناس له حتى رحل ، ولأنه رجل كان لابد ان نعرف عنه الكثير مما لا يعرف احد عن علاقته ببلقيس ـ محبوبته الأبدية ـ ولنعرف كم كانا معا عشقا لا يعرف الموت او الملل ..

فماذا قالا ـ نجود وإبراهيم الراوى ـ ؟

نجود : حين اتى نزار إلى العراق لاول مرة عام ١٩٦٢ وراى « بلقيس » اختنا فى إحدى الزيارات لاصدقاء مشتركين ، ظل فى العراق شهرا اخر بعد انقضاء فترة الدعوة .

« بلقيس » كانت شابة فى الثالثة والعشرين ، هيفاء ، شقراء ، شعرها يمتد فيقترب من طولها فى سلاسل ذهبية عقدت فى ضفيرة التفت حول نفسها مرات عديدة ، وحين ذهبت لتتحدث فى التليفون ينفك شعرها امام الشاعر « نزار » فيهوى منفردا فى انحناءتها إلى الارض ، ليقول نزار : « قلبى هوى مع ضفيرتها » ، وكانت الشرارة الاولى لحب كبير لم ينته .

نجود : بالفعل ، لم يستغرق الامر وقتا طويلا ، واثناء هذا الشهر الذى قضاه « نزار » فى العراق وجد « بلقيس » المراة الوحيدة ، التى لم تعطه اى اهتمام ، وكان يظن ـ وهو الشاعر الرومانسى الكبير ـ انها ستقع فى غرامه بمجرد أن يبدى إعجابه بها ، ولكن عنفوانها وكبرياءها منعاها من ذلك ، فتقدم « نزار » لخطبتها ، ورفض الوالد لعدة اسباب ، اولها ان نزار كبير عنها كثيرا ، فهو كان وقتها عمره اربعين عاما ، وكانت فى الثالثة والعشرين كما انه غريب عن بلدها ، واهم هذه الاسباب انه ـ كشاعر ـ يعتبرونه شاعر المراة وشاعر الغزل ، فكانت مجازفة كبيرة لعائلة بحجم واسم عائلتنا ـ الراوى ـ ان نوافق على هذه الخطبة ، فكان الرفض منذ اللحظة الاولى ، واستمر هذا الرفض سبع سنوات كاملة ، حتى تمت الموافقة عليه ، والزواج عام ١٩٦٩ ...

إبراهيم : بعد الحرب الاهلية فى بيروت انتقل « نزار قبانى » ، واختى « بلقيس » للإقامة عندنا فى العراق ، واستمرا اكثر من سنة ونصف السنة ، عادت هى بعد سنة واحدة ، وظل « نزار » عندنا من الصبح للمساء ، وطوال هذه المدة كنت ارافقه طوال الوقت ، وكان عندنا حديقة كبيرة ياتى إلينا فيها اصدقاء « نزار » من الادباء مثل الراحل « جبرا إبراهيم جبرا » ، و« عبدالرحمن منيف » ، والدكتور عبدالواحد لؤلؤة ، وكان اعز اصدقائه « جبرا » ، ومع « نزار » كنا نسير معا بشارع الأميرات فى المنصور ، لنمر على بيت جبرا ، فنتمشى معا لمدة ساعتين كل يوم ، وهناك فى الاعظمية كتب نزار العديد من قصائده ، وهناك تعرفنا إلى نزار اكثر ومن قرب ، والشيء العجيب اننا لو كنا نعرف نزار هكذا من ١٩٦٢ ، لكان والدى وافق عليه من أول مرة تقدم فيها لخطبة اختى ، فهو لا يشرب .. ولا ...

نجود ـ **مقاطعة** ـ وهو رجل (بيتوتى جدا) ـ اى يعشق البيت ـ عكس ماهو معروف عنه تماما ـ فهو مهذب وخجول جدا ، ويظهر ذلك حتى فى قوافيه وكلماته المنتقاة وكان الناس يتخيلونه كشاعر للمراة ، ان يكون معها دائما ، وهو غير صحيح بالمرة .

إبراهيم : نزار كان حقا شاعر المراة ، ولكن بمعنى انه كان نصيرها ، فهو كان فى صف المراة العربية دائما ، يساندها ويدافع عن قضيتها ، بعد أن وجد ضرورة أن تصبح المراة عنصرا من عناصر تقدم المجتمع ، فنزار دافع عن المراة كإنسان مغبون ، وفى العديد من قصائده قال ذلك ، فهو كان يشعر ـ كذلك ـ بالمراة وإحساسها ، ويتكلم بلسانها فى بعض قصائده .

□ **نعود إلى عام ١٩٦٢ ، وبعد ان تقدم نزار لخطبة بلقيس ، وتم رفضه ، كيف كان رد الفعل داخل الاسرة ؟**

● **إبراهيم** : قبل ان ياتى نزار ونقابله فى هذه المرة ، كان عندنا فكرة عن ذلك الموضوع ، وكانت عائلتنا مشهورة بالتزامها الدينى بدون تعصب ـ ، فهى من اعرق العائلات العراقية ، ومتمسكة بالتقاليد ، ولذا فقد كانت لنا نظرة معينة تجاه الشعر ، فما بالك ونزار اشتهر بكونه شاعر المراة والغزل ..

● **نجود** : ودواوين نزار كذلك كانت كلهاجراة ، فالرفض لم يكن لنزار بشكل شخصى او لعائلته ، وإنما لكونه شاعرا للغزل ولجراته فى كتاباته ، وهو ما رفضته العائلة ، وخافت منه على ابنتهم ، وما كان ذلك لعيب فى نزار كما قلت ، او لعيب فى عائلته ، وهى عائلة مشهورة ومعروفة فى الشام ، وإنما الخوف من كونه كشاعر غزل قد يكون اعجب بأختنا لمجرد جمالها ، وربما يتغير بعد ذلك .

ومنذ عام ١٩٦٢ ، حين تقدم « نزار » لخطبة بلقيس لاول مرة ، حتى تمت الموافقة عليه عام ١٩٦٩ ، هل ظل يتقدم طوال هذه السنوات السبع دون ياس ؟

● **نجود** : ظل « نزار » يبعث لنا بوسطاء من اقربائنا حتى نقبل ، ومن ضمن

من توسطوا له كان الرئيس احمد حسن البكر والعديد من الشخصيات الاخرى حتى تمت دعوة « نزار » للعراق من جديد فى شهر ابريل ١٩٦٩ ، وكان جدنا لوالدتنا قد توفى فى مارس فى نفس العام ، وكان من اكبر المعارضين لخطبة « بلقيس » من نزار ، وبعد الاربعين تمت الموافقة ، وكتب الكتاب ، ولم نقم فرحا لظروف الوفاة ، وكان الموضوع عائليا جدا .

□ **وماذا عن « بلقيس » وهى ترى نفسها ملاحقة لسبع سنوات من شاعر كبير يريد الزواج منها ؟**

● **نجود** : ان تظل « بلقيس » بالطبع ملاحقة من شاعر مشهور ، وبإصرار شديد منه لسبع سنوات ، هو شيء يرضى غرورها بالتاكيد ، ومؤلفاته وقصائده العديدة عنها ، فما بالك وهو رجل فنان ، فقد ضرب على وتر حساس فى غرور هذه الشابة الجميلة ، فاصبح الموضوع عندها مقبولا ، وخلال سنوات الرفض السبع تقدم العديد من الاشخاص ، ورفضتهم كلهم من اجل نزار ، فقد احبته بالتاكيد ، وهو ما ساعد على موافقة العائلة ، بعد وفاة الجد ، كما كان لإبراهيم اخى دور كبير فى ذلك عام ١٩٦٩ ، وكان قد كبر فى السن واصبح له راى ..

● **إبراهيم** : عام ١٩٦٩ تحدث إلىّ « نزار » وسألت اختى فى ذلك ، فلم **تعترض** ، فقلت لها وأنا علىّ الوالد ، وبالفعل اقنعته ووافق على زواج نزار من اختى « بلقيس » .

□ **وفى خلال الفترة من ٦٢ ، وحتى ٦٩ هل زار « نزار » العراق ، او التقى « ببلقيس » مرة اخرى ، بعد ان راها لاول مرة ؟**

● **نجود** : لا .. لانه ترك بغداد بعدها عام ١٩٦٢ ، ولم يزرها ثانية فى تلك الفترة ، حيث عمل سفيرا لسوريا فى مدريد حتى عام ١٩٦٦ ، وبعدها استقر فى بيروت حتى عاد إلى العراق عام ١٩٦٩ بدعوة لمؤتمر « المربد » ، حيث تمت الموافقة عليه .

□ **وبعد الزواج ـ هل زار « نزار قبانى » العراق مرة اخرى قبل اشتعال الحرب الاهلية فى لبنان ١٩٧٦ ؟**

● **نجود** : نعم .. تعددت زياراته للعراق بعد ذلك باستمرار وعندما حملت « بلقيس » فى ابنتهما « زينب » جاءت إلى بغداد حيث وضعت هناك ، اما « عمر » فقد ولد فى بيروت ، وحاليا انتهت زينب من دراستها فى تصميم الازياء بأمريكا ، وعملت عاما فى دبى وعادت بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الاعمال هناك ، اما عمر فقد تخرج فى جامعة « بوسطن » حيث درس الإلكترونيات ..

□ **وماذا فعل « نزار » بعد حادث السفارة المؤلم عام ١٩٨١ فى بيروت ، والذى راحت شهيدته « بلقيس » ؟**

● **نجود** : ظللنا فى بيروت ، وكنت قد انتقلت إليها بعد زواجى عام ١٩٧١ ، فجلسنا بعد حادث السفارة حتى حدث اجتياح بيروت من قبل العدو الإسرائيلى فى شهر يونيو التالى ، وعندها اخذنا اولادنا ، وسافرنا فى مركب سبع عشرة ساعة عبر البحر ، مع الغنم والخرفان حتى وصلنا إلى قبرص ، وبعدها رحل « نزار » إلى الولايات المتحدة الامريكية حيث اجرى هناك عملية فى القلب ، اتى بعدها للقاهرة حيث سكن بها سنة تقريبا ، ودخل اولادنا المدارس هنا ، وبعدها سافر إلى جنيف اربع سنوات ، وكانت اصعب فترة فى حياته حيث جنيف مدينة كئيبة ، وظروفه الصحية كانت صعبة بجانب ظروف رعايته وحده لابنائه ، وفى الحقيقة كان ابا واما لهم فى نفس الوقت ، كما كانت ابنته الكبرى « هدباء » وهى اختهم غير الشقيقة من زوجته الاولى ، كانت نعم العون لزينب وعمر ، وكانت امهم واختهم ، وبعدها رحل « نزار » إلى لندن حتى رحيله ..

□ **وكيف كان « نزار » عن قرب ؟**

● **نجود** : « نزار » طيب جدا ، ويحب البيت ، ويعشق اولاده ، لا توجد عنده اى طقوس للكتابة ، وكان لا يحب السهر فينام بدرى ويصحو مع اول ضوء للفجر ، يقرا الصحف فى البلكونة ويكتب الشعر ، وكان يصنع قهوته لنفسه ...

نحن احببناه كثيرا .. ولم يكن مجرد زوج اخت ابدا .

□ **وكيف كان من بعيد ؟**

● **نجود** : كان الناطق الرسمى بلسان الشعب العربى .

زين العابدين خيرى



بلقيس

شكرا لكم ..
شكرا لكم ..
فحبيبتى قُتلت .. وصار بوسعكم
ان تشربوا كاسا على قبر الشهيدة
وقصيدتى اغتيلت ..
وهل من امة فى الارض ..
ـ إلا نحن ـ نغتال القصيدة ؟

بلقيس ..
كانت اجمل الملكات فى تاريخ بابل

بلقيس ..
كانت اطول النخلات فى ارض العراق
كانت إذا تمشى ..
ترافقها طواويس ..
وتتبعها ايائل ..

بلقيس .. يا وجعى ..
ويا وجع القصيدة حين تلمسها الانامل
هل يا ترى ..
من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل ؟

يا نينوى الخضراء ..
يا غجريتى الشقراء ..
يا امواج دجلة ..

تلبس فى الربيع بساقها
احلى الخلاخل ..

قتلوك يا بلقيس ..
اية امة عربية ..
تلك التى
تغتال اصوات البلابل ؟

اين السمَوْأل ؟
والمهلهل ؟
والغطاريف الأوائل ؟
فقبائل اكلت قبائل ..
وثعالب قتلت ثعالب ..
وعناكب قتلت عناكب ..



لقطتان من البوم الذكريات وبلقيس على اعتاب الانوثة غادة هيفاء فى ثوب اقلام إلى اليسار فى رحلة لمصر صحبتها فيها باقة من بنات العراق

قسما بعينيك اللتين اليهما ..
تاوى ملايين الكواكب ..
ساقول ، يا قمرى ، عن العرب العجائب
فهل البطولة كذبة عربية ؟
ام مثلنا التاريخ كاذب ؟

بلقيس
لا تتغيبى عنى
فإن الشمس بعدك
لا تضىء على السواحل ..

ساقول فى التحقيق :
إن اللص اصبح يرتدى ثوب المقاتل

واقول فى التحقيق :
إن القائد الموهوب اصبح كالمقاول ..

واقول :
إن حكاية الإشعاع ، اسخف نكتة قيلت ..
فنحن قبيلة بين القبائل
هذا هو التاريخ .. يا بلقيس ..
كيف يفرق الإنسان ..
ما بين الحدائق والمزابل

بلقيس ..
ايتها الشهيدة .. والقصيدة ..
والمطهرة النقية ..
سبا تفتش عن مليكتها
فردِّى للجماهير التحية ..



يا اعظم الملكات ..
يا امراة تجسد كل امجاد العصور السومرية
بلقيس ..
يا عصفورتى الأحلى ..
ويا ايقونتى الأغلى
ويا دمعا تناثر فوق المجدلية

اترى ظلَمتُك إذ نقلتك
ذات يوم .. من ضفاف الاعظمية
بيروت .. تقتل كل يوم واحدا منا ..
وتبحث كل يوم عن ضحية

والموت .. فى فنجان قهوتنا ..
وفى مفتاح شقتنا ..
وفى ازهار شرفتنا ..
وفى ورق الجرائد ..

والحروف الأبجدية ..

ها نحن .. يا بلقيس ..
ندخل مرة أخرى لعصر الجاهلية ..
ها نحن ندخل فى التوحش ..
والتخلف .. والبشاعة .. والوضاعة ..
ندخل مرة اخرى .. عصور البربرية ..

حيث الكتابة رحلة
بين الشظية .. والشظية
حيث اغتيال فراشة فى حقلها ..
صار القضية ..

هل تعرفون حبيبتى بلقيس ؟
فهى اهم ما كتبوه فى كتب الغرام
كانت مزيجا رائعا

بين القطيفة والرخام ..
كان البنفسج بين عينيها
ينام ولا ينام ..

بلقيس ..
يا عطرا بذاكرتى ..
ويا قبرا يسافر فى الغمام ..
قتلوك ، فى بيروت ، مثل اى غزالة
من بعدما .. قتلوا الكلام ..

بلقيس ..
ليست هذه مرثية
لكن ..
على العرب السلام

بلقيس ..
مشتاقون .. مشتاقون .. مشتاقون ..
والبيت الصغير ..
يسائل عن اميرته المعطرة الذيول
نصغى إلى الأخبار .. والأخبار غامضة
ولا تروى فضول ..

بلقيس ..
مذبحون حتى العظم ..
والأولاد لا يدرون ما يجرى ..
ولا ادرى انا .. ماذا اقول ؟

هل تقرعين الباب بعد دقائق ؟
هل تخلعين المعطف الشتوى ؟
هل تاتين باسمة ..
وناضرة ..
ومشرقة كازهار الحقول ؟

بلقيس ..
إن زروعك الخضراء ..
مازالت على الحيطان باكية ..
ووجهك لم يزل متنقلا ..
بين المرايا والستائر

حتى سجارتك التى اشعلتها ..
لم تنطفىء ..
ودخانها
مازال يرفض ان يسافر

بلقيس ..
مطعونون .. مطعونون فى الاعماق ..
والأحداق يسكنها الذهول
بلقيس ..
كيف اخذتِ ايامى .. واحلامى ..
والغيت الحدائق والفصول ..

بلقيس والصديقات فوق هضبة الهرم تتهادى بهن الإبل الهوينى فى رحلة يجبن فيها مزارات مصر

يا زوجتى ..
وحبيبتى .. وقصيدتى .. وضياء عينى ..
قد كنت عصفورى الجميل ..
فكيف هربت يابلقيس منى ؟..

بلقيس ..
هذا موعد الشاى العراقى المعطر ..
والمعتق كالسلافة ..
فمن الذى سيوزع الأقداح .. ايتها الزرافة ؟
ومن الذى نقل الفرات لبيتنا ..
وورود دجلة والرصافة ؟

بلقيس ..
إن الحزن يثقبنى ..
وبيروت التى قتلتك .. لاتدرى جريمتها
وبيروت التى عشقتك ..

تجهل انها قتلت عشيقتها ..
واطفات القمر ..

بلقيس ..
يابلقيس ..
يابلقبس ..
كل غمامة تبكى عليك ..
فمن ترى يبكى عليا ..
بلقيس .. كيف رحلت صامتة
ولم تضعى يديك .. على يديا ؟

بلقيس ..
كيف تركتنا فى الريح ..
نرجف مثل اوراق الشجر ؟
وتركتنا ـ نحن الثلاثة ـ ضائعين
كريشة تحت المطر ..

اتراك مافكرت بى ؟
وانا الذى يحتاج حبك .. مثل (زينب) او (عمر)

بلقيس ..
ياكنزا خرافيا ..
ويارمحا عراقيا ..
وغابة خيزران ..
يامن تحديت النجوم ترفعا ..
من اين جئت بكل هذا العنفوان ؟

بلقيس ..
ايتها الصديقة .. والرفيقة ..
والرقيقة مثل زهرة الحوان ..
ضاقت بنا بيروت .. ضاق البحر ..
ضاق بنا المكان ..
بلقيس : ما انت التى تتكررين ..
فما لبلقيس اثنتان ..

فاتنة نزار على نهر دجلة



بلقيس ..
تذبحنى التفاصيل الصغيرة فى علاقتنا .
وتجلدنى الدقائق والثوانى ..
فلكل دبوس صغير .. قصة
ولكل عقد من عقودك قصتان

حتى ملاقط شعرك الذهبى ..
تغمرنى ، كعادتها ، بامطار الحنان
ويعرش الصوت العراقى الجميل ..
على الستائر ..
والمقاعد ..
والأوانى ..

ومن المرايا تطلعين ..
من الخواتم تطلعين ..

من القصيدة تطلعين ..
من الشموع ..
من الكؤوس ..
من النبيذ الارجوانى ..

بلقيس .. يابلقيس ..
لو تدرين ما وجع المكان ..
فى كل ركن .. انت حائمة كعصفور ..
وعابقة كغابة بيلسان ..

فهناك .. كنت تدخنين ..
هناك .. كنت تطالعين ..
هناك .. كنت كنخلة تتمشطين ..
وتدخلين على الضيوف ..
كانك السيف اليمانى ..

بلقيس ..
اين زجاجة (الغيرلان) ؟
والولاعة الزرقاء ..
اين سيجارة الـ (كَنْتِ) التى
مافارقت شفتيك ؟
اين (الهاشمى) مغنيا ..
فوق القوام المهرجان ..

تتذكر الأمشاط ماضيها ..
فيكرج دمعها ..
هل ياترى الأمشاط من اشواقها ايضا تعانى ؟
بلقيس : صعب ان اهاجر من دمى ..
وانا المحاصر بين السنة اللهيب ..
وبين السنة الدخان ..

بلقيس : ايتها الاميرة
هاانت تحترقين .. فى حرب العشيرة والعشيرة
ماذا ساكتب عن رحيل مليكتى ؟
إن الكلام فضيحتى ..

هانحن نبحث بين اكوام الضحايا ..
عن نجمة سقطت ..
وعن جسد تناثر كالمرايا ..
هانحن نسال ياحبيبة ..
إن كان هذا القبر قبرك انت
ام قبر العروبة ..

بلقيس :
ياصفصافة ارخت ضفائرها على ..
ويازرافة كبرياء ..
بلقيس :
إن قضاءنا العربى ان يغتالنا عرب ..

وياكل لحمنا عرب ..
ويبقر بطننا عرب ..
ويفتح قبرنا عرب ..
فكيف نفر من هذا القضاء ؟

فالخنجر العربى .. ليس يقيم فرقا
بين اعناق الرجال ..
وبين اعناق النساء ..
بلقيس :
إن هم فجروك .. فعندنا
كل الجنائز تبتدى فى كربلاء ..
وتنتهى فى كربلاء ..

لن اقرا التاريخ بعد اليوم
إن اصابعى اشتعلت ..
واثوابى تغطيها الدماء ..
هانحن ندخل عصرنا الحجرى ..
نرجع كل يوم ، الف عام للوراء ..

البحر فى بيروت ..
بعد رحيل عينيك استقال ..
والشعر .. يسال عن قصيدته
التى لم تكتمل كلماتها ..
ولا احد .. يجيب على السؤال

الحزن يابلقيس ..
يعصر مهجتى كالبرتقالة ..
الآن .. اعرف مازق الكلمات
اعرف ورطة اللغة المحالة ..
وانا الذى اخترع الرسائل ..
لست ادرى .. كيف ابتدى الرسالة ..



السيف يدخل لحم خاصرتي
وخاصرة العبارة ..
كل الحضارة ، انت يابلقيس ، والانثى
حضارة ..
بلقيس : انت بشارتي الكبرى ..
فمن سرق البشارة ؟
انت الكتابة قبلما كانت كتابة ..
انت الجزيرة والمنارة ..

بلقيس :
ياقمري الذي طمروه مابين الحجارة ..
الآن ترتفع الستارة ..
الآن ترتفع الستارة ..

ساقول في التحقيق ..
إني اعرف الأسماء .. والأشياء .. والسجناء .
والشهداء .. والفقراء .. والمستضعفين ..
واقول إني اعرف السياف قاتل زوجتي ..
ووجوه كل المخبرين ..

واقول : إن عفافنا عهر ..
وتقوانا قذارة ..
واقول :: إن نضالنا كذب
وان لا فرق ..
مابين السياسة والدعارة !!

ساقول في التحقيق :
إني قد عرفت القاتلين
واقول :
إن زماننا العربي مختص بذبح الياسمين
وبقتل كل الأنبياء ..
وقتل كل المرسلين ..

حتى العيون الخضر ..
ياكلها العرب
حتى الضفائر .. والخواتم
والأساور .. والمرايا .. واللعب ..
حتى النجوم تخاف من وطني ..
ولا ادرى السبب ..

حتى الطيور تفر من وطني ..
ولا ادرى السبب ..
حتى الكواكب .. والمراكب .. والسحب
حتى الدفاتر .. والكتب ..
وجميع اشياء الجمال ..
جميعها .. ضد العرب ..

لما تناثر جسمك الضوئي
يابلقيس ،
لؤلؤة كريمة
فكرت : هل قتل النساء هواية عربية
ام اننا في الاصل ، محترفو جريمة ؟



عائلة بلقيس الراوى العراقية تابعت شعر نزار منذ اول ديوان له عام ٤٨

بلقيس ..
يافرسى الجميلة .. إننى
من كل تاريخى خجول
هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..
هذى بلاد يقتلون بها الخيول ..

من يوم ان نحروك ..
يابلقيس ..
ياأحلى وطن ..
لايعرف الإنسان كيف يعيش فى هذا الوطن ..
لايعرف الإنسان كيف يموت فى هذا الوطن ..

مازلت ادفع من دمى ..
اغلى جزاء
كى اسعد الدنيا .. ولكن السماء
شاءت بان ابقى وحيدا ..
مثل أوراق الشتاء

هل يولد الشعراء من رحم الشقاء ؟
وهل القصيدة طعنة
فى القلب .. ليس لها شفاء ؟
ام اننى وحدى الذى
عيناه تختصران تاريخ البكاء ؟

ساقول فى التحقيق :
كيف غزالتى ماتت بسيف ابى لهب
كل اللصوص من الخليج إلى المحيط ..
يدمرون .. ويحرقون ..
وينهبون .. ويرتشون ..
ويعتدون على النساء ..
كما يريد ابو لهب ..

كل الكلاب موظفون ..
وياكلون ..
ويسكرون ..
على حساب ابى لهب ..

لا قمحة فى الأرض ..
تنبت دون راى ابى لهب
لا طفل يولد عندنا
إلا وزارت امه يوما ..
فراش ابى لهب !!..

لا سجن يفتح ..
دون راى ابى لهب ..
لا راس يقطع
دون امر ابى لهب ..

ساقول فى التحقيق :
كيف اميرتى اغتصبت
وكيف تقاسموا فيروز عينيها



وخاتم عرسها ..
واقول كيف تقاسموا الشعر الذى
يجرى كانهار الذهب ..

ساقول فى التحقيق :
كيف سطوا على آيات مصحفها الشريف
واضرموا فيه اللهب ..
ساقول كيف استنزفوا دمها ..
وكيف استملكوا فمها ..
فما تركوا به وردا .. ولا تركوا عنب .

هل موت بلقيس ..
هو النصر الوحيد
بكل تاريخ العرب ؟؟..

بلقيس ..
يامعشوقتى حتى الثمالة ..

الانبياء الكاذبون ..
يقرفصون ..
ويركبون على الشعوب
ولا رسالة ..

لو انهم حملوا إلينا ..
من فلسطين الحزينة ..
نجمة ..
او برتقالة ..

لو انهم حملوا إلينا
من شواطىء غزة
حجرا صغيرا
او محارة ..

لو انهم من ربع قرن حرروا
زيتونة ..
او ارجعوا ليمونة
ومحوا عن التاريخ عارة



لشكرت من قتلوك .. يابلقيس ..
يامعبودتى حتى الثمالة ..
لكنهم .. تركوا فلسطينا
ليغتالوا غزاله !!..

ماذا يقول الشعر ، يابلقيس ..
فى هذا الزمان ؟
ماذا يقول الشعر ؟
فى العصر الشعوبى ..
المجوسى ..
الجبان ..

والعالم العربى ..
مسحوق .. ومقموع ..
ومقطوع اللسان ..
نحن الجريمة فى تفوقها
فما (العقد الفريد) .. وما (الأغانى) ؟؟

اخذوك ايتها الحبيبة من يدى ..
اخذوا القصيدة من فمى ..
اخذوا الكتابة .. والقراءة ..
والطفولة .. والأمانى

بلقيس .. يابلقيس ..
يادمعا ينقط فوق أهداب الكمان .
علمت من قتلوك أسرار الهوى
لكنهم .. قبل انتهاء الشوط
قد قتلوا حصانى

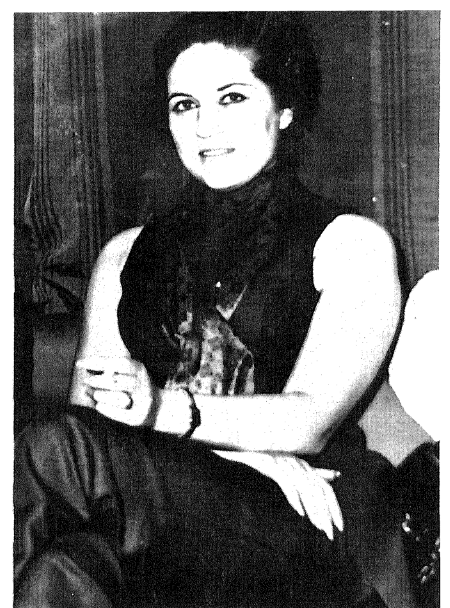
بلقيس :
أسالك السماح ، فربما
كانت حياتك فدية لحياتى ..
إنى لأعرف جيدا
أن الذين تورطوا فى القتل ، كان مرادهم
ان يقتلوا كلماتى !!

نامى بحفظ الله .. ايتها الجميلة
فالشعر بعدك مستحيل ..
والأنوثة مستحيلة

ستظل اجيال من الاطفال ..
تسال عن ضفائرك الطويلة .
وتظل أجيال من العشاق
تقرا عنك .. ايتها المعلمة الأصيلة ..

وسيعرف الأعراب يوما
انهم قتلوا الرسوله ..
قتلوا الرسوله ..
ق .. ت .. ل .. و .. ا
ال .. ر .. س .. و .. ل .. هـ

بيروت ١٩٨١/١٢/١٥



كان اللقاء الأول في العراق عام ١٩٦٢ عندما انحنت بلقيس - ٢٣ سنة - شقراء فارعة الطول فانكفت ضفيرتها فهتف نزار: «قلبي هوى مع ضفيرتها»

٢٥ وردة في شعر بلقيس

[١]

كنت اعرف انها سوف تقتل ..
وكانت تعرف انني سوف اقتل ..
وقد تحققت النبوءتان ..
سقطت هي ، كالفراشة ، تحت انقاض الجاهليه
وسقطت انا ... بين انياب عصر عربي
يفترس القصائد ...
وعيون النساء ...
ووردة الحرية ...

[٢]

كنت اعرف انها سوف تقتل ..
وان انوثتها لن تشفع لها
فالانوثة في هذا الوطن الممتد جغرافيا
من البشاعة إلى البشاعة ...
ومن القذيفة إلى القذيفه
ليست سببا تخفيفيا
يحمي الحمائم من الذبح ...
ولا تعطي امتيازا للامهات
لكي يكملن إرضاع اطفالهن ..

[٣]

كنت اعرف انها سوف تقتل ..
فقد كانت جميلة في عصر عربي قبيح ..
وكانت نقية في عصر عربي ملوث
وكانت نبيلة في عصر الصعاليك .
وكانت لؤلؤة نادرة
بين اكداس اللؤلؤ الصناعي
وكانت امراة متفردة ...
بين ارتال النساء المتشابهات ..

[٤]

كنت اعرف انها سوف تقتل ...
ففيها تجسدت حضارة ما بين النهرين
ونحن متخلفون ..
هي مقام بغدادي رائع ..
ونحن لا نسمع ...
هي قصيدة عباسيه ..
ونحن لا نقرا ..
هي فصل من ملحمة (جلجامش)
ونحن اميون ...
هي اجمل ما كتب من شعر ..
ونحن اردأ ماكتب من نثر ...



نزار وبلقيس .. تقدم يخطبها عام ٦٢ وتمت الموافقة عليه عام ٦٩ وكان الفرح عائليا لم يحضر فيه من العائلة النزارية سوى معتز الصباح وزوجته

٥

كنت اعرف انها سوف تقتل ...
لان عينيها كانتا صافيتين كنهرين من الزمرد ...
وشعرها كان طويلا كموال بغدادى
فاعصاب هذا الوطن ،
لا تتحمل كثافة اللون الأخضر
ولا تتحمل رؤية مليون شجرة نخيل

٦

تتجمع فى عينى بلقيس ...
كنت اعرف انها سوف تقتل ..
فكلنا - دون استثناء - موضوعون على قائمة الطعام
فى هذا الوطن الذى احترف اكل مواطنية ..
والغريب .. انهم يطالبوننا قبل ان ياكلونا ...
ان نغنى النشيد الوطنى !!
وناخذ التحية العسكرية لرئيس المائدة
وللغارسونات الذين يحيطون به ...
اى نشيد وطنى ؟ اى وطن ؟...
حين تكون جثة المواطن العربى
مدفونة فى مكان ما ..
بين معدة الحاكم العربى ..
وبين مصرانه الغليظ ..

٧

كنت اعرف انها سوف تقتل ..
فقد كانت مساحة كبريائها
اكبر من مساحة شبه جزيرة العرب
وكانت حضارتها لا تسمح لها
ان تعيش فى عصر الانحطاط ...
وكان تركيبها الضوئى ..
لايسمح لها ان تعيش فى العتمة ...

٨

كانت تعتقد من شدة عنفوانها
ان الكرة الارضية صغيرة عليها ..
ولهذا حزمت حقائبها .
وانسحبت على اطراف اصابعها .
دون ان تخبر احدا ..

٩

لم تكن خائفة ان يقتلها الوطن
ولكنها كانت خائفة على الوطن
ان يقتل نفسه ..

١٠

كسحابة حبلى بالشعر ..
نقطت فوق دفاترى

، اشكوك للسماء كيف استطعت ، كيف ، ان تختصرى جميع مافى الارض من نساء ،

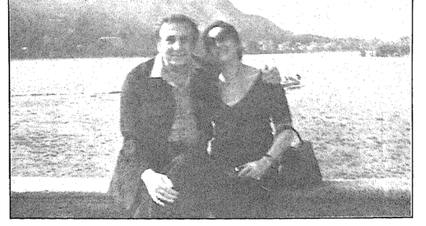


نبيذا ... وعسلا ... وعصافير ..
وياقوتا احمر ..
ونقطت فوق مشاعرى
قلوعا .. وطيورا بحرية
واقمار ياسمين
بعد رحيلها
بدأت عصور العطش
وانتهى زمن الماء

١١

كان حبها العراقى
له طعم الورد .. وطعم الجمر ..
وكان إذا فاض فى موسم الربيع
كسر جميع السدود ..
وكسرنى عشرين الف قطعة ..





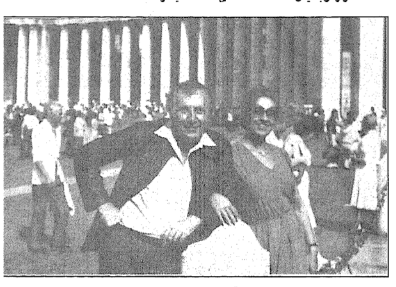
نزار وبلقيس .. « مادمت معى فانا القيصر »

١٢

اسست معها فى ٥ آذار ١٩٦٢
اول مدرسة للعشق فى بغداد
وعندما سقطت بلقيس فى ١٩٨١/١٢/١٥
إستقال المعلمون والمعلمات
وهرب التلاميذ
وتاجلت دراسة الحب ..
إلى اجل غير مسمى ..



قبل ان يتركنى شعرها الذهبى
ويسافر ..
لم اكن اعرف ابدا
ان من بعض هوايات العصافير ...
تجميع سبائك الذهب ...



يسكن الشعر فى حدائق عينيك فلولا عيناك .. لا شعر يُكتب »



بعد رحيل بلقيس
لن يكبر الشجر
ولن يستدير القمر
ولن يشتعل الماء ..

١٥

لان الشعب العربى
كان يتمنى ان يكون حرا كشعر بلقيس
وغير معتقل بالدبابيس
والزنزانات ... والاسلاك الشائكة ..
كشعر بلقيس ..
فقد امر السلطان ـ نصره الله على اعدائه ـ
ـ وزاد من عدد محظياته ونسائه ـ
بإشعال النار فى حقول الحنطة ..
وقطع راس كل سنبلة تتكلم مع سنبلة اخرى
والتخلص من شعر بلقيس الجامح
كحصان اشقر ...
لانه يعلم الناس الطموح
ويحرضهم على الحرية



▼ « انا محتاج منذ عصور لامراة تجمع اجزائى كشظايا البللور المكسور »



كنت دائما احس انها ذاهبة ..
وكان فى عينيها دائما
قلوع تستعد للرحيل ..
وطيارات جاثمة على اهدابها
تستعد للإقلاع
وفى حقيبة يدها ـ منذ تزوجتها ـ
كان هناك جواز سفر .. وتذكرة طيران
وتاشيرات دخول إلى بلاد لم تزرها ...
وعندما كنت اسالها :
ولماذا تضعين كل هذه الاوراق فى حقيبة يدك ؟
كانت تجيب :
لاننى على موعد مع قوس قزح ...











١٧

بعدما سلمونى حقيبة يدها ..
التى عثروا عليها تحت الانقاض
ورأيت جواز السفر ..
وتذكرة الطائرة ..
وتاشيرات الدخول ..
عرفت انى لم اتزوج بلقيس الراوى
وإنما تزوجت قوس قزح ...

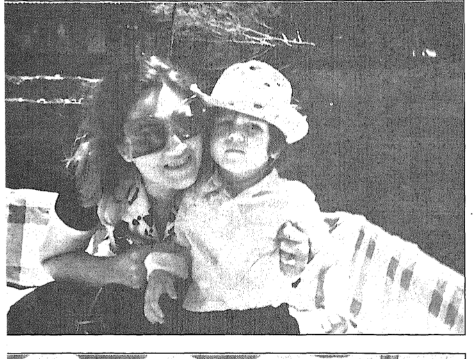
١٨

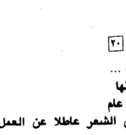
فى الحفلات العامة ..
كانت تتحاشى أن تقف معى ..
او تتصور معى ..
او تقول للناس : إنها زوجة الشاعر .
انا الذى كنت ابحث عنها هنا .. وهناك ..
واطلب من المصورين ان يصورونى معها .
حتى ادخل التاريخ ..

١٩

عندما كانت تحضر امسياتى الشعرية
كانت هى التى تسرق الأضواء
وانا الذى ابقى فى الظل
لم تكن تطلب رضى الشعر ..
كان الشعر هو الذى يطلب رضاها ...







٢٠

عندما تموت امراة جميلة ...
تفقد الكرة الارضية توازنها
ويعلن القمر الحداد لمئة عام
ويصبح الشعر عاطلا عن الشعر عاطلا عن العمل ..

٢١

لم تكن تعترف باوساط الحلول
حضورها كان استثنائيا
وحديثها كان استثنائيا
وشعرها الذى كان يسافر فى كل الدنيا ...
كان حادثا استثنائيا ..
لذلك ..
كان موتها استثنائيا مثلها ...

٢٢

تزوجتنى .. رغم انف القبيله
وسافرت معى ..
رغم انف القبيلة ..
واعطتنى زينب وعمر ...
رغم انف القبيلة ..
وعندما كنت اسالها : لماذا ؟
كانت تاخذنى كالطفل إلى صدرها
وتتمتم :
« لانك قبيلتى .. »


« زينب وعمر » عندما كان نعيم الأسرة مكتملا













٢٣

كانت خرافية الالوان ... كفراشة
ورشيقة الطيران ... كفراشة ...
وقصيرة العمر .. كفراشة ...
وعندما احرقوها فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٨١
قالت إحصاءات الأمم المتحدة
اننا القبيلة الوحيدة فى العالم
التى تاكل الفراش ...

٢٤

بلقيس الراوى
بلقيس الراوى
بلقيس الراوى
كنت احب إيقاع اسمها ..
واتمسك برنينه ..
وكنت اخاف ان الصق به كنيتى
حتى لا اعكر ماء البحيرة ..
واشوه روعة السمفونيه ...

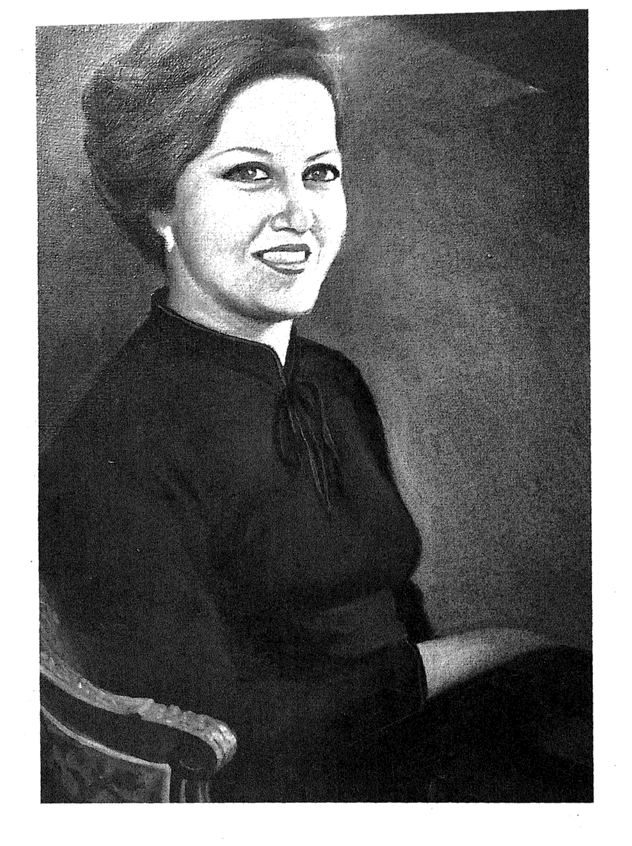
٢٥

ماكان لهذه المراة ان تعيش اكثر ...
ولا كانت تتمنى ان تعيش اكثر .
فهى من فصيلة الشموع والقناديل
وهى كاللحظة الشعرية
لابدلها أن تنفجر قبل أخر السطر ...

بيروت ١٠/٤/٨٢



عندما كانت بلقيس عينا ترعى زينب وعمر نعمت الطفولة باحضان الامومة والحنان .. وبعدما رحلت الام تقدمت الشقيقة ، هدباء ، تكمل مسيرة رعاية البراعم الصغيرة



« حبك مثل الموت والولادة
صعب بأن يعاد مرتين »



زينب نزار قباني :
أبي لم يتزوج بعد وفاة أمّي بلقيس !

هبة محمد باشا



زينب هى الابنة الوسطى لنزار قبانى قابلناها فى أول أيام العزاء بسوريا ببناية عمها وكنا نعرف أن زينب تحمل ملامح أبيها ، ولكن الذى عرفناه بعد الحوار أنها تحمل أيضا صفاته : هدوءه .. خجله وحتى براءة الانفعال عند نزار كانت تحملها زينب .. هى قطعة منه حرصنا أن نرثيها فى بقية أجزائها الغائبة الحاضرة .

□ وثمة ملاحظة هامة أود أن أسجلها أولا وهى أن حديثى مع زينب جعلنى أعتقد أن شفافية الشاعر كالحاسة السادسة لا تخطىء وكثيرا ما تتنبىء بما يخفيه القدر ، فكل قصة ذكرتها زينب كان نزار سابقها وذكرها هو شعرا فتذكرنا معاً فامتزج حوارنا بين قصصه وشعره .

□ عينان حزينتان .. وجنتان بلون الورد .. يد تمسك فنجانا كبيرا تفوح منه رائحة الليمون الساخن الممتزج بالشاى .. وقدمان تسيران ببطء وهدوء ولكن دبة خطوتهما ثابتة وقوية .

□ قابلتنى زينب وهى الأكثر قرباً منه وكان هذا هو حالها فأبلغتها عزائى وعزاء كل المصريين ، فشكرتنى بهدوء واعتذرت عن حالتها وذكرت أن أعداد المعزيين كثيرة مما اضطرهم أن يمتد العزاء أربعة أيام بدلا من ثلاثة .

□ **قلت لها : أريد أن أبدأ باللحظات الأخيرة فى حياة شاعرنا أتركك تحكين كما تشاءين أم أسألك ؟**

□ **قالت** : العام الماضى وبالتحديد فى شهر سبتمبر قلبه ضعف ، وحدثت له أزمة قلبية كانت شديدة عليه والأطباء ذكروا أنها كانت معجزة لأنه نجا منها بعد أن مكث حتى شهر ديسمبر بالمستشفى وبعدها ومن أول هذا العام عاد إلى منزله بلندن ولكن لم تعد صحته كسابق عهدها وكان يقاوم بأدوية القلب .

سكتت ثم قالت : اسألى عما تريدين ..

□ **هل اختلفت طقوس يومه فى فترة مرضه ؟**

□ طبعا لم يكن يقرأ كعادته وكان يكتفى فى الصباح بقراءة الجرائد وهو يشرب قهوة الصباح وكانت أوقات كتابته قصيرة فكان لا يستطيع أن يجلس على المكتب مدة طويلة لا تزيد على ساعتين يستريح بعدها ثم يحاول مرة أخرى ، فهو لم يكن يحب أن يكتب على السرير أبدا .

□ **وماذا كتب فى هذه الفترة ؟**





□ كتب سيرته الذاتية ونُشرت فى جريدة « الحياة » وكان قد بدأها أول عام ٩٨ بعدما خرج من المستشفى .

□ **وهل كتب أشعارا جديدة ؟**

□ أعتقد أن هناك أبياتا كتبها ، فأوراق أبى لا تزال كثيرة على مكتبه وأنتظر وقتا اتماسك فيه لأعيد ترتيبها ومعرفة ما بها .

□ **ومن كان يستشيره ويأخذ برأية عندما كتب مذكراته ؟**

□ أبى كان متعودا أن يطلعنى ويطلع إخوتى على كل شىء يكتبه قبل أن ينشر وكان هذا مصدر سعادة وفخر بالنسبة لى ، ولكنه رفض هذه المرة أن يطلع أحدا على سيرته الذاتية وقال لنا : أحب أن تقرأوها مع الآخرين فوافقنا بلا مناقشة معه .

□ **متى شعر بدنو أجله ؟**

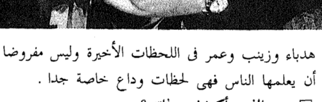
□ كان مرهقا جدا فى الأسابيع الثلاثة الأخيرة وكان دائما يقول لنا : أشعر أننى لن أكون معكم قريبا .

□ ترقرقت الدموع فى عينيها واختنق صوتها ولم أسمع بقية عبارتها فأغلقت الكاسيت وطلبت منها ألا تبكى وذكرتها بما قاله أبوها :

□ **أرجوك أن تبتسمى .. أرجوك أن تبتسمى فذبحه الشاعر ليست أبدا قضية شخصية أليس يكفى أننى تركت للأطفال بعدى لغة وأننى تركت للعشاق أبجدية .**

□ **عندما حدثتك بالتليفون لتحديد الميعاد ذكرت لى أن هناك أشياء لن تبوحى بها لأحد .. ماذا كنت تقصدين ؟**

□ قصدت أن أقول إن هناك أشياء خاصة جدا لا أحب أن يعرفها الناس لأنها كانت بين نزار الأب وأبنائه الثلاثة :



هدباء وزينب وعمر فى اللحظات الأخيرة وليس مفروضا أن يعلمها الناس فهى لحظات وداع خاصة جدا .

☐ **من الذى أكتشف وفاته ؟**

☐ أنا .. فوالدى توفى الساعة الثالثة والنصف صباحا وكانت فى وقت مناوبتى لرعايته بالتبادل مع أخى وأختى فدخلت عليه ووجدته ساكنا فقد توفى وهو نائم .

☐ **ومتى حدثك آخر مرة ؟**

☐ فى آخر النهار عندما أعطيته الدواء وكانت رئتاه متعبتين بسبب قلبه فشكرنى عليه .

☐ **ألم يوصيك بشىء معين ؟**

☐ لم يقل أبدأ أية وصية .

☐ **ولا حتى نصيحة خاصة بك ؟**

☐ أنا أدرس الإعلام بالجامعة وهو الشهادة الثانية لى بعد دراسة الأزياء ، وكنت ــ لكى أبقى بجانبه ــ لا أواظب على حضور المحاضرات فكان يوصينى دائما أن أذهب وأهتم بدروسى ويقول لى : أنت فى السنة النهائية ولابد أن تنتهى منها هذا العام

☐ **ولمن أفضى برغبته فى أن يدفن فى سوريا ؟**

☐ أنا وإخوتى وذلك عندما خرج من المستشفى فى ديسمبر الماضى .

☐ أخذت رشفة من الشاى الليمون الساخن ونظرت لى ..

☐ **وبعد تخرجك بأى مجال كان يفضل أن تعملى ؟**

☐ لم يفرض أبى علينا أبدا أى شىء وكل منا اختار دراسته وعمله ، فهدباء خريجة إدارة أعمال وأنا شهادتى الأولى فى مجال تصميم الأزياء والآن أدرس الإعلام ، وأخى « عمر »

أختار دراسة الكمبيوتر ويعمل الآن فى « دبى » فى مجال العلاقات العامة وأبى لم يعترض أبدا على دخولنا كل هذه المجالات .

□ **ما القصائد التى كان دائما يذكرك بها ويريدك أن تتعلمى منها ؟**

□ كل أشعاره كانت عبارة عن جزء من حياته اليومية تعبر عن همومه وأفكاره سواء كانت عن الحرية أو المرأة أو علاقة بالناس فهى ترجمة لشخصيته وتأريخ لحياته .

□ **هل كان دائما يطالبك أن تكونى المرأة التى قدمها لنا نزار وهى صاحبة الكبرياء ؟**

□ طبعا هذا أول درس علمه لى فكان دائما يحب أن تكون لى شخصيتى القوية والمستقلة طبعا ليس باندفاع ولابد أن أتعرض للتجربة فمثلا عندما كان يأتى الينا ضيوف سفراء أو ما شابه ذلك كان دائما يحرص أن يقدمنى لهم ويقول لى تعالى اتعرفى عليهم ، كان أبا متفتحا مؤمنا بأن المرأة يجب أن تكون متعلمة ولها حق الاختيار فى كل شىء ولابد أن تكون صاحبة تجربة فلقد عودنا دائما المناقشة والحوار وإسداء النصحية .

□ **أنا ضد كل التعاريف فى الحب .**
فهى جميعا قوالب
وضد جميع الوصايا القديمة
ضد جميع النصوص ، وضد جميع المذاهب فلا يصنع الحب إلا التجارب
ولايصنع البحر إلا الرياح وإلا المراكب ولايستطيع الحديث عن الحرب إلا المحارب

□ **متى كان يقسو ؟**

□ لم يكن أبى حازما بل كان يناقشنا ويحاورنا ويقول يا أولادى إن هذا الموقف تعرضت له قبلكم وتصرفت هكذا ، لكن أنتم أيضا لكم قراركم .. فهو كان مؤمنا أن جيلنا يواجه مصاعب كثيرة وأن الشباب الآن يكبر بسرعة وبالتالى فالتجربة مختلفة وكان دائما يردد : « الله يعينكم على جيلكم » .

□ **عندما تختارين شريك حياتك .. ما صفات أبيك التى ستبحثين عنها فى رجلك ؟**

□ احترامه للمرأة واعتبارها جزءا كبيرا فى المجتمع ومشاركة فى القرار .

□ **أعلم أنك كنت تدرسين بأمريكا وكان أخوك يعمل بدبى .. فما شكل الرسائل التى كان يكتبها لكما أبوكما ؟**

□ لم تكن رسائل بها أشعار ولكن عندما تقرئينها تجدينها منسقة الجمل وتحمل كثيرا من معانى الرومانسية ، وأنا أحتفظ بها فى دولابى والآن لم تصبح الرسائل فقط هى التى ستذكرنى به ولكن الآن أصبح كل شىء بالمنزل وكل ركن فيه يذكرنى به .

□ **من كان يزوره بالمنزل فى الفترة الأخيرة ؟**

□ الأهل مثل إخوته وأبنائهم وخالتى فالكل كان موجودا عندما دخل المستشفى ولكن بعدها أصبحت الزيارات متفرقة لأن صحته لم تكن تحتمل الزيارات الكثيرة ووصل إلى أنه فى آخر شهر لم يستقبل أحدا لأنه كان متعبا جدا ولا يستطيع أن يجلس أو يتحدث لفترة طويلة .

□ **هل كان يكره أن يراه أحد وهو مريض أو ضعيف هكذا ؟**

□ كان مرهقا جدا وصحته كانت تتدهور عندما يجلس طويلا فأصبح الشهر الأخير للأفراد سواء الأبناء أو أهله المقربون جدا كإخوته صعبا وكان يشعر بنهايته .

هذه هى رسالتى الأخيرة
ولن يكون بعدها رسائل
هذه آخر غيمة رمادية
تمطر عليك
ولن تعرف بعدها المطر
هذا آخر النبيذ فى إنائى
وبعده ..
لن يكون سكر .. ولا نبيذ

ثم اعتدلت زينب وكأنها تذكرت شيئا وقالت لى دون أن أسأل :

أريدك أن توضحى شيئا هاما وهى أن أبى لم يتزوج بعد أمى ، فلقد فوجئت عندما أتيت إلى هنا لأتقبل العزاء أن

هناك من يسألنى أين هى زوجته الإنجليزية ؟ وأين أولاده منها ؟ فكنت أرد عليهم مبتسمة : والدى لم يتزوج من بعد وفاة أمى عام ١٩٨١ ومن منا لا يعرف رثاءه لها فلقد كانت روحه .

□ **بعدها رشفت رشفة كبيرة من « الفنجان » ووجدتها أحسن حالا من بداية حوارى معها فتسللت بهدوء مرة أخرى إلى اللحظات الأخيرة وسألتها : متى شعرت بلحظة الوداع فى عينيه ؟**

□ قبل يومين من وفاته كان هادئا جدا و لم يطلب أى شيء فكان يشرب الشاى والماء . وطعامه كان بسيطا ، فتوقعنا أن بقاءه معنا لن يزيد على أيام قليلة .

□ **زينب .. ماذا تنوين أن تفعليه فى الأيام القادمة ؟**

□ سأنهى دراستى وألتحق بعمل وأحاول أن أكمل مسيرته ولا أعرف كيف ولكننى محتاجة إلى وقت لأرتب أوراق فلم يبق إلا حفنة من الذكريات .

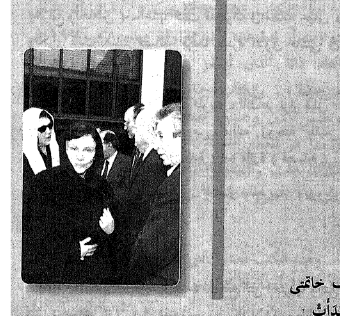
□ **وأية ذكرى ستتمسكين بها أكثر ؟**

□ لاحقتها بهذا السؤال قبل أن تبلل دموعها مآقيها فتترقرق فى عينيها ولكنها فاجأتنى بتماسكها وأجابت : هنالك أشياء فى المنزل تذكرنى بأبى وبأمى معا كانت موجودة منذ أن كنا فى بيروت مثل صورهما معنا وأدواتهما الشخصية وطبعا عند تقسيم الأشياء بالمنزل بينى وبين إخوتى ــ لأن البيت لن يعيش فيه الجميع ــ سأضع على أول قائمتى طقم صالون صينى جميل لونه أسود والخشب كله مشغول عمره أكثر من ١٠٠ عام أحضره والدى معه عندما كان دبلوماسيا فى الصين ، وكان يحب الجلوس عليه مع أمى ولديهما صور كثيرة على هذا الطقم .

□ **هل تطلبين تكريما معينا من أى جهة أو أى بلد كسوريا أو لبنان لإيفاء نزار قبانى حقه ؟**

□ لا .. فأنا لا أستطيع أن أطلب من أحد شيئا فالشعبان السورى واللبنانى فعلا الكثير من أجل نزار وآخره الشارع الذى سمى باسمه فى دمشق ، ورغم أن والدى لم يشاهده على الطبيعة ولكنهم وصفوه له على الخرائط وأخبروه بمكانه وطوله فكان يعرفه من قبل ، إلا أنه فرح به جدا وشعر أنه تقدير عزيز عليه .. فمن يريد أن يفعل أى شيء لأبى فنحن له شاكرون ، ولكن أبى سيظل فى عقول وقلوب الناس ولن ينسى أحد معلم الحياة .

١٢



لو أنّي أعرف خاتمتي
ماكنتُ بدأتُ ..

نزار قبّاني يكتب مَوْتَهُ

أحسُّ بأنّي أموتُ كَشَاعِرْ

هذه المختارات « مختارات الموت » ، هى حصيلة قراءة ثلاثة وعشرين كتاباً شعريًّا للشَّاعر نزار قبَّانى منذ ديوانه الأول « قالت لى السمراء » ١٩٤٤ وحتى ديوانه « هل تسمعين صهيل أحزانى » ١٩٩١ .

آلاف الصفحات قرأتُها فى مجلَّداتٍ أربعة (الأول والثانى والرابع والخامس) ، أغلبها كنتُ قد قرأتُهُ فى مطالع حياتى ، ولكنْ كانت هناك قصائد أقرأها للمرَّة الأولى فاتتنى فى زحام الحياة .

وهذه المختارات هى« كتاب الموت » للشَّاعر نزار قبَّانى . فهو لم يرثِ سوى ثلاثة من عائلته زوجته بلقيس (قصيدتان) ابنه توفيق (قصيدة) أمه فائزة (قصيدة) .

هذا غير رثائه السياسى الشهير للعرب وبيروت وعبد الناصر ... الخ .

« نزار يكتب موته »

هذا ما يمكن أن نقوله فى هذه المقاطع التى اخترتُها والتى تمثِّل « ديواناً كاملاً » فى الموتِ ، منذ كان الشَّاعر طالباً فى كلية الحقوق وحتَّى أوائل التسعينيات . كيف تطوَّر الموتُ من الفيزيقى إلى الميتافيزيقى ، كيف صَارَ شفيفاً وصديقاً وحميما ومتعايشاً مع صاحبه . وكيف أنَّ الشِّعْرَ أخْلَدُ من الموتِ ، ومن ثمَّ يقاومه ويجابهه ، ويُبْقِى صاحبه فى الذاكرة والتاريخ ، وفى قلب الزّمن .

واحدٌ وسبعون مقطعا شعرياً ، بينها مقطعٌ نثرىٌ واحد (جاء فى مقدمة ديوانه « هل تسمعين صهيل أحزانى ») . تُشَكِّل سيرة نزار قبَّانى الموتية ، كيف كان يرى الموت ، وكيف واجهه ، وماحجمُ الموتِ على صدور ونهود النساء ، وحجمه على الأسرَّة وفى أماكن أخرى .

لم يكن الشَّاعر ــ وهذا بَدْهِىٌّ ــ يعرف أين سيموت ؟

كان « الأيْنُ » شاغله لا « المتى » .

يبدو أنه كان يَخْشَى أن يموتَ غريباً : فى جنيف ، فى لندن ، فى مدريد .

كانت روحه ترفُضُ أن تفيضَ إلاَّ فى ظلال الياسمين الدمشقى .

ولكنَّ الموتَ غيَّبه فى لندن ، وتمكَّن منه فى الغربة . إنها الغربة التى تَقْسِمُ كمئذنةٍ انكسرتْ إلى نصفين .

وكانت مآذنُ نزار قبَّانِي كثيرةً . ارتفع منها الكثير ، وماتت أوترهلت أو انكسرت أو ذابت البقية .

شِعْرُه يَشيِلُه ، ويبقيه . ويجعله حاضراً فى الحضور ، وحاضراً فى الغياب إنَّه الشِّعْر ــ وحده ــ الذى يُقْصِى الموتَ ، ويعطيه إجازةً طويلة .

مصادر المختارات

الجزء الأول

قالت لى السمراء ، طفولة نهد ، سامبا ، أنتِ لى ، قصائد حبيبتى ، الرسمُ بالكلمات ، يوميات امرأة لامبالية ، قصائد متوحشة ، كتاب الحب .

الجزء الثانى

أشعار خارجة على القانون ، أحبُّكِ .. أحبُّكِ والبقيةُ تأتى ، إلى بيروت الأنثى مع حبِّى ، ١٠٠ رسالة حب ، كل عام وأنت حبيبتى ، أشهد أن لا امرأة إلاَّ أنت ، هكذا أكتب تاريخ النساء .

الجزء الرَّابع

قصيدة بلقيس ، الحب لايقف على الضوء الأحمر ، سيبقى الحبُّ سيِّدى .

الجزء الخامس

الأوراق السرية لعاشقٍ قرمطى ، لاغالب إلاَّ الحبّ ، هل تسمعين صهيل أحزانى .

منذ الصفحة الرابعة من ديوانه الأول « **قالت لى السمراء** » ــ الذى صدر فى عام ١٩٤٤ وكان نزار قبانى وقتذاك طالباً بكلية الحقوق ــ عرف الشَّاعر الموت ، أو بالأحرى بدأت مفردة الموت بالمعنى الميتافيزيقى الفلسفى العميق تعتمل فى روحه وتفرض وجودها ، بل وتناوشه ، وتحاوره حتى نهاية رحلته الشعرية ، التى أوقفها الموتُ أيضاً .

ولن نجد فى هذا الديوان بعد الأبيات الأربعة التى جاءت فى الصفحة الرابعة من القصيدة الأولى « **ورقة إلى القارىء** » أية إشارات أخرى للموت مباشرةً أو غير مباشرة ، ربما لحداثة سنه ، أو لحداثة معرفته بالشعر ، وأيضا لحداثة تجربته فى الحياة . وإن كان الديوان الأول قد دلّ منذ البدايات أنه يقدّم فتحاً جديداً فى الكتابة لم يكن قد تبلور ، ولكنه نضج واتضح بعد ذلك ، ولكن « قالت لى السمراء » كان كسراً لتقاليد الشّعر ، والتقاليد المجتمعة فى الآن نفسه .

ونجده ــ وياللمصادفة ــ فى ديوانه الثانى « **طفولة نهد** » ١٩٤٨ ، الذى صدر بعد أربع سنوات من صدور ديوانه الأول ، يكتب عن الموت فى الصفحة الرابعة أيضاً من الديوان ، وفى القصيدة الأولى المعنونة « **مِنّى** » . وإن كُنَّا سنجد بيتين آخرين فى قصيدةٍ أخرى داخل الديوان .

بينما جاء ديوان أو قصيدة « **سامبا** » التى صدرت عام ١٩٤٩ خالية من أية إشارات إلى الموت .

وكذلك ديوان « أنتِ لِى » لم يحو شيئا يشير إلى الموت أو دلالاته .

وديوان « **قصائد** » ١٩٥٦ هو الديون الثالث على التوالى الذى لم يتضمن أى حديث عن الموت .

وبعد دواوين ثلاثة خالية من « الموت » نجد الديوان السّابع « **الرسم بالكلمات** » الذى أصدره نزار قبل عام ١٩٦٨ ــ لم يحدّد تاريخا له ــ مليئا بـ « الموت » وكأنّ عشرين عاماً من كتابة الشّعر ، والعشق ، والسَّير فى « درب الهوى » صارت كفيلةً وكافية ، لأن يمتلىء قلب الشاعر بالأحزان ، ويقتات الوجع ، ويستاف غبار الموت المنشور فى روحه ، والموزع فوق صفحات أوراقه البيضاء . ففى هذا الديوان يخُص خمسة مواضع ، تشير إلى القتل والذبح ، والدقائق الأخيرة ، ومواجهة النهاية ، والتعب .

وفى « **يوميات امرأة لامبالية** » (١٩٦٨) . سنجد مقطعاً شعريا واحداً جاء على لسان امرأة تسرد فيه حياتها مع الموت والموتى . ولن نعثر بعد ذلك على أى ذِكْرٍ للموت أو إشارة له فى هذا الديوان .

بينما سنرى ثلاثة مقاطع شعرية فى ديوانه الشعرى التاسع **« قصائد متوحشة » الذى صدر عام ١٩٧٠ ، جاء الموت فيها أكثر نضجاً ، وأكثر عمقاً ، وصار متلازماً لحياته المتقلبة والمتغايرة ، والقَلِقة ، وبات مستشرفا وعارفاً ، ومتنبئا لأحداث ستقع له بعد سنواتٍ من كتابة الموت شعريا .**

وفى الكتاب العاشر ، كما يحبّ نزار قبانى أن يسمى دواوينه أو مجموعاته الشعرية وقد صدر عام ١٩٧٠ فى العام ذاته الذى أصدر فيه كتابه التاسع « قصائد متوحشة » . والكتاب حمل عنوان : « **كتاب الحب** » وتضمن اثنين وخمسين مقطعا شعريا . لم نر إلا مقطعا واحداً هو المقطع الخمسون الذى جاء حافلاً بالنهايات ، نهايات الحب والنساء والحياة ، وقد عبر نزار عن ذلك بمفردة « الأخيرة » المرّة الأخيرة ، المرأة الأخيرة ، مِتُّ ألف مَرَّة .

وهذه الكتب العشرة التى قرأتها كانت تمثل جميعها المجلَّد الأول من أعماله الكاملة حسبما صنَّفها الشّاعر فى حياته .

وفى المجلد الرابع من الأعمال الشعرية الكاملة وهو يتضمن ثلاثة كتب هى : « قصيدةُ بلقيس ، الحب ، لايقف على الضوء الأحمر ، **سيبقى الحب سيدى** » .

وقصيدة بلقيس على الرغم من أنها مرثية لمقتل زوجته العراقية : « بلقيس الرَّاوى » ، فإنَّ الغضب كان أكثر حضوراً من الموت ، وهجاء العرب كان شعار القصيدة ، بينما جاء صوت الموت غائبا متواريا . ، ولم يتعمق الحزن ، ولم يدخل فى ديوان رؤية الشّاعر وتجلِّيه . ويمكن أن نعتبر « قصيدة بلقيس » قصيدة فى هجاء العرب أكثر منها مرثية فى رحيل بلقيس الرَّاوى زوجة الشاعر وأم ابنه عمر وابنته زينب .

وفى كتاب « **الحب لايقف على الضوء الأحمر** » الصادر عام ١٩٨٥ أى بعد أربعة أعوام من غياب بلقيس ، صار الموت أكثر حضوراً « وبهاءً » فى لغة وشعر نزار قبانى ، فيمكن لنا أن نرصد الموت فى خمسة مواضع جاءت فى نسيج قصائد الكتاب ، وربما يكون هذا الكتاب من أكثر كتب الشاعر فى مراحله الأولى احتفالا بالموت مقارنة بأعماله الشعرية السابقة .

ولكننا سنلحظ تطور قيمة الموت لدى نزار قبانى فى أعماله الأخيرة ، حيث نُضْجُ الخبرةِ ، وتراكمُ السنين وقربُ النهاية .

فكتابه الشعرى العشرون « **سيبقى الحب سيدى** » الصادر عام ١٩٨٧ أى بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من كتابه الشعرى الأول « **قالت لى السمراء** » تتنامى فيه سيرةُ الموت بحيث نرى ثمانية مقاطع شعرية يُطِلّ فيها الموت رائيا ، ويصيرُ فيها الشاعر حكيماً يقتربُ من النظرة الرسولية للحياة والموجودات ، فنلحظ الموت المتكرر ، ومحاولة تخيُّل ماذا ستكتب الصحف عن الشاعر بعد موته ، واستشعار المسافة بين الموت والميلاد ، وإحساسه بأنه يموتُ كشاعر ـــ وهذه هى المرة الأولى التى نطالع فيها هذا القول ، على الرغم من قول النقاد والشعراء المجايلين له ، أو الذين عاشوا فى عصره من أن نزار قبانى صار يكرر نفسه ، ويجترُّ ذاته ، ويعيد إنتاجه الشعرى كى يكون فى الصورة فقط . ولكنَّه على كل حال كان يريدُ الحياة كشاعر له مريدون وأتباع .

وستةُ مقاطع شعرية هى حصيلة الموت فى ديوان « **الأوراق السرية لعاشق قرمطى** » الذى يتصدر الجزء الخامس من الأعمال الشعرية لنزار قبانى ، وقد صدر الديوان عام ١٩٨٨ .

وفى هذه المقاطع نلحظ أن الشاعر قد هَدَّه تعبٌ ما غامضٌ وخفىٌ ، تَعبٌ من كُلِّ شىء من الشعر والنثر والنساء ، وهذا السأم جعله يفكرِّ بالموت الذى لايعرف له مكاناً (لا أتذكَّرُ أين أموتُ) . صار الشاعر حالةً نادرة فى الحزن ، استقال من كلِّ شىء ، ولم يعد لديه مايقدمه ، للدرجة التى يصرخ فيها « فما جدوى كلامى » ، فهو خائفٌ من كُلِّ ماحوله لأنَّ الشِّعْر صار يمشى حافيّاً فوق الحُطام ، ويبدو أنه طوال حياته ومسيرته الشعرية كان يرى أن يوم الوداع قريب ، وأنه ينبغى عليه ـــ كشاعر ـــ أن يغلق كل دفاتر حُبِّه ، منتظراً موته .

وفى « لاغالب إلا الحب » ١٩٩٠ ميلادية تزداد المقاطع واحداً وتصير سبعة . وفيها يخشى الشاعر « سقوط الستار » وكذلك سقوط السماء عليه ، وعليه أن يعدَّ القصيدة بيتاً فَبَيْتاً ، لأنها هى الفعل الحقيقى الصادق فى حياة أى شاعر ، وهى أيضاً بيته . ودوماً كان يردِّد أنه « مقتول » ، ذلك هو المصير الذى كان يستشرفه فى شعره ، ولذا نجد مفردة القتل بدلالاتها شائعة فى كل ماكتب وتشكِّل نسبةً كبيرةً فى قاموسه .

وشاعرٌ مثله وبحجمه سيتناثر فى اللامكان ، أى لامكان محدداً لتلقِّيه ، سَيُكَسِّر جدراناً وحوائط كثيرةً فى مدائنَ وقرى وبلدان غريبة ومدهشة وغير مرئية .

وفى ديوانه « **هل تسمعين صهيل أحزانى** » ١٩٩١ لم يرد ذكرٌ للموت فيه ، وإن كان قد أشار فقط إلى فترة مرضه عندما جاءته الذبحة القلبية عام ١٩٧٤ فى بيروت .

خمسة مقاطع « موتية » فقط ، سنجدها فى الكتاب الشعرى « **أشعار خارجة على القانون** » الذى أصدره نزار قبَّانى فى عام ١٩٧٢ وجاء ترتيبه الأول فى الجزء الثانى من الأعمال الشعرية الكاملة (فى طبعتها السابعة منشورات نزار قبانى ١٩٩٣) .

فى هذه المقاطع يعرف الشاعر « كيف يكون الموتُ فى الكتابة » ويعرف أيضاً أن الموتَ إذا لم يكن سيقتله فهو يحييه ، وأنه يزدادُ حضوراً وبهاءً مع الموتِ ، وإن كان فى موضع آخر من أشعاره يخشى أن يموتَ كشاعر (!!) . وهذا هو قلق وتناقض الشاعر العظيم ، الذى يخشى دوماً أن يُغيِّبه الموت ، ويصبير نسياً منسيًّا ، كما فعل الموت مع مئات الآلاف من الشعراء على هذه الأرض ، وتلك طبيعة الحياة والشِّعر ، فكم من شعراء كانوا مجهولين فى حياتهم ، ولأن شعرهم كان أكبر من واقعهم وزمنهم وظروفهم ، فظل كبيراً وحياً ، وحاملاً أسماء مبدعيه .

نزار قبَّانى شاعرٌ « تعوَّد الموتَ » وأكثر ما ذاقه كان فى ابنه (توفيق) وزوجته (بلقيس) .

وتزداد « جرعة الموت » لدى نزار قبانى فى ديوانه التالى « **أحبُكِ .. أحبُكِ والبقية تأتى** » الصادر عام ١٩٧٨ أى بعد ست سنوات من « **أشعار خارجة على القانون** » ، وإن كان نزار قد أصدر ديواناً آخر فى العام ذاته (٧٨) هو « **إلى بيروت الأنثى مع حبِّى** » .

الموت حاضرٌ فى سبع قصائد ، وخاصة القصيدة الأشهر « **إلى الأمير الدمشقى توفيق قبَّانى** » (**١٩٤٩ ـــ ١٩٧٣**) وهى من أشهر قصائد نزار الرثائية مع قصيدتيه

فى زوجته بلقيس . وتوفيق ابن نزار ، كان طالباً بكلية الطب جامعة القاهرة ، وكان يعيش فى شقة أبيه بالزمالك ومات فجأة وكان عمره وقتذاك أربعة وعشرين عاماً . وقصيدة نزار — هذه تَعدُّ من أهم قصائد الرثاء فى الشعر العربى .

هذه المرة ، وفى هذا الديوان « أحبك .. » تعترى نزار رغبة فى الموت ، والتى تزداد من ديوان إلى آخر ، وربما يكون ذلك لشيئين: توالي أحداث الموت التى اعتادها ، ودخول الشاعر فى سنٍّ مُتَقَدَّمة .

فالشَّاعر أيضاً يتولاه حنينٌ للرحيل ، ويسأل عن مكان موته ، والكيفية التى سيفاجئه بها ، وكان « الموتُ الأندلسيُّ » يشكِّلُ له موتاً من نوع آخر ، موتاً للرُّوح والذات معاً ، موتاً سياسياً عربياً ، له جذور فى التاريخ ، يرسم خرائط وأحداثاً ، ويذكّر بالوجع الدائم فى القلب .

ولقد صارت الكتابة — من ثَمَّ — لدى نزار قبانى فعلاً للخلاص ، وفعلاً للانتحار . والقارىء لأشعاره سيلاحظ كثرة استخدام نزار لفعل الانتحار (ربَّما يعود ذلك إلى انتحار شقيقته التى قَتَلَتْ نفسها لأنها لم تستطع أن تتزّوج بمن تحب ، وكمون ذلك فى لاوعى الشاعر) .

ونزار لايخشى الموت ، لأنه قبل رحيله كان قد (تأكد) أنه استطاع عبر رحلته الشعرية أن يترك للأطفال لغةً ، وللعشاق أبجديّة ، وهذا يجعل شعره متداولاً فى الأزمان وعائشا فى الأرواح ، وداخلاً فى نسيج وتشكيل الشخصية العربية . وهو لم يقل ذلك إلا بعدما صار الموتُ يهاجمه من كل صَوْبٍ ويبدو أن الموتَ الكثيفَ الذى حَضَرَ فى ديوان « أحبُك .. » . قد خفتَ صوتُهُ فى الديوان الذى تلاه « **إلى بيروت الأنثى مع حبِّى** » .

فلم نطالع سوى مقطعين صغيرين يتكون الأول من سطرين شعريين ، والثانى من أربعة أسطر . كأن الشّاعر يستريح ليستأنف كتابة موته بعد ذلك ، أو يخطط لسيرة الموت . فهو يرى أننا « محكومون بالموت » . ويرى ذاته أنه يكتب من داخل موتِهِ .

وفى « مئة رسالة حبّ » ١٩٧٠ ، نقرأ ستة مقاطع تؤكد جميعها عبر وسائط لغوية مختلفة الرغبة المبكرة للموت : « ... وتموتى معى ، أن أموتَ ، أموتُ دائماً ، إننى رجلٌ ميتٌ ، أن تساعدينى على الموت حرقاً ، أريدُ أن أموت) ، وهنا يكون نزار فى أقصى حالات الكشف عن سرِّه الموتِّى .

بعد خمس سنوات من موت توفيق نزار قبانى ، ماتت فائزة (أم المعتز) ، أم نزار قبانى ، وكان ذلك فى عام ١٩٧٨ . وقد رَثَاها بقصيدة أسماها (أم المعتز) وقد جاءت آخر قصيدة فى ديوان « كل عام وأنت حبيبتى » (١٩٧٨) ، مثلما جاءت قصيدة رثاء نزار فى ابنه توفيق فى آخر ديوان « **أحبُك** .. **أحبُك والبقية تأتى** » **١٩٧٨** . ويبدو أن هذا العام كان « عام الشعر » لنزار قبانى فقد أصدر فيه ثلاثة كتب شعرية .

فى المقاطع التى اخترتها من قصيدة رثائه لأمه ، وهى « المقاطع الموتية » الوحيدة فى الديوان ، الذى يخلو من ذكر للموت ، يسافر الشّعر بين موتين : موت ابنه وموت أمه ، فهو يخرجُ من موتٍ ليدخل فى آخر ، متسائلاً : هل هى مصادفة أن تموت بيروت وتموت الأم فى وقت واحد ؟ .

لقد صار الموتُ بحضوره المتكرر فى الشِّعْر هو صدى لحضوره المتكرر أيضا فى الواقع .

وفى المقاطع الثلاثة التى وجدتُها فى ديوانه « **أشهد أن لا إمرأة إلا أنت** » **١٩٧٩ يَخفُت صوت الموت فيها ، وأيضا ينعدم كلية فى هذا الكتاب ، وإن كان قد أوهم المتلقى — وهو يفتتح الكتاب أنه سيقدم موتةً على شكل شعر إلى امرأته ، ولكننا لم نر موتًا ، إلا إذا كان يقصد من موته – وهذا هو الأرجح — تقديم نَزْفه الشعرى الدائم** .

وينتهى ديوان « **هكذا أكتب تاريخ النساء** » **١٩٨١** ، دونما أن نعثر على موتٍ ، إلا سطرين شعريين فقط هما « **فالمرأة قصيدةٌ أموتُ عندما أكتبُها / وأموتُ عندما أنساها** » .

أحمد الشهاوى

1

سأرتاحُ .. لم يكُ معنى وجودي
فضولاً .. ولا كان عمري سُدَى
فمـا مـاتَ مَـنْ في الزمـانِ
أحبَّ .. ولا ماتَ مَنْ غـرَّدا

2 □

لم أتصـوَّر أن يكـونَ عَـلَـى
اليـدِ التـى عبدتُهـا مقـتلي

3 □

يقصرُ الشعرُ من عمري وَيُتْلفني
إذا سعيتُ ، سعى بي العظمُ والخِرَقُ

4 □

لا تسأليني ما اسمُكِ ؟ ما أنتَ ؟ أنا
رطوبـةُ القَبْـرِ ، وصمتُ المقبرهْ

5 □

فـأنـا إنسـانٌ مفقـودٌ
لا أعرفُ في الأرضِ مكاني
ضيَّعنـي دربى .. ضيَّعنـي
اسمي .. ضيَّعنـي عنـواني
تـاريخي ! مـا لي تاريـخٌ
إنّـي نِسْيَـانُ النِسْيَـانِ
إنّـى مـرساةٌ لا تـرسُو
جُـرْحٌ بمـلامحِ إنسـانِ
مـاذا أعطـيكِ ؟ أجيبينـي
قلقـي ؟ إلحادي ؟ غثيـاني
مـاذا أعطـيك سوى قـدرٍ
يرقصُ في كـفِّ الشيطـانِ
فأنـا لا أمـلكُ في الدنيـا
إلَّا عينيـك وأحـزاني

6 □

قُتِلتُ ألفَ مَرّةٍ
غرقتُ ألف مرةٍ
صُلِبتُ فوق حائط النهارْ
وسبعةٌ قطعتُها من أوسع البحارْ
من أخطر البحارْ
لمستُ سَقْفَ الشمسِ ..
كانتْ رحلتي انتحارْ

7 □

إنّي لأبحثُ في عينيكِ عن قَدَري
وعن وجودي . ولكنْ لا أرى أحَدَا

8 □

عشرونَ عاماً فـوق درب الهوى
ولا يـزالُ الـدربُ مجهـولا
فمَّـرةً كـنتُ أنـا قاتـلاً
وأكثـرُ المرَّاتِ مقتـولا
عشرون عاماً .. يا كتابَ الهَـوَى
ولم أزَلْ في الصفحـة الأولَـى

9 □

لا تطلبي منِّى حسـاب حيـاتي
إنَّ الحـديثَ يطـولُ يا مـولاتي !
كُلُّ العصور أنا بها .. فكأنَّمـا
عمـري ملأيـنٌ مـن السنـواتِ
تعبتْ من السَّفَرِ الطويلِ حقائبي
وتعبتُ من خيلي ومن غَـزَوَاتي ..

10 □

إنِّي أحـاربُ بـالحروفِ وبالـرُّؤى
ومن الدخانِ صنعتُ كُلَّ مشاهدي
شيَّـدتُ للـحبِّ الأنيـقِ معابـداً
وسقطتُ مقتولاً .. أمام معابدي

11 □

أمَّـا أنَـا .. فمـركبٌ عتيـقٌ
يواجِـهُ الدَّقَائِـقَ الأخيـرَهْ

12 □

يقـرأون في بلادنـا القصيـدهْ
ويـذبحون صاحبَ القصيـدهْ

□ 13

مع الموتَى .. أعيشُ أنا
مع الأطـلالِ والدِمَـنِ
جميـعُ أقـاربي موتـى
بـلا قبـرٍ ولا كَفَـنِ
أبـوحُ لَمـنْ ؟ ولا أحـدٌ
من الأمـواتِ يفهمنـي
أنـا في منـزلِ الموتـى
فَمَنْ من قبضةِ الموتَى ؟
يُحـرِّرُني ؟

□ 14

يا ولـدي قـد مـات شهيـداً ..
مَنْ مَاتَ على دينِ المحبوبْ ..
ستـحبُّ كثيـرًا وكثيـرًا
وستعشقُ كُـلَّ نساءِ الأرضْ ..
وترجـعُ .. كالملكِ المغلـوبْ

□ 15

أحبِّيني ..
كزلـزالٍ .. كمـوتٍ غير مُنْتَظَـرِ
أحبِّيني بعيدًا عن بلادِ القَهْرِ والكبتِ
بعيدًا عن مدينتنا التي شبعت من المَوْتِ

□ 16

لو أنِّي أعرفُ خاتمتي
ما كُـنْتُ بَـدَأْتْ

□ 17

عَلِّمْني ..
كيفَ تموتُ الدَّمْعَةُ في الأحداقْ
عَلِّمْني .. كيف يموتُ القَلْبُ
وتنتحرُ الأشْوَاقْ

□ 18

وكُلَّما انفصلتُ عن واحدةٍ
أقولُ في سذاجةٍ :
« سوف تكونُ المرأةَ الأخيرَهْ »
« والمرَّة الأخيرَهْ »
وَبَعْدَهَا .. سقطتُ في الغرامِ أَلْفَ مَرَّة
ومِتُّ أَلْفَ مَرَّةٍ
ولم أَزَلْ أقولُ :
« تلكَ المرَّة الأخيرهْ .. »

□ 19

والموتُ .. في فنجان قهوتنا
وفي مفتـاحِ شقتنا
وفي أزهـارِ شرفتنا
وفي ورقِ الجـرائدِ
والحروفِ الأبجديَّهْ

□ 20

هـل مـوتُ بلقيسٍ
هـو النَصْرُ الوحيـدُ
بكُلِّ تاريخ العَرَبْ ؟

□ 21

سأركبُ البحرَ .. مجنوناً ومنتحِرًا
والعاشِقُ الفَـذُّ .. يحيا حين ينتحِرُ

□ 22

إذا ما تناثرتُ في آخر الليل مثل الشظايا
وحاصرني العِشْقُ من كُلِّ جانبْ
وحاصرني الكُحْلُ من كُلِّ جانبْ
وضَيَّعْتُ اسمي ..
وعُنوانَ بيتي ..
وضيَّعتُ أسماء كُلِّ المراكبْ
فأرجوكِ ، بعد التناثر ، أن تجمعيني
وأرجوكِ ، بعد انكساريَ ، أن تلصقيني
وأرجوك ، بعد مَمَاتي ، أن تبعثيني

□ 23

فمنـذُ أعـوامٍ ،
وهُمْ يُعلِنونَ في الجرائدِ أنَّني مفقودْ
ولا زلتُ مَفْقُودًا ..
حتَّى إشعارٍ آخَرْ ..

24 □

كُنتُ أعرفُ أنَّها سوفَ تُقْتَلْ
وكانتْ تعرفُ أنَّني سوفَ أُقْتَلْ
وقد تحقَّقتْ النبوءَتانْ
سَقَطَتْ هي ، كالفراشة ، تحت أنقاض الجاهليّهْ
وسقطتُ أنا .. بينَ أنيابِ عصرٍ عربّي

25 □

فكُّلنا – دون استثناءٍ – موضوعون على قائمة الطعام
في هذا الوطن الذي احترفَ أَكْلَ مواطنيه
والغريبُ .. أنَّهم يطالبوننا قبل أن يأكُلُونا
أن نُغَنّي النشيدَ الوطنّي !

26 □

وعدتُكِ أنْ لا أعود
وَعُدْتْ
وأنْ لا أموتَ اشتياقًا
ومُتْ
وعدتُ مرارًا
وعدتُ بأشياءَ أكبرَ منّي
فماذا غدًا ستقولُ الجرائِدُ عنّي ؟
أكيدُ ستكتبُ أنّي جُنِنْتْ
أكيدُ ستكتبُ أنّي انتحرتْ

27 □

ما تهمُّ الأبجدياتُ .. فأنتِ الأبجديهْ ..
يا التي عشتُ إلى جانبها العشقَ .. جنونًا
وانتحارا
يا التي ساحلها الرمليّ يرمي لي ..
زهورًا .. ونبيذًا قبرصيًّا .. ومَحَارا

28 □

قررتُ نهائيًّا .. أن أتفرَّغ لكِ
فليسَ هناك قضيةٌ
تستحقُ أن يموتَ الإنسانُ من أجلها
إلّا حبُّكِ ..
وليس هناك مكانٌ للانتحار
أعلى من ذروةِ نهديْكِ

29 □

والمسافةُ بين ولادتي وموتي تحسبُ
بالسنتيمتراتُ .

30 □

لماذا أظلُّ هنا ؟
حين أشعرُ أنّي سأُشنقُ في آخر اللَّيْلِ
فَوْقَ الضفائرْ
لماذا أظلُّ هنا ؟
حين أعرفُ أنّي سَأُدْفَنُ تحت رنين العُقُودِ
وَضوْع البخور
وشكوى الأساورْ
سأذهبُ حتَّى أقابل شِعْري
فإني نسيتُ تمامًا ، طريقة رَسْمِ الحُروفِ
نسيتُ بياض الدفاترْ
فنصفي مُقيمٌ لديكِ
ونصفي مسافرْ

31 □

ولكنَّني ، رَغمَ هذا الإطار الملوكيِّ حولي ،
أحِسُّ بأنّي أموتُ كشاعرْ

32 □

أريدُ الخروجَ من البئرِ حيًّا
لكي لا أموتَ بضرْبة نَهْدٍ

33 □

أريد الدخولُ إلى لغةٍ لا تجيدُ الُّلغاتْ
أريدُ عناقاً بلا مُفْردَاتْ
وجنسًا بلا مُفْرَدَاتْ
وموتًا بلا مُفْرَدَاتْ
أريد استعادةَ وجهي البريءْ كوجهِ الصلاةْ
أريدُ الرجوعَ إلى صدرِ أمّي
أريدُ الحياةْ .

34 □

أنا رجلٌ ، لا مَكَانَ له في جميع الخرائطْ
فلا أتذكَّرُ أينَ وُلدْتُ

ولا أتذكَّرُ أينَ أموتُ
ولا أتذكَّرُ أينَ سأبعثُ حَيًّا ...

35 □

مُتْعَبٌ منكِ .. ومن صوتي .. ومن جلدي
ومن شِعْري .. ومن نثري ..
ومن رائحةِ الحِبْرِ ..
ومن رائحةِ الأنثى ..
فهل تدرينَ ، يا سيِّدتي ،
معنى التَعَبْ ؟؟

36 □

لا تطلُبي منِّي الصهيلَ ..
فإنَّ خَيْلي من زمانٍ مُسْتَقيلَهْ ..
إنّي حصانٌ قد أُحِيل إلى المَعَاشِ ..
وصرتُ أَخْشَى
من مُوَاجَهَة السباقاتِ الطويلَهْ
سُحُبي بلا مِطَرٍ ..
وليلي دُونَما قَمَرٍ ..
وَأَشْجَاري بلا ثَمَرٍ ..
وأحلامي القديمةُ مُسْتَحيلَهْ
سَيَخيبُ ظَنُّكِ في فِرَاشِ الحُبِّ
إنَّ سَنَابلي يَبِسَتْ
وإنَّ زَوَابعي سَكَتَتْ
وإنَّ حرائقي انْطَفَأَتْ
وأمطاري قليلهْ
حَرْبي بلا أَمَلٍ
وَجَيْشي دُونَ أَسْلِحَةٍ
وجُنْدي كُلُّهُمْ ماتُوا من الإعْيَاءِ
في الأرضِ البَخيلَهْ
لم يَبْقَ في جسدي مكانٌ للرَصَاصِ ..
ولم يَعُدْ في الأمرِ حِيلَهْ ...
يا ليتَ عندي ما أُقَدِّمُهُ ..
لسيِّدتي الجميلَهْ
فَخُذي نياشيني ..
وَأَلْقَابي ..
وَخَلِّي لي الطفُولَهْ ...

37 □

لا تَسْمَعي أبدًا كَلامي
ما عَادَ عندي ما أُقَدِّمُهُ إليكِ ،
فأطْفِئي الأنوارَ – سيِّدتي –
ونامي ...
صَارَ الكَلَامُ مُفَخَّخًا ..
والقلبُ صار مُفَخَّخًا ..
والحبُّ صَارَ مُفَخَّخًا أيضًا ..
فما جدوى كَلامي ؟
أنا حالةٌ في الحُزْنِ نادرةٌ
ووجهي ضائعٌ كالطفلِ ،
في هذا الزِحامِ

38 □

لا تسمعي .. ما قلتُ ، أو سأقُولُ
إنَّ مساحةَ الأحزانِ ،
أكْبَرُ من مساحاتِ الكلامِ
الصَّوْتُ يمضغُ صوتَهُ
والوقْتُ يمضغُ وَقْتَهُ
والشِّعْرُ يمشي حافيًا فوقَ الحُطَامِ
إنِّي أحاولُ أن أغَيِّرَ كُلَّ عاداتي القديمة ،
في الحديث مع النساءِ ،
وأن أغيِّرَ ما تبقَّى من يَدَيَّ ..
ومن عِظامي ..
أنا خائفٌ من كلُ ما حَوْلي ،
ومن نفسي ،
ومن عصر التلوُّثِ ، والبَشَاعَةِ ،
والجريمةِ ، والسُّخَامِ ..

39 □

كئيبٌ .. نعَمْ .
مَلُولٌ .. نَعَمْ .
نرجسيٌّ .. نَعَمْ .
أنا المُتَنَاثِرُ بينَ المنافي
أنا المتسكِّعُ في طرقاتِ العَدَمْ
عشقتُ ألوفَ النساءِ .. نَعَمْ .

خَذلتُ ألوفَ النساءِ .. نَعَمْ .
ووَدَّعْتُهُنَّ بكلِّ اللياقاتِ ..
حين اعتراني السأَمْ
وأغلقتُ كُلَّ دفاتر حُبِّي
فحبِّي الحقيقيُّ .. كَانَ القَلَمْ ...

40 □

أَعُدُّ القصيدةَ ، بَيْتًا فَبَيْتًا
قُبَيْلَ انفجار اللُّغاتِ ،
وَقَبْلَ انفجاري .
أُحاولُ أن أتعلَّقَ في حَلْمَةِ الثدي ،
قبل سُقُوط السَمَاء عليَّ ،
وقبل سقوط السِتَارِ .

41 □

يا امرأةً تحملُ حَتْفي بين عَيْنَيْها
وترميني من المجهولِ للمجهولْ
توقَّفي .. عن المرورِ في دمي ، كَطَلْقَةٍ
فإنَّني أعرفُ منذُ البَدْءِ ،
أنَّني مقتُولْ .

42 □

يا امرأةً ..
تقتلني ، من غير أن تقتلَني
فليتني أدري من القاتلُ ، يا سيِّدتي
ومن هو المقتولْ ؟

43 □

أنا ضائعٌ بين العصور كَمرْكَبٍ
في البحرِ ، تقذفه الرياحُ كما تشاءْ
أنا آخِرُ العُشَّاقِ في زَمَنِ التلوُّثِ ،
آخِرُ الكلماتِ ، في زَمَنِ التعهُّرِ والغَبَاءْ
والحبُّ .. آخِرُ طَلْقَةٍ في الرأسِ .. أطلِقُها
فلا تمشي على بِقَعِ الدماءْ .

44 □

إنَّ الزمانَ بغرناطةٍ قد تولَّى
ولم يَبْقَ وردٌ ، ولا بَيْلَسانْ .

سأتركُ هذا المكانَ إليكِ ..
لكي أتناثَر في الَّلامَكَانْ .

سأحملُ تَبْغي ..
وَحُزْني .. وموتي ..
وأرفَعُ قُبَّعتي شاكرًا ..
وأرحلُ تحتَ ستارِ الظلامْ .

أنا قد تعبتُ كثيرًا
وضيَّعتُ في لعبةِ الجِنْسِ ..
وَقْتًا كثيرا ..

45 □

أريدُ أن أُحبَّكِ ، يا سيِّدتي ...
قبل أن يُصْبحَ قلبي ..
قِطْعَة غيارٍ تُبَاعُ في الصيدليَّاتْ
فأطبَّاءُ القُلُوبِ في (كليفلانْدْ)
يصنعونَ القلوبَ بالجُملَةْ
كما تُصْنَعُ الأحذيَةْ

46 □

أَنْتِ .. لا تدرين ، يا سيِّدتي
كم يكونُ الكونُ ، لولاكِ ، قبيحا
ماتعوَّدْتُ بأن أرفُضَ مَوْتي
فاصْلِبيني ، بينَ نَهْدَيْكِ ، مسيحًا ..

47

وعندما جاءتني الذبحة القلبية عام ١٩٧٤ ، ونقلوني إلى مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت ، جاءني الرجل الغامض يحمل لي أزهارًا جميلةً ، وقال لي :

– I am sorry . أنا الذي افتريتُ عليك . سامحني .

قلتُ له : (ولا يهمّك) . إننى أدفع استحقاقات الشعر عليّ . وأن يموت الإنسان وهو يكتب الشعر .. خيرٌ له من أن يموتَ وهو يلعب الوَرَق .. أو يدِّخن الشيشة ، أو يتفرَّج على مُسَلْسَلٍ عربيٍّ في التليفزيون !!.

من مقدمة :
« خمسون عامًا من الشعر »
سيرة ذاتية قصيرة

48

خطيئتي ..
أنّي أظلُّ دائمًا منتظرًا قصيدةً ..
تجيءُ من شواطىء الغرابَهْ
وأنّني أدركُ يا حبيبتي
كيف يكونُ الموتُ في الكتابهْ

49 □

زيديني غرقًا يا سيِّدتي ..
إنَّ البحْرَ يناديني
زيديني موتًا
عَلَّ الموتَ ، إذا يَقْتُلني ، يحييني ..

أنَا أقدمُ عاصمةٍ للحزنِ ..
وجُرحي نقشٌ فرعوني
وجعي .. يمتدُّ كبقعةِ زيتٍ
من بيروتَ إلى الصينِ ..
وجعي قافلةٌ .. أرسلها
خُلفاءُ الشامِ .. إلى الصِّينِ
في القرنِ السَّابع للميلاد ..
وضاعت في فمِ تنينِ

50 □

واقتربي .. يا جُـزُرَ البللور ..
فإنَّ الموتَ عليكِ مثيرْ

51 □

ما الذي أكتبُ يا سيِّدتي ؟
إنَّها تجربتي وحدي ..
وتعنيني أنا وحدي ..
وتُلغيني من التاريخِ وحدي ..
إنَّها السيفُ الذى يثقبني وحدي ..
فأزدادُ مع الموتِ حُضُورا ..

52 □

تحوَّلنا إلى نثرٍ .. سقطنا في شراكِ الدَبقِ اليوميِّ ..
أفلسنا ..
تـكرَّرنا ..
تعوَّدنا على الموتِ .. انتظرنا في كراسينا ..
كما ينتظرُ الأمواتُ في أكفانهم يومَ النشورْ

53 □

عندما يرتفعُ البحرُ بعينيكِ كسيفٍ أخضرٍ في الظُلُماتِ
تعتريني رغبةٌ للموتِ مذبوحًا على سطح المراكبْ
وتُناديني مسافاتٌ ..
تُناديني بحيراتٌ ..
تناديني كواكبُ ..
عندما يشطرني البحرُ إلى نصفينِ ..
حتَّى تصبحَ اللحظةُ في الحُبّ ، جميع اللحظاتِ ..
ويجيء الماءُ كالمجنونِ من كُـلِّ الجهاتِ ..
هادمًا كلَّ جسوري ..
ماحيًا كُـلَّ تفاصيل حياتي ..
يتولَّاني حنينٌ للرحيلْ
حيث خَلْفَ البحر بحرٌ
ووراء الجزر مَـدٌّ .. ووراء المدِّ جَـزْرٌ
ووراء الرمل جَنَّاتٌ لكل المؤمنين
ومنـاراتٌ
ونجـمٌ غير معروفٍ ..
وعشقٌ غيرُ مألوفٍ ..
وشعرٌ غير مكتوبٍ ..
ونهـدٌ لم تمـزّقهُ سيوفُ الفاتحينْ

54 □

أعطيني وقتًا ..
حتَّى أعرفَ ما اسْمُكِ ..
حتَّى أعرفَ ما اسْمي ..
حتَّى أعرفَ أين ولدتَ ،
وأين أموتُ
وكيف سأُبْعَثُ عصفورًا بين الأجفانْ

يا امرأةً تسكن في الآتي ..
يا حَبّ الفُلْفُل والرُمَّـانْ ..

أعطيني وطنًا يُنسيني كُلَّ الأوطانْ
أعطيني وقتًا ..
كي أتفادى هذا الوجه الأندلسيَّ ، وهذا الصوت الأندلسيَّ
وهذا الموتَ الأندلسيَّ ..
وهذا الحزنَ القادمَ من كُلِّ مكانْ
أعطيني وقتًا يا سيِّدتي
كي أتنبأ بالطوفان ..

وفي اللحظاتِ القليلةِ ..
حين يفاجئني الشّعرُ دونَ انتظارْ
وتصبحُ فيها الدقائقُ حُبْلى بألفِ انفجارْ
وتصبحُ فيها الكتابةُ فِعْلَ خلاصٍ ..
وَفِعْلَ انتحارْ

55 □

طالما فَتَّشتُ عن تجربةٍ تقتلُني
وأخيرًا .. جئتِ يا موتي الجميلْ ..
فاقتليني .. نائمًا أو صاحيًا
أقتليني .. ضاحكا أو باكيًا
أقتليني .. كاسيًا أو عاريًا ..
فلقد يجعلني القَتْلُ وليًّا مثل كُلِّ الأولياءْ
ولقد يجعلني سنبلةً خضراءَ .. أو جدولَ مَـاءْ
وحمامًا ..
وهـديلْ ..

***

اقتليني الآن ..
فالليلُ مُمِـلٌّ .. وطويلْ ..
اقتليني دونما شرطٍ .. فما من فارقٍ ..
عندما تبتدىء اللُّعبةُ يا سيّدتي ..
بين من يَقْتُلُ .. أو بَيْن القتيلْ ...

56 □

سأبدأُ من شفتيكِ نزولاً ..
إذا كنتِ تخشينَ من غربةِ الليلِ والزمهريرْ
سأبدأ من قدميك صعودًا ..
إذا كان لابدّ لي أن أموتَ ..
لأربحَ هذا الرهانَ الكبير !!

57 □

لا تشهقي .. إذا قرأتِ الخَبَرَ المثيرَ في الجرائدِ اليوميهْ
قد يشعرُ الحصانُ بالإرهاق يا حبيبتي
حينَ يدقُّ الحافرَ الأوَّلَ في دمشقْ
والحافرَ الآخر في المجموعة الشمسيّهْ

●

تماسكي .. في هذه السَّاعات يا حبيبتي
فعندما يُقَـرِّرُ الشاعرُ أن يثقبَ بالحروفِ ..
جلْدَ الكُرَة الأرضيّهْ ..
وأن يكونَ قلبُهُ تفاحةً
يقضُمَهَا الأطفالُ في الأزقة الشعبيَّهْ
وعندما يحاولُ الشَّاعرُ أن يجعلَ من أشعارِهِ
أرغفةً .. يأكلُها الجياعُ للخبز وللحُريّهْ
فلن يكونَ الموتُ طارئًا
لأن من يكتب يا حبيبتى
يحملُ في أوراقه ذَبْحَتَهُ القلبيّهْ

●

أرجوكِ أن تبتسمي .. أرجوكِ أن تبتسمي
يا نخلة العراقِ ، يا عصفورة الرصافةِ الليليَّهْ
فذبحةُ الشَّاعر ليستْ أبدًا قضيّةً شخصيَّهْ
أليس يكفي أنّنى تركتُ للأطفال بعدي لغةً
وأنّني تركتُ للعشّاق أبجديّهْ

58

مُكَسَّرةٌ كجفونِ أبيكَ هي الكَلماتْ
ومقصوصةٌ . كجناحِ أبيكَ . هي المفرداتْ
فكيف يغني المغني ؟
وقد ملأ الدمعُ كلَّ الدواةْ ..
وماذا سأكتبُ يا ابْني ؟
وموتُكَ ألغى جميع اللُّغاتْ ..

●

لأىّ سماءٍ نمـدُّ يدينا ؟
ولا أَحَـدٌ في شوارعَ لندنَ يبكى علينا ..

يهاجمنا الموتُ من كُلِّ صَوْبٍ ..
ويقطعنا مثل صفصافتيْنْ
فأذكُرُ ، حين أراك ، عليًّا
وَتَذكُرُ ، حين تراني ، الحُسَيْنْ

●

أشيلُكَ ، يا ولدي ، فوق ظهري
كمئذنةٍ كُسرتْ قطعتيْنْ ..
وشعرُكَ حقلٌ من القمحِ تحت المطرْ
ورأسُكَ في راحتي وردةٌ دمشقيّةٌ .. وبقايا قمرْ
أواجه موتَكَ وحدي ..
وأجمعُ كلَّ ثيابك وحدي
وألثمُ قمصانك العاطراتْ
وَرَسْمَكَ فوق جواز السفَرْ
وأصرخُ مثل المجانين وحدي
وكُـلُّ الوجـوهُ أمامي نحـاسٌ
وكُـلُّ العيـونِ أمامي حَجَـرْ
فكيف أقاومُ سيْفَ الزمانْ ؟
وسيفى انكسر

●

لماذا الجرائد تغتالُنى ؟
وتشنقني كُـلَّ يومٍ بحبلٍ طويلٍ من الذكرياتْ
أحاولُ أن لا أصدّقَ موتَكَ ، كُـلُّ التقارير كِذْبٌ ،
وكُـلُّ كلام الأطباءِ كِذْبٌ
وكُـلُّ الأكاليلِ فَوْقَ ضريحكَ كِذْبٌ ..
وكُـلّ المدامعِ والحَشْرجاتْ ..
أحاولُ أن لا أصدّق أن الأميرَ الخرافـيَّ توفيق مَاتْ
وأن الجبينَ المسافرَ بين الكواكبِ مَاتْ ..
وأنَّ الذي كان يقطفُ من شَجَر الشمس مَاتْ ..
وأنَّ الذي كان يخزنُ ماء البحار بعينيه مَاتْ ..
فموتُكَ يا ولدي نُكْتَةٌ .. وقد يصبحُ الموتُ أقسى النكاتْ .

●

أتوفيـقُ ..
لو كان للموتِ طِفْلٌ ، لأَدْرَكَ ما هو موتُ البنينْ
ولو كانَ للموتِ عقلٌ ..
سألناهُ كيف يُفَسِّرُ موتَ البلابلِ والياسمينْ
ولو كانَ للموتِ قَلْبٌ .. تردَّدَ في ذَبْحِ أولادنا الطَّيبينْ .

59 □

ذلك الصوتُ الذي يصدر عنّي ليس صوتي ..
إنَّنى أكتبُ من داخلِ موتي ..

60 □

ما الذي نكتب ، يا سيّدتي ؟
نحن محكومونَ بالموتِ ، إذا نحن صَدَقْنَا ..
ثم محكومون بالموتِ ، إذا نحن كَذْبنَا
ما الذي نكتبُ يا سيّدتي ؟

61 □

رسائلي إليكِ ..
ليست مقاعد من القطيفة
تستريحين عليها
إننى لا أكتبُ إليكِ ، كي تستريحي
إنَّني أكتبُ إليكِ ..
كي تحتضرى معي ..
وتموتي معي ..

62 □

(...)
أنا كالثور الإسباني ..
يطيب لي أن أموتَ ..
على أية ورقةٍ ملوّنة
ترتعشُ أمامي ...
فهل كنت تعرفين يوم أهديتني دفاترك
نزواتي الإسبانية ؟

63 □

لن يكون ذهابُكِ مأساويًّا
كما تتصورينْ ..
فأنا كأشجارِ الصفصافْ
أموتُ دائمًا
وأنا واقفٌ على قدميّ

64 □

(...)

ما دام زمن الحنان قد ماتْ .
وموسم البَيْلَسَان قد ماتْ .
لماذا .. تكلفّين صوتَكِ ..
أن يغتالني مرَّةً أخرى ؟
والميتُ لا يموتُ مرَّتينْ .

65 □

(...)

إنَّني أحبُّكِ ..
ولا أطلبُ منكِ وثيقةَ تأمين
ضدَّ الموت عشقًا .
بل سأطلبُ منكِ – على العكس –
أن تساعديني عَلَى الموتِ حرقا
على الطريقة البوذيّة
(....)

66 □

(...)

لماذا أتحدَّثُ عن المدن والأوطانْ ؟
أنتِ وطني ..
صوتُكِ وطني ..
تجويفُ يدكِ الصغيرة وطني ..
وفي هذا الوطن ولدتُ ..
وفي هذا الوطن ..
أريدُ أن أموت ...

67 □

عندما كانت بيروتُ تموتُ بين ذراعيَّ
كسمكةٍ اخترقها رمحْ
جاءني هاتفٌ من دمشقَ يقولْ :
« أمُّك ماتتْ »
لم أستوعب الكلمات في البدايَةْ
لم أستوعب كيف يمكن أن يموت السَمَكُ كُلُّهُ
في وقتٍ واحدْ ..
كانت هناك مدينة حبيبة تموتْ .. اسمها بيروتْ
وكانت هناك أمٌّ مدهشةٌ تموتْ .. اسمها فائزة
وكان قدري أن أخرجَ من موتٍ ..
لأدخل في موتٍ آخرْ ..
كان قدري أن أسافرَ بين موتَيْنْ

●

(...)

فهل كانت مصادفة أن تموتَ بيروتْ
وتموت أمي في وقتٍ واحدْ ؟

●

بموتِ أمّي
يسقطُ آخرُ قميص صوفٍ أُغطّى به جَسَدي
آخرُ قميصِ حَنَانْ ..
آخرُ مظلّةِ مَطَرْ ..
في الشتاء القادم ..
ستجدوننى أتجوَّل في الشوارع عاريًا ..

68 □

إلى امرأةٍ لا تُعَادُ
تُسمَّى .. (مدينة حزني)
إلى من تُسافر مثل السفينةِ في ماء عيني
وتدخُل – وَقْتَ الكتابة – ما بيْنَ صوتي وبيني ..
أقدِّم موتي إليك على شكل شِعْرٍ
فكيف تَظُنِّينَ أنّى أغنّي ؟..

69 □

(...)

أنا مع الحبِّ ، حتَّى يقتُلُني
إذا تخلَّيْتُ عن عِشْقي .. فلستُ أنَا ..

70 □

(...)

تبلِّلي مَرَّة .. بالماء أو بدمي
وَجَرِّبي الموتَ يومًا فوقَ أحداقي

71 □

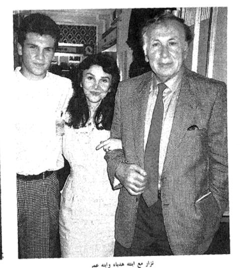
(...)

فالمرأة قصيدةٌ أموتُ عندما أكتبُها
وأموتُ عندما أنساها ..

□

نزار قباني

أنشودة حب مصرية



نزار مع ابنته هدباء وابنه عمر



هدباء متشحة بالسواد وزينب متشحة بالبياض وبين اللونين عاش والدهما حياته

وَجَاوَرَ قَبْرُ نزار قَبْر بلال وَزَوْجتيْ الرسول

لأول مرة يشارك نزار قبانى قصيدة شعر لم يسطّر منها بيتا واحدا .

فقد رقد نزار جوار أبيه وابنه (توفيق) الذى مات عام ١٩٧٣ وعمره أربعة وعشرون عاما وكان آنذاك يدرس الطب فى القاهرة فنظمت دمشق قصيدة رثاء فنعته الفتيات بالياسمين الدمشقى الذى تربّى معه وانطلقت الزغاريد من صدور الأمهات كما تنطلق للشهداء فى يوم وفاتهم ، وصاح الرجال بأغنية شعبية زفوا بها نزار إلى مثواه وانهالت عليه أكثر من (١٠٠ رسالة حب) عرفانا منهم بمعلّم الحب .

وقد صادف الحظ أن أذهب إلى سوريا فى نفس توقيت دفن الشاعر الكبير نزار قبانى فى وطنه ، وكما هو متبع فى الشارع السورى توجد لوحة إعلانات بكل حى يُلْصَق عليها خبر وفاة أبناء الحى ذاكرين فيه أسماء أعمامه وأخواله وأبنائه وإخوته وسيرة ذاتية مختصرة عنه ولكن مع نزار قبانى لصق خبر وفاته بكل شارع فى دمشق وليس فى حى المالكى وهو مكان بناية أخيه التى يتلقى فيها أهله العزاء .. وبدون تفكير استقللت تاكسيا وقلت له اذهب بى إلى مدفن نزار قبانى فوجدت السائق يقول لى هل تعرفين أن مدفن آل توفيق قبانى قريب من **قبرى زوجتى الرسول أم حبيبة وأم سلمة وقبر بلال الحبشى** مؤذن الرسول ومعاوية بن أبى سفيان . وكلهم فى منطقة مقابر الباب الصغير .

سرحت من السائق وقلت لنفسى : دائما أنت خالد ومكرَّم يا نزار فى دنياك ومرقدك .

ثم حدثنى السائق بحزن إنه لم يتمكن من تشييع جنازة نزار لأن صاحب التاكسى لم يرضَ وألزمه بالعمل وقت الجنازة وأصر السائق عندما وصلنا أن يدخل معى إلى المدفن ليقرأ الفاتحة لنزار وأمامه وقفنا صامتين أمام السور الأخضر وحزنت أننى طوال الطريق لم أجد بائعا للزهور لأشترى منه وردات الياسمين الذى كان يحبه نزار ، فقد صاحبه منذ مولده ، وتربى معه فى صحن منزله بدمشق القديمة والذى قال عنه : **الياسمين الدمشقى**

له أظافر بيضاء

تثقب جدران الذاكرة

قابلت عم زياد الحفار وهو الذى قام بدفن نزار وهو يعمل فى مقابر الباب الصغير منذ ثلاثين عاما وهو الذى دفن توفيق ابن الشاعر نزار وقال إن نزار أوصى بأن يدفن بجوار أبيه وأخيه (وعن يوم الدفن حدثنا عم زياد وقال إن « نزار » دفن الساعة السادسة والربع مساء والناس كانت بالآلاف لدرجة أنها وقفت فوق القبور المجاورة من شدة الزحام وكان الفنان **كاظم الساهر والفنانة لطيفة** من أشهر الفنانين الذين ساروا فى جنازته وكان المشيِّعون ينتظرون وصول جثمان نزار من العاشرة صباحا وفى خلال هذه الساعات السبع قبل وصوله كتب الناس رسائل رثاء له بمحبة وترحما عليه ولكن أهله أخذوا هذه الرسائل بعد الدفن ليحتفظوا بها .

وقال عم زياد أيضا : إن أهله كان عطاؤهم للفقراء سخياً جدا حيث كانوا يعطون ما لا يقل عن ٥٠٠ ليرة سورية لكل فرد (حوالى ٣٥ جنيها مصريا)

كما تردد أن أخاه الكبير التاجر معتز ساعد أربعة فقراء ودفع لهم تكاليف أربع عمليات جراحية لهم .

تركت عم زياد وطلبت من السائق الذى أصر أن يكمل اليوم معى بعد ما علم أننى صحفية سأكتب عن نزار وقال لى : إن هذا أبسط خدمة يمكن أن يقدمها له وذلك أن أذهب إلى الشارع الذى سمى باسم نزار قبانى فوجدته شارعا رئيسيا فى حى أبو رمانة وهو من أرق أحياء دمشق (يشبه منطقة الزمالك فى القاهرة) وتسمى بحى السفارات ويقع على ناصية شارع نزار مبنى السفارة السعودية وهنالك قابلت أفراداً سوريين ذكروا لى أن جنازة نزار قبانى كانت أشبه بمظاهرة قومية انحرفت عن مسارها الطبيعى فهى كانت من المفروض أن تسير من جامع بدر فى حى المهاجرين بأبورمانة إلى مقبرة الباب الصغير بمنطقة باب مصلى والتى تبعد عن الجامع ٨ كم ولكن الذى حدث أن الناس تدافعوا أمام الجامع وأخذوا الجثمان ، لأنهم كانوا يريدون أن يخرج من ساحة المرجة ويطلق عليها أيضا ساحة الشهداء وهو ميدان فى وسط دمشق يعتز به السوريون فأخذوه إلى الساحة وأطلقت النساء الزغاريد وكأنه شهيد **فرحين به لأنه سيبقى بجوار الصديقين والأنبياء** وصاح الرجال بأغنية شعبية تقول :

زينوا المرجة   والمرجة لينا

شامينا فرجة   الله مزينه

واستمرت الجنازة ساعتين سار وسطها سيارات كثيرة مزينة بالورد واللافتات التى تنعى نزار كما حملت الفتيات الياسمين الدمشقى .

طويل شارع نزار قبانى الذى سرتُ فيه وسمعت هذه الحكايات ولم أكن أملك وأنا أسير فيه سوى أن أتذكر كلماته وهو يرثى ابنه توفيق ويقول :

« أحاول أن لا أصدق أن الأمير الخُرافى مات وأن الجبين المسافر بين الكواكب مات .. وأن الذى يقطف من شجر الشمس مات .. وأن الذى كان يخزن ماء البحر بعينيه مات .. فموتك نكتة .. وقد يصبح الموت أقسى النكات » .

هبة محمد باشا

١٣



مَرْثِيَّات للبقاء

نزار قبانى : المتوهج بالشمس

لم يرض شهر العواصف ، أن ينتهى قبل أن ينقل إلينا خبر رحيل الشاعر نزار قبانى فى اليوم الأخير منه : الخميس ٣٠ / ٤ / ١٩٩٨ .

لم ألتق كثيرا بالشاعر ، لكننى عرفته جيدا وصادقت منذ الشباب الغض شعرّه ، وتكون صداقتى بهذا المفهوم موضوعية وحميمة .

نزار قبانى شاعر رومانسى ، ينتمى إلى نزق وحيوية وواقعية الرومانسية الجديدة التى ترى الواقع عاريا فتاخذه لتعتنى به وتغلفه بلمسات حزن بهيج ، ووحدة جماعية ، وشجن رافع للاثقال ، مطعمة بما تجود به خفة الظل لديه من مواساة ضاحكة او تحكم متعال على الضعف ، يضحك من خيبة الأمل ، ورصانة الخداع ، وجدية التضييع ، وحماس المنجذبين إلى بؤرة الهوان .

عاش نزار احتدام السخط الشعبى والمظاهرة الوطنية ضد الاحتلال فى زمن نهاية الاربعينيات ، ذاق طعم التوقد للثورة على الفقر والجهل والمرض والتعالى الطبقى . حلم بنهضة اكيدة تصورها فيما كانت تسمى « العصرية » و« الحياة الحديثة » ، وغاص فى « التغريب » مندهشا انه لم يجد فيه مأوى الوجدان واصالة « العروبة » !

ملوّن العينين ، بلمسات بسيطة من ارتداء وخلع كان يمكن أن يتموه كاوروبى . كان عصره ، عصر الانجذاب للنموذج « الإفرنجى » ، وعلى خيالات وظلال ذلك النموذج احبته الفتيات التائقات للتحرر على يد الحلم الأجنبى الوسيم . لكنه كان اصيلا ، سرعان مايعود تائبا إلى طرقات مدن بلاده ينحنى امام مطالب البسطاء .

بعد جولة مع « الاجارسون » و« المانيكور » والنساء المخمليات فى المراقص والمقهى وحفلات الاستقبال والمصابيح الحمراء للعلاقات الحرة ، يتجهم نزار بصوت الشرقى الأخلاقى فى «مرثاة قطة» :

« ....

توحشتِ حتى صرت قطة شارع
وكنت على صدرى تَحومين بلبلا
فلا وجهك الوجه الذى قد عبدته
ولا حسنك الحسن الذى كان مُنزلا
وداعتك الاولى استحالت رعونة
وزينتك الاولى استحالت تبذُّلا
أيمكن ان تغدو المليكةُ هكذا ؟
طلاء بدائيا وجفنا مكحلا ..؟
أيمكن أن يغتال حسنك نفسه
وأن تصبح الخمر الكريمة حنظلا ؟
يروّعنى أن تصبحى غجرية
تنوء يداها بالاساور والحلى
تجولين فى ليل الازقة هرّةً
وجودية ، ليست تُثيرُ التخيلا
سلام على من كُنتها ، ياصديقتى
فقد كنت ايام البساطة اجملا !

ولا نتعجب هنا من لغة نزار فى ديوانه « الرسم بالكلمات » الصادر مطلع ١٩٦٧ ، وهو ابن الرابعة والأربعين ، بعد أن صال وجال ، فهى جوهر نزار ابن والعشرين الذى نشر قصيدة « بلادى » فى ديوانه الثانى « طفولة نهد » الصادر عام ١٩٤٨ يقول فيها :

« من لثغة الشحرور ، من
بُحة ناى محزنة
من رجفة المُوّال ، من
تنهدات المئذنة ،
من غيمة تحبكها
عند الغروب المدخنة ،
وجرح قرميد القرى
المنثورة ، المزينة
من وشوشات نجمة
فى شرقنا مستوطنة ،
من قصة تدور بين
وردة وسوسنة ،
ومن لهاث حاطب
عاد بفأس مُوهِنَة

....

....

بلادنا كانت
وكانت بعد هذا : الأزمنة ،
فى ارضها كتبتُ
هذى الأحرف الملحنة !

نزار قبانى من جيل عاش تخبط عصر يروح ويجىء مرة إلى الأمام ومرات إلى الخلف ، متململ الانتظار ، محير بين فرص الاختيار ، دائخ بين أسهم الصعود والهبوط فى بورصة الأمل واليأس . ولد نزار ٢١ مارس ١٩٢٣ ، لكن الأستاذ وديع فلسطين يؤكد انه من مواليد ١٩٢٢ وليس ١٩٢٣ ، وهى معلومة يعرفها الاستاذ وديع فلسطين منذ ١٩٤٨ عندما جاء نزار قبانى إلى القاهرة دبلوماسيا شابا وشاعرا يحمل ديوانه الثانى « طفولة نهد » ، ولم يكن يعرف بعد نجوم الساحة الثقافية بمصر فأخذه الناقد والراصد الأدبى والصحفى الشاب وديع فلسطين ، الذى يصغره بعام - فهو من مواليد أول أكتوبر ١٩٢٣ - ليعرّفه بكبار الشخصيات الثقافية فى مصر ، وكان منهم الساكن بحلوان الناقد الأديب سيد قطب ، احد اقطاب النظرة التحريرية المتطورة للشعر والتى عبر عنها بإسهاب فى كتابه « مهمة الشاعر فى الحياة » الصادر عام ١٩٣٩ وهو لايزال طالبا فى دار العلوم ، ومنهم الأستاذ عباس محمود العقاد الساكن بمصر الجديدة ، والشاعر ابراهيم ناجى والدكتور طه حسين . ولا يزال الأستاذ وديع فلسطين يقتنى فى مكتبته العديد من دواوين نزار قبانى ، منها نسخة نادرة من ديوانه « طفولة نهد » منوه داخلها أنها : « طبعة مترفة جعلت جميع نسخها على ورق مارتله وريجتر ، وصدرت عن شركة فن الطباعة فى القاهرة فى شهر مارس ١٩٤٨ ، واشترك بقلمه فى كتابة العناوين الفنان السورى بدوى وشارك بريشته فى وضع الرسوم الفنان بيكار راسم لوحة الغلاف » .

وجاءت عبارات الإهداء هكذا : « إلى أخى الأديب الموهوب الأستاذ وديع فلسطين مع حبى ! نزار قبانى ، القاهرة ٣ / ٤ / ١٩٤٦ » . ومن الواضح أن نزار كان فى حالة فرح كبرى بديوانه حتى لم يدرك أنه فى عام ١٩٤٨ وليس ١٩٤٦ . ولقد جاءت كل إهداءات نزار قبانى لوديع فلسطين مسرفة فى التودد والتحبب ، من ابرزها فى هذا الإسراف ماكتبه على ديوانه « الرسم بالكلمات » : « إلى حبيب العمر ، الأديب الكبير وديع فلسطين مع أحلى مشاعرى . نزار قبانى ، ١٢ / ١٢ / ١٩٦٦ » ! بعد ذلك ندهش لأن نزار لم يشر أبدا فى مذكرات كتبها أو مقابلات أجراها عن ذكرياته بالقاهرة إلى فضل « حبيب العمر » فى تبديد خجل خطواته الأولى فى قاهرة الاربعينيات .

لكن لعل هذه العبارات المبالغة فى التعبير عن مشاعر قد لاتكون فى حقيقتها بهذا الحجم المرسوم بالكلمات ، لعلها تكون المفتاح لفهم الشخصية الشعرية لنزار قبانى والتى تبرز خاصية اللهجة السورية ، الدمشقية ، الشامية فى التعبيرات والمجاملات وأيضا فى الشتائم حين الغضب . هذه اللهجة تجدها متمثلة فى كل تعبيرات نزار قبانى شعرا ونثرا . كل الشعراء يبالغون هذا صحيح ، وهذه المبالغة هى كذبهم وهى التى تغوى من يتبعهم من الغاوين ، لكن مبالغات نزار هى ركيزته الأولى وبطانة كل كتاباته من الشعر إلى النثر ومن المدح إلى القدح ومن الحب إلى السياسة ، وهى التى جذبت إليه القراء والمستمعين ووجع الرأس والقلب . بل استطيع أن اجزم أنه أضاف إلى نزعة المبالغة فى اللهجة السورية مفردات وصيغا وصورا ومواقع وأبعادا لم تكن هناك من قبل . إن نزار قبانى شاعر العرب بحق لانه حفر مكانا عميقا على خريطة الشعر العربى ليس بوسع أحد أن يتجاهله . وقد احبوه محبة قصوى وكرهوه غيظا عاليا ، لكنه قبل كل شىء هو شاعر سوريا ، بل

هو شاعر دمشق ، وعلى وجه التخصيص شاعر الطبقة الوسطى من مرحلة الاربعينيات حتى غربته اللندنية فى التسعينيات . الطبقة التى لم تخلع التقاليد وإن سخطت عليها وعبثت بها ، ولم تغير ابدا وجدانها العربى الإسلامى وإن لم تخف انبهارها بالغرب والتغريب والنموذج « الافرنجى » على عمومه فى المعيشة والبنت والولد ، وجادلت فى هذا الأمر جدالا عنيفا حتى صدمتها « العولمة » - أو « الارضوية » - لتجذبها بقسوة إلى الانزلاق نحو الحقبة الصهيونية فصرخت : من اضاعنا ؟ واعلن نزار بلسانها « وفاة أمة العرب » فى قمة من قمم مبالغاته العاصفة .

عالم نزار الشعرى يتوهج بالشمس والسخونة ودرجات اللون البرتقالى . صاخب نزار حار بلا لسعة برد ، طبيعة برجه الحمل النارى النشط المغامر .

لم يكن نزار قبانى صاحب قضية ، ولا كان عدوا للمراة او نصيرا ، لكنه كان راصدا امينا دقيقا ، يرسم - فعلا - بالكلمات من كل الزوايا وينطق بلسان كل الشخصيات وكل الأفكار والمعتقدات ووجهات النظر . يصور الواقع والحلم ، الحقيقة والاكاذيب ، الحاصل والمحتمل . يعبر عن الذات - الفرد ، وعن الذات - الامة ، وعن الذات - التاريخ ، وعن نزعات الهمجية والحضارة والفجور والتقوى ! لذلك فإنه من أغرب الأمور مايتصوره بعض الناس ، ومنهم بعض « فطاحل » النقاد والادباء ، انه كلما قال نزار « انا » ، كان يعنى «اناه» . «انا» النزارية هى كل شىء يراه ويحسه ويقرأه ويقابله ويصمت امامه او يتحاور معه . وفى هذا السياق اجد ان قصيدته « الرسم بالكلمات » - أول قصيدة فى ديوانه المعنون بها والذى صدر عن منشورات نزار قبانى يناير ١٩٦٧ - من اشهر قصائده التى ظلمته وفتحت النار عليه جهلا وعدوانا ، ويقول فى جزء منها :

« ....

كل العصور انا بها فكانما
عمرى ملايين من السنوات
تعبتُ من السفر الطويل حقائبى
وتعبتُ من خيلى ومن غزواتى
لم يبق نهدٌ اسود او ابيض
إلا زرعت بأرضه راياتى
لم تبق زاوية بجسم جميلةٍ
إلا ومرّت فوقها عرباتى
فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت أهراما من الحلمات

....

هل من المعقول ان نصدق ان نزار هنا يتحدث عن نفسه او تجربته على المستوى « الذكورى » الشخصى ؟ ، إذن فأين ذهب فهمنا للرمز الذى هو معجون فى لغة الانسان صاحيا كان ام نائما غائصاً فى رؤى الاحلام ؟

عندما قرات القصيدة تمثل لى فورا الملخص التاريخى لإمبراطورية ما من امبراطوريات العالم غربت عنها الشمس . من الرموز المستهلكة رمز المراة - الارض ، وعلى ذلك قال الناس « رحم الارض » ومن الرموز المستهلكة كذلك رمز النهد - الضرع - الحليب - الثروة - الخصب - الخير ..... الخ .. جسد الأرض له كل مفردات جسد المراة وعلى هذا الاساس نفهم : « لم تبق زاوية بجسم جميلةٍ ، إلا ومرّت فوقها عرباتى " ان ترجمتها المباشرة لم يبق هناك شبر بالأرض الجميلة إلا وغزوتها طمعا فى خيراتها ، ذلك لان النهد الأسود او الأبيض هو تعبير عن الخيرات المتنوعة - (البترول هو النهد الأسود مثلا .... الا يجوز) - على قارات العالم بأجناسها المختلفة من البشرية ، الأسود منها والأحمر والأصفر والأبيض . والصورة فى القصيدة لجيوش غازية ، تحت قيادة جبار ، اجتاحت وحاربت وانتصرت وخلّفت الاسرى والقتلى والسبايا : « فصّلت من جلد النساء عباءة ، وبنيت أهراما من الحلمات » ، أليست هذه صورة الملوك الجبابرة الذين إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة ؟
لكن كل تاريخ الجبابرة كان إلى زوال :
« ..... واليوم اجلس فوق سطح سفينتى



صافيناز كاظم

كاللص ابحث عن طريق نجاة
وادير مفتاح الحريم فلا أرى
فى الظل غير جماجم الاموات
...............»

الا أرى هنا صورة نابليون المهزوم منفيا إلى سانت هيلانة يندب مجده الزائل :
« اليوم تنتقم النهود لنفسها
وترد لى الطعنات بالطعنات
....
انا عاجز عن عشق اية نملة
او غيمة ، عن عشق أى حصاة
مارست الف عبادة وعبادة
فوجدت افضلها عبادة ذاتى »!

الا تروا أيها الناس ، هذه « انا » فرعون ، وكسرى ، وقيصر ، والملك ، والخان ، والامبراطور ...... الخ . هذه « انا » الجبابرة رسمها نزار بقوة ودقة وبث فيها تهكمه الساخر من جبروت الطغاة وتفاهة غرورهم .

هل معنى هذا ان نزار قبانى لم تكن له « اناهُ » الخاصة ؟
طبعا كانت له « انا » رومانسية ، تبتهج بالنقاء وتكون فى أظرف حالاتها وهى تغنى لطفولة الحب المتغيرة :
« يدى فى ذراعك
اين الضياعُ تخافينه ؟
نحن نهدى الهدى ...

« لا اريد الوضوح ،
كونى وشاحا من دخان ،
وموعدا لايحين ،
ولتعيشى تخيلا فى جبينى ،
ولتكونى خرافة لاتكون ...»

• • •

نذكّر الذين تعنتوا وتظاهروا لمنع الصلاة عليه وهو جسد متوفى راقد فى ذمة الله ، نذكّرهم بالآية الكريمة رقم ١٠٠ من سورة الإسراء : بسم الله الرحمن الرحيم :
« قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لامسكتم خشية الإنفاق ، وكان الإنسان قتورا » صدق الله العظيم .
نصلى عليه ، ونساله سبحانه الذى كتب على نفسه الرحمة ، نسالة ان يغفر له ، أن يغفر له .....

.. وسافر فارس العشق

إلى صديقى الشاعر العربى الكبير نزار قبانى



فاروق جويدة

نهر من الحب .. بركان من الغضب
كيف التقى الماء فى شطيك باللهب
منذ امتطيت جواد الشعر منطلقا
نحو السحاب رأينا الشعر كالشهب
كيف التقى البحر والبركان فى قلم
وكيف صارت خيوط العشب من ذهب
خمسون عاما وانتم النجم فى زمن
بين السفوح اضاع الجد باللعب
خمسون عاما نثرت الحب فى وطن
القى المحبين اشلاء بلا سبب
حاربت بالشعر كهانا محنطة
فوق الشواهد تاريخ من الكذب
فى جنة الخلد انت الآن ترقبنا
ماذا يقول الأولى من سادة العرب
ماذا يقول صلاح الدين عن وطن
فى سكرة العجز باع السيف بالخطب
القدس فى الاسر تبكى الآن فى الم
ودمعها صرخة حيرى بقلب نبى
هذى البلاد التى ماعدت تعرفها
صارت نخيلا بلا ظل .. ولا رطب
جرداء كالصخر تمشى فى شوارعها
جحافل الياس بين العقم والجدب
منذ ارتحلت تركت الارض خاوية
فقد تخفى الردى فى كرمة العنب
هذا الغريب الذى يغفو على كفن
من الجليد إمام الشعر والطرب
هذا الغريب الذى يمضى بلا صخب
كم اشعل الكون بالنيران والصخب
منفى غريب وقلب حائر ويد
مشلولة الحلم فى سجن من الغضب
تبكى القلوب التى اهديتها زمنا
من الجمال بسحر الشعر والادب
تبكى الحروف التى سطرتها نغما
كانت ترف على عينيك كالهدب
نسيم لبنان هل تدرى بما حملت
دموع بلقيس من حزن ومن عتب
ياسمينة الحى صاحت عندما لمحت
مواكب الناس من باك ومنتحب
مالت على الأرض فى حزن وقد تركت
ثيابها البيض للانداء والسحب
كانت تصلى على جثمان عاشقها
كانها طفلة ماتت بحضن اب

●●●

قد عدت للشام ياللشام كم حملت
مواكب النور من صيدا إلى حلب
يادرة الشام ياأغلى قلائدها
ابيات شعرك تيجان من الذهب
إن ساءلوا الناس يوما عن مراتبهم
فدولة الشعر فوق التاج والرتب
نحن السلاطين كل الكون دولتنا
ونحن بالشعر فوق الجاه والنسب
نحن السلاطين شاء البعض ام غضبوا
فكل ماعندهم كوخ من الحطب
لم تخش فى الحق كهانا بضاعتهم
سيف مريض وتيجان من الخشب
هذى سهام كصمت القبر اسمعها
يخشون باسك رغم الموت .. واعجبى
ماكنت يوما تخاف البطش من صنم
ولا جبان تخفى فى حمى ذنب
حسادك الآن كالجرذان قد خرجوا
حتى مع الموت لم تسلم من التعب

●●●

نلقاك كالفجر يوما كلما صدحت
نوارس البعد فى انات مغترب
نلقاك وجها حبيبا لن يفارقنا
مهما نأى صوته .. اوغاب فى الحجب
ياتى زمان به ناى واغنية
وطلة حلوة تلهو مع اللعب
ياتى زمان لحواء التى جعلت
ضميرها الحى فوق الأصل والحسب
ياتى زمان بلا زيف ولا دجل
ولا وجوه طفت بالقهر والكذب
ياتى زمان نرى فى القدس رايتنا
مرفوعة الراس فى الآفاق كالشهب

●●●

نامت جراحك فوق الرمل وارتفعت
انشودة الحب فوق الهم والنصب
بعض الخيول يرى فى المجد غايته
والمجد بالموت غير المجد بالهرب
فى قبرك الآن تشدو الف لؤلؤة
وعين ماء واسراب من السحب
فى قبرك الآن قنديل وسوسنة
ونجمة سافرت فى ريشها الذهبى
تخبو وجوه الورى ان ضمهم كفن
ووجهك الغض فى الاعماق لم يغب
تاتى مع الصبح يوما كلما انطلقت
خيولنا حرة .. من سجنها العربى
فلا سلام لهذى الأرض إن ركعت
ولا امان لنا .. فى ظل مغتصب

... ورحل زمنٌ من الشعر

يا صديقى على حدود الكبرياء
ابحث عن لغة تكون على مستوى قامتك .
ولكنك طويل .. طويل ..
واللغة قصيرة .. قصيرة
يا من وسعت حقائب شعره
الكون كله ..
بشموسه .. واقماره ..
وليله .. ونهاره ..
وغاباته .. وبحاره

● ● ●

ايها الواقف كالوردة فى شريان الوطن
يا من ظل يغنى انتصارات العرب ..
وانكسارات العرب
وافراح العرب .. وأحزان العرب
إلى ان توقف عن الكتابة
لقد اصبحت ضرورة قومية
ايها الرمح المزروع فى لحم الابجدية
انت الذى جعلت حياتنا اكثر اخضرارا
واحاسيسنا اكثر شفافية ..
وكتاباتنا اكثر ثورة
وحضارتنا اكثر حضارة

● ● ●

ايها الحصان المستحم ببرق القصائد ..
لم تترك بيتا إلا دخلته ..
ولم تترك طفلا إلا ولعبت معه ..
ولم تترك عاشقا إلا احتضنته ..
ولا عاشقة إلا اهديتها ديوان شعر وعلمتها كيف تكتشف انوثتها

● ● ●

ايها الداخل فى تفاصيل الزمن ..
لم تكن شاعراً عابرا فى حياتنا
بل كنت خلاصة أيامنا ..
لم تكن شاعرا سريا
نخبئه تحت معاطفنا ..
بل كنت مطرا شعريا
ضرب نوافذنا
واستوطن فكرنا

● ● ●

يا صديق الإنسان ..
يا ايها العملاق الذى لا يمكن للحلم أن يصعد إليه ..
خمسة وسبعون عاما وانت تقاتل القبح بجميع اشكاله
والخيانة بجميع اسمائها ..
والقمع بجميع أشكاله ..
والديكتاتوريات بجميع اقنعتها ..
والفكر البوليسى بكل ممارساته
وكل سلطة بوليسية حاولت إطفاء قناديل الحرية
وكل سلطة فرضت الرقابة على عقل الإنسان وشفتيه
ايها السيف الذى حمل بيده مفاتيح القصائد وعناوين الوطن
نادر انت فى تصوفك السياسى ..
نادر انت فى طهارتك القومية ..
نادر انت بنظافة الروح ونظافة اليد ..
تعبت خيول كثيرة من الصهيل ..
ولكن خيولك لم تتعب
وانكسرت سيوف كثيرة من الصليل ..
ولكن سيفك لم ينكسر



سعاد الصباح

● ● ●

يا عصفوراً من عصافير الحرية
يا شاعر كل الفصول
مع قمر الصيف تاتى
ومع سيمفونية الأمطار تاتى
ومع التماعات البرق تاتى
ومع حزن الصوارى تاتى
ومع بكاء الوطن تبكى
ومع نزيفه تنزف
يا ايها النسر الشجاع الذى حمل تحت جناحيه
مائتى مليون عربى ..
ومليون مئذنة ..
ومليون قصيدة ..
وطار من الماء إلى الماء ..
ومن الرمل .. إلى الرمل ..
ومن الجرح .. إلى الجرح ..
وكان عن جدارة وجدان العرب وضميرهم ..
والناطق الرسمى بلسان من لا لسان لهم ..

● ● ●

ايها المكتظ بياسمين دمشق وفاكهة الغوطتين
يا من عمرت القصائد على الطراز الشامى
فحروف ابجديتك مقتلعة من احجار بيوتها ..
وفسيفساء مساجدها ..
واسوار بيوتها ..
فدمشق استوطنت كتابتك ..
وشكلت جغرافيتها جزءا كبيرا من شعرك ..
ايها العصفور العربى ..
يا قمر الحرية لست أول شاعر يرحل
ولن تكون آخر شاعر
فقصائدك ستظل هى السنابل الذهبية ..
التى تطعم الجائعين ..
قمحا وحرية ..

● ● ●

يا صديقى الشاعر
لا تقلق على قصائدك ..
فالفن العظيم ، لا يموت ..
وأروع ما فى تاريخ الأدب
القصيدة النزارية ..



إلى الراحل الجميل نزار قبانى:

سلامٌ عليكَ من القاهرة

شعر: **بشير عياد**

على شاطىء النيل
قلب وحيد ، يسافر فى ذكريات الفيوم
كضوء برىء يسائل عن نجمة ساهرة
ويلمس ـ كالسر ـ طيف الصباح
يلملم احلامه الحائرة
ويرسل فى الافق أصداء لحن قديم
تناثر بين ثنايا الليالى
كزغرودة بعثرتها الرياح
على شوك أيامنا المقفرة
كعصفورة فى البلاد البعيدة
تغرد ، والسيف فى الخاصرة
ليبقى الملاذ الأخير الأسى ،
والفرار الأخير إلى الآخِرة
سلام عليك
إذا مارتحلتَ
إذا ماغتربتَ
إذا ماقتربت كثيرا كثيرا
لتسكن فى القلب والذاكرة

★ ★

حننت
وكنت على الجمر تعدو
لوعدٍ مع وشوشات الحنين
تطارد أغنية فى القِفار
وترشقها وردة .

قُبلة
ضحكة
رقصة لليمام

لسَرْبِ النوارس
لعرسِ الفراشات بين الحقول
لهمس العصافير حول المدارسْ
دمشقيةٌ روحك العبقريةُ

عربيةٌ
من كتاب الفوارسْ
سلام عليك
إذا ماتهاديت قطرة ضوء
على ثغر أسحارنا الساحرة
كطير ، يعود إلى امه ،
فى الصباح الأخير ليقتنصَ الشهقة النادرة
حنَنْتَ إلى دفئها الأبدى
فنادتك
لبيتَ
اقبلت
قبّلت اندامعا الطاهرة
فمالت إليك بأحزانها
من « الماء للماء » تحنو عليك
وتقتسم الأنّة الجائرة :
بقرطاجها
وبصنعائها
بأسوانها
وبيير
ببغدادها .. نجدها .. قدسها
بمآذنها
وبأجراسها
يطوِّقها الدمع
يصهل فى شفتيها الأنيْن
تلوح ـ مكلومة ـ بـ« الوداعِ
.. الوداع
.. الوداع ..»
« ترشك » بالفل والياسمينْ
« تسمىّ » عليك
وأنت تردد : « أمى .. دمشق .. الشام »
وتغفو بأحضانها الشاعرةْ

سلام عليك
سلامٌ .. سلامْ
هنا ..
كل شىء « على مايرام »
فنم فى سلام :
محبُوك « العشق » فى مملكة
فلا تخش شيئا على العاشقين
وليل العروبة ماأحلكه
فما أهنأ النومَ بالنائمين
« ولاصوت يعلو على المعركة »
فماذا تريد من الصامتين ؟
سلكنا ،
وكلٌ له مسلكٌ
فطوبى لمن كان فى السالكين
لنا الشجب إمّا يحمُ الوغى
وإن ضاع شىء ـ فشجبٌ مبين
فلسطين فى قيدها نصف قرن
ومازلنا فى خوفنا قابعين
نطأطىء شيئا
فشيئا
وندعو « كلينتون » نعم المعين
علينا من الصبر ألف رداءٍ
وربك دوما مع الصابرين
فنم ياحبيبى
فهذا زمان
غدا النسر فيه كأنثى النعام
يزلزله الرعب
يرجف
يجرىِ
وينسل تحت غبار الزحام
يشاطرنا الخزىُ أنفاسنا
ونحن طحنًا قشور الكلام

فنم فى سلامْ
مضى نصف قرن و« أبناء يعرب »
لم ييأسوا من مجىء السلام
فإن لم يجىء امس ، جاء غدا
وإن لم يكن ، فليكن ألف عام
فنم فى سلام !!
تعلّم فينا اليهود « الجزارة »
فى كل يوم لنا مجزرة
نرد السهام عليهم بـ« ضبط ،
وصبر ،
وسيل من الثرثرة
فميراثنا فى الحكايات « قيسٌ
وفارس أيامنا « عنترة »
وميراثنا فى القتال الطويل
قصائد مسنونة عابرة
فهل ثمّ جانٍ علينا سوانا ؟
وهل غيرنا ساق فينا الهوانا ؟
لهم بحرنا
شمسنا
أرضنا
ونحن لنا الصمت إمّا أساءوا
وساءوا
وصالوا ، وجالوا ، وراحوا ، وجاءوا
لهم دمعنا إن أصيبوا وخابوا
ألم تدر أن البكاء عليهم ثواب ؟
وأن الدعاء لهم مستحب وقد يستجاب ؟
مضى نصف قرن
ونحن على امرهم كيف شاءوا
وفى كل وقت
وفى اى وقت
لهم شأنهم ، لاتسلنا : لماذا ؟
ففى كل وقت لنا المعذرة

لهم كل شىء إذا ماأرادوا
ولعبتنا اللعبة الخاسرة
بياناتنا سوف تقضى عليهم !
« فصبرٌ جميل ..
وربك ذو العفو والمغفرة ..»

★ ★

سلام عليك
وقد آن أن تستريح
وتنفض « عن مقلتيك التعب »
وتنجو من الوحل ـ وَحْلِ الهزائم ـ
تطوى طواحين هذا الفراغ العقيم
وتقلع عن ثرثرات العرب
سلام
وأنت تحط الرحال
وتنسى مع العمر .. عمرَ الغضب
وأنت تسافر فينا
كأنفاس عطر وضوء قمر
على وجنتيك تدور النجوم
وفى راحتيك الندى والزهر
سلام عليك
من النيل
والبحر ،
والأمسيات الفريدة
ومن ضحكات الحسان الجميلات
تبرق فى الذكريات البعيدة
ومن بسمات الصغار وأنت تمر بأحلامهم
طائرا بالمواعيد
تنقش إعيادهم أمنيات سعيدة
ومن كلِّ ساقية فى قرانا
ومن كل غصن وبرج حمام
ومن كل عصفورة فى حدائق مصر
البلابلَ

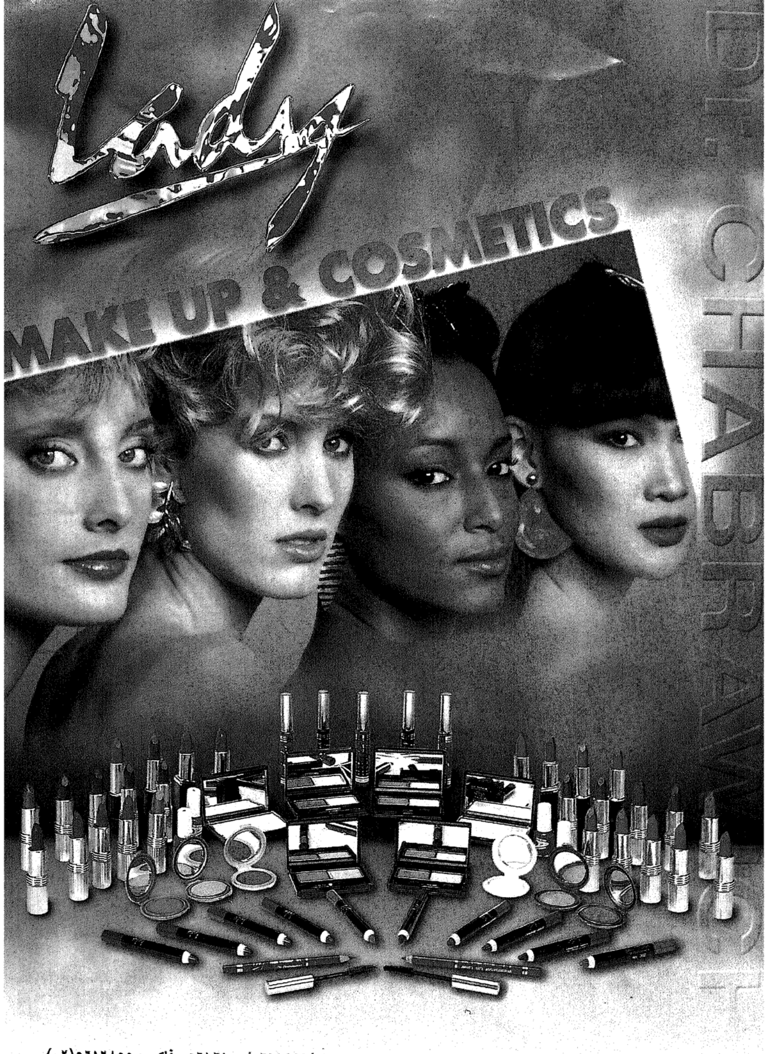
كل الفراشات
كل السنابل
زهر البنفسج
قطر الندى
والسفرجل
والبرتقال ،
مآذن « حى الحسين »
الكنائس ، «برج الجزيرة
والقنطرة
وكل طريق مشيت عليه
وكل حبيب مشيت إليه
وصفصافة فى أعالى الصعيد
تطرِّز بالحزن اغصانها ،
وتلوح« يأسانةً » حائرة

★ ★

قصيدة حب
نما أصلها فى « تراب الوطن »
وأنشودة للقلوب الصغيرة
طوق نجاة إذا ثار بالسُّهد موج الشجن
عيون
بها الجمر يغلى
وفى الشرفات الحزينة
كل المناديل بالدمع ترنو إليك
تناديك : هاهى مصر التى أرضعتك المحبة
« مصرك » لمّا تزل حاضرة
سلام عليك من القاهرة
سلام عليك من القاهرة
سلام
عليك
من القاهرة

(٢٠ ابريل ـ ٢٣ مايو ١٩٩٨)

نزار قباني
أنشودة حب مصرية



Lady
MAKE UP & COSMETICS
٨٨ شارع عدوى سليم - العمرانية الغربية - جيزة تليفون: ٥٦١٧٦٨١/٥٦١١٨٩١/٥٦١٦١٠٠ - فاكس: (٠٢)٥٦١٢٨٥٥

WOODY LAND

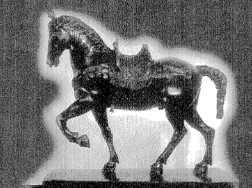


Leaders Of Home Fashion

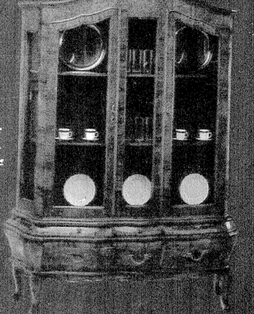
الراحة الاسبوعية الاحد

المركز الرئيسى الجيزة : ٣٢٥ ش الملك فيصل - حسن محمد ت وفاكس : ٥٨٢٣٨٢١ - ٥٨٥٦٦٦٢

فرع مصر الجديدة : ٦ ش بغداد الكورية ت وفاكس : ٢٩١٧٣٤٦



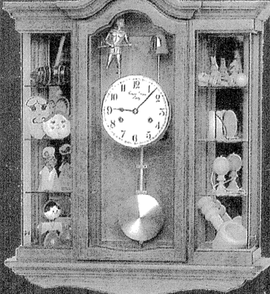
التصدير لجميع الدول العربية



جمال عبيد

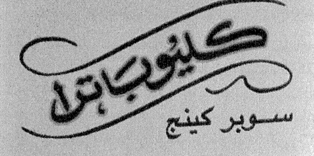










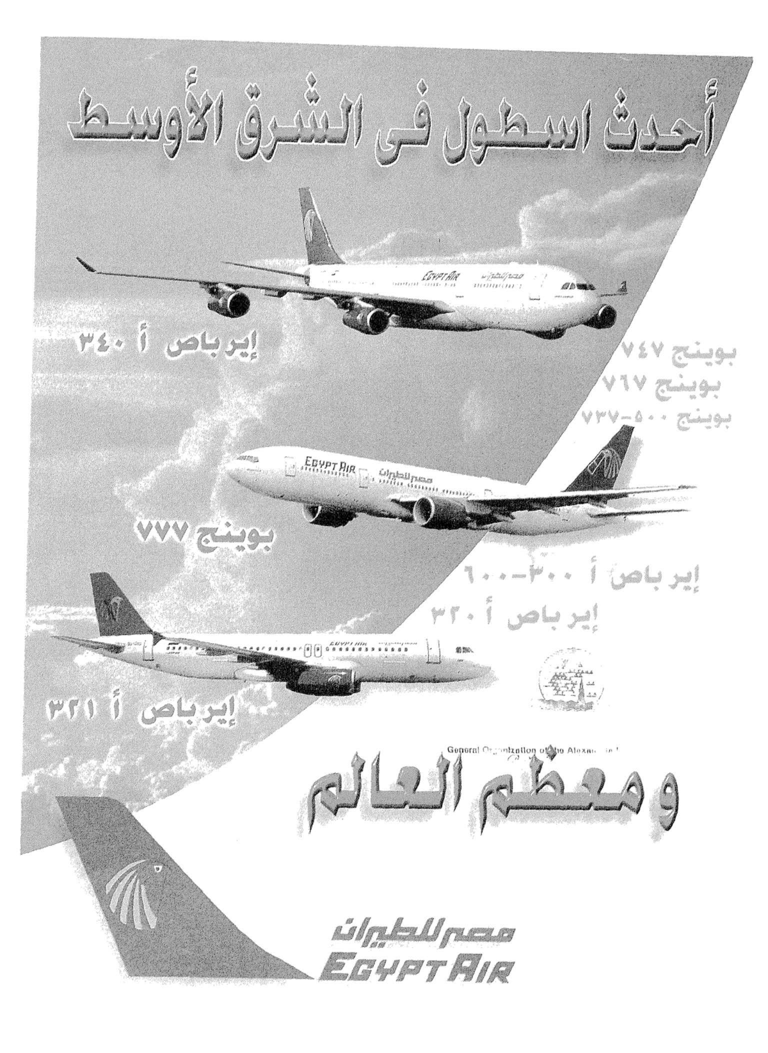

صنع في
مصر
SPECIAL FILTER TIP
كليوباترا
سوبر كينج


A Unique American blend of Quality Tobaccos



Moharam - Al Ahram


كوفرتينا
Covertina
اللحظات السعيدة .. تزداد سعادة مع .. كوفرتينا
المذاق الطبيعى .. الأصيل



أحدث اسطول فى الشرق الأوسط
إيرباص أ ٣٤٠
بوينج ٧٤٧
بوينج ٧٦٧
بوينج ٥٠٠-٧٣٧
بوينج ٧٧٧
إيرباص أ ٣٠٠-٦٠٠
إيرباص أ ٣٢٠
إيرباص أ ٣٢١
ومعظم العالم
مصر للطيران
EGYPTAIR



" يا وطنى .. كل العصافير لها منازل إلا العصافير التى
تحترف الحرية فهى تموت خارج الأوطان .."

نـزار